المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة

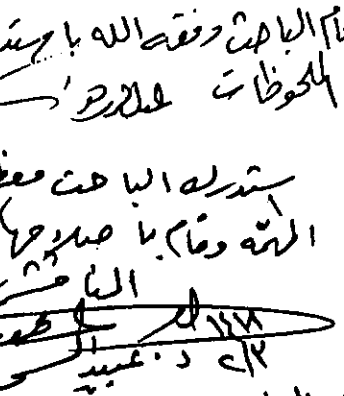

# منهج ابن كثير

## وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد الطالب:

**إبراهيم مرشد محمّد المرشد**

لنيل درجة العالمية العالية
(الدكتوراة)

إشراف فضيلة الدكتور:

**حمود بن أحمد فرج الرحيلي**
الأستاذ المشارك ورئيس قسم الدعوة

١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

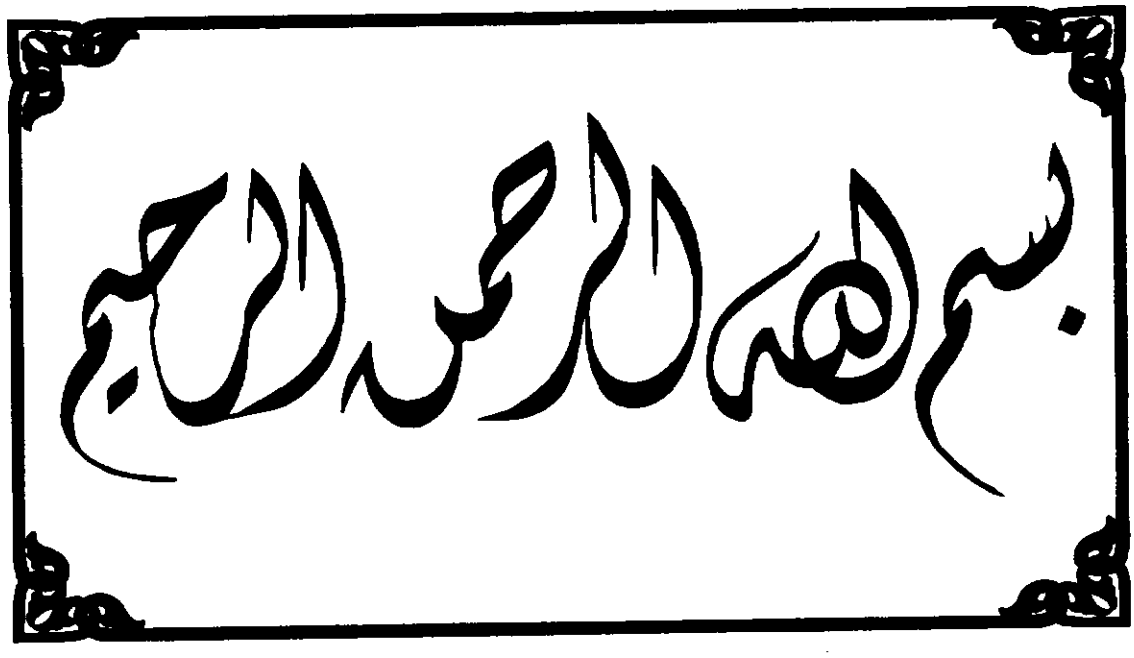
بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

# شكرٌ وتقديرٌ:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وحده تُحقق المهمّات وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله رب العالمين.

وبعد:

فمن باب إرجاع الفضل لأهله، والمعروف لذويه، وإسداء الشكر لمستحقيه، كما قال رسول الله ﷺ: **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)**[1]، أتقدّم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل فضيلة الدكتور/ حمود بن أحمد فرج الرحيلي ... المشرف على هذه الرسالة، على جهوده المخلصة الموفقة، في خدمة العلم، والدعوة إلى الله، ورعاية طلاّب العلم، وعلى ما منحني إيّاه من عناية فائقة، وحرصٍ دءوب، ومتابعة مستمرة خلال إعداد هذه الرسالة، كما أشكره على ما قدّمه لي من التوجيه والإرشاد في آرائه الهامّة، وتوجيهاته السديدة، ومن فوائد علمية ومنهجية عديدة، من أجل إخراج هذا البحث على الوجه العلمي المطلوب.

وإنني لأقر بأنه لم يبخل عليّ -مع كثرة أشغاله وتنوع أعماله- بتوجيه أو تنبيه إلى سهو غفلت عنه، أو خطأٍ وقعت فيه، أو فكرة جيّدة لم أكن منتبهاً لها.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليه: ٤/٣٣٩، ومسند الإمام أحمد: ٢/٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٣.

## شكر وتقدير

ولا أجد كلمة تفي بشكره، وتعبر عمّا في مكنون نفسي له من العرفان بالجميل، والتقدير الكبير لعطائه العلمي، غير أن الرسول ﷺ أرشدنا إلى ما ينبغي لنا عمله في مثل هذا المقام، فقال: (**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتّى تروا أنّكم قد كافأتموه**)[1]

ومن هذا المنطلق، فإني سأظل -إن شاء الله تعالى- أدعو له بالتوفيق، ودوام الصحة والعافية، والزيادة في العلم النافع والعمل الصالح، والله تعالى يقول: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر مَن أحسن عملا﴾[2]

وأشكر فضيلة الدكتور/ فتح الرحمن عمر -المشرف السابق على هذا البحث، فجزاه الله عني خيراً.

وأشكر القائمين على هذه الجامعة المباركة: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وعلى رأسهم معالي مديرها فضيلة الدكتور/ صالح بن عبد الله العبود -الذين سعوا ويسعون بجدٍ وإخلاصٍ ومثابرةٍ ليسير السُّبل لطلب العلم الشرعي على منهج السلف الصالح، لأبناء العالم الإسلامي في ظلّ هذه الحكومة الرشيدة، حكومة خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله وسدّد على طريق الخير خطاه- تلك الحكومة التي تهتم أعظم اهتمام، بقضايا الإسلام والمسلمين في كُلّ مكان.

---

(١) انظر: سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب مَن سأل بالله عزّ وجلّ: ٥/٦١ وسنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله عزّ وجلّ: ١/٣٨٩، ومسند الإمام أحمد: ٢/٦٨، ١٢٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٠

وإن ما نشاهده لهو أصدق دليل على ما توليه حكومة هذه البلاد من اهتمام بأمور المسلمين، وسعي حثيثٍ لتحقيق وحدتهم، وجمع كلمتهم، وحل مشكلاتهم، وعلى ما توليه هذه الجامعة من رعاية ودعم في كُلّ ما تحتاج إليه من وجوه الدّعم المختلفة. فنسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسنات هذه الدولة الرشيدة وأن يكتب لهم التوفيق في كل مساعيهم الحميدة، وأن يجنب الجميع كل سوء ومكروه.

والحمد لله. فإنّ هذه الجامعة قد اشتهر فضلها، وعمّ نفعها في أنحاء العالم، فأسأل الله أن يزيد هذه الجامعة المباركة رقياً وازدهاراً.

وفي ختام هذه الكلمة أتوجه أيضا بالشكر والتقدير للأستاذين: [الدكتور/ عبيد بن عبد الله السحيمي- الأستاذ المساعد بقسم الدعوة وعميد كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية. والدكتور/ عبد الرب نواب الدين- الأستاذ المشارك بقسم الدعوة، كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية.] اللذين قبلا مناقشة هذا البحث، وأشكر كذلك على وجه العموم كُل من كان له معي مشاركة في إخراج هذا البحث من المشايخ والأساتذة والزملاء والأخوة.

شكر الله الجميع عونهم ودعمهم ومساندتهم لي، وجزاهم الله عني خير الجزاء.

والحمد لله أولاً وآخرا، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمّد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومَن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

## المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله[1]. ﴿يا أيُها الذين آمَنُوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾[2]. ﴿يا أيُها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾[3]. ﴿يا أيُها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[4].

أمَّا بعد: يقول الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رسولاً أن اعبُدوا الله واجتنبوا الطَّاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم مَن حقَّت عليه الضَّلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المكذِّبين﴾[5].

---

(١) هذه الخطبة تعرف عند العلماء بخطبة الحاجة، وأصلها في صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة: ٢/٥٩٢ - ٥٩٣. وقد أفردها الشيخ الألباني في رسالة خاصَّة طبعها المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢

(٣) سورة النساء، الآية: ١

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠

(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦

فبيَّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ الرُّسُلَ عليهم السلام كُلَّهم بُعِثُوا لهذا الأمر العظيم، وهو الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، واجتناب الطَّاغوت، فالدَّعوة شأنها عظيم، وهي وظيفة الرُّسُل جميعاً ومهمَّتُهُم، وهم الأئمةُ في الدَّعوة، فكفى الدَّعوة شرفاً، وكفاها منزلةً عاليةً أن تكون وظيفة الرُّسُل الكرام وأتباعهم إلى يوم القيامة.

ولأهمية الدَّعوة وضرورتها، فقد بيَّن الله عزَّ وجلَّ لرسوله محمَّدٍ ﷺ منهج الدعوة، وشروطها، ووسائلها، فقال تعالى: ﴿قُلْ هذه سبيلي أَدْعُوا إلى الله على بَصِيرَةٍ أنا ومَنِ اتَّبَعَني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ [1].

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية: "يقول الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الإنس والجنَّ، آمراً له أن يُخبر الناس أن هذه سبيله، أي طريقته ومسلكه وسُنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرةٍ من ذلك ويقين وبرهان، هو وكلُّ من اتّبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرةٍ ويقينٍ وبرهانٍ عقليٍ وشرعيٍ."[2]

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٤٦٥، ٤٩٦.

وقال تعالى لنبيه محمَّدٍ ﷺ، والخطاب أيضاً لأمته من بعده: ﴿ادْعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ [1].

ولمّا كانَ الرسولُ ﷺ حريصاً على هداية الناس إلى دين الله تعالى وإخراجهم من الظلمات إلى النُّور، رؤوفٌ رحيمٌ بالمؤمنين، فما مِن خيرٍ إلاَّ وأرشدهم إليه، وما مِن شَرٍ إلاَّ وحذَّرهم منه، وترك أُمَّته على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاَّ هالك. قال ﷺ: (**تركتكم على المحجَّة البيضاء**) [2].

لمّا كان كذلك، فقد علَّم الرسول ﷺ صحابته الكرام منهج الدعوة إلى الله تعالى وكيفية تبليغه للناس حسب تفاوت درجاتهم ومراتبهم وعقولهم، والتدرُّج بهم، ومِن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن: (**إنَّك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كُلِّ يومٍ وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك**

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد: ١٢٦/٤، وابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٤/١

**بذلك فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتَّقِ دعوة المظلوم فإنَّه ليس بينه وبين الله حجاب)**[1].

فلا ريب أنَّ المنهج[2] الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى يؤخذ من كتاب الله تعالى، ومن سنَّة رسوله ﷺ، ومن سيرة سلف هذه الأُمَّة الصَّالح.

وإنَّ هذا المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله هو المنهج الواجب إتباعه لكل مَن يتصدَّى للدعوة إلى الله تعالى.

وقد سار على هذا الطريق أفضل القرون والبشر، وهم صحابة رسول الله ﷺ، فضربوا أروع المثل في الإقتداء برسول الله ﷺ، ففتح الله بهم قلوباً غُلْفا، وآذاناً صُمّا، فأشرقت بنور الإيمان، وانتشر دين الله في مشارق الأرض ومغاربها، وارتفعت راية الإسلام، وانقشعت غربة الدين.

وسار على نهج الصحابة رضي الله عنهم سلف هذه الأُمَّة وعلماؤها، قرناً بعد قرن، ينفون عن دين الله انتحال المبطلين، ويردون الأُمَّة إلى الصراط المستقيم.

وما أحوج كثيراً من المسلمين اليوم وهم يتخبطون في مناهج عِدَّة وطرق شتّى، أودت بهم إلى الضَّعف والتخلُّف بسبب بعدهم عن طريقة النَّبِيّ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا: ٢/٢٥٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: ١/٥٠

(٢) المنهج في اللغة: الطريق المستقيم الواضح.
والمقصود بمنهج الدَّعوة: هو الطُرُق والخُطَط المَبْنِيَّة على كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، والتي سار عليها السَّلف الصَّالح في تبليغ دين الله تعالى إلى النَّاس.

ﷺ، وصحابته، وسلف الأُمَّة من الأئمة الأعلام، والعلماء العاملين، والدعاة المصلِحين، ما أحوجهم إلى العودة إلى هذا الطريق البين، والنهج الصحيح.

ورحم الله الإمام مالكاً حيث يقول: "لن يُصْلِح آخرَ هذه الأُمَّة إلاَّ ما أصلح أولها"[1].

وإنَّ دراسة المنهج الصحيح، الذي سار عليه سلفنا الصالح في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، لهي الخطوة الأولى والوسيلة الناجعة، التي تفتح لنا باب السير على منوالهم، وتعرفنا كيف واجهوا ما عرض لهم في حياتهم، من ظروف وأحداث ومواقف، وكيف عملوا على إصلاح ما ظهر في زمنهم من بدع وانحرافات، وتتبعوا مختلف موضوعات الدعوة وقضايا الدين، فوفوها حقها من التجلية والبيان، والتوعية والتبصير بهدي كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ فيها، حتّى حقّقوا ما حقّقوه من نتائج باهرة في التوجيه والتقويم والتهذيب.

ولمّا كان من دُعاة هذا المنهج السلفي الصحيح، والآخذين به، الإمام العالم العلاّمة الحافظ المفسّر المحدّث: إسماعيلُ بن عُمَر بنُ كَثِير بنُ ضَوْء بنُ كَثِير الشَّافِعِيُّ القُرَشِيُّ الدمشقي، فقد حرصت على دراسة كتبه وسيرته لإظهار منهجه في الدَّعوة لأسبابٍ كثيرةٍ دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع، ومنها:

١) إحساسي بالحاجة الملحة في زمننا الحاضر إلى الرجوع إلى الطريق البين، والمنهج الصحيح الذي كان عليه سلف الأُمَّةِ في دعوتهم إلى الله- بسبب ما أصاب الكثير من المسلمين من جرَّاء تفرُّقهم وبُعدهم عنه -

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٣٦٧.

فإنّه لا يصلح حالنا اليوم إلاّ ما أصلح حال الأولين على يد الأئمة الهداة المهديين.

٢) ما تجمَّع لهذا الإمام العظيم من المناقب والمزايا والفضائل وكافّة الأسباب والدواعي التي جعلت له هذا القدم الثابت في العلم والدعوة إلى الله تعالى، وأعطت لمنهجه وجهوده في الدعوة هذه المنزلة الجليلة، والتأثير البعيد، فهو الإمام الحافظ، المحدّث، الفقيه، المفسّر، المؤرّخ، الحُجَّة في العلم، العارف بأحوال البشر وطبائع النفوس، المتمسك بمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم ورحمهم، والدَّاعي إليه على هدىً وبصيرة، فهو من أعلام أهل السُّنّة والجماعة، ومن تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، الذي دعا إلى عودة الأُمَّة إلى السُّنّة ودافع عنها.

٣) ما لمسته في عصر الإمام ابن كثير - رحمه الله - من جوانبَ كثيرةٍ مشابهةٍ لما نواجهه في عصرنا الحاضر. وهذا اعتبار آخر بالإضافة إلى ما تقدَّم يظهر ما في دراسة منهجه في الدَّعوة من فوائد جليلة تعود على الباحث وعلى الدعاة خاصّة، وعلى الأُمَّة عامَّة بالخير والفلاح.

٤) كثرة مؤلّفاته العلمية في مختلف ميادين العلم، وخاصّةً الحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، واعتبارها من أهمّ المراجع العلمية الموثوق بها، وما حفل به معظمها من الدَّعوة إلى الله تعالى.

٥) أنَّه مع تناول الباحثين لهذا الإمام الجليل بالدراسة، فإنّي لم أقف على مَن تناول منهجه في الدعوة إلى الله تعالى - حسب علمي - مع حاجتنا الماسَّة إلى الاستفادة من منهجه وأساليبه في الدعوة.

فالإمام ابن كثير – رحمه الله –في ميدان الدعوة إلى الله تعالى رَحْبُ الأُفُق، بعيدُ النَّظَر، غزيرُ المادَّة، تتناول كتاباته كافَّة الجوانب وتوفيها حقّها وتتبع ما يتطلبه كُلّ جانب وما يتفرَّع عنه من مختلف المسائل والموضوعات ويستشهد بالآيات الكريمة، ويدعم كتاباته بذكر الأحاديث والآثار التي وردت في كُلِّ موضوع وغير ذلك مِمَّا يستأنس به ويستفاد منه.

ولإعطاء هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة – حسب جهدي المتواضع وعلمي القاصر – وجلباً للفائدة التي يرجوها الباحث، جعلتُ البحث في مقدّمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

**أمَّا المقدمة**: فتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطَّة البحث، وعملي فيه.

**وأمَّا التمهيد**: فيشمل مبحثين هما:

المبحث الأول: ترجمة موجزة عن حياة الإمام ابن كثير رحمه الله.

المبحث الثاني: تعريف الدعوة وأهميتها وأهدافها عند ابن كثير.

## الباب الأول:

### منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله تعالى – وتحته خمسةُ فصولٍ:

**الفصل الأول: منهجه في موضوع الدعوة – وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: تحقيق شهادة أن لا إله إلاَّ الله ( إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك ).

المبحث الثاني: تحقيق شهادة أنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ ( الإقتداء، والإتباع، والنهي عن الابتداع ).

المبحث الثالث: تحقيق بقية أركان الإسلام.

المبحث الرابع: الحث على العلم والعمل.

المبحث الخامس: الحث على لزوم الجماعة.

**الفصل الثاني: منهجه في إعداد الداعية، وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: إعداد الداعية بالعلم.

المبحث الثاني: إعداده بالإخلاص.

المبحث الثالث: إعداده بالصدق.

المبحث الرابع: إعداده بالصبر.

المبحث الخامس: إعداده بالزهد.

**الفصل الثالث: أسلوبه في الدعوة، وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: تشخيص الداء ومعرفة الدواء.

المبحث الثاني: القدوة الحسنة.

المبحث الثالث: الحكمة.

المبحث الرابع: الموعظة الحسنة.

المبحث الخامس: المجادلة بالتي هي أحسن.

**الفصل الرابع: دراسة أسلوب الترغيب والترهيب عند ابن كثير رحمه الله، وفيه سبعة مباحث:**

المبحث الأول: الاستشهاد بالكتاب والسنة.

المبحث الثاني: الاستشهاد بأقوال السلف الصالح.

المبحث الثالث: ذكر الموت وسكراته.

المبحث الرابع: القبر.

المبحث الخامس: ذكر أمور الآخرة.

المبحث السادس: ذكر القصص.

المبحث السابع: إيراده الشعر.

**الفصل الخامس: منهجه في تصنيف المدعوين، وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: دعوة المشركين.

المبحث الثاني: دعوة أهل الكتاب.

المبحث الثالث: دعوة المسلمين.

الباب الثاني:

**جهود الإمام ابن كثير في الدعوة – وتحته ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول: جهوده وآثاره العلمية، وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول: مؤلفاته.

المبحث الثاني: مراسلاته، ومكاتباته.

المبحث الثالث: مناظراته.

المبحث الرابع: ثناء العلماء على جهوده.

**الفصل الثاني: جهوده وآثاره العملية، وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: جهوده في التدريس.

المبحث الثاني: الإفتاء، والتفسير.

المبحث الثالث: رحلاته وأسفاره.

المبحث الرابع: محاربته للبدع.

المبحث الخامس: حثّه على الجهاد في سبيل الله.

**الفصل الثالث: نماذج من مواعظه، وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: في الحثّ على إخلاص التوحيد.

المبحث الثاني: في الحثّ على طلب العلم والتفقه فيه.

المبحث الثالث: في الحثّ على التوبة.

المبحث الرابع: في النهي عن السماع.

المبحث الخامس: في ذمه لعلم الكلام.

## عملي في البحث:

مت بدراسة كل موضوع من موضوعات البحث حسب الخطّة الموضوعة له، وتوضيح كافّة جوانبه وعرض وتجلية منهج ابن كثير فيه على ضوء النقول الوافية المستخرجة من مختلف مؤلفاته ممّا له صلة بالموضوع، وكذلك ما كتب عنه في المراجع العلمية التي يقتضيها هذا البحث، كما قمت بعرض وتجلية إنجازاته وجهوده في الدعوة إلى الله، وما قامت عليه، ودعّمت به من جهوده العملية وإنتاجه العظيم.

وقد اقتضى عملي تبعاً لذلك، بعد إيراد الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وما قاله ابن كثير فيها، وفي مختلف موضوعات البحث أن أعزو الآيات إلى أماكنها من المصحف، وأن أبذل جهدي في إيراد الأحاديث الصحيحة التي استشهد بها ابن كثير، ثمّ عزوها إلى مصادرها من كتب السنة. وكذلك تحديد موقع كل عبارة لابن كثير من كتبه، وعزو كل نقل آخر إلى مصدره.

كما قمت بترجمة أغلب الأعلام الواردة في البحث وذلك من كتب التراجم المختصة.

وقمت بشرح معاني الكلمات الغريبة والتي تحتاج إلى إيضاح المعنى من كتب غريب الحديث، وكتب اللغة.

وقمت كذلك بعمل فهارس علمية اشتملت على: فهرس للآيات القرآنية الكريمة مرتباً حسب ورود الآيات في المصحف، وآخر للأحاديث النبوية والآثار المستشهد بها في البحث، مرتباً على حروف المعجم، وثالثاً للأعلام المترجم لهم، ورابعاً للمراجع والمصادر، وأخيراً للموضوعات.

إلى غير ذلك ممّا اقتضاه البحث من مراجعات وتحقيق نصوص واستنباط وتحليل وتعليل، وا لله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

## أما الصعوبات:

التي واجهتها في هذه الدراسة فترجع أساساً إلى غزارة إنتاجه العلمي، وكثرة مؤلفاته وضخامتها، وتفرُّق الموضوعات التي تناولها الدراسة فيها، بحيث يقتضي تتبعها وتقصيها وجمعها ودراستا وتنسيقها، كثيراً من الجهد والوقت.

هذا وما كان في البحث من صواب فمن ا لله وحده وله المنّة والفضل، وما كان من خطأٍ أو تقصيرٍ فمني ومن الشيطان. وأستغفر ا لله من كل خطأٍ أو تقصيرٍ. وأصلي وأسلّم على نبينا محمد البشير النذير، وعلى آله وصحبه أجمعين.

# التمهيد

ويشمل مبحثين هما :

**المبحث الأوّل :**

ترجمة موجزة عن حياة الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى

**المبحث الثاني :**

تعريف الدعوة وأهميتها وأهدافها عند ابن كثير

## المبحث الأوَّل :

### ترجمة موجزة عن حياة الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى :

لقد تناول ترجمة ابن كثير جمع من المؤلّفين والمؤرّخين، إمَّا على وجه التفصيل وإمَّا باختصار.

وقد وقع تفاوت بحسب ما لدى كل من ترجم له من معلومات عنه، وجاء المتأخرون فتناولوا ترجمته، وقد يكون فيها تكرار لما ذكره المتقدّمون، إلاَّ أنّه رُبَّما يأتي بعض هؤلاء المتأخرين بمعلومات عثروا عليها أو استفادوها من مصدر قديم تمَّ العثور عليه.

وعلى ضوء ما كتبه هؤلاء وأولئك سأورد ترجمة مختصرة عن ابن كثير رحمه الله تعالى.

### اسمه ونسبه وكنيته :

هو الإمام، العالم، الحُجَّة، الحافظ، المحدّث، المفسّر، الفقيه، المؤرّخ، الدَّاعية، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ أبي حفص شهاب الدين عمر، خطيب قريته، ابن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع القرشي، الحصلي، البصروي، الدمشقي، المعروف بابن كثير [1].

---

(1) انظر : البداية والنهاية ٣٣/١٤، شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي ٢٣١/١ أنباء الغمر : لابن حجر العسقلاني ٤٥/١، طبقات الشافعية : لعبد الوهاب السبكي ١٢٣/٣، النجوم الزاهرة : ليوسف بن تغري بردي ١٢٣/١١، طبقات المفسرين : للداودي ١١٠/١، الإعلام : للزركلي ٣٢٠/١، معجم المؤلّفين : لعمر رضا كحالة ٢٨٣/٢.

## مولده، وتاريخ ولادته :

وُلِدَ ابن كثير بقرية " مجدل " [1]، وهي إحدى القرى التابعة لمدينة بُصْرى، شرقي مدينة دمشق، سنة ٧٠١ هـ [2].

## نشأتــه :

أوَّل ما نشأ ابن كثير في قريته " مجدل "، وبقي فيها إلى ما يقارب السادسة من عمره.

وفي هذه الفترة علق بذهنه ما كان عليه أبوه وأسرته من العناية بالعلم وحب الإطلاع، مِمَّا كان له الأثر الطيب في مستقبل حياته.

ثُمَّ تحوَّلت أسرة ابن كثير بعد وفاة والده إلى دمشق بصحبة أخيه الأكبر وشقيقه عبد الوهاب.

ويقول ابن كثير عن أخيه : " وكان بنا رفيقاً شفيقاً، فاشتغلت على يديه بالعلم، فيسر الله تعالى على يديه ما تيسر، وسهل منه ما تعسَّر " [3].

وكان في هذا التحول خير كثير له، فتفتَّحت مداركه، وزاد حرصه، فلقد كانت دمشق موئلاً للعلماء والفقهاء والمحدّثين، واشتهرت بكثرة

---

(١) مجدل : بكسر الميم وفتحها مع سكون الجيم. كذا في ذيل تذكرة الحفّاظ ص ٥٧.

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٢/١٤، الرد الوافر : لابن ناصر الدين محمَّد الدمشقي الشافعي ص ٩٢، طبقات الحفّاظ : لجلال الدين السيوطي ص ٥٢٩، هداية العارفين : لإسماعيل باشا البغدادي ٢١٥/٥.

(٣) البداية والنهاية ٣٢/١٤.

مدارسها العريقة، مع طيب هوائها وطبيعتها الخلاّبة، ومياهها العذبة، ومساكنها الجميلة، وأسواقها وجامعها الكبيرين [1].

وكان ابن كثير يتمتّع بذكاءٍ مُتّقدٍ، وشغفٍ بطلب العلم، وقوّةٍ في الاستحضار، كما كان حسن الفكاهة.

فحفظ القرآن، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد، والعلل، وأسماء الرجال، والتاريخ، والحديث، وسمع الكثير على علماء دمشق [2].

فطبيعة البلد ( دمشق )، واستقرار الحال، وانتشار الهدوء، وكثرة العلماء في مختلف الفنون الذين كانوا بدمشق، كل ذلك انعكس على حياة ابن كثير وهو لا يزال غلاماً يافعاً.

ولقد حدَّد ابن كثير مكان سكناهم بدمشق فيقول عند ذكر حوادث سنة ٧٠٧ هـ : " كان أوَّل ما سَكَنّا بدرب سعور الذي يُقَال له درب ابن أبي الهيجاء، بالصاغة العتيقة عند الطوربين " [3]. فابن كثير نشأ وترعرع في دمشق و لم يكن غريباً فيها، بل قضى عمره كله في الاشتغال بالعلم والدعوة والتعليم بها.

---

(1) مراصد الإطلاع : لصفي الدين البغدادي ٥٣٤/٢.

(2) انظر : شذرات الذهب ٢٣١/٦، طبقات المفسرين ١١٢/١، البداية والنهاية ٣١/١٤ - ٣٢، احمد شاكر : عمدة التفسير ٢٣/١، ابن كثير حياته ومؤلّفاته للدكتور مسعود عبد الرحمن الندوي ص ٢١ - ٢٣.

(3) انظر : ذيل تذكرة الحفّاظ للحسيني ص ٥٨، البداية والنهاية ٣٤/١٤، ٤٨.

## أسرتـه :

ينتمي ابن كثير إلى أسرة عُرِفَت بـالعلم والأخـلاق والصـلاح والديانـة. ويذكر ابن كثير في أخبار أسرته وذلك عند التعرُّض لحوادث سنة ٧٠٣ هـ في البداية والنهاية [١]، فيقول : إنَّ والده قرش من بني حصلة وُلِدَ في قريـة تُعـرف باسم ( الشركوين ) غربـي " بُصْـرَى " بَيْنَهـا وبَيْـنَ " أذرعـات "، وذلـك في حدود سنة ٦٤٠ هـ، واشتغل بـالعلم عنـد أخوالـه بـني عقبـة ببصـرى، وعـني بالنحو والعربية واللغة، وحفظ أشـعار العـرب، وقـرأ في مـدارس بصـرى، ثُـمَّ انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى، وتمذهب بمذهب الشافعي رحمه الله.

قال البرزالي [٢] عن والد ابن كثير : " كان فاضلاً لغوياً شـاعراً، وكـان حنفيـاً، ثُـمَّ تمذهـب بمذهـب الشـافعي، وأخـذ عـن النـووي [٣]، وتـاج الديـن الفزاري، وكان يكرمه ويحترمه، كما أخبر بذلك ابن الزملكاني " [٤].

---

(١) ١٤/٣٣.

(٢) هـو القاسـم بـن محمَّـد بـن يوسـف البـرزالي الشـافعي، وُلِـدَ سـنة ٦٦٥ هــ، ودرس الحديث، وكتب الخـط، وصنَّـف ف التـاريخ، عُـرِفَ بـالصدق، والأمانـة، والتواضـع، والاتباع، ولزوم الفرائض. وتوفي سنة ٧٣٩ هـ.

انظر : البداية والنهاية ١٤/١٩٦ - ١٩٧، الدرر الكامنة لابن حجر ٣/٣٢١.

(٣) يحيى بن شـرف النـووي الدمشـقي، وُلِـدَ سنة ٦٣١ هــ، لـه مصنَّفـات عِـدَّة، منهـا : المجموع، وشرح مسلم، وروضة الطالبين، وغير ذلك، توفي سنة ٦٧٧ هـ.

انظر : البداية والنهاية ١٣/٢٩٤، طبقات الشافعية لابن شهبة ٢/١٩٤.

(٤) محمَّد بن علي بـن عبـد الواحـد بـن الزملكـاني الشـافعي، اشـتهر بالذكـاء والتحصيـل العلمي، تولّى وكالة بيـت المـال. ولـه تصـانيف مثـل : تعليقـه علـى المنهـاج للنـووي. وُلِدَ سنة ٦٦٦ هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٢٧ هـ.

انظر : البداية والنهاية ١٤/١٣٦، طبقات الشافعية للسبكي ٥/٣٥١.

ثُمَّ تحوَّل إلى خطابة ( **مجيدل** ) القرية التي منها الوالدة، فأقاما بها مُدَّة طويلة في خيرٍ وكفاية وتلاوة كثيرة، وكان يخطب جيداً، وله مقول عند النَّاس، ولكلامه وقع لديانته وفصاحته وحلاوته، وكان يُؤْثِر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق وجود الحلال له ولعياله [1].

أمَّا والدته فاسمها : مريم بنت فرج بن علي، من النساء الصالحات، حافظة للقرآن، تزوجها والده حين انتقل إلى خطابة ( **مجيدل** ) القرية، وقد أنجبت له بنين وبنات، ثُمَّ انتقلت إلى دمشق مع أبنائها بعد وفاة زوجها وعاشت بها إلى أنْ توفيت ودفنت بمقبرة الصوفية شرقي قبر الشيخ تقي الدين ابن تيمية بنفس المقبرة [2].

## إخوته :

١) إسماعيل : وهو أكبرهم، أخوه لأبيه، وسُمّي ابن كثير باسم أخيه إسماعيل، وقد قدم دمشق واشتغل بها، بعد أنْ حفظ القرآن على والده. وقرأ مقدمة في النحو، وحفظ التنبيه وشرحه على العلاَّمة تاج الدين الفزاري [3]، وحصل المنتخب في أصول الفقه.

ثُمَّ إنَّه سقط من سطح الشامية البرانية فمكث أياماً ومات، فَوَجِدَ والد ابن كثير عليه وجداً كثيراً، ورثاه بأبياتٍ.

---

(١) البداية والنهاية ١٤/٣٣.

(٢) البداية والنهاية ١٤/١٤٨.

(٣) البداية والنهاية ١٤/٣٣.

فأكبر أولاد والد ابن كثير إسماعيل، وأصغرهم إسماعيل [1].

٢) يونس : أخوه لأبيه [2].

٣) إدريس : أخوه لأبيه [3].

٤) كمال الدين عبد الوهاب : أخوه من أُمّه وأبيه، وهو أكبر إخوانه من الأشقاء.

يقول عنه ابن كثير : " لقد شعر بالمسئولية بعد وفاة الوالد نحو أُمّه وأشقائه وشقيقاته الصغار، فتحوّلنا إلى دمشق سنة ٧٠٧ هـ صحبة كمال الدين عبد الوهاب، وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رفيقاً شفيقاً. وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر الله منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر " [4].

٥) أخوه عبد العزيز : من أُمّه وأبيه [5].

٦) أخوه محمَّد : من أُمّه وأبيه [6].

---

(١) البداية والنهاية ٣٣/١٤

(٢) البداية والنهاية ٣٣/١٤

(٣) البداية والنهاية ٣٣/١٤

(٤) البداية والنهاية ٣٣/١٤

(٥) البداية والنهاية ٣٣/١٤

(٦) البداية والنهاية ٣٣/١٤

## زوجتـه وأبناؤه :

تزوج ابـن كثير رحمـه الله بابنـة شيخه أبـي الحـاج المـزّيّ رحمـه الله، وكـانت امـرأة صالحـة واسمهـا زينـب، فهـي مـن بيـت علـم، وقـد حفظـت القرآن على والدتها عائشة بنت إبراهيم بن صديق.

وكانت بارّة بوالديها، حضرت وفاة والدها وجهزته أحسن تجهيز. وقد روى ابن كثير أخبار وفاة شيخه المزّيّ على لسان زوجتـه [1].

وأبناؤه ذكرهم المترجمون وأشادوا بذكرهم لِمَا عُرِفوا بـه مـن الاشتغال بالعلم، وبراعتهم في الحديث والفقه والتاريخ، مِمَّا كـان سبباً في تخليـد ذِكْـر هذه الأسرة الطيبة وتدوين أخبارهم.

وترتيب الأبناء حسب وفاتهم كالتالي :

### ١) عمر بن إسماعيل بن عمر بن كثير :

وُلِدَ سنة ٧٣٧ هـ. كتـب تصـانيف والـده، اهتـم بالفقـه، وولي الحسبة مراراً، ونظر الأوقاف، ودرَّس في عِدّة أماكن، تـوفي في رجـب عـام ٧٨٣ هـ فكانت مدة حياته ستةً وأربعين عاماً [2].

### ٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عمر بن كثير :

كتب الكثير بخطه من تصانيف والده، وذيَّل على تاريخ أبيه قليلاً. تـوفي في دمشق عام ٧٩٢ هـ [3].

---

(١) البداية والنهاية ١٤/٣٣، ٧٥، ٢٠٣

(٢) أنباء الغمر ١/٢٨٤، ٧٥٢.

(٣) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحُفّاظ، محمَّد بن محمَّد المكي ص ١٧٨، أنباء الغمر ١/٤٠٤.

### ٣) أحمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير :

تزيّ بزي الجند، وُلِدَ سنة ٧٦٥ هـ. قال عنه الشيخ شهاب الدين بن حجي في تاريخه [١] : " كان أحسن إخوته سمتاً، وكان عارفاً بالأمور ". توفي في ربيع عام ٨٠١ هـ [٢].

### ٤) محمَّد بن إسماعيل بن عمر بن كثير :

وُلِدَ بدمشق سنة ٧٥٩ هـ، واشتغل بالعلم، وبرز فيه، له فضائل، وكان حسن الخط، جيد الضبط، درَّس في مشيخة الحديث بعد أبيه، علّق على الحوادث التي وقعت في زمنه، توفي سنة ٨٠٣ هـ [٣].

### ٥) عبد الوهَّاب بن إسماعيل بن عمر بن كثير :

وُلِدَ سنة ٧٦٧ هـ.سمع من أبيه، وحدَّث وسمع منه الفضلاء، توفي سنة ٨٤٠ هـ [٤].

## أخلاقه وصفاته :

كان ابن كثير رحمه الله، قدوة العلماء والحُفّاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، سمع، وجمع، وصنّف، ودرَّس، وحدَّث، وألّف [٥].

---

(١) أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن شهاب الدين، له كتاب في التاريخ ذيل على كتاب ابن كثير. انظر : الضوء اللامع للسخاوي ٢٦٩/١ - ٢٧٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٠/٤ - ١٥

(٢) الضوء اللامع ٢٤٣/١، أنباء الغمر ٥٨/٢

(٣) الضوء اللامع ١٣٨/٧ - ١٣٩، أنباء الغمر ٣٢٢/٤

(٤) الضوء اللامع ٩٨/٥، أنباء الغمر ٤٤١/٨

(٥) طبقات المفسرين ١١٢/١

قال تلميذه الحافظ شهاب الدين ابن حجي [1] : " كان أحفظ من أدركنا لمتون الحديث، وأعرفهم بتخريج الأحاديث، ورجالها، وصحيحها، وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من الفقه والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيهاً جيد الفهم، صحيح الذهن " [2].

ولقد كان من أبرز تلامذة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية [3]، ويكفيه ذلك نبلاً وسمواً في معالي الأخلاق، فلقد اكتسب الشيء الكثير، من الصفات الحميدة، والأخلاق الرفيعة، والآداب الفاضلة [4].

وتزوج ابن كثير ابنة شيخه الفاضل الشيخ المزي [5]، ولا شك أنّه استفاد آداباً كريمة وأخلاقاً عظيمة [6]، فكونت منه شخصية عالية، حتّى أصبح عَلَماً يُحْتَذى، وقدوة في الخير يقتدى به، وعالماً يؤخذ من علمه،

---

(1) تقدّمت ترجمته.

(2) شذرات الذهبي ٦/٢٣١

(3) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني الحنبلي، وُلِدَ سنة ٦٦١ هـ وستأتي بقية ترجمته عند ذكر شيوخ ابن كثير رحمهم الله تعالى.
انظر : الرد الوافر ص ٦٦، البداية والنهاية ١٤/١٣٧

(4) البداية والنهاية ١٤/٣٣

(5) هو : جمال الدين يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزيّ الدمشقي. وستأتي ترجمته عند ذكر شيوخ ابن كثير.
انظر : طبقات الشافعية ٦/٢٥١ - ٢٦٧

(6) انظر : البداية والنهاية ١٤/٣٣

ويعتمد على ما يكتب، حيث وضع الله له قبولاً في قلوب عباده المؤمنين، رحمه الله رحمةً واسعةً وأجزل له المثوبة.

## شيوخه :

لقد كانت دمشق في زمن ابن كثير بلد العلم، وملتقى العلماء، فقد ظهر فيها أئمة في شتّى الفنون، لذا نجد ابن كثير قد وفق في الاستفادة والأخذ من كبار العلماء الذين اشتهروا بسعة العلم والإتقان، وإخلاص العمل، وذاع صيتهم في الآفاق، عن طريق الحلقات والدروس في المساجد، أو مدارسهم وكتبهم ومؤلّفاتهم.

وإذا تأمّلنا حال شيوخ ابن كثير وجدناهم من الذين برزوا في العلم، كابن تيمية، والمزّيّ، والذهبي، والفزاري، والبرزاني، وكمال الدين ابن قاضي شهبة، وابن الزملكاني، والحجّار، وغيرهم.

ولا شك أنَّ تَتَلْمُذَ ابن كثير على هؤلاء العلماء الكبار كان له الأثر الإيجابي في تكوين شخصيته، فصار عالماً فذّاً، وحافظاً بارعاً، وفقيهاً، متقناً، ومحدّثاً مشتهراً، ومفسراً بصيراً، اشتهر من خلال مؤلّفاته الكثيرة.

وسأترجم لبعض مشايخه بإيجازٍ لا سيما مَنْ صَرَّح بأنّه لازمه أو أخذ عنه، وهم كالتالي :

## ١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّاني الحنبلي، شيخ الإسلام :

وُلِدَ عام ٦٦١ هـ، عالم، عابد، زاهد، فقيه، مجاهد، حافظ، تعلّم العربية، وعني بالحديث، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب، والجبر، ونظر في الفلسفة، وعلّم الكلام، وتأهل للفتوى وهو دون العشرين. وقد أثنى عليه العلماء لما كان يتمتع به من المكانة في العلم وأهله، جاهد في سبيل الله بقلمه ولسانه ونفسه، واشتهر بالذكاء، وقوة الحفظ، والإتقان، وسعة الإطلاع، ومناظرة الخصوم، وقوة الإقناع.

وقد كان لابن كثير خصوصية بابن تيمية، ومناضلة عنه، واتّباع له في كثير من آرائه، وكان يفتي برأيه في مسألة الطّلاق[1]، وامتحن بسبب ذلك وأُوذي [2] .

فابن كثير لزم شيخه ابن تيمية وأحبَّه وأخلص له، وتأثّر به كثيراً، وأخذ عنه أكثر آرائه.

وقد أشار ابن كثير إلى محبته لشيخه منذ الصغر عند حوادث سنة ٧٠٩ هـ [3] ، فملازمة ابن كثير لابن تيمية وصحبته له، أثّرت في حياته وفكره، فاهتم بأخباره في تاريخه، ومن حبه له لازم تلاميذه الكبار، وهذا مِمَّا

---

(١) (أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة) انظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٣/٧-١٤.

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٣٨/٢، شذرات الذهب ٢٣١/٦.

(٣) البداية والنهاية ٥٥/١٤

أن ابن كثير يعول في كثيرٍ من تأليفه على شيخه ابن تيمية، فظهر هذا التأثر في سلوكه وعلمه ودينه وأخلاقه، في ثنايا مؤلّفاته.

ومن تأثره برأي شيخه : أنّه يرى أنَّ سبب ضعف الإسلام في ذلك العصر هو اختلاف المسلمين، ولا سبيل للعودة إلى مجد الإسلام إلاّ بالعودة إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ونبذ الخرافات والبدع.

ظهر تأثر ابن كثير بشيخه في تفسيره ( القرآن العظيم ) وموافقته لابن تيمية في مسألة زيارة القبور، وتوضيحه رأيه فيها،

ونجد ابن كثير يظهر مواقف ابن تيمية البطولية ضد التتار وأهل البدع والضلال، ويحزن لسجنه، ويحضر إلى القلعة التي سُجِنَ فيها شيخه، ويُقبّل وجهه بعد وفاته، ويصف جنازته التي خرج فيها أهل دمشق وأهل القرى ومن حولها، ويرى أنَّ في ذلك نصراً لدعوة الشيخ الإصلاحية.

وكانت وفاة ابن تيمية في العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ، ودُفِنَ بمقبرة الصوفية بدمشق [1].

---

(١) البداية والنهاية ١٤/١٧، ٣٨، ٤٠، ١٢١، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٤١، ١٤٦. طبقات الشافعية ٣/١١٥، شذرات الذهب ٦/٢٣١، الدرر الكامنة لابن حجر ١/٣٧٤،

## ٢) الشيخ الحافظ جمال الدين محدّث الشام، أبو الحجاج يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك المزيّ الدمشقيّ الشافعيّ :

وُلِدَ سنة ٦٥٤ هـ ونشأ بالمزة - قرية قرب دمشق - حفظ القرآن وعلوم العربية، وفقه الشافعي، وطلب الحديث وعمره عشرون سنة، سمع مسند الإمام أحمد، والكتب الستة.

قال الذهبي : " ما رأيت أحداً في هذا الشأن - الحديث وعلومه - أحفظ من الإمام أبي الحجاج المزيّ ".

له عِدَّة تصانيف منها : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال.

فابن كثير شديد الحرص على ملازمة شيخه المزي، فسمع عليه التهذيب بكامله، وتزوج بابنته، فقويت صلته به وزادت محبَّته له، وتأثّر به كثيراً.

قرأ ابن كثير صحيح البخاري على المزي، وهو يقابله، وسمع عليه أكثر تصانيفه فانتفع به وتخرَّج عليه.

وقد لازم ابن كثير شيخه المزي في مرضه حتّى توفّاه الله في شهر صفر سنة ٧٤٢ هـ [١].

---

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٤٥٧/٤، طبقات الحفّاظ للسيوطي ص ٥٣٣، البداية والنهاية ٢٠٣/١٤ - ٢٠٤، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٩/٣ - ١٠٠.

### ٣) محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي أبو عبد الله، شمس الدين، الإمام، الحافظ، شيخ المحدّثين، مؤرّخ الإسلام، المعروف بالذَّهبي :

وُلِدَ سنة ٦٧٣ هـ. طلب العلم وله ثماني عشرة سنة، وسمع على علماء كثيرين في بلادٍ عديدة. وأخذ الفقه على مشايخه : ابن الزملكاني، وبرهان الدين الفزاري، وابن قاضي شهبة، وغيرهم.

وقرأ القراءات وأتقنها، وحفظ التواريخ، وأجاد في صناعة الحديث، ومعرفة رجاله حتّى فاق أقرانه، وحاز على أكثر الفنون في شتّى العلوم.

له مؤلّفات كثيرة منها : تاريخ الإسلام، والعبر، وسير أعلام النبلاء، وملخص التاريخ، وطبقات الحفّاظ، وطبقات القرّاء.

لقد كانت علاقة ابن كثير بشيخه الذهبي قوية ومتينة، فالذهبي يعتبر من رجال الحديث الكبار في زمن ابن كثير، وابن كثير من المحبين للحديث والمشتغلين بمعرفة رجاله وأسانيده، ولذا فقد لزم شيخه وأخذ عنه ونوَّه بذكره في مصنّفاته.

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [١] : وقد صنّف النّاس في الكبائر مصنّفات منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي الذي بلغ نحواً من سبعين كبيرة [٢].

---

(١) سورة النساء، آية : ٣١.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٤٨٧.

وقد استفاد ابن كثير من شيخه في نقده للحديث ومعرفة الصحيح من الضعيف من الموضوع، ومن ذلك سؤاله عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ( **مَنْ صلّى عليَّ في كتابٍ لم تزل الصلاة جارية ما دام اسمي في ذلك الكتاب** ). قال ابن كثير : " وليس هذا الحديث بصحيحٍ من وجوهٍ كثيرة، وقد رُوِيَ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولا يصح أيضاً. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا : أحسبه موضوعاً " [1].

وينقل ابن كثير عن شيخه الذهبي في تاريخه - البداية والنهاية -، ومن ذلك ما قاله في قَتَلَة عثمان رضي الله عنه [2].

وقد وصف ابن كثير وفاة شيخه الذهبي بقوله : " وفي ليلة الإثنين... من شهر ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ توفى الشيخ الحافظ الكبير، مؤرّخ الإسلام، وشيخ المحدثين، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن عثمان الذهبي بتربه أُمّ الصالح، وصُلّيَ عليه يوم الإثنين صلاة الظُّهْر في جامع دمشق، ودُفِنَ بباب الصغير، وخُتِمَ به شيوخ الحديث وحفّاظه رحمه الله " [3].

---

وقد طُبِعَ هذا الكتاب تحت عنوان " الكبائر " للإمام الذهبي.

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥١٦/٣

(٢) البداية والنهاية ٢٠٨/٧

(٣) البداية والنهاية ١٩٥/١٤، ٢٣٦ عند حوادث سنة ٧٤٨ هـ

## ٤) إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري، المصري، الشافعي :

وُلِدَ في ربيع الأوَّل سنة ٦٦٠ هـ، قال ابن كثير عنه : " سمع الحديث واشتغل على أبيه وأعاد في حلقته، وبرع وساد أقرانه، وبعد وفاة أبيه صار في منصبه في التدريس، واشتغل عليه الطلبة بالجامع الأموي، فانتفع به المسلمون، وباشر الخطابة ثُمَّ عاد للتدريس مشتغلاً بالعبادة ليلاً ونهاراً، كثير المطالعة وإسماع الحديث. وقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره، له تعليق على مختصر ابن الحاجب، وله مصنَّفات في غير ذلك كبار، وكان حسن الخُلُق والشَّكل، وقوراً، محسناً إلى طلبته.

توفي بكرة الجمعة سابع جمادى الأولى عام ٧٢٩هـ بالمدرسة البادرائية، ودُفِنَ عند أبيه وعمّه وذويه بباب الصغير، رحمه الله تعالى [١].

## ٥) الحافظ علم الدين القاسم بن محمَّد بن يوسف البرزالي :

وُلِدَ عام ٦٦٥ هـ. يقول عنه ابن كثير : مؤرخ الشام، الشافعي المذهب، سمع الكثير... ما يزيد على ألف شيخ، كتب ذيلاً على تاريخ ابن شهبة، وكان له خط حسن، وهو مشكور عند القضاة، ومشايخ العلم. سمعت العلاَّمة ابن تيمية يقول : نقل البرزالي نقر في حجر، وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرمونه، وكان أولاده ماتوا قبله، وكتبت ابنته

---

[١] البداية والنهاية ١٤/١٥١ - ١٥٢، الدرر الكامنة ١/٣٥، شذرات الذهب ٦/٨٨

البخاري في ثلاثة عشر مجلّداً فقابله لها، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزي حتّى صارت نسختها أصلاً معتمداً يكتب منها النّاس.

كان البرزالي شيخ حديث بالنورية، ووقف كتبه بدار الحديث السنية، وبدار الحديث القوصية، وفي الجامع وغيره، وعلى كرّاس الحديث، وكان متواضعاً محبّاً للنّاس متوداً إليهم.

نقل عنه ابن كثير واستفاد منه كثيراً. توفي عام ٧٣٩ هـ عن أربعةٍ وسبعين سنةً رحمه الله تعالى [١].

## ٦) الشيخ الإمام، العالم، شيخ الطلبة ومفيدهم، كمال الدين أبو محمّد عبد الوهاب بن ذُوَيْب الأسدي، الشهبي، الشافعي :

كان بارعاً في الفقه والنحو، له حلقة يشتغل فيها تجاه محراب الحنابلة، وكان يعتكف جميع شهر رمضان، ولم يتزوّج قط. وكان حسن السمت، حسن الهيئة والشيبة، حسن العيش والملبس، متقلّلاً من الدنيا. سمع الكثير : سمع المسند للإمام أحمد وغيره. توفي بالمدرسة المجاهدية ليلة الثلاثاء ٢١ من ذي الحجة سنة ٧٢٦ هـ، ودُفِنَ بمقابر باب الصغير [٢].

---

(١) البداية والنهاية ١٣/٢٦٥، ١٤/٥٥، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٧، ١٩٦، ١٩٧، الدرر الكامنة ٣/٣٢١، شذرات الذهب ٦/١٢٢.

(٢) البداية والنهاية ١٤/١٣١ - ١٣٢، الدرر الكامنة ٢/٤٣١.

## ٧) كمال الدين أبو المعالي محمَّد بن علي بن عبد الواحد بن الزملكاني الأنصاري الشافعي :

وُلِدَ سنة ٦٦٦ هـ. وصفه ابن كثير بقوله : شيخ الشافعية بالشام وغيرها، انتهت إليه رئاسة المذهب تدريساً وإفتاءً ومناظرةً، ودرَّس بعِدَّة مدارس بدمشق. باشر أعمالاً كبيرة منها : ناظر الخزانة، ونظر المارستان، وديوان الملك السعيد، ووكالة بيت المال. وكان خطه جميلاً، وعباراته سديدة، له عِدَّة تصانيف، شرح قطعة من المنهاج للنووي، ودَرَّس في المحافل، وكان جيّد العبارة، حسن التقرير، قويّاً في احترازاته، صحيح الذهن، حسن النظم. وصنَّف مجلَّداً في الرد على ابن تيمية في مسألة الطَّلاق.

وقد سمع منه ابن كثير الكثير، وأخذ عليه في معاداته لابن تيمية، ومع ذلك فقد أعطاه حقه من الثناء بدون تعصُّب، وقال في آخر ترجمته : " تغمدهما الله برحمته - يعني ابن تيمية، وابن الزملكاني -. توفي في ١٦ من شهر رمضان سنة ٧٢٧ هـ [١].

## ٨) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان الديرمقرني ثُمَّ الصالحي الحجار، المعروف بابن الشحنة :

وُلِدَ سنة ٦٢٣ هـ. قال عنه ابن كثير : " الشيخ، الكبير، المسند، المعمّر، الرحلة، سمع البخاري على الزبيدي سنة ٦٣٠ هـ بقاسيون، فرح به المحدّثون

---

[١] البداية والنهاية ١٣٦/١٤ - ١٣٧، شذرات الذهب ٧٩/٦، النجوم الزاهرة ٢٧٠/٩، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣٨٣/٢ - ٣٨٤.

وأكثروا السماع عليه، فَقُرِئَ عليه البخاري نحواً من ستين مرّة وغيره، وسمعنا عليه بدار الحديث الأشرفية في أيّام الشتويات نحواً من خمسمائة جزء بالإجازات والسماع، وله إجازة من بغداد فيها مائة وثمانيةٌ وثلاثون شيخاً من العوالي المسندين ".

كما وصفه ابن كثير بقوله : " كان شيخاً حسناً بهي المنظر، سليم الصدر. توفي رحمه الله في يوم الإثنين ٢٥ من صفر سنة ٧٣٠ هـ " [١].

## أشهر تلامذة ابن كثير :

لم تذكر كتب التراجم إلاّ عدداً قليلاً من تلامذته الذين استفادوا منه، وسمعوا عليه الحديث، وتلقوا منه كثيراً من فنون العلم، مع أنّه تولّى التدريس في أهم المدارس التي كانت مرجعاً لطُلاّب العلم من مختلف البلاد الإسلامية في عصره، في دمشق وغيرها، فلا شك أنّه كان له طُلاّب كثيرون، كما قال ابن العماد الحنبلي [٢]، فقد يكون من الأسباب التي من أجلها لم تذكر كتب التراجم غالبية أولئك التلاميذ أنَّ بعض تلك الكتب لم يطبع بعد.

ومن التلاميذ الذين صرَّحت بعض كتب التراجم الموجودة بأسمائهم وما عرفوا به... ما يلي :

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١٥٧/٤، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٦/٣، شذرات الذهب ١٩٣/٦، الدرر الكامنة ١٤٢/١.

(٢) انظر : شذرات الذهب ٢٣١/٦.

١) **محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني، أبو المحاسن، الدمشقي، الشافعي :**

وُلِدَ في دمشق سنة ٧١٥ هـ، وشيوخه : البرزالي، والمزيّ، والذهبي، وابن كثير [١].

وقد ترجم لشيخه ابن كثير في كتابه ( ذيل تذكرة الحفّاظ للذهبي ) وساق حديثاً بطريق ابن كثير بالسند إلى رسول الله ﷺ [٢].

وقد ترجم له ابن كثير [٣]، وقال عنه : وفي الحديث قرأ وسمع وكتب وجمع رجال مسند الإمام أحمد، واختصر باباً في أسماء الرجال مفيداً.

وولي مشيخة الحديث التي وضعها في داره القاسم بن عساكر. توفي بدمشق عام ٧٦٥ هـ [٤].

٢) **محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين :** وُلِدَ سنة ٧٤٥ هـ. عني الزركشي بالفقه والأصول والحديث، فصنّف وحرَّر. سمع من ابن كثير وقرأ عليه مختصراً في علوم الحديث. من مصنّفاته : البرهان في علوم القرآن، وتخريج أحاديث الرافعي، وتفسير القرآن، وشرح البخاري، والنكت لابن الصَّلاح [٥].

---

(١) الدرر الكامنة ١٧٩/٤، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٧٤/٣.

(٢) انظر : ذيل طبقات الحفّاظ ص ٥٧ - ٥٨.

(٣) البداية والنهاية ٣٢٢/١٤.

(٤) البداية والنهاية ٣٢٢/١٤

(٥) انظر : أنباء الغمر ٤٤٦/١، الأعلام ٦٠/٦ - ٦١، الدرر الكامنة ١٨/٤، شذرات الذهب ٣٣٥/٦، طبقات المفسرين للداودي ١٧٥/٢.

### ٣) أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد السعدي، الحسباني، الدمشقي، الشافعي :

وُلِدَ في دمشق سنة ٧٥١ هـ، حفظ القرآن والتنبيه، تفقّه على أبيه، وأخذ عن ابن قاضي شهبة، وعن ابن كثير الحديث وعلومه، وأذن له في الإفتاء. من مصنّفاته : الدارس في أخبار المدارس، وذيل على تاريخ ابن كثير، توفي عام ٨١٦ هـ [١].

### ٤) علي بن علي بن محمّد بن أبي العز الحنفي الدمشقي :

وُلِدَ في دمشق سنة ٧٣١ هـ، تولّى قضاء دمشق ثُمَّ في مصر ثُمَّ دمشق. من مصنّفاته : شرح العقيدة الطحاوية، والتنبيه على مشكلات الهداية. أخذ عن ابن كثير، وكان يقول : سُئِلَ شيخنا عماد الدين بن كثير، كما صرَّح بذلك في شرح العقيدة الطحاوية [٢].

### ٥) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المهراني العراقي، الشافعي :

وُلِدَ سنة ٧٢٥ هـ. أطلق عليه الحافظ في علوم الحديث لأنّه توغّل فيه. أخذ عن ابن كثير وغيره، وحصل على ثناء من مشايخه. من مُصنّفاته :

---

(١) انظر : الضوء اللامع ٨١/٢، طبقات الشافية لابن قاضي شهبة ١٠/٤ - ١٣، الأعلام ١٠٥/١، شذرات الذهب ١١٦/٧ - ١١٧.

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٠، ٣٧٦، ٤٧٥. وانظر ترجمة ابن أبي العز في الدرر الكامنة ٨٧/٣، شذرات الذهب ٣٢٦/٦، الأعلام ٣١٣/٤.

التقييد والإيضاح، ونكت على منهاج البيضاوي، والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأخيار من الأخبار. توفي عام ٨٠٦ هـ [١].

## ٦) محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن يوسف بن الجزري الدمشقي :

وُلِدَ فيها عام ٧٥١ هـ، عني بالقرآن والقراءات، وبنى داراً للقرآن بدمشق. وأخذ الحديث عن ابن كثير.

من مصنَّفاته : النشر في القراءأت العشر، والبداية في علوم الرواية، والهداية في فنون الحديث، والمصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد. وقد صرَّح فيه عن شيخه ابن كثير. توفي سنة ٨٣٣ هـ [٢].

## ٧) أحمد بن محمَّد بن أحمد الحريري، شهاب الدين الدمشقي، المعروف بالسلاوي، الشافعي :

وُلِدَ سنة ٧٣٨ هـ. نشأ يتيماً واشتغل بالفقه، سمع الحديث من ابن رافع ومن جده. ثُمَّ قرأ الصحيح مراراً على مشايخ منهم ابن كثير، وكان صوته حسناً، وقراءاته جيدة، ولي قضاء القدس، ومات سنة ٨١٣ هـ [٣].

---

(١) انظر : الضوء اللامع ١٧٤/٤، أنباء الغمر ٤٥/١، شذرات الذهب ٥٥/٧.

(٢) انظر : الضوء اللامع ٢٥٥/٩، شذرات الذهب ٢٠٦/٧.

(٣) انظر : الضوء اللامع ٨١/٢، شذرات الذهب ١٠٠/٧، أنباء الغمر ٤٦٩/٢.

## وفاتـــــــه :

عـاش ابـن كثـير ٧٤ عامـاً، أمضاهـا في طاعـة الله تعـالى، وفي التعلُّـم والتّعليم، والتأليف، والإفتاء، والدعوة، والجهاد إعلاء لكلمة الله تعـالى، حتّـى ضعفت قواه، ووهن بدنـه، وكبر سِنّه، وفقد بصره في آخر عمره، وهو بـاذل نفسه ووقته، مسخر قلمه ولسـانه، في النُّصْـح للأُمَّـة الإسلاميـة، مـع الصـبر والاحتساب، طلباً لرضا رب الأرباب، والظَّفَر بعظيم الثواب.

ولقـد خلّـف وراءه ثنـاءً حسـناً، وذكـرىً طيّبـة، وألّـف كُتُبـاً كثـيرة في فنون الشريعة، والله تعالى قد كتـب الفنـاء علـى الخلـق، والمـوت آتٍ كُـلَّ حي، قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [١]، وقال سبحانه : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢].

وكـانت وفاتـه في يـوم الخميـس السـادس والعشـرين مـن شـهر شـعبان سنة ٧٧٤ هـ، بمدينة دمشق، وكانت جنازتـه حافلة، ودُفِنَ بجوار شيخه شـيخ الإسلام ابن تيميـة بمقـبرة الصُّوفِيَّـة خـارج بـاب النصـر، رحمـه الله رحمـة واسعـة [٣].

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان ٢٦ - ٢٧.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٥٧.

(٣) انظـر : طبقـات المفسـرين ١/١١٢، والـدُّرر الكامنـة ١/٣٦٤، وذيـل تذكـرة الحفـاظ للسـيوطي ص ٣٦١، والنجـوم الزاهـرة ١١/١٢٣، شـذرات الذهـب ٦/٢٣٢.

## عصر ابن كثير :

العصر الذي يعيشه الإنسان له أثر في حياته، وتكوين شخصيته، وعلى الباحث الذي يكتب عن عَلَمٍ مِنَ الأَعلام أن يذكر - ولو على سبيل الإيجاز - ما جرى في عصره من ظروفٍ وأحداث، ويوضّح الحالة السياسية والدينية والثقافية في ذلك العصر، ليقف على مدى تأثُّر وتأثير ذلك العَلَم بأحداث عصره.

## الحالة السياسية :

عاش ابن كثير رحمه الله الفترة ما بين ( ٧٠١ - ٧٧٤ هـ ) أي القرن الثامن من أوَّله إلى قرب منتهاه، وقد عاش تلك الفترة تحت حكم دولة المماليك التي كانت تبسط نفوذها على مصر والشام.

وكانت دمشق - وهي البلد الذي عاش فيه ابن كثير - تعيش فترة استقرار نسبي، رغم ما وقع من فتنٍ، وقلاقلَ، وثوراتٍ وحروبٍ داخليَّةٍ بَيْنَ الأُمراء والملوك المتنازعين على السلطة، مِمَّا أضعف قُوَّة المسلمين، وأعقب سقوط الخلافة العباسية، وأدَّى ذلك إلى وهنٍ في مواجهة الحروب الخارجية، ومن أهمّها الحروب الصليبية التي شنّتها دول أوروبا على العالم الإسلامي [1].

---

(١) انظر : الدولة العباسية لمحمود بك الخضري ص ٤٣٠، تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٤/١٦٣ - ٢٤٠

والفتن والحروب وعدم الاستقرار والتّفكّكَ عوامل لها أثرٌ بالغٌ على المجتمع والشعوب والأفراد في شتّى النواحي [1].

ولقد كان النصف الأوّل من حياة ابن كثير تحت حكم سيف الدين تنكر ( ٧١٢ - ٧٤٠ هـ ) نائب السلطان المملوكي.

وقد اتّصف حكم سيف الدين تنكر بحسن السيرة في الرعية، وكان عادلاً، عفيفاً، والنّاس في أيّامه في غاية الرخص في الأسعار، والأمن، والصيانة، ولم يكن لابن كثير دورٌ سياسي في أحداث هذه المدينة إلاّ قليلاً، بعكس شيخه ابن تيمية الذي كان له دورٌ في أحداثٍ كثيرة، كالمواجهة مع التتار، وتحريض النّاس ضدهم. ورغم ذلك فإنّ المكانة العلمية التي حظي بها ابن كثير جعلته مُقَرَّباً من حكّام دمشق، يذهبون إليه في أمر الشورى في معضلات الأُمور، وفض النزاعات، خصوصاً بَيْنَ العلماء في عصره.

وقد طلب نائب السلطان على دمشق الأمير سيف الدين، من ابن كثير تأليف رسالة في الحث على الجهاد، ليحض النّاس على مقاومة الخطر الإفرنجي الذي يهدّد المسلمين.

كما جعل نائب السلطان ابن كثير ناظراً على المدرسة التدمرية [2].

---

(١) انظر : تاريخ الدولة العالية العثمانية لمحمّد فريد بك المحامي ص ٣٥

(٢) انظر كتاب : ابن كثير - حياته ومؤلّفاته - لمسعود عبد الرحمن الندوي ص ١ - ٣ وقد طبعته رسالة الجهاد بدار الرشاد، القاهرة. انظر مقدمتها ص ٢٦

وكان السلطان في زمن ابن كثير الملك الناصر محمَّد بن قلاوون. وقد استقرَّت الأمور في عهده الذي امتدَّ من سنة ٧٠٩ هـ، إلى سنة ٧٤١هـ فحكم وعدل وقام بما يعود نفعه على الشعب من الرخاء والرفاهية والأمن والنظام والهدوء والاطمئنان [١].

ولقد كان لابن كثير موقف متميّز وقوي مع السلطان، حينما أصدر السلطان مرسوماً يقضي بمصادرة أموال أهل الذِّمَّة بسبب ما حصل منهم مع الفرنجة، فعارض ابن كثير هذا المرسوم ووضَّح أنَّه مخالفٌ للشرع، ووعظ ونصح ودعا إلى مقابلة العدو في الخارج بدلاً من ذلك. وقد عدل السلطان عن ذلك وسارت الأمور كما أشار عليه ابن كثير [٢].

وكان التتار قبيل عصر ابن كثير قد أحدثوا فساداً وتمزقاً في الأُمَّة الإسلامية، وأدرك شيئاً من ذلك في صدر حياته. ولَمّا أراد الله تعالى نصر المسلمين وعِزَّهم استنجدَ أحد ملوك التّتار ( جوبان ) بالسُّلطان ابن قلاوون سلطان المسلمين، وطلب منه الإعانة على قتال التّتار المناوئين له، فوافق بعد إلحاحٍ، وكانت وقعة عظيمة، وهزيمة منكرة لجيش التّتار، وبذلك قوي سلطان المسلمين، ودخل بعض التّتار في الإسلام.

---

(١) انظر : ابن كثير حياته ومؤلّفاته ص ١، البداية والنهاية ١٤/٥٣، ٥٨، ٢٠٢

(٢) البداية والنهاية ١٤/٥٦

فعزّ أهل السُّنّة، وكثر المسلمون، واندحر الباطل، وضعف أهله من الروافض وأهل البدع والخرافات [1].

## الحالة الدينية :

لقد كان للروافض - الشيعة - الأثر السيء في الأُمَّة الإسلامية قبل عصر ابن كثير وبعده، فقد انتشروا في أنحاء البلاد يسعون في الأرض فساداً، وتوصَّل بعضهم إلى مناصب عليا في الدولة المسلمة، مِمَّا كان السبب في إسقاط الخلافة الإسلامية آنذاك.

كما كان للنَّصارى دورٌ في تشتيت الأُمَّة الإسلامية، وإشاعة الفرقة فيها، ومحاولة القضاء على خيراتها، فقد قاموا بإحداث تخريب فيها [2].

كما كان الجهل والاعتقاد بالخرافات، وظهور التَّصَوُّف سائدا في عصر ابن كثير في مصر والشام.

وقد ارتقى بعض المتصوفة وتزلّفوا إلى الحكّام المماليك، فنالوا مراتب عندهم، ولشدَّة تأثُّر الحكام بهم، خصَّصوا لهؤلاء المتصوفة خلاوي وأجْرَوا لهم الأرزاق والمرتبات. فزاد مُدَّعو التَّصَوُّف حتّى اعتقد فيهم العوام وفيما يقولونه [3].

---

(1) البداية والنهاية ١٤/٩٦-٩٧

(2) انظر : البداية والنهاية ١٤/٣٧، ٤٠، ٥٠، ٥٢، ٨٥، ٨٦، ١٠٢، ١٠٤، ١٢٩، ١٩٧، ٢٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥

(3) المصدر السابق ١٤/٧٦، ٧٩، ٩٩، ١٢٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٦٩

كما ظهر في عصر ابن كثير، وفي بلده - دمشق - نزاع مذهبي وعقائدي كبير، كان الحُكّام المماليك يتدخلون في كثيرٍ من الأحيان فيه، فيناصرون فئةً على أُخرى.

ومِمَّا يُؤْثَر عن نائب الشام - سيف الدين منكلي - أنّه قال مرّة، وهو يحاول الإصلاح في خلافٍ حدث بين بعض فقهاء المذاهب الأربعة - الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة - : كنّا نحن الأتراك وغيرنا إذا اختلفنا واختصمنا نجيء بالعلماء فيصلحون بيننا، فإذا اختلف العلماء واختصموا فَمَنْ يُصْلِح بينهم.؟ [1]

وهو في ذلك يعتب على العلماء من الفقهاء وطُلاّب العلم في هذا الخلاف، ويبيّن أنَّ الأفضل حل الخلاف بالصلح والتفاهم والتسامح - علماً بأنَّ تلك الخلافات كانت غالباً في مسائل فرعية.

وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية دورٌ بارزٌ في مواجهة الكثير من ألوان الفساد والانحلال العقائدي، وهو شيخ ابن كثير.

وحصل لابن تيمية ومَنْ معه من الأتباع أذىً واضطهاد بسبب مواجهة الفساد والضلال والانحراف عن شريعة الله تعالى ؛ كما قويت الأشاعرة بمساندة الحُكّام الأيوبيين في مصر والشام ؛ وقد أضعفت قوّة الأشاعرة هذه المذاهب الأخرى عدا الحنابلة. فإنَّ الحنابلة قد اعتمدوا النصوص الثابتة في العقائد، بينما اعتمد الأشاعرة على الاستدلال العقلي والبرهان المنطقي في دراسة العقائد. وقد نتج عن ذلك كتب قيّمة في العقائد وفنون الشريعة.

---

[1] البداية والنهاية ٣٣٢/١٤

## الحالة الثقافية :

شهد القرن الثامن والذي عاش فيه ابن كثير، نشاطاً ثقافياً وفكرياً، فالأحداث المؤلمة التي مرَّت بالأُمَّةِ المسلمة في هذا القرن، والنكبات التي حلَّت بها من جرَّاء حروب التَّتار والصليبيين، وظهور الجهل، وانتشار الخرافات والشعوذة. كل ذلك كان دافعاً للعلماء لإعادة الأُمَّة الإسلامية إلى سابق مجدها وأصالتها الإسلامية.

فجد العلماء في البحث ومحاربة الجهل، وتعليم النَّاس دين الله تعالى، واتَّصلوا بالحُكَّام والولاة والسلاطين، فحصل ترابط بينهم وتآلف، وبرزت عناية العلماء بالدراسات الدينية من تفسيرٍ، وحديثٍ، وعقيدةٍ، وفقهٍ، وما يتصل بذلك من العلوم العربية والإسلامية. فازدهرت الثقافة العربية والإسلامية. وكانت دمشق ومصر أكبر المراكز للحياة الثقافية في ذلك العصر.

فانتشرت المدارس والمعاهد ودور القرآن والحديث التي أنشأها السلاطين - وإن كانوا ليسوا من أصل عربي - والأمراء وبعض المحسنين الأثرياء، وأوقفوا على ذلك أوقافاً كثيرة تدر عليها ؛ فأصبح يدرس في المساجد والبيوت والأربطة، وظهرت مكتبات عامَّة تضم الكتب الإسلامية الكثيرة، واتَّسع نطاق التعليم، وكثر التأليف، واتَّصلت الأقطار بعضها ببعض.

وكان لوجود عدد من العلماء الكبار الذين وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد والتجديد أثر كبير في تكوين شخصية ابن كثير العلمية. فدرس بتلك المدارس التي كان يدرس بها هؤلاء العلماء، وتتلمذ على أكثرهم، وأخذ عنهم، وتلقى

تصانيفهم، وسار على نهجهم حتّى صار هو أيضاً علماً من أعلام ذلك العصر.

ومن أولئك العلماء الأفذاذ الذين أخذ عنهم ابن كثير من مصنّفاتهم أو من دروسهم :

| | |
|---|---|
| تقي الدين أبو عمر بن الصلاح | ت ٦٤٢ هـ. |
| عز الدين بن عبد السلام | ت ٦٦٠ هـ. |
| الإمام محيي الدين النووي | ت ٦٧٦ هـ. |
| ابن دقيق العيد | ت ٧٠٣ هـ. |
| شيخ ابن كثير الإمام ابن تيمية | ت ٧٢٨ هـ. |
| شيخ ابن كثير الحافظ الذهبي | ت ٧٤٨ هـ. |
| شيخ ابن كثير الحافظ المزي | ت ٧٤٢ هـ. |
| شيخ ابن كثير الحافظ البرزالي | ت ٧٣٩ هـ. |
| تقي الدين السبكي | ت ٧٥٦ هـ. |
| شيخ ابن كثير ابن الزملكاني | ت ٧٣٧ هـ. |
| شيخ ابن كثير برهان الدين الفزاري | ت ٧٢٩ هـ. [1] |

---

(١) انظر : ابن كثير - حياته ومؤلّفاته - د / مسعود عبد الرحمن الندوي ص ٦ - ٧.
ورسالة ماجستير عن الإمام ابن كثير المفسر : لمطر أحمد بن مسفر الزهراني - جامعة أمّ القرى ص ٢٠ - ٢١.
والإمام الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام : لبشار عواد معروف ص ٧٦.
وطبقات الشافعية ٢٣٨/٢.
والبداية والنهاية ٦٩/١٤، ٨٥، ٩١، ١٠٢، ١٠٣، ١٢١، ١٩٧.

## المبحث الثاني :

### تعريف الدعوة وأهميتها وأهدافها عند ابن كثير :

### أولاً : تعريف الدعوة :

الدعوة في اللغة : مشتقة من الدعاء، وهو الرغبة إلى الله تعالى،.. دعا دعاءً ودعوى [1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة : دعو، هو أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ منك، تقول : دعوت أدعو دعاءً [2].

وورد في المعجم الوسيط : دعا بالشيء دعواً ودعوة ودعاءً ودعوى، طلب إحضاره، يقال : دعا بالكتاب والشيء إلى كذا : احتاج إليه. ويقال : دعا الله : رجا منه الخير، ولفلان : طلب الخير له، ودعا على فلان : طلب له الشر، ويقال : دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب : حثه على اعتقاده وساقه إليه [3].

وتأتي الدعوة بمعنى النداء، دعوت فلاناً : ناديته [4].

---

(1) انظر : القاموس المحيط ٣٢٧/٤، لسان العرب ٢٥٧/١٤.

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٧٩/٢.

(3) المعجم الوسيط ٢٨٦/١.

(4) المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب : لناصر الدين المطرزي ٢٨٨/١.

والدعاة : قوم يدعون إلى بيعَةِ هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ، ورجلٌ داعية، إذا كان يدعو النّاس إلى دينٍ أو بدعةٍ، أُدْخِلَت الهاء فيه للمبالغة [1].

وقال صاحب المصباح المنير : دعوت الله أدعوه دُعاءً، ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً : ناديته، وطلبت إقباله، ودعا المؤذّن النّاس إلى الصلاة فهو داعيَ الله، والجمع دُعاة ودَاعُون، والنّبيُّ ﷺ داعِي الخلق إلى التوحيد [2].

والدعوة تأتي بمعنى البيان والتبليغ، ودِلاَلة النّاس إلى دين الله [3]، قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ [4].

إذاً فمفهوم الدعوة من خلال مدلولاتها اللغوية يدل على الطلب، والنداء، والبيان، والإرشاد، والإعلام، والصوت، والكلام.

---

(1) لسان العرب ١٤/٢٥٩.

(2) أحمد بن محمّد الفيومي، ص ١٩٤.

(3) انظر : خصائص الدعوة الإسلامية : لمحمّد أمين حميس ص ١٥ ( رسالة ماجستير ) من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(4) سورة نوح، آية : ٥.

وهي طلب ودعاء إلى شيءٍ ما، وحثٌّ على قصده، سواء أكان ذلك خيراً أو شرّاً، هُدَىً أو ضلالة.

والدعوة إلى الله تعالى : بيان طريق الحق، وإيضاح دين الله تعالى، وإخلاص العبادة له، ودلالة النّاس على ذلك.

وهذا المعنى هو ما عرَّفَ به ابن كثير معنى الدعوة، حيث قال عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ [1] : " أصل المَنْسك هو الموضع الذي يعتاده الإنسان ويتردد إليه، إمَّا لخيرٍ أو لشر، وقوله تعالى : ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ ﴿لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ أي طريقٍ واضحٍ مستقيمٍ موصلٍ إلى المقصود " [2]. وهذا كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [3].

## الدعوة في الاصطلاح :

ذكر العلماء عِدَّة تعاريف للدعوة إلى الله تعالى، منها :

---

(1) سورة الحج، آية ٦٧.

(2) تفسير ابن كثير ٣/٢٣٣ - ٢٣٤.

(3) سورة القصص، آية : ٨٧.

١) أنَّ الدعوة إلى الله تعالى : حث النَّاس على الخير، والهدى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل [٤].

٢) الدعوة إلى الله تعالى هي : قيام العلماء المستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامَّة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة [٥]

٣) الدعوة إلى الله تعالى هي : الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وفيما نهوا عنه، والإسلام آخر الأديان وخاتمها وأتمها وأكملها، فإنَّ الدعوة إلى الله تعني الدعوة إلى الدخول في الإسلام الذي جاء به محمَّدٍ ﷺ وَحْياً من عند ربه [١].

٤) الدعوة إلى الله تعالى : دعوة إلى اتباع الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النَّبيّين والصّدّيقين والشُّهداء والصَّالحين، صراط الله الذي وضعه لعباده موصلاً إليه، ومصلحاً لأمور دينهم ودنياهم، وبهذا الاتباع تنقطع طرق الابتداع التي يضلل مبتدعوها بعضهم بعضاً، وتتفرَّق بهم الأهواء عن دين الله، ويتبعون غير ما أمرهم به مولاهم في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ

---

[٤] هداية العارفين : الشيخ على محفوظ صـ ١٧

[٥] الدعوة إلى الإسلام : أبو بكر ذكري ص ٨.

[١] فقه الدعوة إلى الله تعالى : د. عبد الحليم محمود ١/١٦ - ١٧.

ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [٢] ويقعون فيما نهاهم عنهم من التفرُّق حيث يقول سبحانه : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [٣] [٤].

٥) الدعوة إلى الله تعالى هي : دعوةٌ إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقَدَر خيره وشرّه، والدعوة إلى أن يَعبد العبد ربَّهُ كأنّه يراه [١].

## نحصل من جملة تلك المقالات - التعاريف - على أنّ الدعوة إلى الله تعالى، هي :

تبليغ دعوة الحق إلى النّاس كافّةً، وتعليمهم الإسلام، وجمعهم على الخير للتعاون على البر والتقوى، وتحذيرهم من التعاون على الإثم والعدوان، قولاً، وعملاً، وتطبيقاً في واقع الحياة، وذلك في كل زمانٍ ومكان، بأساليب ووسائل متعدّدة مفيدة، تتلاءم مع حال المدعوين على مختلف أصنافهم.

---

[٢] سورة الأنعام، آية : ١٥٣.

[٣] سورة الشورى، الآية : ١٣

[٤] رسالة في الدعوة إلى الله تعالى للشيخ محمّد بن صالح العثيمين صـ ٨

[١] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٥٧ - ١٥٨.

ونجد ابن كثير رحمه الله، يؤكّد على تلك المعاني السابقة لمعنى الدعوة في الاصطلاح، فيقول : " الدعوةُ إلى الله تعالى أمرٌ من الله لنبيّه أن يُخْبِرَ الإنس والجن بعبادة الله تعالى، فيدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن يفعلوا الطّاعات، ويتركوا الذُّنوب والمخالفات.

ولتكن منهم أُمَّةٌ منتصبةٌ للقيام بأمر الله تعالى في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونفع عباد الله، ونشر دينه، وبذلك يتحقق الفلاح، وتتم الخيرية.

قال رسول الله ﷺ : ( **مَنْ رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان** ) [1].

وقال ﷺ : ( **والذي نفسي بيده لتأمرُنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أنْ يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثُمَّ لتَدْعُنَّه فلا يستجيب لكم** ) [2].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النّهي عن المنكر من الإيمان ١/٦٠، و سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢/١٣٣٠. والترمذي في الفتن برقم ٢٠٩٨، والنسائي في كتاب الإيمان برقم ٥٠٠٨، وأبي داود في كتاب الصلاة برقم ٩٦٣، واللفظ لمسلم.

(2) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤/٤٦٨، وقال الترمذي : حديثٌ حسنٌ.

وقال ﷺ : ( **خير النّاس أقرأهم، اتقاهم لله تعالى، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم** ) [٣].

ولقد رسم النّبيُّ الكريم ﷺ لأُمَّته الطريق المستقيم الواسع الموصل إلى المقصود من خلال أقواله وأفعاله ومعاملاته، متمثلاً بالإيمان با لله تعالى، حتّى تكون الدعوة إلى ا لله تعالى أحب إلى المؤمن من نفسه وماله، فالدعوة إلى ا لله تعالى هي الجانب العملي للإيمان، والثمرة الفعلية، والنتيجة اللازمة [١].

## ثانياً : أهمية الدعوة :

الدعوة إلى ا لله تعالى على أعظم جانب من الأهمية، بل إنّها واجبة بنص القرآن والسنة، وهي مع عظم أهميّتها ووجوبها، لها شرف وفضيلة وقدر عظيم، لأنّها وظيفة الرسل الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام، وقد قاموا بذلك أتمَّ قيام.

فعلى الدعاة إلى ا لله تعالى أن يبذلوا غاية وسعهم، وينشطوا أشد نشاط في بيان أحكام الإسلام، والدعوة إليه، ونشر الفضائل، والأمر بالمعروف،

---

وصحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني ٦/٩٧ - ٩٨، ومسند الإمام أحمد ٥/٣٨٨ - ٣٨٩.

(٣) مسند الإمام أحمد ٦/٤٣٢.

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/٣٩٠ - ٣٩٢، ٢/١٩٧، ١٩٨، ٢٧٧، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٩١، ٥٩٢، ٣/٢٣٤، ٤٠٢ - ٤٠٣، ٤/١٠٠ - ١٠١ بتصرف.

والنهي عن المنكر، ومحاربة الرذائل. وأن يستقيموا في أنفسهم على ذلك، حتّى يكونوا من الصالحين عند فساد النّاس، والمصلحين لما أفسد النّاس.

وعلى الداعية أنْ يعتزَّ بإسلامه، ويفخر بلغة القرآن، لكي يدافع ببيانٍ واضحٍ جليّ، وعزمٍ صادقٍ أبيّ، عن حقوق إخوانه المسلمين، ويسعى لإصلاح ما يراه من انحراف.

فالدعوة واجب إنساني لأنَّ الإسلام رفع من قيمة الإنسان، وأعلى من شأنه، وكرَّمه وهداه للتي هي أقوم، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [1]. وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [2].

فليعلم الداعية أنَّ الله تعالى قد مدح كتابه القرآن الذي نزل على نبيه محمَّدٍ ﷺ، ليكون ذلك دافعاً قوياً للاهتمام بأمر الدعوة إلى الله، لأنَّ مَنْ

---

(1) سورة الإسراء، آية : ٩.

(2) سورة الإسراء، آية : ٧٠.

كان كذلك فقد هدي إلى أقوم طريق وأوضح سبيل، وأنَّ مَنْ مات على ذلك فقد بشَّره الله تعالى بأنَّ له عنده في الآخرة يوم القيامة أجرٌ كبير [٣].

قال ابن تيمية : " الدعوة إلى الله تعالى واجبة على من اتَّبعه - يعني الرسول ﷺ - وهُم أُمَّته، يدعون إلى الله كما دعا هو إلى الله، وكذلك تتضمن أمرهم بما أمر به، ونهيهم عمَّا نهى عنه، وإخبارهم بما أخبر به، إذاً الدعوة إلى الله تتضمن الأمر، وذلك يتناول الأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر " [٤].

وقد أوضح علماء الإسلام أنَّ الدعوة إلى الله تعالى فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يكون فيها دعاة، فإنَّ كل قطر يحتاج إلى الدعوة إلى الله، وإيضاح أحكام الدين، ونشر فضائله وآدابه. وبهذا يسقط الإثم عن الباقين، وتكون الدعوة في حقّهم سُنَّة مؤكّدة، وعملاً صالحاً ينالون عليه الثواب والأجر العظيم من الله تعالى.

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو القطر المعيَّن بالدعوة على التمام، لحقهم الإثم عامَّةً، وصار واجباً على الجميع، بل كل انسان مسلم وجب عليه أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه وحدود علمه.

---

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٢٦.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/١٦٥.

وبالنسبة لعموم البلاد فالواجب أنْ توجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جلَّ وعلا في أرجاء المعمورة، لتبليغ رسالات الله، وتبيين أمر الله عزَّ وجلَّ بالطرق الممكنة، فإنَّ الرسول ﷺ بعث الدُّعاة، وأرسل الكتب إلى النّاس، وإلى الملوك والرؤساء، ودعاهم إلى الله سبحانه.

وفي العصر الحاضر أصبحت الدعوة إلى الله أمراً ضرورياً، وحاجةً ملحةً، ومطلباً عزيزاً. وقد يسَّر الله تعالى في هذا العصر ما يُسَهِّل أمر الدعوة بطرقٍ لم تحصل فيمن قبلنا، وهذا يجعل الداعية يقيم الحجة على النّاس بطرقٍ متنوعةٍ، عن طريق الإذاعة، وعن طريق التلفاز، وعن طريق الصحافة، وما يُتَاح للدعاة من لقاءات كالمحاضرة، والدرس، والندوة، والشريط، والكتاب.

فالواجب على الدعاة إلى الله تعالى، أهل الإيمان، خلفاء رسول الله ﷺ، أن يقوموا بهذا الواجب، وأن يتكاتفوا فيه، وأنْ يبلّغوا رسالات الله إلى عباده، لا يخشون في الله لومة لائم، ولا يحابون في ذلك كبيراً ولا صغيراً، ولا غنياً ولا فقيراً. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [1].

وسيِّدُ المبلّغين دينَ الله، والدَّاعين إليه في هذا المقام، بل في كل مقام، هو رسول الله ﷺ، فقد بلّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة إلى جميع الثقلين في المشارق والمغارب، فأظهر الله دينه على جميع الأديان، وأُمَّته من بعده قاموا بهذا الشأن، وأعلى من قام به من بعده هم أصحابه رضي الله عنهم، وورثه كل

---

[1] سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

خلفٍ عن سَلَفِهِم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، نسأل الله تعالى أنْ يجعلنا من خَلَفِهِم [٢].

ويقول الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي[٣] رحمه الله : " إنَّ قيام الأُمَّة المسلمة بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر - وهذا لب الدعوة

---

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤٩٢/٣، و فضل الدعوة وأخلاق الدعاة لابن باز ص ١٥ - ١٦.

(٣) هو الشيخ محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الجكني الشنقيطي، اشتهر بسعة الإطّلاع وعُمْقِ العلم، وقدرة متميِّزة في النثر والنَّظْم، وُلِدَ عام ١٣٢٥ هـ في تنبه من بلاد شنقيط ( موريتانيا الإسلامية )، وكان يحفظ القرآن. وهو متبحر في معرفة أنساب العرب، تلقى من علماء بلده بعد تكوينه الأساس من آله مختلف الفنون كالنحو والصرف والبلاغة والأصول والتفسير وفنون الحديث والأدب. و لم يكتف بما تلقاه من علمائه بل سافر طلباً للعلم لذلك تضلع في علم الأصول والبحث والمناظرة، وأصبح مرجعاً لكثير من العلوم. فكان المفتي والمرشد والواعظ والمصلح والقاضي وحكمه يظهره مدعماً بالأدلة الشرعية من مذهب الإمام مالك رحمه الله فإذا وصل حكمه إلى المشائخ صدقوه وإذا رد الى الحكام نفذوه دون تردد.

وقد شارك في مؤتمرات ومؤسسات كبير كرابطة العالم الإسلامي بمكة، وهيئة كبار العلماء بالرياض، وقد عرف ولاة الأمر بالمملكة مكانته وفضله منذ أيام المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله الذي بأمر ملكي خاص أهدى الشيخ هويته السعودية و لم يكتف ولاة الأمر بهذا فحسب بل أمروا بمنح التابعيه لكل من يثق به وينتمي إليه مبالغة في إكرامه. ودرَّس في الحرم حتّى توفي يوم الخميس١٣٩٣/١٢/١٧ هـ بمكّة المكرَّمة ودُفِنَ في مقبرة ( المُعلاّ ) رحمه الله.

من مؤلفاته:

١- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز. ٢- دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب.

٣- مذكرة الأصول على روضة الناظر. ٤- آداب البحث والمناظرة.

٥- أضواء البيان لتفسير القرآن بالقرآن.

انظر : أضواء البيان، الجزء التاسع ( والتتمة ) حيث أفرد له تلميذه الشيخ عطية محمَّد سالم ترجمة بقلمه في آخره. والأعلام ٤٥/٦، وكتاب علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ١٧١/١، ورسالة ماجستير من جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بعنوان:

إلى الله، وضروري لها - أساس لصلاح حاضر، ومستقبل زاهر للأُمَّة الإسلامية، وأساس للوحدة والأمن، ولا شك أنَّ تأديته تتطلب مجهوداً كبيراً، خصوصاً في هذا العصر، حيث هناك مشكلات يواجهها المسلمون في هذا المجال، من شأنها أن تحول دون تأديته أو تقلِّل من الاستفادة به، وليس وجود المشكلات أمام الدعوة بالأمر الجديد، فلم تسلم دعوة من مشكلاتٍ تتعرَّض لها حتّى ولو كان القائم بها الرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم. سُنَّة الله عزَّ وجلَّ ابتلاء العباد " [1].

قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [2].

إنَّ الدعوة إلى الله تعالى لها أهمية كبيرة، وهي ضرورية في المجتمع الإسلامي، لإخراج النَّاس من ظلمات الجهل، ومهاوي الضلال، ومزالق الانحراف والفساد، والبغي والعدوان، إلى نور العلم، والفقه في الدين، وإشاعة الخير، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، وإيضاح طريق الهداية الموصل لرضا رب العالمين، وفي ذلك الخير والصلاح لإعمار الدارين.

فواجبٌ على كل مسلمٍ - وهو في حق الداعية آكد - القيام بواجب الدعوة إلى سبيل الله، كُلٌّ حسب طاقته وحدود ما علَّمه الله تعالى.

---

منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام في أضواء البيان، إعداد الطالب: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس.

[1] التشريع والتعليم والدعوة ص ٤٦ - ٤٧.

[2] سورة آل عمران، آية: ١٨٦.

قال ﷺ : ( **بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النّار** ) [1].

والذي يرى واقع المسلمين اليوم، يدرك أنَّ الحاجة شديدة لبيان دين الإسلام والدعوة إليه، وإظهار محاسنه ومزاياه، وكونه رسالة نبيّنا محمَّدٍ ﷺ خاتمة الرسالات، وشرعه ناسخاً لجميع الشرائع والأديان، قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[2].

قال ابن كثير : " هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأُمَّة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، وكل شيءٍ أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خُلْفَ " [3].

ولقد نوَّه ابن كثير رحمه الله تعالى بأهمية الدعوة، ومكانتها في الدين الإسلامي، وعظم الخطر الذي يترتب على تركها، وذلك في مواضع عدَّة من تفسيره لكتاب الله تعالى.

---

(1) انظر : صحيح البخاري، كتاب الإيمان حديث رقم ٥٣. والترمذي في كتاب العلم برقم ٢٥٩٣، قال عنه الألباني: حديثٌ صحيحٌ. [الجامع الصغير وزيادته ٩/٣]

(2) سورة المائدة، آية : ٣.

(3) تفسير ابن كثير ١٢/٢.

منها ما ذكره عند قول الله تعالى : ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ. اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [1].

" فالله تعالى يخاطب نبيه محمَّداً ﷺ - مبيّناً له أنَّ ما أوحاه إليه من الدين الذي وصَّى به جميع المرسلين قبله أصحاب الشرائع الكبار المتبعة، كأولي العزم وغيرهم - أنَّ عليك يا محمَّد أنْ تدعو النَّاس إليه، واستقم أنْتَ ومَن اتَّبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عزَّ وجلَّ " [2].

إنَّ الدعوة إلى الله تعالى أصبحت فرضاً عامّاً، وواجباً لزاماً على جميع العلماء، وعلى جميع الحكّام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يُبَلِّغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان. بالكتابة، والخطابة، والإذاعة، وبكل وسيلةٍ استطاعوا، وألاَّ يتقاعسوا عن ذلك. فإنَّ الحاجة، بل الضرورة ماسَّة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر ممَّا كان قبل ذلك ؛ لأنَّ أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصدِّ عن سبيل الله، والتشكيك في دينه ؛ فوجب على أهل الإسلام أنْ يقابلوا هذا النشاط المضل، وهذا النشاط الملحد، بنشاطٍ إسلاميٍّ، وبدعوةٍ إسلاميَّةٍ على شتَّى المستويات، وبجميع الوسائل والطرق الممكنة. وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله [1].

---

(1) سورة الشورى، آية : ١٥.

(2) تفسير ابن كثير ١٠٩/٤.

(1) انظر : الدعوة الإسلامية : للشيخ عبد العزيز بن باز ص ٣٧٠.

إنَّ الدعوة إلى الله تعالى دعوة إلى الخير، وهي دعوة إلى الإسلام الذي فيه تحقيق غاية العبودية لله تعالى، والانقياد لأمره، وترك واجتناب ما نهى عنه، ظاهراً وباطناً.

إذاً فالدعوة إلى الإسلام ليست أمراً سهلاً، ولاطريقاً هيّناً، بل إنَّ فيها من المتاعب والمشاق الشيء الكثير، لأنَّ الداعي إلى الله يطلب من النّاس تنفيذ أمر الله في المأمور، وترك ما نهى الله عنه في المحظور في هذه الحياة الدنيوية، بينما النّاس يريدون المتع التي في هذه الحياة ولو كانت من قِبَلِ الهوى والنّفس الأمّارة بالسوء، أو مِمَّا يمليه الشيطان عدو الإنسان. والدين إذ حرَّم هذه المُتَع فإنّما حرَّمها لمصلحة الإنسان مع كونها مُتَعٌ وقتية، ليعطيه المُتَع الأبدية في الآخرة. قال الله تعالى عن مؤمنِ آلِ فرعون - وفي ذلك بيان لأهمية الدعوة إلى الله تعالى - : ﴿وَيَا قَوْمِ مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾، إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢].

## ثالثاً : أهداف الدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله تعالى تؤكد على المحافظة على الضروريات الخمس التي ورد ذكرها في الشريعة الإسلامية، والتي لابُدَّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا،

---

(٢) سورة غافر، الآيات : ٤١ - ٤٤.

وانظر تفسير ابن كثير ٤/٨٠ - ٨١.

والإخلال بواحدة منها يعرض للفساد والخسران. وهذه الضروريات هي : حفظ الدين، والنّفس، والنّسل، والمال. والعقل [1].

لابُدَّ من إعانة المدعوين على معرفة الله تعالى وتوحيده بالعبادة، وفق ما شرع، وإشاعة التعارف بين النّاس لتحقيق الأُلْفَة والتعاون بَيْنَهم على البرّ والتقوى، وإرشاد النّاس لإعمار الأرض بطاعة الله، وتغيير ما يعتري سلوك النّاس من المخالفات، والبُعْد عن الدين، إلى الاستقامة، وإلى كلّ ما يوافق ما جاء به الدين والشرع المُطَهَّر، والسعي بإخلاصٍ لإعدادِ الفرد المسلم، وحسن تربيته، وتكوين البيت المسلم، والمجتمع المسلم، والأُمَّة المسلمة، والعمل لأجل وحدة المسلمين، ونشر دعوة الله تعالى في البشرية كُلّها.

إنَّ إيضاح الحق، والعمل به، غايةٌ نبيلةٌ، ومقصدٌ عظيمٌ، وهدفٌ سام، لأنَّ في ذلك إخراجاً للنّاس من الظُّلُمات إلى النّور، وتحقيقاً للعدل في الأرض، وحَثّاً على نشر الفضائل، وترسيخاً لمبدأ المساواة، والتآخي بين المسلمين، وإنقاذاً للكافر من ظلمة الكفر، ومن الحرمان من جَنّةِ الله ورضوانه، ونقلاً للعاصي من معصيته إلى عِزّ الطاعة والإيمان.

فالله تعالى قد أقام الحُجَّة على خلقه بإرسال الرُّسُل، وإنزال الكُتُب، كما أنّه سبحانه لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم سُدَى، بل خَلَقَ الخَلْقَ لعبادته، وسلوك صراطه المستقيم، فمن سار على ذلك فله جَنّات النّعيم، وقد حذّر النّاس من الانحراف والاعوجاج والعصيان ومن الكُفْر واتّباع الشيطان، وأنَّ في الآخرة ناراً تَلَظّى [1].

---

[1] انظر : الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ٢/٤.

[1] انظر : فقه الدعوة الفردية : للدكتور علي عبد الحليم محمود ص ٨٤، وتذكرة الدعاة : للبهي الخولي ص ٣٥.

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [٢]، وقال سبحانه : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٣]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٤]، وقال سبحانه : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [٥]، وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٦].

يستطيع المتأمل لأهداف الدعوة أن يدرك أنَّ ابن كثير تطرَّق لذلك في آياتٍ كثيرةٍ من كتاب الله تعالى، وبيَّنَ أنَّ كُلَّ رسولٍ من رُسُلِ الله قد دعا عباد الله إلى عبادة الله وحده، ونهى عن عبادةِ ما سواه كائناً ما كان.

فمن عانَدَ وتَكَبَّرَ وترك عبادة الله، فلا يضر إلاَّ نفسه، ولن يضر الله شيئاً. وقد قامت عليه الحجة، فهو في هذه الحياة أعمى، وهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا. أمَّا من اتَّبع رضوان الله فقد هدي إلى قبول الحق الواضح البيّن، وسلم من الشك والريب والكفر.

---

(٢) سورة النحل، آية : ٣٦.

(٣) سورة الإسراء، آية : ٧٢.

(٤) سورة النحل، آية : ٩٠.

(٥) سورة البقرة، آية : ٢٥٧.

(٦) سورة يونس، آية : ٢٥.

ولقد رغّب الله تعالى في الجنّة، ودعا إليها على ألسنة الدعاة، رسله الكرام، الذين بيّنوا للنّاس أنَّ الدنيا سريعة الزوال، صائرةٌ إلى فناء، وأنَّ الآخرة دار بقاء، ودار سلام، سالمة من الآفات والنقائص والنّكبات.

وقد مدح الله تعالى مَنْ قَبِلَ دعوته، ودعا إليها، واتّبع رسله من خلقه [1]. قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2]، وقال سبحانه : ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [3].

فبيَّن الله سبحانه وتعالى أنَّ الرسل بُعِثُوا مبشرين ومنذرين : مبشرين مَنْ أطاعهم بالنصر والتأييد والجنة والكرامة، ومنذرين مَنْ عصاهم بالخيبة والندامة والنّار.

وفي بعث الرسل إلى الخلق إقامة للحجة، وقطع للعذر، حتّى لا يقول إنسان : ما جَاءَنا من بشيرٍ ولا نذير، فالله تعالى بعث الرسل حتّى لا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل، ولكي يكونوا هداية للخلق، وبياناً للحق، وإرشاداً للعباد إلى أسباب النجاة، وتحذيراً لهم من أسباب الهلاك، عليهم الصلاة والسلام، فهم خير النّاس، وأصلح النّاس، وأنفع النّاس للنّاس.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣١٢/١، ٤١٣/٢ - ٤١٤، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٢/٣ ( بتصرُّف ).

(٢) سورة فصلت، آية : ٣٣

(٣) سورة النساء، آية : ١٦٥

والله تعالى قد بيَّن أنّه لا أحد أحسن قولاً مِمَّن دعا إلى الله، فهذا هو أعظم هدف، وأكرم غاية يتطلع إليها الأبرار، إذ أنّه ليس هناك مَنْ هو أحسن قولاً مِمَّن دعا إلى الله تعالى.

فجديرٌ بالداعية إلى الله تعالى أنْ يبادر إلى هذا المقام العظيم، وهو مقام الرسل ؛ ووظيفتهم عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم : الدعوة إلى الله، والإرشاد إلى سبيله، وبيان الحق، وهداية الخلق.

والرُّسُل هم أئمة الدعوة إلى الله، وهم أحسن النّاس قولاً، وأتمّهم عملاً صالحاً، وصدقاً في اللسان، وموافقة القول للعمل والفعل، وهذا شرف وفضل للدعاة أتباع الرسل الكرام، المقتدين بهم، والسائرين على نهجهم، والمنتفعين بهديهم.

ولأجل تحقيق هذا الهدف في المدعوين، على الدعاة إلى الله تعالى، أنْ يتحرَّوا في دعوتهم ما يقنع المدعوين، ويوضّح ويبيّن لهم الحق، وأنْ يبتعدوا عن كل ما يضر بالأسلوب الحسن، والقول اللين، والأسوة الطيبة.

على الدعاة إلى الله أن يكونوا ذوي عملٍ صالحٍ فيما يدعون إليه باللسان، وما يدعون إليه أيضاً بالفعل، مع البصيرة في الدين.

وعلى الدعاة أن يحذروا من مخالفة ما يدعون النّاس إليه، فإنّهم إنما يدعون إلى الله عن إيمانٍ بما يدعون النّاس إليه، فيحملهم ذلك على البُعْد عن الرّياء، والسمعة، وطلب الجاه، والمال، والمحمدة، والمنزلة في قلوب الخلق على حساب الدعوة إلى الله.

فالدعوة إلى الله تعالى دعوة إلى الإسلام الحق بصدق، وحسن نية، فلا دين إلاّ دين الإسلام، وهو سبيل النجاة والعزة والكرامة، لأنّه دين الله الذي لا يرضى سواه سبحانه وتعالى.

والداعية المسلم هو في نفسه مهتدٍ بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره، نفعٌ لازمٌ ومتعدٍ، وليس من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير الذي يأمر به، ويترك الشر الذي ينهى عنه، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى ويسعى إليه.

وهذه عامّة في كُلّ مَنْ دعا إلى الخير، وهو في نفسه مهتدٍ، ورسول الله ﷺ هو أولى النّاس بذلك وأحرصهم عليه [1].

ومن أهداف الدعوة إلى الله تعالى أنّها خير وسيلة لإنقاذ الخلق من أوحال الشرك والمعاصي وسائر الانحرافات، لأنّها دعوة إلى الخير، فهي بيان للجائر عن طريق الصواب، وتذكير وتنبيه للغافل عن منهج الله تعالى، ومجادلة بالّتي هي أحسن للمعاند، ومَنْ لَدَيْه شَك، أو عنده شبهة واعتراض في أمرٍ من أُمور الدين.

وليست الدعوة مقصورة على كلمةٍ تُقَال في اجتماعٍ أو على منبرٍ، ولكنها تربية، وتعليم، وتنظيم، وتخطيط لتقويم أمور الدين وشئون الحياة بفعل المأمورات، وترك المحظورات.

وعلى الدعاة إلى الله تعالى تقع المسئولية، وتعظم الأمانة، في بيان الدعوة إلى الله تعالى وتوضيحها لعباد الله في كل مكان، ويجب الوفاء بذلك، وتهيئة جميع الوسائل الضرورية لإيضاح الحق وإيصاله إلى النّاس داخل بلاد المسلمين وخارجها على السواء.

ولقد ركّز ابن كثير في أهداف الدعوة إلى الله تعالى على ما يلي :

## ١) تعميق وترسيخ معنى الشهادتين في نفوس المسلمين، وإفراد الله تعالى بالعبودية وحده دون سواه :

---

[1] انظر : تفسير ابن كثير ٤/١٠٠ - ١٠١.

وهذا أساس متين يقوم عليه دين الإسلام، ليكون حقيقة في قلوب المسلمين، مؤثراً في سلوكهم في حياتهم كلها، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [1].

فالله تعالى أمر نبيه محمَّداً ﷺ أن يخبر الخلق بما أنعم به الله تعالى عليه وعلى مَنْ تَبِعَه من الهداية إلى صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهو ثابت قَيِّم مِلَّة إبراهيم حنيفاً.

وقد أمر الله نبيَّه محمَّداً ﷺ أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه أنَّه مخالف لهم في ذلك، فإنَّ صلاته لله، ونسكه على اسمه وحده لا شريك له [2]. قال تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [3].

## ٢) اعتزاز المسلم عامَّة، والداعية خاصَّة بالدين الإسلامي، والفرح به، والدعوة إليه، ابتغاء وجه الله تعالى والدَّار الآخرة :

فالداعي إلى الله تعالى يصرّح بما هو عليه، ويبيّن أنَّه على المنهج الأسمى، على الحق، يقول هذا معتزاً به، فرحاً مغتبطاً به، لا مرائياً ولا متغطرساً، ولكن مبيناً للحق معتزاً به، يقول إني على صراطٍ مستقيم، إني من المسلمين، لست نصرانياً ولا يهودياً، مُحَرِّفاً لدين الله، ولست وثنياً مشركاً، ولكني مسلم حنيف مُلْتَزِم بما جاء من عند الله، معظمٌ لأمره، أدعوا إلى الله على

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان : ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١٩٧/٢ - ١٩٨

(٣) سورة الكوثر، آية : ٢

بصيرةٍ أدعوا إلى دين الحق، دين الهُدَى والطُّهْر، يقول ذلك عن سرور صادق، وعن اعتراف داعٍ، وإيمانٍ ويقينٍ بما يدعو إليه، حتّى يعلم المدعوون أنّه على بيّنةٍ، وأنّه على طريقٍ واضحٍ ومنهجٍ صحيحٍ، وأنّه إذا دعا إلى الإسلام فإنّه يدعو إليه وهو من أهله، ليس دخيلاً عليه ولا مُدَّعياً غير ما هو عليه، بل يدعو إليه وهو عليه، آخذٌ به، ملتزمٌ لتعاليمه.

فإذا قال الداعية : أنا مسلم، فإنّه يعني أنّه من هذه الأُمَّة المحمَّدية، وأنَّ الأنبياء جميعاً قبل نبيّنا محمَّدٍ ﷺ وعليهم أجمعين، كانت دعوتهم إلى الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له، وقد أخبر الله عن نوحٍ عليه الصلاة والسلام أنّه قال لقومه : ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [1].

وقال تعالى مبيّناً مُهِمَّةَ الأنبياء : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [1].

وقال يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [2].

---

(1) سورة يونس، آية : ٧٢.

(1) سورة الأنبياء، آية : ٢٥

(2) سورة يوسف، آية : ١٠١

فأخبر الله تعالى أنّه بعث رسله بالإسلام، ولكنهم متفاوتون به بحسب شرائعهم الخاصّة، التي ينسخ بعضها بعضاً إلى أنْ نُسِخَت بشريعة محمّدٍ ﷺ، التي لا تنسخ أبد الآبدين، ولا تزال قائمة منصورة، وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة [٣].

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [٤].

وقال تعالى : ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [٥].

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [١].

### ٣) الفهم الصحيح للمنهج الرباني في الدعوة إلى الله، وإعداد الدعاة العاملين في ميادين الدعوة إلى الله :

لأجل التعريف بالدين القويم، وإظهار أثر الالتزام به في توجيه الحياة الإنسانية في كل جوانبها إلى غايتها الصحيحة التي يسعد بها الإنسان في دنياه

---

[٣] تفسير ابن كثير ١٩٨/٢

[٤] سورة آل عمران، آية : ٨٥

[٥] سورة آل عمران، آية : ١٦٢

[١] سورة المائدة، آية : ٥

وآخرته، وفيما يعود به على المجتمع الإسلامي الملتزم شرع الله من مستقبلٍ مشرقٍ، وحضارةٍ جيدة تُلَبّي جميع مطالب الروح والجسد حقاً[٢].

قال تعالى : ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُم تَدْرُسُونَ﴾[٣].

وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٤].

فالداعية الرباني هو الذي تحمَّل أعباء ما يصادف الدعوة مِنْ عَقَبَاتٍ، واستعمل في سبيل الدعوة إلى الله النصح لله تعالى، وأمانة التبليغ، وإظهار الحق لعباد الله جلياً واضحاً[٥].

---

(٢) تفسير ابن كثير ٣٧٧/١

(٣) سورة آل عمران، آية : ٧٩

(٤) سورة الأعراف، آية : ٣٢

(٥) تفسير ابن كثير ٢١١/٢

# البَابُ الأَوَّلُ

## منهج ابن كثير فى الدعوة الى الله تعالى

إنّنا لكـى نتعـرف علـى ابـن كثـير بوصفـه داعيـةً مـن الدعـاة المـبرزين إلى ا لله تعـالى كمـا عرفنـاه عالمـاً محقّقـاً، ومَرْجعـاً مـن المراجـع المعتمـدة فـى التفسـير وغـيره مـن فنـون العلـم، وحتـى نُـبرز صورتـه كَعَلَـمٍ مـن أعـلام الدعوة كما تجلّت فـى ميـدان التـأليف، والتدريـس، والتفسـير، وغـير ذلـك مـن مختلـف الميـادين، نحتـاج إلى تَتَبُّـع آثـاره وكتاباتـه سـواءً مـن ناحيـة عَـرْض تعـاليم الشَّـرع وأحكامـه وتجليتهـا للنـاس، أو مـن ناحيـة استخدام أسـاليب التوعيـة والتوجيـه وطـرق التأثـير المختلفـة فـى النّفـوس، لإظهـار مـا فـى هـذه التعـاليم والأحكـام مـن حكـمٍ جليلـةٍ، ومحاسـن ومنـافع وقِيَـمٍ ومزايـا عظيمـةٍ، واسـتمالة النـاس إليهـا، وحثهـم علـى الإسـتجابة لهـا، والتّحلـى بأخلاقهـا وآدابهـا، وغـرس محبَّتهـا فـى النفوس.

ففـى الوقت الذى أقوم فيه بعرض كل موضـوعٍ مـن مختلـف جوانبـه، أورد ما أدلى به ابن كثير، وما أبلى، ووفّى به مما يتطلبه كل جانبٍ مـن هـذه الجوانب.

وأول وأهم ما ينبغي التّعَرُّف عليه هو المنهج الذي سار عليه والتزمـه في هذا المجال - مجال الدعوة إلى ا لله - وهذا هو الجانب الأول والأهـمّ في هـذه الدراسة. ولذا كـان هـو موضـوع البـاب الأول والقسـم الأكـبر مـن قسـمي الرسالة.

ولكي نتوصل إلى تحديد هذا المنهج يتعين علينا أن ندرسه من نواحيه المختلفة التي تقتضيها الدعوة إلى ا لله.

١) فنبدأ أولاً باستعراض موقفه من موضوعات الدعوة أو من أهم هذه الموضوعات وهذا هو موضوع الفصل الأول: " **منهجه في موضوع الدعوة** ".

٢) ثم ننتقل إلى بيان ما يراه ويوصي به من جهة إعداد الداعية إعداداً سليماً لتَحَمُّل أعباء هذه الرسالة. وهذا هو موضوع الفصل الثاني: " **منهجه في إعداد الداعية** ".

٣) وبعد الإنتهاء من أمر موضوع الدعوة وإعداد الداعية، ننتقل إلى أسلوب الدعوة أو الطريقة المثلى التي يسير عليها الداعية في عرض دعوته وإيصالها إلى الناس كما يرى ذلك ابن كثير. وهذا هو موضوع الفصل الثالث: " **أسلوبه في الدعوة** ".

٤) ومع بيان أسلوبه في الدعوة نحتاج إلى معرفة ما يأخذ به الداعية ويستعين به في التأثير على النفوس من ألوان الترغيب والترهيب كما يرى ذلك ابن كثير. وهذا هو موضوع الفصل الرابع: " **دراسة في أسلوب الترغيب والترهيب عند ابن كثير رحمه ا لله** ".

٥) وأتي أخيراً إلى ما يراعيه الداعية من تنوعٍ واختلافٍ في أسلوب دعوته بحسب حال من يدعوهم، وتفصيل أصناف المدعوين تبعاً لذلك.

وهذا هو موضوع الفصل الخامس: " **منهجه في تصنيف المدعوين** ".

# الفصل الأول

—

# منهج ابن كثير

# في

# موضوع الدعوة

الدعوة إلى الله تعالى هدى وخير، ومنهج حياة ميدانها فسيح ، ومجالها رحب، يشمل كل نواحي الحياة، ويحيط بكل أبعادها وجوانبها ، فيتناول كافّة الموضوعات والأوضاع فيها، كبيرها وصغيرها، وجلّها ودقيقها، فهي رسالة هداية وإرشاد، ودعوة تقويم وإصلاح، ولا يستغني جانب من جوانب الحياة ولا موقف من مواقفها عن الهداية والرشد والاستقامة والصلاح إذا أريد له التوفيق والنجاح، وللقائمين به السلامة والفلاح.

وأهم ما تستقيم به النفوس، وتنتظم به الحياة بل تستقر به الأوضاع وتصلح به الأعمال، هو العقيدة الصحيحة التي تحدد للإنسان وضعه، كمخلوقٍ له فطرته ومسئوليته ومصيره، أمره كله بيد خالقه وحده الذي بيده الأمر كله فتحمله على تعظيم حقه، وتقديسه وتنزيهه وعبادته وحده، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ورعاية حرماته، والتزام شريعته، والوفاء بحقوق عباده، وحسن الصلة والبر بهم، والتخلُّق بمحاسن الصفات ومكارم الأخلاق.

ومن هنا كانت العقيدة الصحيحة هي أهم ما يعتني به الداعية ويحرص على تصحيحها، وتجلية أمرها، وتثبيت حقيقتها في النفوس، لتكون المنطلق القوي، والأساس الثابت، والمعيار الصحيح الذي يدفع إلى الإستقامة والإخلاص، ويحمي من الانحراف والضلال، ويضبط به السلوك والمعاملات، وتصح به العبادات والأعمال.

فأول ما نهتم ببحثه في منهج ابن كثير في الدعوة هو منهجه في تحقيق هذه العقيدة الصحيحة بشقيها: شهادة أن لا إله إلا الله بما تقضيه من إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ بما تقتضيه من الإقتداء والإتباع، والبعد عن الابتداع.

ومن هنا كان **المبحث الأول** في هذا الفصل هو:

١ - تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ( إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك ) يليه **المبحث الثاني** وهو:

٢ - تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ( الإقتداء والإتباع والبعد عن الإبتداع ).

وأهم ما يعنى به الداعية - بعد تثبيت العقيدة الصحيحة - هو أداء العبادات التي يتم بها الوفاء بحق الله، وتزكية النفوس، وربط المسلم بمعالم وأعمال تضبط سلوكه وتنظم حياته، وتمضي به في طريق الخير والعمل الصالح واكتساب الفضائل والمحامد. وهي العبادات التي جاءت بها بقية أركان الإسلام الخمسة بعد الشهادتين، وفي مقدمتها الصلاة، يليها الزكاة، فالصيام، فالحج.

ومن هنا كان **المبحث الثالث** في هذا الفصل هو:

٣ - منهج ابن كثير في تحقيق بقية أركان الإسلام.

ولا شك أن كل ماعدا ذلك من الأعمال والمواقف والمعاملات يرتبط بها أوثق ارتباط فيصلح بصلاحها ويفسد بفسادها.

ويأتي بعد ذلك - إن لم يكن قبله - موضوع العلم والعمل بمقتضاه، فالعلم هو المنار الذي تتضح به المعالم، وتُعْرَف الحقائق ويتميز به الصحيح من الفاسد، والحق من الباطل، وتقوم عليه الدعوة الصحيحة والعمل السليم. فلابد للداعية من العلم حتى تكون دعوته على هُدى وبصيرة يستند فيها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة. ولابُدَّ لكل مسلم

من الاسترشاد بهدى العلم وتوجيه العلماء في كل ما يأتي ويدع، حتى تسلم عقيدته ويصلح عمله وعبادته.

ولابُدَّ للعلم من أن يوافقه ويوفي به العمل فلا يخالف فعل المسلم وخاصة الداعية قوله فيضل ويضل به الناس.

ومن هنا كان **المبحث الرابع في معرفة منهج ابن كثير في** موضوع الدعوة وهو منهجه في:

٤ - الحث على العلم والعمل.

وأنَّ الشق الآخر المقابل لكل ما تقدم، أو الثمرة الطيبة التي يتجلى فيها، والتي يتحقق بها صدق إيمان المرء وسلامة دينه وعمله، ومحك الصدق في العقيدة والعبادة والعلم والعمل، هو اجتماع القلوب على الحق والتمسك بتعاليمه وآدابه، هو الاعتصام بحبل الله جميعاً وعدم التفرق والاختلاف فيه، أي لزوم الجماعة المعتصمة بالله المتعاونة على البرّ والتقوى، والالتقاء على النهج الصحيح سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن هنا كان هذا البند الهام الذي ينبغي أن يعتني به الداعية أشد الاعتناء وهو موضوع **المبحث الخامس** من أبحاث منهج ابن كثير في موضوع الدعوة وهو:

٥ - منهجه في الحث على لزوم الجماعة.

وهو المبحث الأخير في هذا الفصل والمتمم والمحقق لكل ما قبله.

## المبحث الأول:

**تحقيق شهادة: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ( إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك.**

إن هذه الكلمة ( **لا إله إلا الله** ) هي كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل، ولا يتحقق إيمان المسلم إلا بالإتيان بها على الوجه الصحيح بمعانيها ومدلولاتها، فكان من المناسب هنا أن أذكر بعض معانيها ومدلولاتها.

**معنى كلمة التوحيد:**

إن معنى " **لا إله إلا الله** ": لا معبود بحق إلا الله.

لا إله : نافيا جميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد.

إلا الله: مثبتا العبادة لله فهو الإله الحق المستحق للعبادة.

فلا إله إلا الله قد اشتملت على النفي والإثبات.. فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء، فضلا بمن غيرهم ، فليس بإله ولا له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية والعبادة لله وحده.

بمعنى أن العبد لا يؤَلِّه غيره، أي لا يقصده بشيء من التأليه وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك.

وهذا المعنى لكلمة ( **لا إله إلا الله** ) دل عليه القرآن من أوله إلى آخره مقررا له ومرشدا إليه:

كما قال تعالى عن الجن: ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءاناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾[1] فـ"لا إله إلا الله " لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً، واعتقد ذلك وقَبِلَه وعَمِلَ به. وأمَّا مَن قالها من غير علم واعتقاد وعملٍ، فهو جهل منه وهي حجة عليه [2].

**عرض وتقدير هذا المعنى عند ابن كثير وما فصَّله به:**

كان الإمام ابن كثير رحمه الله ممن دعا إلى إخلاص التوحيد لله،والبعد عن الشرك، وبيَّن أن تحقيق: " **لا إله إلا الله** " لا يتم إلا بذلك، وهذا المعنى الذي أرشد إليه ابن كثير نلحظه من خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم المتعلقة بوحدانية الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [3] قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن تفرده بالإلهية وأنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم [4].

وقال الله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة...﴾ الآية[5].

---

(١) سورة الجن الآيتان ١، ٢

(٢) انظر: فتح المجيد ص ٣٨، وتيسير العزيز الحميد ص ٧٧، ومعارج القبول ص ٣٠٥ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٥/٥٦، وفتاوي ابن تيمية جـ ١ ص ١٣٦.

(٣) سورة البقرة آية ١٦٣.

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٠١.

(٥) سورة النساء آية ٨٧

قال ابن كثير رحمه الله: " وقول الله: لا إله إلا هو إخبار بتوحيده وتفرده بالألهيه لجميع المخلوقات [1].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ [2] يقول ابن كثير رحمه الله: إن معنى شهادة **أن لا إله إلا الله** توحيد الله بالعبادة، والبعد عن عبادة ما سواه. وهذا هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

والطّاغوت: كل ما عبد من دون الله [3].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله في الطّاغوت: إنه كل ذي طغيان على الله، فَعَبَدَ مَن دونه، إمَّا بقهرٍ منه لمن عبده، وإمَّا بطاعته ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء [4].

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٣٢/١

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٣) تفسير ابن كثير ٣١٩/١

(٤) تفسير الطبري جـ ١٩/٣

قال ابن كثير رحمه الله وقوله: ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ [1]، أى من خلع الأنداد والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يُعْبَد من دون الله، ووحد الله فعبده وحده، وشهد أن لا إله إلا هو ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أي: فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم. وقوله: ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ أي: فقد استمسك من الدين بأقوى سبب. وشبَّه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم.. هي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوي شديد، ولهذا قال: ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ الآية.

قال مجاهد: العروة الوثقى: يعني الإيمان. وقال السُّديّ: هي الإسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك يعني: لا إله إلا الله. وعن أنس بن مالك: العروة الوثقى القرآن. وعن سالم بن أبي الجعد قال: هو الحب في الله والبغض في الله. وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها[2].

وقد أورد شارح كتاب التوحيد من صحيح البخاري رحمه الله كلاماً نفيساً مرتبطاً بما قاله ابن كثير في الآية السابقة في أولها فقال:

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١/٣١١

" والكفر بالطّاغوت يعني الإبتعاد عن عبادته التي هي طلب البركات منه، أو الشفاعات، أو دفع البليات، أو إنالة الحاجات، أو التوجه إليه بالدعاء. ولابُدَّ من بغضه وعداوته، وعداوة عابديه ومقاطعتهم، والتبرؤ منهم، لقول الله تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾[1].

والإيمان بالله تعالى هو إفراده بالعبادة، التي تتضمن غاية الحب ومنتهاه، مع غاية الذل وأقصاه، والإنقياد لأمره، والتسليم له.

وهذه هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، كما قال ﷺ لوفد عبد قيس ( **آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟! قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله** ) الحديث [2].

وقال تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ [3]، فالعلم بمعنى هذه الشهادة التي لابُدَّ لكل داخلٍ في دين الإسلام أن يشهد

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ ص ١٨٨ رقم ١٧، البخاري كتاب الإيمان ص٥٣.

(٣) سورة محمّد، الآية: ١٩.

بها ، هو الإيمان المطلوب من العباد، وهو معرفة حق الله على عباده، الذي لا يجوز الإخلال بشيء منه. وإلا استحقوا عذابه "[1].

ومن معاني شهادة أن **لا إله إلا الله**: الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له[2].

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله عز وجل: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ إخبار بأنه لا إله إلا الله ولا يتأتى كونه آمراً بعلم ذلك، ولهذا عطف عليه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾.

وفي الصحيح قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرَّة**)[3]

وقد علّق صاحب تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير كلاماً طيّباً حول الآية الكريمة التي فسَّرها ابن كثير وهي قوله تعالى: ﴿ فاعلم أنه

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان ١/٣٧-٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٤٩٥.

(٣) كتاب الدعوات من صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٢١، والترمذي في كتاب التفسير برقم ٣١٨٢، وابن ماجة: في الأدب رقم ٣٨١٦.

﴿ لا إله إلا الله ﴾. أذكره هنا إتماماً للفائدة ولارتباطه بمعنى " لا إله إلا الله " حيث قال: " إنَّ لا إله إلا الله هذه الكلمة الطيِّبة يجب أن يقولها المؤمن عالماً بمعناها وبمستلزماتها من نفي الألوهية عن كل شيء، وإثباتها لله وحده لا شريك له، كما أنَّ لها حقوقاً يجب أن يتحقق بها قائلها فهماً وتطبيقاً، فلا ينقضها بقولٍ أو عملٍ. أما ترديدها بلا فهمٍ ولا علمٍ بمعناها ولا تحقق بما يجب من حقوقها فلا ينتفع بها قائلها شيئاً " [1].

قال تعالى: ﴿ يا أيها النَّاس اذكروا نعمة الله عليكم هَلْ مِن خالقٍ غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلاَّ هو فأنَّى تُؤفَكُون ﴾ [2].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: ينبه الله تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراده بالعبادة. كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام [3]، والأوثان [4]، والأنداد [5]. ولهذا قال تعالى: ﴿ لا إله إلاَّ هو فأنَّى

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير: للشيخ محمد نسيب الرفاعي ١٨٧/٤

(٢) سورة فاطر آية ٣

(٣) الصنم: شيء يتخذ من خشب أو فضة أو نحاس فيعبد.
معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣١٤/٣).

(٤) الوثن: واحد الأوثان. وهي: حجارة كانت تُعبَد.
معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩١٦/٣

(٥) الند: بالكسر المثل والنظير. مختار الصحاح ص ٦٥٢

تؤفكون ﴾ أي: فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ووضوح هـذا البرهـان، وأنتـم بعد هذا تعبدون الأنداد، والأوثان. والله أعلم [1].

كما يورد ابن كثير تفسير آية أخرى من كتاب الله، يبين فيه إفراد الله تعالى بالإلهية والوحدانية دون الخلق أجمعين، وأنَّ الجميع عبيده وخلقـه وتحت قهره وتصرُّفه.. قال تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [2].

فيقول عند تفسير هذه الآية الكريمة: شهد تعالى، وكفى به شهيداً وهـو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين أنَّه المتفرِّد بالإلهية لجميع الخلائق، وأنَّ الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه، وهو الغني عمَّن سواه. ثـم قـرن شـهادة ملائكتـه وأولى العلـم بشـهادته، وكـرَّر العبـارة تـأكيداً وتقريـراً لهـذا التفـرد، وعزَّزها بوصفه بأنَّه العزيز الذي لا يُرام جنابه وعظمته وكبرياؤه والحكيـم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره [3].

ففي هذه الآية إعلان مُدَوٍّ وتنويهٌ عظيمٌ بما هو ثابت مقرر معلـوم لـدي جميـع أهـل الحـق ومـا تؤكـده الحجـج البينـة والـبراهين السـاطعة والآيـات

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٥٤٧

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٥٣ ( بتصرف )

القاطعة بأن الله واحد أحد وأنه المستحق وحده للعبادة دون جميع من سواه وما سواه.

ثم يؤكد ابن كثير أن تحقيق التوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جاء على لسان جميع الرسل والأنبياء، وأنَّ الكفار والمشركين ومن على شاكلتهم ممَّن جحدوا وأنكروا، أو لم يخلصوا توحيدهم لله، لا برهان عندهم، وأنَّ عملهم مخالف للفطرة السليمة التي فطرهم الله عليها.

قال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون ﴾ (١).

فيقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: " كل كتاب أنزله على كل نبي أرسل، ناطقٌ بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم أيُّها المشركون لا تعلمون الحق فأنتم معرضون عنه.. ثم يورد الآية السابقة كما يورد قوله تعالى: ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن ءالهة يُعبَدُون ﴾ (٢) وقوله سبحانه: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٣). فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٥.

(٢) سورة الزخرف آية ٤٥.

(٣) سورة النحل آية ٣٦.

بذلك أيضا، والمشركون لا برهان لهم، وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضبٌ ولهم عذابٌ شديد [1].

قال تعالى: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [2]. " فالفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله. فإنَّ الإله هو الذي يُعْرَف ويُعْبَد " [3].

وقال الراغب الأصفهاني في معنى الفطرة: " وفَطْرُ الله الخلق هو: إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مرشحة لفعل من الأفعال. فقوله: ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ إشارة منه تعالى إلى ما فطر، أى: أبدع وركّز في الناس من معرفته تعالى. وفطرة الله هي ما ركّزه فيه من قوّته على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾[4]. وقال:

---

(١) تفسير ابن كثير ١٧٦/٣

(٢) سورة الروم، آية: ٣٠

(٣) فتاوي ابن تيمية ٦/٢

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٧

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾[1]. كما قال: ﴿الذي فطرهن﴾[2] و ﴿الذي فطرنا﴾[3]: أى أبدعنا وأوجدنا "[4].

وقال الشريف على بن محمد الجرجاني[5]: الفطرة: الجبلة المتهيئة لقبول الدين[6].

وقد ساق ابن كثير في تفسيره هذه المعاني، وأوضح ما تضمنته الآية الكريمة: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾[7] من سلامة فطر الخلق، وكونها معترفة بوحدانية الله تعالى وتوحيده. ولكن الأهواء الباطلة وإغواء الشياطين قد تضل بعض الخلق عن طريق الهداية وسلوك صراط الله المستقيم.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٦

(٣) سورة طه، الآية: ٧٢

(٤) الراغب الأصفهاني هو أبو القاسم الحسين بن محمد صاحب كتاب المفردات في غريب القرآن والكلام المذكور من كتاب المفردات ص ٣٨٢

(٥) هو على بن محمد المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، له عدّة مؤلفات في الفرائض والمنطق ولد سنة ٧٤٠ هـ، ومات سنة ٨١٦ هـ . عاش في شيراز. الأعلام للزركلي ٥/٧

(٦) كتاب التعريفات للشريف الجرجاني صـ ١٦٨

(٧) سورة الروم، الآية: ٣٠

ويواصل تفسيره للآية فيقول: يقول الله تعالى: ﴿ فأقم وجهك ﴾: فسدد وجهك - يعني نبينا محمداً ﷺ - واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملّة إبراهيم عليه السلام التي هداك الله إليها، وكملّها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التى فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [1] [2].

ثم يستدل رحمه الله لهذا المعنى وهو أن الله تعالى فطر الخلق على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة، كاليهودية، والنصرانية والمجوسية، بالأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ. ومنها ما ورد في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي [3] رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ( **يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء** [4] **فجاءتهم**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٣٢

(٣) هو عياض بن حمار بن أبي حمار المجاشعي التميمي سكن البصرة. صحابي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، عاش إلى حدود الخمسين.
انظر: التهذيب ٨/٢٠٠، والتقريب ٢/٩٥

(٤) حنفاء: أى طاهري الأعضاء من المعاصي. انظر النهاية ١/٤٥١

**الشياطين فاجتالتهم [1] عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطاناً )** [2].

وقد اعتنى ابن كثير بإيراد الأحاديث الكثيرة التي تقرر حق الله على عباده في إفراده وحده بالعبادة وألا يشركوا به شيئاً أى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإخلاص توحيده، والبعد عن كل شرك به، وأنه لا نجاة لهم إلا بذلك، وأن يكون مقصدهم من كل عبادة وعمل خير هو وجهه الكريم وابتغاء مرضاته.

ويتضح ذلك في كثير من كتبه ومؤلفاته ومنها:

١) عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وعن أبيه قال: كنت ردف النبي ﷺ فقال: ( **يا حذيفة أتدري ما حق الله على العباد** ) ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ( **يعبدونه لا يشركون به شيئا** ). ثم سار فقال: يا حذيفة قلت: لبيك. قال: ( **أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك** ) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ( **يغفر لهم** ) [3].

---

(١) فاجتالتهم: أى استخفتهم فحالوا معهم في الضلال. النهاية ٤٥١/١

(٢) صحيح مسلم ٢١٩٧/٤، مسند الإمام أحمد ١٦٢/٤

(٣) ذكر الحديث في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضى الله عنه: في صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله عز وجل ٢٠٤/٩. وفي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٥٨/١

٢) وعن حذيفة أيضاً رضى الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ والعباس عن يمينه وفاطمة عن يساره فقال: ( **يا فاطمة بنت رسول الله اعملي لله خيرا فإني لا أغني عنك من الله شيئاً يوم القيامة - قال ذلك ثلاث مرات - ثم قال: ( يا عباس يا عم رسول الله اعمل لله خيراً فإني لا أغني عنك من الله شيئاً يوم القيامة - ثلاث مرّات** ).

ثم قال: ( **يا حذيفة ادن** ) فدنوت. ثم قال: ( **يا حذيفة ادن** ) فدنوت. ثم قال: ( **يا حذيفة من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وآمن بما جئت به حرّم الله عليه النار ووجبت له الجنة. ومن صام رمضان يريد به وجه الله والدار الآخرة ختم الله له به وحرَّم عليه النار. ومن تصدَّق بصدقة يريد بها وجه الله والدار الآخرة. ومن حج بيت الله يريد به وجه الله والدار الآخرة ختم الله له به، وحرَّم عليه النار ووجبت له الجنة** ). قال: قلت: يا رسول الله أُسِرُّ هذا أم أعلنه ؟ قال: ( **أعلِنْهُ** ) [1].

٣) وعن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( **بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان** )[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق برقم ٦٤٢٢، ومسلم في كتاب الإيمان برقم ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم ٨. ومسلم في كتاب الإيمان برقم ١٦.

٤) وعنه أيضاً قال: قلت: يارسول الله أشترط عليّ فقال: ( **تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتنصح للمسلم، وتبرأ من الكافر** )[1].

كما يورد ابن كثير في كتاب الفتن والملاحم ما يدل على أهمية التوحيد، وأن العبد الذي أفرد الله تعالى بالتوحيد والعبادة، وحقّق شهادة أن لا إله إلا الله، وعمل بما جاءت به ودلت عليه وآمن بما أخبر الله به على لسان رسوله ﷺ من المغيبات. أن من أوفى بما ذكر كان له فضل يوم القيامة وماله إلى الجنّة وينجو من النار.

فعن أبي سلام عن مولىً لرسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ( **بخٍ بخٍ !!** [2] **لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده** ).

وقال: ( **بخٍ بخٍ !! من لقي الله مستيقنا بهن دخل الجنة: يؤمن بالله، وباليوم الآخر، وبالجنة، والنار، وبالبعث بعد الموت، والحساب**)[3].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بدون حساب ولا عذاب.**

---

(١) المصدر السابق ١٣٧/٢. وورد في مسند الإمام أحمد ٣٥٧/٤.

(٢) كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح. القاموس المحيط ٢٥٦/١

(٣) كتاب الفتن والملاحم لابن كثير ٢/ ٤٧. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢٠٢/٣

قيل: ومن هم يارسول الله ؟ قال: هم الذين لا يكتوون [1] ولا يسترقون [2] ولا يتطيرون [3] وعلى ربهم يتوكلون ) [4].

---

(١) لا يكتوون: الاكتواء: استعمال الكي في البدن وهو إحراق الجلد بحديدة محماة.
انظر تعليق فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ١٩٨/١

(٢) لا يسترقون: الاسترقاء طلب الرقية - انظر المصدر السابق.

(٣) لا يتطيرون: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها. انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ / عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب صـ ٧٤ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

(٤) كتاب الفتن والملاحم لابن كثير ٨/٢، الحديث متفق عليه، وانظر: صحيح البخاري. كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ٢٢٩/٧ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١٩٨/١

## المبحث الثاني:

## تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ

**الإقتداء، والإتباع، والنهي عن الابتداع:**

إن تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ هو الشطر المكمل لشهادة أن لا إله إلا الله. وبتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يتم تحقيق الركن الأول من أركان الإسلام.

وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي العلم والمعرفة الصحيحة والإعتقاد الجازم الخالص بأن محمداً ﷺ رسولٌ من عند الله تعالى إلى عباده كافّة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. فلابد من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلاّ بما شرع.

واتباع الرسول ﷺ فيما جاء به من الشرع الحكيم يقي من البدع ويحصل العبد بذلك على محبة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [2] فإتباعه ﷺ هو معنى الشهادة له بالرسالة [3].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٠

## عرض ابن كثير لهذا المعنى وتفصيله له:

يستدل ابن كثير رحمه الله بالآية الأولى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله.. ﴾ على تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله، وأنّه يجب على المسلم إتباع هذا الرسول ﷺ، وأنّه هو القدوة المثلى لجميع المسلمين في دين الإسلام، وأنَّ المحبة الصحيحة للنبي ﷺ إنما تتحقق بقبول ما جاء به من ربه، وأنَّ عدم قبول ما جاء به، أوردَّ ذلك، دليلٌ على أنَّ هذه المحبة محبة كاذبة.. فقال رحمه الله: " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتّبع الشرع المحمديّ والدّين النبويّ في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ( **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** ) [1] ولهذا قال:

---

⇐⇐

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠

(٣) انظر: الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ صالح الفوزان صـ ١٧

(١) صحيح مسلم ١٣٤٤/٣ تحقيق فؤاد عبد الباقي وعلق على الحديث بقوله: ( **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** ). قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها فإذا احتج عليه بالرواية الأولى: ( **من أحدث**... ) يقول: أنا ما أحدثت شيئاً فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها. وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به.

انظر نفس الصفحة المشار إليها.

⇐⇐

﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول [1].

ويواصل ابن كثير تفسيره لمعنى الآية فيقول: " ثم قال تعالى: ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ أي: باتّباعكم الرسول ﷺ يحصل لكم هذا من بركة سفارته. ثم قال تعالى آمراً لكل أحد من خاصٍّ وعامٍّ: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾ أي: تخالفوا عن أمره... ﴿ فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [2]. فدلَّ ذلك على أن مخالفته في الطريقة كفرٌ، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادَّعى وزعم في نفسه أنّه محبٌّ لله، ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، الذي لو كان الأنبياء المرسلون،

---

⇐

وقبل هذا أورد رواية الحديث الأخرى وهي قوله صلى الله عليه وسلم: ( **من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد** ) ١٣٤٣/٣ ثم علق على الرواية بقوله: قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود ومعناه فهو باطل غير معتد به. وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات. انظر نفس الصفحة المشار إليها.

وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ. صحيح البخاري ٢١/٤

(١) تفسير ابن كثير ٣٥٨/١

(٢) سورة آل عمران: آية ٣٢

بل أولو العزم منهم في زمانه، ما وسعهم إلّا إتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته " [1].

ويوضح ابن كثير في مقام آخر أنَّ طاعة الرسول ﷺ والإيمان به وتصديقه ونصرته، مِن أوجب الواجبات على المسلم، ويدلل على ذلك أيضاً بما ذكره الله تعالى في آية أخرى من كتابه الكريم من أنَّ الله سبحانه قد أخذ العهد والميثاق من جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، بأن يؤمنوا بالرسول ﷺ وينصروه. ولما عرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعض أوراق من التوراة على النبي ﷺ أنكر عليه وتغير وجهه ﷺ فقال عمر عند ذلك رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً نبياً - وقال ﷺ: ( **لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي** ) [2].

والآية التي استشهد بها ابن كثير هى قوله تعالى: ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق**

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٥٨/١

(٢) تفسير ابن كثير ٣٧٧/١-٣٧٨ ( بتصرف ). ومسند الإمام أحمد ٣٨٧/٣، وارواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ٣٤/٦-٣٥ وقال: حديث حسن.

لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [1].

فشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي العلم اليقيني بأنه رسول الله، كلفه الله بإبلاغ أوامره ونواهيه إلى عباد الله، وأوجب طاعته في كل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وألاّ يعبد الله إلاّ بما جاء به، وأنَّ كل من سلك طريقا غير سنته فمصيره إلى النار، وأنه بلّغ العباد ما أُرْسِل به، وبيَّن لهم دينهم أتمَّ بيان، وأنّه عبد الله أكرمه الله بالرسالة، وليس له من العبادة شيء، بل العبادة كلها لله تعالى.

وهاتان الشهادتان متلازمتان أى شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله. فلا تقبل إحداهما دون الأخرى.

فمن شهد أن لا إله إلا الله ولم يشرك به شيئا، ولم يشهد أن محمداً رسول الله، فهو كافر وخالد في النار، وإن جاء بعبادة أهل الأرض. ومن شهد أن محمداً رسول الله، وأشرك بالله شيئا شركاً كبيراً، فهو كافر خالد في النار. فلابد من اجتماع هاتين الشهادتين في العبد حتى يكون موحِّدا.

وأمَّا مجرد النطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، مع عبادة غير الله، وتعلق القلب بمن يعتقدهم أولياء من دون الله، وطلب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١

الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله منهم، مع مخالفة أوامر رسول الله ﷺ وارتكاب ما نهى عنه، فإن ذلك لا يفيد شيئا ولا يكون الإنسان مسلماً [1].

ولقد أفرد ابن كثير جزءاً في كتابه البداية والنهاية عن مبعث نبينا محمد ﷺ ذكر فيه ما حصل للرسول ﷺ من أمارات النبوة، وتأييد الله له وحفظه ورعايته له ﷺ مما أيقن به أهل الكتاب من كتبهم السماوية. ولكن الحسد والكبر، وكون هذا النبي ليس من بني إسرائيل، حملهم على عدم الإيمان به إلاّ القلة.

وقد بلغ ذلك من الوضوح واليقين حداً ذهل له أهل الشرك من كفار مكة خصوصاً وغيرهم من الكفار والمشركين عموما، بما لا يدع مجالا للشك في صدق هذا النبي، وأنه مرسل من قبل الله تعالى يجب على كل من سمع به أو دُعِيَ إلى سبيله إتباعُه والإيمان به، وأنّه لا صلاح للعباد، ولا نجاح، ولا حياة طيبة، ولا سعادة في الدَّارين، إلاّ بمتابعة رسوله ﷺ فيما جاء به من عند ربه [2].

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري صـ ٣٨-٣٩

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢/٣٠٦-٣١٩

قال تعالى: ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ﴾ [1].

ويستدل ابن كثير بهذه الآية أيضاً على أنَّ من عمل بما أمر الله به وعمل بما أمر به رسوله ﷺ، وابتعد عما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله ﷺ فإنَّ له الكرامة وله الجنّة في الآخرة، وهذا ما يطلبه المسلم العاقل. لذا كان على المؤمن أن يجرد المتابعة للرسول ﷺ كما هو مقتضى تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله.

فيقول ابن كثير: " إن من عمل بما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، فإن الله عزَّ وجلَّ يمكنه دار كرامته، ويجعله مرافقا للأنبياء، ثم لمن بعدهم في المرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم " [2].

ويبين ابن كثير أنَّ من خصائص الرسول ﷺ التي تفرَّد بها عن إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنّه أكملهم وسيدهم وخطيبهم وإمامهم وخاتمهم، وليس أحد منهم إلاّ قد أُخِذَ عليه الميثاق لئن بُعِثَ محمد ﷺ وهو

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩-٧٠

(٢) تفسير ابن كثير ١/٥٢١-٥٢٢

حَيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأُمِر أن يأخذ على أمَّتِهِ الميثاق بذلك فلابُدَّ من الإيمان به، ونصرة دينه بالقول والفعل في السر والعلن [1].

ويقول ابن كثير رحمه الله: " إنَّ الأنبياء عليهم السلام كل منهم قد أوتى من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم، سواء آمنوا به ففازوا بثواب إيمانهم أو جحدوا فاستحقوا العقوبة " [2].

وجاء في مسند الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يؤكد إتباع الصحابة للرسول ﷺ وتأسيهم به وأخذ ما جاء عنه في كل شيء، وهذا يدل على أنَّه يجب على أمَّة محمد ﷺ إتباع شرعه وأن فيه الخير كل الخير، وعدم الابتداع فإن فيه الشر والخسران في الدنيا والآخرة.

فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال عندما قبل الحجر الأسود: ( **أما والله لقد علمت أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك** ). ولما أراد عمر رضى الله عنه أن يترك الرَّمَلَ في الأشواط الثلاثة وقال: ( **مالنا وللرَّمَل.. إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله** ). رجع فقال: ( **شيء صنعه رسول الله ﷺ فلا نحب أن نتركه** ).

---

(١) انظر الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير صـ ١٤٣ - ١٤٤

(٢) شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير صـ ١٣٥

وهكذا نجد الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم ممن اقتفى أثر نبي الهدى ﷺ وسار على نهجه قد حققوا شهادة أن محمداً رسول الله على المعنى الصحيح الذي وضّحه ﷺ [1].

ويواصل ابن كثير تقرير ذلك وتوضيحه في تفسيره لآيات أخرى من كتاب الله، فمن ذلك ما ذكره عند تفسير الآية التالية من سورة النساء من أن محمداً ﷺ قد جاء بالهدى والبيان من عند الله تعالى فمن آمن وصدق ما جاء به فهو خير له وسعادة يحصل عليها في الدنيا والآخرة، وأنَّ من كفر وجحد وعاند فإنّه يضر نفسه والله غنى عنه.

وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا فإنَّ لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ﴾[2]. ثم يذكر معنى الآية فيقول: " أي: قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله عز وجل فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيراً لكم. ثم قال:

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود ٢/٢٩٢، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ٢/٩٢٥

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٠

﴿ وإن تكفروا فإنَّ لله ما في السموات والأرض ﴾ أي: فهو غني عنكم وعن إيمانكم ولا يتضرر بكفركم كما قال تعالى: ﴿ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنَّ الله لغني حميد ﴾ [1]. وأكمل تفسير الآية فقال: " ﴿ وكان الله عليما حكيماً ﴾ أي: حكيما في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره "[2].

وأورد ابن كثير الحديث المشهور الذي اشتمل على بيان أركان الإسلام وذكر أن شهادة أن لا إله إلا الله مع شهادة أن محمداً رسول الله هما الركن الأول من أركان الإسلام ولا يستقيم إيمان العبد إلا بالإتيان بهما جميعا وتحقيقها معا:-

عن جابر عن عامر عن جرير رضى الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ ( **بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان** ) [3].

ولأهمية تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله وتجريد المتابعة للرسول ﷺ بين الله تعالى أن طاعة رسوله محمد ﷺ طاعة لله وزجر عن مخالفة رسوله

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٨

(٢) تفسير ابن كثير ٥٨٩/١

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب بيان أن للإيمان فرائض وشرائع ١٤/١ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ٤٥/١
وانظر: جامع المسانيد والسنن ١٤٢/٢. ومسند الإمام أحمد ٣٦٣/٤

ﷺ والتشبه بالكافرين فقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ [1].

ويقول ابن كثير حول معنى هذه الآية الكريمة: " يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته، والتشبه بالكافرين المعاندين، ولهذا قال: ﴿ ولا تولوا عنه ﴾ أي: تتركوا طاعته وامتثال أوامره، ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ أي: بعد ما علمتم ما دعاكم إليه " [2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [3] يقول ابن كثير: " أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر ".

ثم ذكر ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: ( **لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن[4] المغيرات خلق الله عزّ وجلّ** ).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٠

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٩٧

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧

(٤) الواشمة: الوشم أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيلة فيزرق أثره أو يخضر وقد وشمت وشما فهى واشمة. والمستوشمة: هى التي يفعل بها ذلك.

⇐⇐

قال: فبلغ امرأة من بني أسد من البيت يُقال لها أُمّ يعقوب، فجاءت إليه فقالت: بلغني أنَّكَ قُلْتَ: كيت وكيت. قال: ما لي لا ألعن مَنْ لَعَنَ رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى. فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته. فقال: إن كُنْتِ قرأتيه فقد وجدتيه، أَمَا قرأت: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ؟. قالت: بلى، قال: فإنَّ رسول الله ﷺ نهى عنه. قالت: إني لأظن أهلك يفعلونه. قال: اذهبي فانظري. فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا فجاءت فقالت: ما رأيت شيئا. قال: لو كان كذا لم تجامعنا[1]. أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري [2].

---

⇐⇐

النهاية في غريب الحديث ١٨٩/٥ -

- والنامصة: التى تنتف الشعر من وجهها. والمتنمصة: هى التي تأمر من يفعل بها ذلك

النهاية في غريب الحديث ١١٩/٥

المتفلجات للحسن: أى النساء اللآتى يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين.

النهاية في غريب الحديث ٤٦٨/٣

(١) لم تجامعنا: أو ( لم نجامعها )، قال جماهير العلماء معناه لم نصاحبها و لم نجتمع نحن وهي، بل كنا نفارقها ونطلقها.

تعليق فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم، كتاب اللباس ١٦٨/٣

(٢) تفسير ابن كثير ٣٣٦/٤

وانظر صحيح البخاري كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن ٣٠٢/٧-٣٠٣ ولفظ الحديث فيه ينقص عما ذكره ابن كثير.

وصحيح مسلم كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة الخ. ١٦٧٨/٣

ومِمَّا أورده ابن كثير أيضا في تفسيره - من وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ وأن هذا من مقتضيات شهادة أن محمَّداً رسول الله - ما جاء في توضيح معنى آية أخرى في كتاب الله هى قوله تعالى: ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ [1].

فقال ابن كثير رحمه الله: " أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع، وفعل ما به أمر، وترك ما عنه نهى وزجر. ثم قال: ﴿ فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ أي: إن نكلتم عن العمل فإنّما عليه ما حُمِّل من البلاغ وعليكم ما حُمِّلْتم من السمع والطاعة. قال الزهري: مِنَ الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم " [2].

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٢

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣٧٥

## المبحث الثالث:

### تحقيق بقية أركان الإسلام:

**أولاً: الصلاة:**

الصلاة: صلة بين العبد وخالقه وفاطره، يتقرَّب بها إلى الله تعالى، ويرفع بها إليه حوائجه، ويتطهر بها من ذنوبه، وتشتمل على أنواعٍ من العبادات القولية والفعلية.. عبادات للقلب والجوارح لا تجتمع في غيرها.

وهى عون على الشدائد وصعوبات الحياة. قال تعالى: ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ [1] والصلاة عمود الدين وثاني أركان الإسلام ولا دين لمن لا صلاة له. وإقامة الصلاة إيمان وإضاعتها كفر.

قال ابن الأثير رحمه الله: قد تكرَّر ذكر " الصلاة، والصلوات " وهى العبادة المخصوصة. وأصلها في اللُّغة: الدعاء. فسمِّيت ببعض أجزائها. وقيل: إنَّ أصلها في اللُّغة التعظيم. وسُمِّيَت العبادة المخصوصة صلاة لِمَا فيها من تعظيم الرب تعالى. وقوله في التشهد: " الصلوات لله " أي: الأدعية التى يُراد بها تعظيم الله تعالى هو مستحقها لا تليق بأحَدٍ سواه [2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٥٠ مادة ( صلا ).

ومِمَّا ورد في الصلاة وما تحمله من معان قيِّمة، ما جاء في كتاب المفردات للراغب: قال: قال كثيرٌ من أهل اللُّغة: هي الدعاء والتبرك والتحميد، يقال: صلَّيت عليه أي: دعوت له. ومنها: أنَّ الصلاة من الله للمسلمين: تزكيته إيَّاهم. قال تعالى: ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [1].

ومنها: أنَّ الصلاة من الملائكة: هي الدعاء والاستغفار، كما هي من النَّاس. قال تعالى: ﴿ إن الله وملائكته يصلُّون على النَّبيِّ ﴾ [2].

والصلاة من العبادات التي لم تنفك شريعة منها وإن اختلفت صورتها بحسب شرع فشرع [3]، ولذلك قال تعالى: ﴿ إنَّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ﴾ [4].

وأورد صاحب مختار الصحاح في المعنى اللغوي للصلاة قوله: " الصلاة " الدعاء. والصلاة من الله تعالى الرحمة. والصلاة واحدة: " الصلوات " المفروضة [5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٧

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٨٥ مادة ( صلا ).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٣

والصلاة بمعنى: الدعاء، والرحمة، والاستغفار، وحسن الثناء من الله عزَّ وجلَّ على رسوله ﷺ. وعبادة فيها ركوع وسجود اسمٌ وُضِعَ موضع المصدر وصلى صلاةً لا تصلية دعا [1].

## ذكر ابن كثير لفضل الصلاة وأهميتها:

يوضح ابن كثير أهمية الصلاة وفضلها وأنَّها أشرف العبادات البدنية ويؤكد دعوة المسلمين إلى قامتها والمحافظة عليها، وتحذيرهم من تركها أو التهاون في إتمامها، وأداء شرائطها وأركانها. وذلك من خلال تفسيره الآيات الكريمة التى فيها ذكر الصلاة، كما أنَّه يستشهد بالأحاديث الصحيحة، وبعض الآثار على ذلك. ويورد شيئاً من الاستنباطات لهذه الفريضة العظيمة التى هى من أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين.

ونبدأ بذكر ما أورده ابن كثير من أقوال بعض الصحابة وبعض التابعين في المراد من الصلاة، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ [2].

فقال ابن عباس [3] رضي الله عنهما: ويقيمون الصلاة أي: يقيمون الصلاة بفروضها.

---

⇐⇐

(٥) مختار الصحاح صـ ٣٦٨ مادة ( صلا ).

(١) القاموس المحيط ٣٥٣/٤ مادة ( الصلاة ).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣

وقال الضحـاك [1] عـن ابـن عبـاس: إقامـة الصـلاة إتمـام الركـوع والسـجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها.

وقال قتادة [2]: إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعهـا وسجودها.

---

⇐⇐

(٣) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشـم بـن عبـد منـاف القرشـي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكنى أبا العباس.

وُلِدَ والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالشعب، فـأُتِيَ بـه إلى النبي صلـى الله عليه وسلم فحنّكه. ويسمى ( البحر ) لسعة علمه كما يسمى ( حبر الأمّة ).

يقول ابن عباس: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسـلم وقـال: اللهـم علمـه الحكمة. انظر: تحفة الأحوذي، كتاب المناقب ٣٢٧/١٠

توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ وهو ابن سبعين. انظر: أسد الغابة.. لعلي الجزري ٣٩٤/٣

(١) الضحاك: هو ابن مزاحم الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، كـان مـن أدعيـة العلـم، وكان فقيهاً، له باع في التفسير والقصص، عاش ببلخ وسمرقند يُعَلِّـمُ ولا يـأخذ أجـراً، توفي عام ١٠٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٩٨/٤

(٢) هو قتادة بن دعامـة بـن قتـادة بـن عزيـز، حـافظ العصـر، قـدوة المفسـرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير. وُلِدَ سـنة ٦٠ هـ. كـان مـن أوعيـة العلـم وممن يضرب بهم المثل في الحفظ. مات سنة ١١٧هـ بواسط.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/٥

وقال مقاتل بن حيان [1]: إقامتها المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي ﷺ. فهذا إقامتها [2].

ثم يقول رحمه الله: كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال فإنَّ الصلاة حق الله وعبادته، وهي مشتملة على توحيده، والثناء عليه، وتمجيده، والابتهال إليه، ودعائه، والتوكل عليه. ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: ( **بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت** )[3].

وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء، ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة. قال ابن جرير:

---

(١) مقاتل بن حيان بن دَوَال دور، الإمام العالم المحدث الثقة، المفسر، أبو بسطام النبطي، الحزاز. ذهب إلى كابل فدعاهم إلى الله فأسلم على يديه خلق كثير. توفي في حدود عام ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/٣٤٠

(٢) تفسير ابن كثير ١/٤٤

(٣) انظر: صحيح البخاري ١/١٤ حديث رقم ٧ من باب الإيمان. وقد ختم الحديث هنا بالحج بدل الصوم.
وانظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/٤٥ كتاب الإيمان حديث ٢١ وقد ختم الحديث فيه بالصوم بدل الحج.

وأرى أنَّ الصلاة سُمِّيَت صلاة لأنَّ المُصَلِّي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجاته[1]. وقيل: هي مشتقة من الصِلِيّ، وهو: الملازمة للشيء من قوله تعالى: ﴿ لا يصلاها ﴾ أي: لا يلازمها ويدوم فيها ﴿ إلاَّ الأشقى ﴾ [2]. وقيل: مشتقة من تصلية الخشبة في النّار لتقوّم كما أنَّ المصلي يقوِّم عوجه بالصلاة: ﴿ إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ [3]. واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر [4].

وأداء الصلاة المفروضة في أوقاتها المخصوصة تحتاج من الداعية الذي يدعو المسلمين للمحافظة على هذه الشعيرة أن يبين لهم تلازم الصبر مع الصلاة وضرورته لها. وهذا ما أوضحه ابن كثير عند تفسيره لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنَّه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ [5].

حيث يقول رحمه الله: " وهذا من الثناء الجميل والصفة الحميدة والخلة السديدة، حيث كان صابراً على طاعة ربه آمراً بها أهله ".

---

(١) تفسير ابن جرير ١٠٤/١

(٢) سورة الليل، الآية: ٤٥

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤٢/١-٤٣

(٥) سورة مريم، الآيتان: ٥٤-٥٥

كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ [1].

كما قال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة. . . ﴾ [2]، أي: مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر، ولا تدعوهم هملاً فتأكلهم النّار يوم القيامة [3].

وقد أورد ما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( **رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح** [4] **في وجهها الماء. ورحم الله امرأةً قامت من الليل فصلّت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء** ) [5].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦

(٣) تفسير ابن كثير ٣/١٢٥-١٢٦ ( بتصرف ).

(٤) النضح: رش الماء مما في يدى الإنسان على أخيه.
انظر النهاية في غريب الحديث ٥/٧٠ مادة ( نضح ).

(٥) رواه أبو داود في سننه ٢/٣٣ كتاب الصلاة الحديث رقم ١٣٠٨، وسنن ابن ماجه ١/٤٢٤ الحديث رقم ١٣٣٦ وسنن النسائي ٣/٢٠٥ الترغيب في قيام الليل وذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في الجامع الصغير رقم ٣٤٨٨ وقال: صحيح.

والصلاة لها مكانة عظيمة في دين الإسلام فهي عماده. وتتجلّى أهميتها بكونها العبادة الوحيدة التي فُرِضَت على الرسول ﷺ بلا واسطة، حيث عُرِجَ بالرسول ﷺ إلى السماء السابعة.

وأوّل ما فُرِضَت الصلاة كانت خمسين صلاة في اليوم واللّيلة، ثم خُفِّفَت إلى خمس صلوات. وهذا فضل من الله تعالى على أُمَّة محمَّدٍ ﷺ، فهي في الفعل خمس صلوات وفي الأجر والثواب عند الله تعالى بخمسين صلاة. ونبي الله موسى له دور عظيم في تخفيف الصلاة، فلقد كان نبينا محمَّد ﷺ يتردَّد بينه وبين الله تعالى، وموسى يقول لنبينا محمَّدٍ ﷺ: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإنَّ أُمَّتك لا تطيق هذا. فجزى الله موسى عليه السلام عن أُمَّة محمَّد ﷺ خير الجزاء [1].

وممَّا أورده ابن كثير في شأن فضل الصلاة، ومكانتها من دين الإسلام والحث على الإهتمام بها، والمحافظة عليها، والتحذير من التساهل في أدائها، وأشد من ذلك تضييعها وتركها، والوعيد الشديد من الله تعالى لمن يضيع فريضة الصلاة، ما ذكره في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * [2] إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/٤٥٩ ( بتصرف ).

(٢) غيا: أى عذابا. المفردات في غريب القرآن صـ ٣٦٩

صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ [1] فيقول رحمه الله: " لما ذكر الله حزب السعداء، وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتّبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره، المؤدين فرائض الله، التاركين لزواجره، ذكر أنه ( **خلف من بعدهم** ) أي: قرون أُخَر ( **أضاعوا الصلاة** ) وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع، لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أى خسارا يوم القيامة " [2].

والله تعالى أمر نبيه بأن يأمر أهله بالصلاة والصبر على أدائها وبين أن العاقبة الطيِّبة في الدُّنيا والفوز بالآخرة لمن اتّقى الله تعالى.

وهكذا نجد الإمام ابن كثير رحمه الله يعظم شأن الصَّلاة في نفوس المؤمنين، وهذا شأن الداعية إلى الله تعالى في دعوته بما أفاض به من تذكيرٍ وتحذيرٍ وبيانٍ وتفسيرٍ لمعاني الآيات المذكورة وغيرها ممَّا ورد في شأن الحث على الصَّلاة، والمحافظة على أدائها، ومنها الآية التى نوَّه بها أخيراً، وهى قوله تعالى: ﴿ **وأْمُرْ أهلك بالصَّلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتَّقوى** ﴾ [3] فيقول في تفسيرها: " أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥٩-٦٠

(٢) تفسير ابن كثير ١٢٧/٣

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢

الصَّلاة، واصبر أنت على فعلها، كما قال تعالى في الآية المشار إليها سابقاً: ﴿ يا أيُها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ [1] وهو يعزِّز دعوته، ويؤكد غيرته على هذه الفريضة العظيمة بما أورده من أحاديث في بيان فضل الصَّلاة والحرص على أدائها ".

ثم يورد حديثاً يبين فيه أنَّ الإقبال على الله تعالى، والتفرغ لعبادته، فيه الخير والغنى وسد الخُلّة [2]، وأنَّ التساهل في أداء العبادة وعدم الإقبال عليها يجلب للعبد الضيق والهمّ. وهو ماروي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( **يقول الله تعالى: يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً،وأسُدّ فقرك، وإنْ لم تفعل ملأت صدرك شُغْلاً ولم أسُدّ فقرك** ) [3].

وكلّ هذا دليلٌ على عظم اهتمامه بإظهار أهمية الصَّلاة والدعوة إليها بما أفاض به في تفسير الآيات وما استشهد به من القرآن أولاً والحديث ثانياً [4].

وابن كثير رحمه الله له باع كبير في فنون العلوم الشرعية، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الدَّاعية إلى الله تعالى. ففي موضوع الصَّلاة نجده قد تناول هذا الموضوع في كتب الحديث والتفسير والتاريخ، وبيَّن ما يتعلّق بها من أحكامٍ وآدابٍ وسُنَنٍ.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦

(٢) الخلة: بالفتح الحاجة والفقد والخصاصة. القاموس المحيط ٣/٣٧٠ مادة ( خَل ).

(٣) انظر: سنن الترمذي ٤/٦٤٣ حديث رقم ٢٤٦٦ صفة القيامة. وسنن ابن ماجه ٢/١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٧، كتاب الزهد.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٧١ ( بتصرف ).

ومن ذلك الحديث الذي خرجه في كتابه " جامع المسانيد " من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: ( **كان النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي الصَّلوات الخمس كنحو صلاتكم التي تُصَلُّون، ولكنّه كان يخفِّف، كانت صلاته أخفَّ من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور** ) [1].

وفي كتابه " البداية والنهاية " أورد رحمه الله كيفيَّة الصَّلاة وأوقاتها حينما جاء جبريل عليه السلام صبيحة ليلة الإسراء إلى نبينا محمَّد ﷺ وصلَّى به جبريل والمسلمون يأتمون بالنَّبي ﷺ [2].

كما أورد حديث السائب بن يزيد رضى الله عنه قال: ( **فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر وأُقِرَّت صلاة السفر** )[3] وإسناده صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة برقم ٤٥٨. ومسند الإمام أحمد ٥/١٠٤

(٢) انظر البداية والنهاية ٣/١١٧-١١٨، وأخرجه البخاري في المناقب برقم ٣٨٨٧، ومسلم في كتاب الإيمان برقم ١٦٢، وصحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني ١/٤٤٢-٤٤٣ ثم قال: وهو صحيح. وتفسير ابن كثير ٣/٢ حيث ساق ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج. وقد تكلم الدكتور عادل عبد الغفور على أحاديث الإسراء والمعراج من صـ ٩٠٠ إلى ٩٩١.

فمن أراد التفصيل فليراجع رسالته ( دراسة مرويات العهد المكي من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ) والمقدمة لشعبة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة برقم ٣٥٠، ومسلم في صلاة المسافرين برقم ٦٨٥. وانظر المعجم الكبير للطبراني ٧/١٨٤، وجامع المسانيد لابن كثير ٣/٢٥٣-٢٥٤

وقد تناول ابن كثير موضوع الصَّلاة وبيَّن ما يتعلق بها في عدَّة مؤلفاتٍ له، وهذا يبيِّن للقاريء سعة علمه وحرصه على إيصال الخير إلى الغير، ويعطي الدَّاعية إلى الله تعالى بما قدمه له من مَثَلٍ وقُدْوَةٍ حافزاً وقوّةً في طلب العلم وتحصيله ونشره والدعوة إلى الحق والصبر على الأذى فيه.

**ثانيا: الزَّكاة:**

الزَّكاة: من الزَّكاء وهو النماء والزيادة، سُمِّيَت بذلك لأنها تُنَمِّر المال وتنميه، يقال: زكا الزَّرع إذا كثر ريعه، وزكت النفقة إذا بورك فيها [1].

وقال ابن فارس: الزكاة: زكاة المال وسميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاة المال، وهي زيادته ونماؤه. وقال قوم: سميت زكاة لأنها طهرة، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ [2] والزكاة النماء [3].

وعرَّف الجرجاني الزَّكاة في اللغة: بأنَّها الزيادة. وفي الشرع: عبارة عن إيجاب طائفةٍ من المال في مالٍ مخصوصٍ لمالكٍ مخصوصٍ [4].

---

(١) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة عبد الله بن مسلم ١٨٤/١، ولسان العرب ٩٠/١-٩١ مادة ( زكا ).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٣٧/٢ مادة ( زكو ).

(٤) كتاب التعريفات صـ ١١٤

والزَّكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي واجبة بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، وإجماع الأُمَّة [1].

والزَّكاة جاء ذكرها في القرآن العظيم في عدَّة مواضع من سور القرآن وغالباً ما تكون الزَّكاة مقترنة بالصَّلاة، فالصَّلاة عبادة بدنية روحية، والزَّكاة عبادة مالية تطهر النفس وتزكيها، كما تنمي المال وتبارك فيه. وهي ليست تبرعاً من الغَنِيِّ يمتُّن بها على الفقير، ويدَّعي بها فضلاً له عليه إذا أدّاها، وإنَّما هي حقٌّ للسائل والمحروم كما قال تعالى: ﴿ وفي أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم﴾[2].

## ما ذكره ابن كثير في فضل الزَّكاة والترغيب في إيتائها:

ذكر ابن كثير ثمرة إيتاء الزَّكاة التي تعود على مؤدِّيها في العاجل والآجل، وهذا لا شك في أنَّه دعوة للمسلمين لأداء هذه الفريضة لنيل الثواب من الله تعالى والسعادة في الدُّنيا.

---

(١) المغني لابن قدامة ٢/٥٧٢

(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٩

قال تعالى: ﴿ وأقيموا الصَّلاة وءاتوا الزَّكاة وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله إنَّ الله بما تعملون بصير ﴾ [1].

ويوضح ابن كثير معنى هذه الآية فيقول: " يحثهم الله تعالى - أي المؤمنين - على الإشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من إقام الصلاة، وإيتاء الزَّكاة، حتّى يمكّن الله لهم النصر في الحياة الدُّنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللَّعنة ولهم سوء الدار ﴾ [2] ولهذا قال تعالى: ﴿ إنَّ الله بما تعملون بصير ﴾ يعني: أنّه تعالى لا يغفل عن عملِ عاملٍ، ولا يَضِيعُ لديه، سواء كان خيراً أو شرّاً، فإنّه سيجزي كلّ عاملٍ بعمله " [3].

والزَّكاة وإن كانت فريضةً من فرائض الدين، إلاّ أنَّ النَّفس الإنسانية جُبِلَت على حبِّ المال والتمسك به، ولذا رغّب الله تعالى عباده في سبيل الله عموماً، بل سمَّاه تعالى قرضاً له. كما قال تعالى: ﴿ إنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُم ويَغْفِر لكُم والله شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [4]. وهذا أسلوبٌ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٠

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٢

(٣) تفسير ابن كثير ١٥٤/١

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٧

عظيمٌ، ومطلَبٌ كبيرٌ في سبيل الدَّعوة للبذل والإنفاق، وبيان أنَّ ما ينفقه الإنسان المسلم تعود فائدته عليه في الدُّنيا بالنَّماء وتزكية نفس المُزَكِّي والمُنفِقِ، وتطهيرها من دَنَسِ الإثم، كما يعود عليه في الآخرة بالثَّواب والأجر. وفي الإنفاق سَدٌّ لحاجة الفقراء والمساكين، وتفريجٌ لهَمِّ المدينين والمساعدة على تحرير الأرقاء، وإرفاد ابن السبيل. وفي ذلك نشرٌ لروح الأخوَّة والمودَّة والتعاون بين المسلمين، وإظهارٌ لهذه الشعيرة التى كادت تختفى أو ألاَّ تظهر كما تظهر بقية أركان الدين.

فالآية الكريمة آنفة الذِّكر أسلوبٌ ناجحٌ في علاج النفوس من أدواء الشح والحرص والبخل. وإشعار النفوس بأنَّ هذا قرض لله تعالى تأكيد لاستحقاق الثَّواب والأجر في الآخرة، لأنَّ القرض لا يكون على عِوَض.

وهذا المعنى أكد عليه ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ ومِمَّا رزقناهم ينفقون﴾ [1] فقال: والإنفاق هومن الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم. وأَوْلَى الناس بذلك هم القرابات والأهلون والمماليك ثم الأجانب، فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله سبحانه: ﴿ ومِمَّا رزقناهم ينفقون ﴾ [2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣

(٢) تفسير ابن كثير ٤٢/١

⇐⇐

وهى من محاسن الدين مبنية على الإخاء والتعاطف والتراحم والتعاون والتكافل. وهى إعانة من الأغنياء لإخوانهم الفقراء الذين لا مال لهم، ودفع للضغائن متى ما أداها الأغنياء إلى المحاويج زالت من قلوبهم مشاعر الغل والحَسَد، وتألّفت قلوب الجميع، وبهذا تعتبر من مقومات البقاء وأسباب صلاح الدنيا والآخرة.

وقد أظهر ابن كثير هذا الجانب الذي تميَّز به نظام الإسلام في هذه العبادة المالية التى تحقق التكافل الإجتماعي، فضلا عن كون الإسلام قد حثَّ على فعل الخير بشتى الوسائل والطرق حتى أصبح عمل البر والإحسان هو أوسع السُّبل لطلب ما عند الله من الأجر والثواب.

كما تناول موضوع هذه الفريضة بالإيضاح مبينا بداية فرضيتها وأنها في السنة الثانية للهجرة بالمدينة، ولكن هذا التاريخ الذي ذكره إنما كان لتحديد مقاديرها وأنصبتها، أمَّا أصل الزكاة فقد شُرِعَ بمكّة دون تحديد للأنصبة وللمقادير قال تعالى: ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ [1].

---

⇐⇐

وللاستفادة انظر: كتاب العلم والعلماء لأبي بكر الجزائري صـ ٤٨. وكتاب الزكاة فلسفتها وأحكامها للدكتور على محمد الغماري صـ ١٤-١٥

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إنَّما الصَّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلَّفة قلوبهم وفي الرِّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم ﴾ [1]. يبيِّن أنَّ الله تعالى هو الذى تولّى قسمة الزكاة بنفسه، فلم يتركه لنبيٍّ ولا لغيره، بل جعل الأمر له وحده حتى تستقيم النفوس وتتخلّص ممَّا يكون فيها لأن المال قد جُبِلَت النفوس على حبه والحرص عليه. وقد عرض الأصناف المذكورة بالتفصيل وبيَّنها أتم بيان عند قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿ خُذْ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصَلِّ عليهم إنَّ صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾[2] وقال: " أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأخذ الأموال من عباد الله المؤمنين في أمر الزكاة وبيَّن أنَّ ذلك تزكية لنفوسهم وأموالهم وامتثال لأمر الله تعالى وطاعة له فالمال مال الله [3] والإنسان مستخلف على هذه الأرض لعمارتها وعبادة الله تعالى فيها ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [4].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٨٥

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦

وتتجلى بوضوح نظرة ابن كثير الواعية إلى فريضة الزَّكاة وإبرازه لأهميتها وخطرها من خلال تفسيره للآيات الكريمة المتعلقة بها عند عرضه لطائفة من أحاديث الرسول ﷺ التى تتناول هذه الفريضة.

ومن ذلك ما بينه عند تفسير قوله تعالى في آخر سورة الحج: ﴿ فأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة ﴾ [1] فقال: " إنَّ من سُنَّة الله تعالى أن يقرن بين الدَّعوة للصَّلاة التى هى ثاني أركان الإسلام، والدَّعوة إلى الزَّكاة التى هى ثالث أركان الدين، ليعلم عباده المؤمنين أنَّ الصَّلاة من شأنها أن تحمل على الزكاة، وأنَّ المؤمنين حقيقة هم الذين يخشعون في صلاتهم ويؤدونها كاملة وهم الذين يؤدون زكاة أموالهم طيِّبة بها نفوسهم ابتغاء ما عند الله، وأنَّ مقابلة نعمة الإيمان والإسلام القيام بشكر المنعم وهو الله تعالى بأداء حقه على عباده، وذلك في أداء ما افترضه عليهم بطاعته فيما أوجب وترك ما حرَّم. ومن أهم ذلك إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وهو الإحسان إلى خلق الله بما أوجب للفقير على الغنيِّ من إخراج جزء نزر من ماله في السَّنَةِ للضعفاء والمحاويج [2]، لأنَّ ذلك من أفضل الأعمال المتعدية في النفع والإحسان وسدِّ الخُلَّة إلى صلة وبر الخلائق " [3].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨

(٢) تفسير ابن كثير ٢٣٧/٣. وانظر دعوة الرسل إلى الله تعالى لمحمد أحمد العدوي صـ ٤٩٢

(٣) تفسير ابن كثير ٣٤١/٣.

وهكذا نتبيَّن دعوة ابن كثير إلى بيان حكم الزكاة الكثيرة والتى منها تطهير المال من الدنس، وسلامته من الآفات، وتخليص النفس من رذيلة البُخْلِ، وتحليتها بفضيلة الجود والكرم، وإعطاءُ الزَّكاة له أطيبُ الأثر في النفس الإنسانية، لأنَّ الإنسان يُقَدِّر طبعاً إحسان من أحسن إليه، وقد جُبِلَت النفوس على حب من أحسن إليها.

والأخوة الإسلامية لا تتم إلا بإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وذلك بعد إعلان الشهادة. قال سبحانه: ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة فإخوانكم في الدين ونفصِّل الآيت لقومٍ يعلمون ﴾ (١).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصَّلاة وءاتوا الزَّكاة فخلوا سبيلهم إنَّ الله غفور رحيم ﴾ (٢).

وقد بيَّن ابن كثير كذلك جانب الوعيد الشديد لمن لا يؤدي زكاة ماله بعد وجوبها عليه شرعاً، فأبرز وفصَّل العقوبات التى تلحق الكانزين لأموالهم الذين لا يُخرِجُون حق الله فيها للمستحقين من الأصناف التى أوردتها آية الصَّدقات. وذلك عند شرحه لمعنى قوله تعالى: ﴿ والذين يَكْنِزُونَ الذَّهب

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥

والفضَّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذابٍ أليمٍ * يوم يُحْمَى عليها في نار جهنَّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾[1].

كما يبرز ابن كثير أهمية الزَّكاة ومكانتها في الدين ويؤكد وجوب دعوة المسلمين لإظهارها وأداء حق الله تعالى بما حدث من أبي بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه وموقفه العظيم من مانعي الزكاة، وأنَّه اعتمد في قتالهم على قوله سبحانه ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصَّلاة وءاتوا الزَّكاة فخلوا سبيلهم ﴾ [2] وغير ذلك من الآيات. وعلى الأحاديث النبوية التى حرَّمت القتال بشرط الدخول في الإسلام، والقيام بأداء واجباته، ونبَّه بأعلاها على أدناها فإنَّ أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصَّلاة التي هى حق الله عزَّ وجلَّ، وبعدها أداء الزَّكاة التى هى نفعٌ مُتَعَدٍّ إلى الفقراء والمحاويج، وهى أشرف الأفعال المتعلِّقة بالمخلوقين [3]. ثم ذكر حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ( **أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتَّى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصَّلاة، ويؤتوا الزَّكاة،**

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥

(٣) تفسير ابن كثير ٣٣٦/٢. وانظر: تيسير العلاَّم شرح عمدة الأحكام لعبدالله البسام صـ ٣٤٨، والمنهل الحديث في شرح الحديث لموسى لاشين، وعبد العال أحمد عبد العال ٨٢/٤

**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها، وحسابهم على الله )**[1]. وحديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: لَّما توفي رسول الله ﷺ واسْتُخْلِفَ أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر ابن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: **( أُمِرْتُ أنْ أقاتل النّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلاَّ بحقه وحسابه على الله )** ؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصَّلاة والزَّكاة، فإن الزَّكاة حق المال. والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب: فوالله ماهو إلاَّ أن رأيت الله عزَّ وجلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق "[2].

ثم يذكر ابن كثير تضعيف الأجرمن قِبَلِ الله تعالى لمن أدَّى زكاة ماله طيِّبة بها نفسه. وفي هذا ما فيه من حثٍّ ودعوةٍ للمسلمين لسائر وجوه الإنفاق وخاصة فريضة الله الزَّكاة. قال تعالى: ﴿ **وما ءاتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥، وصحيح مسلم ٥٣/١ كتاب الإيمان حديث رقم ٣٦

(٢) الحديث متفق عليه. انظر: صحيح البخاري ٢١٦/٢ - ٢١٧ كتاب الزكاة وصحيح مسلم ٥١/١-٥٢ كتاب الإيمان الحديث رقم ٣٢

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٨

ويورد ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( **من تصدَّق بعدل تمرة من كسبٍ طيِّبٍ، ولا يصعد إلى الله إلا الطيِّب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه** [1] **حتى تكون مثل الجبل** ) [2].

ويقول ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ والذين هم للزَّكاة فاعلون ﴾ [3] إنّه يحتمل أن يكون المراد من الزَّكاة هنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله سبحانه: ﴿ قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها ﴾ [4] وكقوله: ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزَّكاة ﴾ [5] على أحَدِ الوجهين في تفسيرهما. وكان قد ذكر قبل ذلك أنّه قد يُراد بذلك زكاة الأموال. وقد انتهى إلى القول بأنّه يحتمل أنْ يكون كِلاَ الأمرين مزاداً أي: زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنّها من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا. وفي هذا

---

(١) الفلو: المهر الصغير. وقيل: هو الفطيم من أولاد ذوات الحافر.
غريب الحديث ٣/٤٧٤

(٢) صحيح البخاري ٩/٢٢٦ كتاب التوحيد، وقد ورد فيه بهذا النص. وفي الرواية التي أوردها ابن كثير بعض تغيير في الألفاظ مع قرب من صحيح مسلم الذي ورد فيه الحديث ٢/٧٠٢ كتاب الزكاة من تفسير ابن كثير ٣/٤٣٤

(٣) سورة فصلت آية ٧

(٤) سورة الشمس، الآيتان : ١٠-١١

(٥) سورة فصلت، الآية: ٧

دعوة للمسلمين لتزكية نفوسهم أولاً من الشرك ثم من جميع الرذائل، والتنبيه إلى أنّه لابُدَّ لتزكية النفس من أداء زكاة المال [1].

**ثالثاً: الصوم:**

الصوم في اللغة : الإمساك عن أى فعل أو قول كان.

وشرعاً : الإمساك عن المفطرات -الأكل والشرب والجماع غالباً- من طلوع الفجر إلى غروب الشمس [2].

والصوم ركن من أركان الإسلام وقد كتبه الله على أُمَّة محمَّدٍ ﷺ كما كان مكتوباً على الأمم السابقة.

وقد فرض الله تعالى الصيام على المسلمين لضرورته لهم، وسمو مكانته، وعظيم منافعه الجسمية والروحية، فهو من أقوى العبادات أثراً، وأنجحها في تهذيب النفوس، وإصلاح الخلق، واكتساب الفضائل الجليلة، والصفات الحميدة مثل الصَّبر على المكاره، والحُلُم، والشَّجاعة، والمروءة، وعلو الهمَّة، والطَّاعة، والانقياد لتكاليف الشرع.

والصوم موسم وفرصة للمسلم لكسب الدرجات ونيل الثواب العظيم من الله تعالى بما يقدمه المسلم من عملٍ وعبادة، مقرونين بالنيَّة الصَّادقة والإخلاص لله تعالى، وطلب الفوز بالجنَّة، والنجاة من النَّار. فهو ميدان فسيح لعمل البرِّ وفعل الخير وسائر وجوه الإحسان، والتقرُّب إلى الله تعالى

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٣٩ بتصرف.

(٢) المعجم الوسيط ١/٥٣٢، والتعريفات للجرجاني ١٣٦

بذكره وتلاوة كتابه الكريم، والإنقطاع إليه، والتعرُّض لنفحاته ورحماته. وفيه تهئية النفوس لطاعة الله تعالى ومراقبة الله في السر والعلن. وفيه تربية للقوة الإرادية على كبح جماح الشهوات بما اكتسبه صاحبها من الصبر على ترك ما ترغّبه النفس وتألفه وتحتاج إليه من أكلٍ وشربٍ ومتاعٍ، فيكون بذلك قويّ الإرادة في الصَّبر على ما حرَّمة الله، وما يضره في بدنه أو ماله، قويّ الإرادة في التمسك بتعاليم الدين، وامتثال أوامر الله التي من أعظمها حمل الرسالة الإسلاميَّة، وإبلاغها للناس، والدعوة إليها، والتقدُّم بها ونشرها وإعلاء شأنها، غير مبالٍ بما يلاقيه من مشقة أو صعوبات. ففي الصوم خير تربية للإنسان على التحمُّل والقوة في مواجهة جميع الأمور وفي جميع الظروف والأحوال.

كما أنَّ الصوم ينمي في النفوس خُلُقَيْنِ عظيمين هما: رعاية الأمانة والإخلاص في العمل، لأنَّه لا يُراعي فيه غير وجه الله تعالى، وهذه فضيلة كبيرة تقضي على ضعف النفوس وتمنع انحرافها إلى شر خُلُق وأخبثه، وهو خُلُق المداهنة والرياء والسمعة والنفاق.

وفي عبادة الصوم تعويد على أمتثال أمر الله تعالى كما سبق، لأنَّ فيه كبتا لِلَذّات الإنسان، وحرماناً له من هذه اللَّذات طواعية ابتغاء مرضاه الله

ويتجلى في هذه العبادة ظهور النفس المطمئنة التي لا تخضع لما سوى الله تعالى. ففي الصوم كمال الخضوع والإلتزام لحدود الله [1].

قال الإمام ابن القيم: " والصَّوم هو لرب العالمين من بين سائر الأعمال فإنَّ الصائم لا يفعل شيئا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سِرٌّ بَيْنَ العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأمَّا كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر وذلك حقيقة الصوم " [2].

## تناول ابن كثير لموضوع الصيام :

لقد تناول ابن كثير هذا الركن العظيم بكثيرٍ من صور الإيضاح والبيان ودعا المسلمين إلى العناية به والتحلّي بمكارم الأخلاق، لأنَّ الصَّوم ليس كما يفهمه بعض الناس مجرَّد صوم عن الطَّعام والشراب والوقاع، بل إنَّ الأمر فيه يتعدى إلى ماهو أبعد وأشمل من ذلك من صوم الجوارح وكفّها، وكفٌّ اللسان عن الفحش، وتزكية البدن والنفس، وتضييق مجاري الشيطان بتضييق مجاري الطعام. والصَّوم قد أوجبه الله على مَنْ قبل أُمَّة محمَّدٍ ﷺ، وهم أسوة

---

(١) انظر: جواهر البخاري وشرح القسطلاني صـ ٧٠٠ حديث، مشروحة لمصطفى عمارة صـ ٢١٢، ودعوة الرسل إلى الله تعالى لمحمد أحمد العدوي صـ ٤٩٦، وكتاب الصوم للشيخ عبد الرحمن الدوسري.

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ٢/٢٩

لنا، فهذا دليل وحافز لنا على الإجتهاد فيه للوصول إلى ماهو أكمل مِمَّا فعله أولئك.

وقد أورد ابن كثير الآيات الدالّة على ذلك وقدَّم توجيهه وإيضاحه المشار إليه عندما تعرَّض لتفسير قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا كُتب عليكم الصِّيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلَّكم تتَّقون ﴾ [1] حيث قال رحمه الله: " يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين في هذه الآية، وآمرا لهم بالصِّيام، وهو الإمساك عن الطَّعام والشراب والوقاع بنيَّةٍ خالصةٍ لله عزَّ وجلَّ، لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيهم أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك، كما قال تعالى: ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أُمَّةً واحدة ولكن ليبلوكم فيما ءاتاكم فاستبقوا الخيرات ﴾ [2] الآية. ولذلك قال ههنا ﴿ يأيُّها الذين ءامنوا كتب عليكم الصِّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتَّقون ﴾ لأنَّ الصَّوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان. ولهذا ثبت في الصحيحين:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٢

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨

**( يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصَّوم فإنَّه له وجاء )** [1].

ثم بيَّن مقدار الصوم وأنَّه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيَّام معدودات. وقد كان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيَّام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان [2].

قال الله تعالى: ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرءان هدىً للنَّاس وبيِّنات من الهدى والفرقان فمَن شَهِدَ منكم الشَّهْر فليصمه ومَن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدَّةٌ من أيامٍ أُخَر يريد الله بكم اليُسْر ولا يريد بكم العُسْر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلَّكم تشكرون ﴾ [3].

---

(١) صحيح البخاري ٦/٧ كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم ٤/٧. وصحيح مسلم كتاب النكاح ١٠١٩/٢، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنته ١٠١٨/٢

(٢) تفسير ابن كثير ٢١٣/١

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥

وفي معنى هذه الآية يوضِّحُ ابن كثير أنَّ الله تعالى قد امتدح عباده المؤمنين بأنَّه قد امتنَّ عليهم بشهر الصَّوم، وذلك لما اختاره سبحانه من بين سائر الشُّهور لإنزال القرآن الكريم، دستور أُمَّة محمَّدٍ ﷺ، هذا الكتاب الذي فيه الهداية والإرشاد وتفصيل كل شيء وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون، فهو منهج حياة شامل لجميع نواحيها، فيه الدَّعوة إلى الله تعالى بالحجج والبراهين ﴿ هدىً للنَّاس وبينات من الهدى والفرقان ﴾، وقد بيَّن الله شرف هذا الكتاب - القرآن الكريم - الذي نزل في شهر رمضان فقال جلَّ ذكره: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إنَّا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ [1].

فالقرآن الكريم أنزله الله تعالى هدايةً ودعوةً وإرشاداً لقلوب العباد مِمَّن آمن به وصدَّقه واتَّبعه.

وفيه البراهين الساطعة والدلالات الواضحة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، وهي دالة لمن عقلها وتدبرها على صحة ماجاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغيِّ، ومفرِّقاً بين الحق والباطل والحلال والحرام.

---

(١) سورة القدر، الآيات: ١-٣

وقد امتثل النبيُّ الأمين نبينا محمَّدٌ ﷺ الأمر الإلهي فقام بإبلاغ القرآن وبيانه أتمَّ بيان، بالقول والفعل، بل في أحواله عامَّة، كما قال سبحانه: ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً * وبشر المؤمنين بأنَّ لهم من الله فضلاً كبيراً * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾ (١).

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (٢).

وقد جاءت النداءات المتكررة من الله تعالى في القرآن العظيم: ( **يا أيُّها الذين ءامنوا. يا أيُّها الناس. يا عبادِ** ) يدعوهم إلى الخير ويحذرهم من الشرِّ. فهذا طريق النجاة الذي سار عليه الرسول ﷺ والصحابة والتابعون ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين (٣).

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٨

(٢) سورة الصف، الآية: ٩

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/٢١٥-٢١٦

وقد أفرد ابن كثير رحمه الله كتاباً مستقلاً عن الصِّيام كما أشار إلى ذلك في تفسيره القرآن العظيم [1].

وقد بذلت جهداً في البحث عن هذا الكتاب للإفادة منه ولكنه مفقود فيما يبدو. ثم إنَّ ابن كثير قد تناول موضوع الصِّيام في تفسيره وفي كتبه الأخرى وأورد فيما كتبه عنه أحاديث نبوية تظهر سماحة الإسلام وسموّه وشرف الإنتماء إليه، وأنّه يجب على الدَّاعية المسلم أن ينشر دين الله في أرجاء المعمورة، ويوضِّحَ للناس أنّه دين الخير واليُسْر، لا يكلف أتباعه من أمرهم عُسْراً، ولا يرضى لهم العنت والحرج، بل إنَّ على الداعية أن يلتزم هذا المنهج في دعوته، فيقوم بالتبشير بالدين ودعوة الناس إليه باليُسْر وتحبيب الناس فيه، ويعلمهم أن الخير في اتِّباعه والشقاوة والضياع والخسران في الإبتعاد عنه.

عن أنس بن مالك قال: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ( **يَسِّروا ولا تُعَسِّروا وسكِّنوا ولا تُنَفِّروا** ) [2].

---

(١) المصدر السابق ١/٢١٥. وبعد جهد وبحث لم أعثر عليه.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/١٦٣، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/١٣٥٩، ومسند الإمام أحمد ٣/١٣١

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن: ( **بَشِّرا ولا تُنفِّرا، ويَسِّرا ولا تُعسِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا** )[1]

وقال ﷺ: ( **بعثت بالحنيفية السمحة** ) [2].

فالدين الإسلامي دين اليسر وقد رضيه الله لعباده ديناً.

ويلزم في الدعوة إلى الله تعالى تضافر جهود الدعاة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن، والحذر من الإختلاف، فإنّه شر وفرقة وتمزيق للوحدة الإسلامية، وعائق عن الدعوة إلى الله، وفرصة لأعداء الإسلام لنشر معتقداتهم الباطلة.

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ( **الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصَّلاة سهم، والزَّكاة سهم، وحج بيت الله سهم، والصِّيام سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهى عن المنكر سهم، والجهاد في سبيل الله سهم، وقد خاب من لا سهم له** )[3].

---

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب الجهاد، حديث رقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ١٣٥٩/٣، ولفظ الحديث هو: ( **يَسِّرَا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتَطَاوَعا ولا تَخْتَلِفَا** ".

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٦٦/٥ وورد بلفظ: ( **لتعلم يهود أن في ديننا فسحة إنما أرسلت بحنفية سمحة** ). انظر المسند للإمام أحمد ١١٦/٦

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢١٧/١

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رجل من بني عبد الله بن كعب قال: ( **أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ، فأتيته وهو يتغدَّى، فقال: ادن فكل. فقلت: إني صائم. فقال: اجلس أُحدِّثك عن الصَّوم – أو الصيام –.. إنَّ الله قد وضع عن المسافر شطر الصَّلاة، وعن الحامل والمرضع والمسافر الصَّوم – أو الصيام –** ). والله لقد قالهما رسول الله ﷺ أو أحدهما، فيا لهف نفسي. هلا كنت طعمت من طعام رسول الله ﷺ[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: ( **أيّ عرى الإسلام أوثق ؟** ) قالوا: الصلاة فقال: ( **حسنة وماهي بها** ). قالوا: الحج. قال: ( **حسنة وما هو به** ). قالوا: صيام رمضان.. قال: ( **حسن وماهو به** ). قالوا: الجهاد. قال: ( **حسن وماهو به** ). **قال: ( أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله** )[2].

والأحاديث السابقة وإن كانت وردت في الصِّيام، إلاَّ أنَّ فيها حفزاً لهمم الدُّعاة إلى الله تعالى، وأنَّ كلَّ داعية إلى الله تعالى، بل كل مسلم على ثغرٍ من ثغور الدين، فالله. الله. أن يؤتي الإسلام من قبله. وكذلك في

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصوم حديث رقم ٢٠٥٦، والترمذي في كتاب الصوم حديث رقم ٦٤٩، والنسائي في كتاب الصيام، حديث رقم ٢٢٧٤، وابن ماجة في كتاب الصيام، حديث رقم ١٦٦٧.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/٢٨٦، وانظر: جامع المسانيد ١/٤٠٠-٤٠١

الحديث الأخير التأكيد على موالاة المؤمنين، وقد بيَّن ابن كثير أنَّ فرض الصَّوم على المسلمين كان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقبل وقعة بدر. في شعبان من تلك السنة.

والرسول ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسألهم عنه. قالوا: هذا يوم نجّى الله فيه موسى. فقال: ( **نحن أحق بموسى منكم. فصامه وأمر الناس بصيامه** ). وهذا قبل فرض صيام رمضان [٢]. ثم ذكر أنَّ الصيام أحيل ثلاثة أحوال، كما أحيلت الصَّلاة على ثلاثة أحوال قبل ذلك.

فكان ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيَّام، فلما نزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ الآية [١]، فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأه ذلك عنه. ثم إنَّ الله تعالى أنزل الآية الأُخرى: ﴿ **شهر رمضان الذي أُنزِلَ فيه القرءان** ﴾.. إلى قوله: ﴿ **فمن شهد منكم الشَّهر فليصمه** ﴾ [٢]، فأثبت صيامه على المقيم الصحيح، ورَخَّص للمريض والمسافر، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا

---

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الصوم حديث رقم ٢٠٠١، وأبوداود في كتاب الصوم حديث رقم ١٩٩٥، والترمذي في كتاب الصوم حديث رقم ٦٨٤.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥

يستطيع الصيام. وكان النّاس يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إنَّ رجلاً من الأنصار يُقَال له صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى، فجاء إلى أهله فصلّى العشاء ثم نام فلم يأكل و لم يشرب حتى أصبح، فأصبح صائماً، فرآه رسول ا لله ﷺ قد جهد جهداً شديداً فقال: (**مالي أراك قد جهدت جهداً شديداً** ) فأخبره. وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول ا لله ﷺ فذكر ذلك له [1].

فأنزل ا لله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثم أتموا الصِّيام إلى الليل ﴾ [2].

وقد ذكر ابن كثير فرض الصوم وكتاب الصوم في كتابه " الفصول في سيرة الرسول ﷺ " [3].

وكذلك في كتاب مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه [4].

## رابعاً: الحج:

---

(١) انظر: سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب متى ا فرض الصوم ٢/٢٩٥، والفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، تأليف أحمد عبد الرحمن البنا، كتاب الصوم، باب الأحوال التي عرضت للصيام ٩/٣٢

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧. وانظر: البداية والنهاية ٢/٢٥٥

(٣) الفصول في سيرة الرسول صـ ١٢٧، ٢١٦

(٤) مسند الفاروق ١/٢٦٧-٢٨٩

الحج في اللغـــة : القصد إلى شيء.

الحـج في الشـريعة: القصـد إلى بيـت الله الحـرام. إلى الكعبـة بأعمـــال مخصوصة، في وقت مخصوص [1].

وقال الجوهري: الحج القصد، ثم تعورف استعماله في القصـد إلى مكـة للنُّسك تقول: حججت البيت أحجه حجاً فأنا حاج [2].

ويقول الشيخ صديق حسن خـان: الحـج القصـد، فمعنـى قولـه تعـالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [3] أي: قصد البيت.

والقصد لا إجمال فيه. وأما قوله ﷺ: ( **خذوا عني مناسككم** )[4] فهـو أمر بالاقتداء به في أفعاله وأقواله[5].

**حُكْـــمه:**

الحَجُّ واجبٌ مرّةً في العمر على المسلم البالغ العاقل الحُرِّ.

وهو أَحَدُ أركان الإسلام الخمسة.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد بن على التهانوي ٢٨٣/١

(٢) كتاب الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية - باب الجيم فصل الحاء ٣٠٣/١

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧

(٤) انظر: صحيح مسلم ٩٤٣/٢ كتاب الحج باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً. وأبوداود في المناسك حديث رقم ١٦٨٠، والنسائي في مناســك الحـج حديـث رقم ٣٠٦٢.

(٥) الروضة الندية، شرح الدرر البهية ٥٨١/١ كتاب الحج.

والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾[1].

**ما جاء عن ابن كثير في حكم الحج:**

قال ابن كثير عن الآية السابقة: " هذه آية وجوب الحج عند الجمهور وقيل: بل هي قوله: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾[2] الآية. والأوَّل أظهر. وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنّه أَحَد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده. وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً وإنّما يجب على المكلّف في العمر مرّةً واحدة بالنصّ والإجماع. [3]

والحج واجب معلوم من الدين بالضرورة [4].

عن زيد بن أرقم [5] رضي الله عنه: **أنَّ رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة حجة الوداع** " [6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٨٥

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن على بن حجر العسقلاني ٣/٣٧٨

(٥) كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله.

(٦) أخرجه البخاري في المغازي حديث رقم ٤٤٠٤، ومسلم في كتاب الحج حديث رقم ١٢٥٤. والمسند ٤/٣٧٠ وانظر: جامع المسانيد ٣/٩٢

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[1] قالوا يا رسول الله.. أفي كل عام ؟ فسكت فقالوا يا رسول الله أفي كل عام ؟ قال: ( **لا. ولو قلت نعم لوجبت**)[2] فأنزل الله: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: ( **أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** ). فقال رجل: أكل عام يارسول الله ؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: ( **لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم** ). ثم قال: ( **ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه** )[4].

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ.. فقال: - يعني جبريل عليه السلام لما جاء في صورة الأعرابي - يامحمد ما الإسلام ؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام حديث رقم ٧٢٨٨، ومسلم في كتاب الحج حديث رقم ١٣٣٧. وسنن الترمذي ١٧٨/٣ كتاب الحج، باب ما جاءكم فرض الحج.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٧

(٤) صحيح البخاري كتاب الاعتصام، حديث رقم ٧٢٨٨. وصحيح مسلم ٩٧٥/٢، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.

فقال رسول الله ﷺ: ( **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا** )[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ( **بني الإسلام على خمس، شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان** ) [2].

**متى فُرِضَ الحج ؟ ولِمَ سميت حجة النبي ﷺ بحجة الوداع:**

فرض الحج سنة تسع من الهجرة. أمَّا حجة النبي ﷺ فلا خلاف أنها كانت سنة عشر من الهجرة، وقيل: كانت فريضة الحج سنة ست. وقيل: قبل الهجرة. وهو غريب.

والنبي ﷺ حج قبل النبوة وبعدها مرات [3].

وسميت حجة النبي ﷺ حجة الوداع: لأنه عليه الصلاة والسلام ودَّع الناس فيها و لم يحج بعدها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان حديث رقم ٥٠. وصحيح مسلم ٣٧/١ كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) صحيح البخاري ١٤/١ كتاب الإيمان باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ( **بني الإسلام على خمس** ).

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٠٩/٥، وزاد المعاد ١٠١/٢، وتيسير العلاَّم صـ ٤٢٦

كما سميت بحجة الإسلام: لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها.

وسميت أيضا حجة البلاغ: لأنه عليه الصلاة والسلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً و لم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه الصلاة والسلام، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1]

فالنبي ﷺ لم يحج من المدينة إلا حجة واحدة [2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣

(٢) انظر: البداية والنهاية ٥/١٠٩

## الحج وآدابه والترغيب فيه:

قال الله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهنَّ الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾[1]

فالله تعالى حثَّ عباده المؤمنين على أن يتأدب من أراد منهم الحج وعزم عليه بآداب الإسلام.

ويستشعر عظمة الله تعالى في تلك البقاع المقدسة.

ويتطلع إلى ما عند الله تعالى من نيل الثواب وكسب الدرجات والفوز برضا الله تعالى في الآخرة.

ولا يحصل ذلك إلاَّ بطاعة الله تعالى والتأسي والاتباع لما جاء به الرسول ﷺ في أداء هذه المناسك.

وكذلك إلزام النَّفس تقوى الله تعالى في السر والعلن، والكفِّ عن المحرَّمات. بل يجب فعل الواجبات وأداء الفرائض.

والمسلم يكفُّ نفسه في الحجِّ خاصَّة، وغيره عامَّة عن اقتراف المعاصي والآثام، والمخاصمة، والجدال الذي لا فائدة منه، بل ربَّما أدَّى إلى الخروج من الطاعة إلى المعصية. كما أن الحاجَّ يكُفَّ نفسه مُدَّة الإحرام عن الجماع ودواعيه لِمَا له من حرمة خاصَّة تستلزم عدم الانشغال بهذه الشهوة بحال.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧

**عناية ابن كثير بإظهار حرمة الحج وما تقتضيه من آداب:**

عني ابن كثير رحمه الله بما دلّت عليه الآية الكريمة: ﴿الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ فمن فرض فيهنَّ الحجَّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾[1].

وأتبع إيضاحه لمعنى الآية جملة من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام التي تحثُّ على الفضائل والآداب الحسنة، وتدعو إلى رعاية الأخوة الإسلامية وإشاعة التعاون على البرِّ والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان، والبعد عن إيذاء المسلمين سواءً بالقول أو بالفعل في الحج خاصَّة وغيره عامة.

فمن ذلك ما ثبت في الصحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ( **سباب**[2] **المسلم فسوق**[3] **وقتاله كفر** )[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧

(٢) السب: الشتم يقال: سبه يسبه سباً وسباباً. وقيل: هذا محمول على من سب أو قاتل مسلماً من غير تأويل. وقيل: إنّما قال ذلك على جهة التغليظ لا أنّه يخرجه إلى الفسق والفسق. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٣٠ باب السين مع الياء.

(٣) أصل الفسوق: الخروج عن الاستقامة والجور وبه سمي العاصي فاسقاً.
النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٤٤٦ باب الفاء مع السين.

(٤) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/٨١ كتاب الإيمان باب ما ينهى عنه من السباب واللعن، وصحيح مسلم ١/٨١ كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ( **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** ). تفسير ابن كثير ١/٢٣٧.

ويوضح ابن كثير أن الفسوق يعم جميع المعاصي فـا لله تعـالى نهـى عـن الظلم في الأشهر الحرم وإن كان في جميع السنة منهيـا عنـه إلا أنـه في الأشـهر الحرم آكد.

ولهـذا قـال تعـالى: ﴿منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فـلا تظلمـوا فيهـن أنفسكم﴾[1] وقال في الحرم ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾[2].

فالمسلم يحرص أثناء تأديته لنسك الحج على أن يشـتغل بالعبـادة ويذلـل نفسه لملاقاة ما قد يجده من إخوانه المسلمين مما يسؤوه، فيحستب الأجـر مـن ا لله ويقابل السيء بالحسن [3].

**فضل الحـجِّ وثوابـه:**

اعتنى ابن كثير بإبراز ما يدل من الكتاب والسُنَّة على فضل الحج، وأنـه مغنم عظيم للمسلم يعقب سعادة في الدنيا وعاقبة حميدة في الآخرة.

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريـرة رضـي ا لله عنـه قـال: قال رسول ا لله ﷺ: **( من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، خـرج مـن ذنوبه كيوم ولدتـه أمـه )** [4].

---

(١) سورة التوبة، الآيـة: ٣٦

(٢) سورة الحج، الآيـة: ٢٥

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٣٦

(٤) رواية البخاري: ( رجع كيوم ولدته أمّه ).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( **من قضى نسكه، وسَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه** ) [1].

وعن جدي الحارث: أنّه لقي رسول الله ﷺ في حجَّة الوداع قال: فقلت له: يارسول الله بأبي أنت استغفر لي. فقال: ( **غفر الله لكم** ). قال - وهو على ناقته العضباء - فاستدرت: من الشق الآخر أرجو أن يخصني دون القوم. فقلت: استغفر لي. قال: ( **غفر الله لكم** ). فقال رجل: يارسول الله.. الفرائع والعتائر [2] ؟ قال: ( **من شاء فرع، ومن شاء لم يفرع، ومن شاء عتر، ومن لم يشأ لم يعتر من الغنم أضحية** ) [3]. ثم قال:

---

⇐⇐

انظر: صحيح البخاري ٢٦٤/٢ كتاب الحج باب فضل الحج المبرور.

وصحيح مسلم: ( من أتى هذا البيت...) ٩٨٣/٢ كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة.

وتفسير ابن كثير ٢٣٧/١ وليس في رواية الصحيحين ( من ذنوبه ).

(١) انظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد صـ ٣٤٨، وتفسير ابن كثير ٢٣٨/١

(٢) الفرعة: بفتح الراء. والفرع: أول ما تلده الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم فَنُهِيَ المسلمون عنه. وقيل: كان الرجل في الجاهلية إذا تمت إبله مائة قدَّم بكرا فنحره للصنم. والفرع والعتيرة شاة تذبح في رجب. والعتيرة التي كانت تعتبرها الجاهلية: فهي ذبيحة كانت تذبح للأصنام فيصب دمها على رأسها. انظر: النهاية ٤٣٥/٣، ١٧٨/٣

(٣) الأضحية: اسم لما يذبح من النعم أيام النحر بنية القربة إلى الله تعالى.

التعريفات صـ ١٧٨

**( ألا إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا)**[1].

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قام رسول الله ﷺ بالخيف [2] من منى فقال: **( نَضَّرَ [3] اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا [4] ثُمَّ أدَّاها إلى مَنْ يَسْمَعُهَا، فَرُبَّ حَامِلُ فِقْهٍ [5] لاَ فِقْهَ لَهُ، ورُبَّ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم ٦٧، ومسلم في القسامة، حديث رقم ١٦٧٩. وجامع المسانيد ٢/٢٧٩، مسند الإمام أحمد ٣/٤٨٥

(٢) الخَيف: ما ارتفع عن مجري السيل وانحدر عن غلظ الجبل ومسجد منى يسمى مسجد الخيف لأنه في سفح جبلها. النهاية ٢/٩٣

(٣) نَضَّر الله: من النضارة وهي في الأصل حسن الوجه والبريق، وإنما أراد حسن خلقه وقدره. النهاية في غريب الحديث ٤/١٦١

وقيل: الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة. معالم السنن للخطابي ٤/١٨٧

وقيل: الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة والحسن فيكون تقديره: جمَّله الله وزينه الترغيب والترهيب للمنذري ١/١٠٨. وانظر للإستزادة: دراسة حديث: ( نضر الله أمرءاً سمع مقالتي ) دراسة ودراية للشيخ عبد المحسن العباد من ص ١٨٢ - ٢٨٧

(٤) وَعَيْتُ: بمعنى حفظت. يقال: وَعَيْتُ الحديث أعِيَه وَعْياً، فأنا واعٍ إذا حفظته وفهمته. النهاية ٥/٢٠٧

(٥) الفقه في الأصل: الفهم يقال: فقِه الرجل بالكسر يفقه فقهاً إذا فهم وعلم. وفقُه - بالضمِّ - يفقُه إذا صار فقيهاً عالماً. وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة. وخصيصاً بعلم الفروع منها. النهاية ٣/٤٦٥

**حامل فِقْهٍ إلى مَنْ هُـوَ أَفْقَـهُ منـه.. ثَـلاثٌ لا يُغِـلُ [1] عليهـنَّ قَلْـبُ المؤْمِـنِ: إخلاصُ العمل، والنَّصيحةُ لولي الأمر، ولُزُومُ الجماعَةِ، فإنَّ دعوتهم تكـون من ورائهم "** [2].

**الحـجُّ تربيـة عمليـة وميـدان للدعـوة :**

تتجلى في الحج الوحدة الإسلامية والأخوة الإيمانية، فهو مؤتمر إسـلامي كبير عام. يجتمع فيه المسلمون من جميع أقطـار الأرض في مكـانٍ واحـدٍ عنـد البيت العتيق، والكعبة المشرَّفـة، وحـول الصفـا والمـروة، وفي صعيـد عرفـات، وعند المشعر الحرام، وفي منى، وحول الجمرات.. يدعون ربّاً واحـداً ويلتفـون حول قبلة واحدة.

في الحجِّ يتعارف المسلمون بعضهم ببعض، قد وحَّد بينهم مظهر واحـد يستوى فيه الغنيّ والفقـير، والكبـير والصغـير، علـى اختـلاف ألوانهـم وتعـدد لغاتهم: ﴿يا أيُّها النَّاس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبـائل لتعـارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [3].

---

(١) يُغل: هو من الإغـلال: الخيانـة في كـلِّ شـيء. وبـالفتح يَغِـلّ: مـن الغِـلِّ وهـو الحقـد والشـحناء: أي: لا يدخلـه حقـد يزيلـه عـن الحـق. وبـالتخفيف: يَغِـلُ مـن الوغـول أي: الدخول في الشرِّ. والمعنى أنَّ هذه الخـلال الثـلاث تسـتصلح بهـا القلـوب، فمـن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والوغل والشرّ. انظر: النهاية ٣٨١/٣

(٢) رواه أبـو داود في كتـاب العلـم، حديـث رقـم ٣١٧٥، والـترمذي في كتـاب العلـم، حديث ٢٥٨٠، وانظر: ابن ماجه ٨٤/١ باب من بلغ علما.

(٣) سورة الحجرات، الآيـة: ١٣

وفي موسم الحج دعاء المسلمين واحد، وتلبيتهم واحدة، فالجميع استجابوا لنداء الله قائلين: " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك "[1].

فينبغي للدعاة إلى الله تعالى استغلال موسم الحج في سبيل الدعوة، فهذا ممَّا يوفر على الدعاة كثيراً من عناء السفر إلى مشارق الأرض ومغاربها. فالحج يتيح لهم الفرصة أن يلتقوا بأكبر عدد ممكن من المدعوين.

فهو وسيلة من أعظم وسائل الترابط والتعاون على البر والتقوى والتآلف فيما بينهم، يتم فيه مناقشة ما يعود عليهم بالنفع وعلى أمم من ورائهم بالنصر والخير، وفيه يبحثون مشاكل إخوانهم في أقطار المعمورة ويعملون على إيجاد الحلول الناجحة لها.

والحجاج يجلون أهل الحرمين ويتقبلون التوجيه أكثر من غيرهم لأنهم جاءوا بقلوب ملؤها الإيمان بالله متطلعة إلى الخير متفتحة للإرشاد الطيب.

وقد كان النبي ﷺ يأتي إلى الحجاج في منازلهم فيعرض دعوته عليهم. وكان في حجته يلقي خطبته في عرفات وأيام التشريق [2].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج حديث رقم ١٥٤٩، ومسلم في الحج حديث رقم ١١٨٤، وموطأ الإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى الليثي، كتاب الحج، باب العمل في الإهلال، حديث رقم ٧٣٥ صـ ١٧٢

فالداعية إلى الله تعالى الذي ينتهز موسم الحج لإرشاد النَّاس إلى الحق، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتصحيح ما يراه مخالفاً لدين الله تعالى، ليحصل على خير عظيم وثواب جزيل عند الله تعالى، ويكون قد أدَّى ما أوجبه الله عليه، وحصَّل منافع الدنيا والآخرة، وهي المنافع التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾[1].

وابن كثير يُظْهِرُ في تفسيره هذه المعاني، ويدعو إلى اغتنام هذه الفضيلة فينقل في تفسير هذه الآية قول ابن عباس رضي الله عنهما: " منافع الدنيا والآخرة.. أمَّا منافع الآخرة فرضوان الله تعالى. وأمَّا منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات ".

فأهم ما يُطْلَبُ من الدَّاعية أن ينال العمل الصالح الذي يتضاعف أجره في مكة المكرمة [2].

---

⇐⇐

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد ١٥٨/٢
وانظر: محاضرات في العقيدة والدعوة للدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان صـ ١٣٦.

(١) سورة الحج، الآية: ٢٨

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢١٦/٣، وتفسير ابن عباس ٦٤٧/٢ تحقيق الدكتور عبد العزيز الحميدى.

إنَّ الدَّاعية المخلص لدينه والصادق في دعوته هو الذي يصور هذا الإجتماع السنوي الحاشد لكافّة الحجاج بأنّهم أُمَّة واحدة. فإذا نظر الحاج إلى جموع الحجيج، فإنّه ينظر إلى إخوانه في العقيدة التي يجب الحفاظ عليها والذَبُّ عنها والانضمام تحت لوائها.

فلا تمييز لجنس على جنس، ولا للون على لون، ولا يفرقهم اختلاف الألسنة، بل تجمعهم شعائر واحدة، وذكر واحد، بلغة واحدة، هى لغة القرآن.

وقيام الدَّاعية بذلك يقوي دعائم الأخوة في الله، ويزيد من أسباب رخائهم وانتعاش اقتصادهم، ويقوي شوكة المسلمين في وجه أعداء الإسلام [1].

إنَّ الدَّاعية في هذا الاجتماع الكبير - الحجّ - عليه أن يبيِّن للمسلمين أنَّ الحجَّ ليس رحلة سياحية، بل هي رحلة جهاد مصيرية، فيوضح لهم أنَّ كل أعمال الحج عبادة لله، وأنَّ ما يقوم به العبد فيه من أعمال الخير والبر والفضيلة والعمل الصالح، يُدَوَّن في صحائفه، ويجده عند الله يوم القيامة، تُكَفِّرُ به عظائم الذنوب، ويرتقي به رفيع الدَّرجات. وهذا دليل الإيمان بالله والوثوق بوعده والطمع في فضله، وبهذا تهون على المسلم الطَّاعات، ومن هانت عليه الطَّاعة ترك المعصية والمحرَّمات.

---

(١) انظر: دعوة الرسل إلى الله تعالى، لمحمد العدوي صـ ٥٠٣

ومن الأمور المعينة على ذلك ما شرعه الله من المشاركة في أداء الفرائض، كما شرع الاجتماع في الجُمَع، والجماعة، والأعياد، ونحوها ويظهر ذلك بوضوح في هذه العبادة - عبادة الحج - مع مافيها من بذلٍ مالي وجهد بدني، وتنافس في الخيرات من كافّة المسلمين الذين قدموا من كافّة أرجاء الأرض لأداء فريضة الحج. وهذا سبب قوي لسهولة العبادة ويسرها [1].

فما يقوم به الدَّاعية من جهود في الدعوة وأعمال البر والخير في موسم الحج يُعَدُّ إسهاماً منه في بناء الأمة المسلمة والمحافظة على كيانها، وهو عامل قوي من عوامل عودة الأمة المسلمة إلى عزها ومجدها.

فالأمة الإسلامية دستورها القرآن الكريم، ومنهجها سنة سيد المرسلين محمَّد ﷺ، وشعارها العدل والمساواة، وهدفها الصالح العام، وغايتها الأمن والسلام والاستقامة في الدين على الدوام.

---

(١) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي صـ ١١٨

وكل فعل من أفعال الحج عظات وعبر ومعان، إذا تحسسها المسلم أدرك عظمة الإسلام، مما يجعله يتأسى بهذا النّبي الكريم محمّد ﷺ في كل عمل من أعماله سواء في ذلك الحج وغيره [1].

**بيان ابن كثير لحجة النبي ﷺ وتفصيله لها:**

وقد بيَّن ابن كثير رحمه الله حجة النبي ﷺ، وأنه لم يحج من المدينة إلاّ حجَّة واحدة، وهي حجَّة الوداع.

وقد ذكر تفاصيل هذه الحجَّة مدعما ما أورده بالدليل [2].

كما ذكر شيخ ابن كثير ( ابن تيمية ) كل أعمال الحج وأفرد لها مجلداً مستقلاً [3].

---

(١) انظر: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، لعبد الله البسام صـ ٤٢٦، والإسلام، لسعيد حوى ١٩٢/١

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٠٩/٥-٢١٤، والسيرة النبوية ٢١١/٤-٤٢٦، والفصول في سيرة الرسول صـ ٧١٣-٣١٨، ومسند الفاروق ٢٩١/٢ - ٣٢٦.

(٣) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية - المجلد السادس والعشرون. جمع وترتيب: محمد بن القاسم، وابنه محمد.

## المبحث الرابع:

## الحثُّ على العِلْمِ والعَمَلِ:

**أولاً: العلم:**

لقد خلق الله الإنسان وأخرجه من بطن أُمِّه لا يعلم شيئا وجعل له السمع والبصر والفؤاد واللسان، وعلمه ما لم يكن يعلم كما قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿الرحمن * علم القرءان * خلق الإنسان * علمه البيان﴾[2].

وقال ﷺ: ( **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**)[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١-٤

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ١/٤٦-٤٧، ومسلم في كتاب الزكاة، حديث رقم ١٠٣٧.

وقال ﷺ: ( **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ** [1] **والعشب الكثير وكانت منها أجادب** [2] **أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنّما هي قيعان** [3] **لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِمِ وعلَّم، ومثل مَن لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به** ) [4]. قال أبو عبد الله: قال إسحق: وكان منها طائفة قبلت الماء قاع يعلوه الماء والصفصف [5].

فالعلم حياة، والجهل موت، وما يستوى الأحياء ولا الأموات. والعلم نور والجهل ظلام، والعلم شجرة تثمر كل خلق جميل وعمل صالح وثناء حسن ووصف محمود.

---

(١) الكلأ: هو النبات من العشب سواء كان رطباً أو يابساً.

(٢) أجادب: الأجادب هي صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً.
المصدر السابق ١/٢٤٢-٢٤٣

(٣) قيعان: القاع المكان المستوى الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوى نباته. المصدر السابق ٤/١٢٣-١٣٣

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، حديث رقم ٧٩، ومسلم في الفضائل، برقم ٢٢٨٢.

(٥) الصفصف: شجر الخلاف، والصفصاف: المستوى من الأرض لا نبات فيه.
انظر: المعجم الوسيط ٢/٥١٦، وللإستزادة انظر أيضاً: تفسير ابن كثير ٣/١٦١

فعلى الدَّاعية إلى الله أن يطلب العلم النَّافع فيما يدعو إليه، وأن تكون دعوته على بصيرة، يستند فيها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، وسيجد فيهما حل جميع المشكلات، والبيان، والهداية، والقضاء على الباطل وإيضاح كل ما يحتاج إليه الناس في شئون دينهم.

والدَّعوة بلا علم دعوة على جهل، والدعوة على جهل ضررها أعظم من نفعها.

إن الدَّعوة إلى الله تعالى على غير علم خلاف ما كان عليه النبي ﷺ ومن اتَّبعه، لأنَّ الله تعالى قد أمر نبيه محمَّداً ﷺ في القرآن بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

**توضيح ابن كثير لهذا الجانب وما يتفرَّع عنه:**

يقول ابن كثير رحمه الله في معنى الآية المذكورة: " يقول الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس أنَّ هذه سبيله، أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرةٍ من ذلك ويقينٍ وبرهانٍ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨

هو وكلّ من اتّبعه يدعو إلى مادعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرةٍ ويقينٍ وبرهانٍ عقلي وشرعي ) [1].

ويقول الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين [2]: " قوله تعالى: ﴿على بصيرة﴾ أي: على بصيرة في ثلاثة أمور:-

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٩٥-٤٩٦

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، وُلِدَ في عنيزة عام ١٣٤٧هـ. حفظ القرآن في نشأته، ثم اتجه لطلب العلم، والحديث، وأصول الفقه، والفرائض، ومصطلح الحديث، والنحو، والصرف. وقرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - حفظه الله - فابتدأ قراءة صحيح البخاري، وبعض رسائل ابن تيمية، والكتب الفقهية. تخرَّج من المعهد العلمي، وعُيِّن مدرساً فيه وواصل الدراسة انتساباً في كلية الشريعة بالرياض وتخرَّج فيها، عُرِضَ عليه القضاء وطلب الإعفاء. ولمّا توفي الشيخ السعدي تولّى إمامة المسجد الجامع الكبير بعنيزة والتدريس فيه، ولا يزال - حفظه الله - يعمل فيه. وللشيخ ابن عثيمين حفظه الله نشاط كبير في الدعوة إلى الله تعالى وتبصير المسلمين بأمور الدين فقد عرفه الناس من خلال دروسه النافعة في المسجد الجامع وفي المسجد الحرام في آخر رمضان ومن فتاويه وكتاباته في الصحف، وبرنامج نور على الدرب في الإذاعة والمحاضرات في انحاء المملكة. والشيخ من هيئة كبار العلماء في المملكة ويدرس في كلية الشريعة فرع جامعة الإمام بالقصيم.

وله عدة مؤلفات منها:

١- عقيدة أهل السنة والجماعة.
٢- تفسير آيات الأحكام - لم يكمل.
٣- الأصول من علم الأصول.
٤- تسهيل الفرائض.
٥- شرح الواسطية.
٦- مفصل الحديث.

انظر: المجموع الثمين من فتاوي الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ١/٩، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، واللقاء الشهري مع فضيلة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين، إعداد: الدكتور عبد الله محمد الطيار، اللقاء الأوّل صـ ١١ ، ومجلة البحوث الإسلامية العدد ⇐⇐

**الأول:** على بصيرة فيما يدعو إليه بأن يكون عالما بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه لأنه قد يدعو إلى شيء يظنه واجباً وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به.

**الثاني:** على بصيرة في حال المدعو ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: ( **إنك ستأتي قوماً أهل كتاب** ) ليعرف حالهم ويستعد لهم.

فلابُدَّ أن تعلم حال هذا المدعو، ما مستواه العلمي ؟ وما مستواه الجدلي ؟ حتى تتأهب له فتناقشه وتجادله.

لأنّك إن دخلت مع مثل هذا في جدالٍ وكان ظاهراً عليك لقوة جدله صار في هذا نكبة عظيمة على الحق وأنت سببها.

**الثالث:** على بصيرة في كيفية الدَّعوة [1] قال الله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[1].

وهذه الكيفية التي يقررها ابن كثير في الدعوة إلى الله تعالى بأن تكون بالحكمة والرفق لأن الله تعالى أمر رسوله محمَّداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله تعالى بها [2].

---

=

١٢.وكتاب علماؤنا، اعداد فهد البدراني وفهد البراك، شرح العقيدة الواسطية تحقيق/ أشرف عبد المقصود بن عبد الرحمن ص ف، ص٤٢.

(١) الرسالة الأولى، زاد الداعية إلى الله تعالى صـ ١١-١٢

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٩١

وعلى الداعية إلى الله تعالى أن يوطن نفسه على تحمل ما يقابله من أذى، وله قدوة في الرسل الكرام، فقد أنكرت الأمم الكافرة على الرسل، واغترت بما عندها من علم الدنيا كما قال تعالى: ﴿فلمَّا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾[1].

قال ابن كثير: " وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل " [2].

والدَّاعية إلى الله تعالى عليه أن يستزيد من العلم الشرعي المستمد من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وفي ذلك تأسٍّ بالرسول ﷺ حيث طلب من ربه ذلك. قال تعالى: ﴿فتعالى اللهُ الملكُ الحقُّ ولا تعجَلْ بالقرْءانِ مِنْ قبلِ أنْ يُقضَى إليكَ وحْيُهُ وقُلْ ربِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3].

قال ابن كثير: أي زدني منك علماً. فلم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله تعالى، ولم يسأل ربه الزيادة في شيء إلاَّ من العلم.

كما ينبغي على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يدعوا الله أن ينفعه بما علم. وقد أورد ابن كثير حديثاً عن رسول الله ﷺ في ذلك: عن أبي هريرة

---

(١) سورة غافر، الآية: ٨٣

(٢) تفسير ابن كثير ٨٩/٤

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤

رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: ( **اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال** )[1].

قال عبد الرحمن بن الجوزي [2] رحمه الله: " لقد غفل طلاب الدنيا عن اللّذة فيها، واللّذة فيها شرف العلم، وزهرة الفقه، وأنفة الحمية، وعز القناعة، وحلاوة الإفضال على الخلق ) [3].

ويقول ابن القيّم: " إنَّ كل ما سوى الله يفتقر إلى العلم لا قوام له بدونه، فإنَّ الوجود وجودان: وجود الخلق، ووجود الأمر. مصدرهما علم الرب وحكمته، فما قامت السموات والأرض وما بينهما إلاَّ بالعلم، ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلاَّ بالعلم، ولا عُبِدَ الله وحُمِدَ وأُثْنِيَ عليه

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١٦٧/٣ وقد أخرج الحديث ابن ماجه في سننه كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٦٠/٢، والترمذي في الدعوات، حديث رقم ٣٥٢٣.

(٢) هو: عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبد الله بن حمادي الجوزي نسبة إلى فرضة نهر البصرة، يُكنى بأبي الفرج، برز في التاريخ والحديث، حافظ، واعظ، اشتهر بابن الجوزي، أحد أفذاذ العلماء، جمع المصنَّفات الكبار والصغار، نحواً من ثلاثمائة مصنف، وتفرَّد بفن الوعظ الذي لم يُسْبَق إليه لنصاعته ونفوذ وعظه، وُلِدَ في عام ٥١٠ هـ، وتوفي سنة ٥٩٧ هـ وله من العمر ٨٧ سنة، وكان مولده ووفاته ببغداد. انظر: البداية والنهاية ٣١/١٣-٣٢، والأعلام للزركلي ٣١٧/٣-٣١٩

(٣) صيد الخاطر لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي صـ ٣١٨

ومُجِّدَ إلّا بالعلم، ولا عُرِفَ الحلال من الحرام إلاّ بالعلم، ولا عُرِفَ فضل الإسلام على غيره إلاّ بالعلم [1].

وقال أيضاً: " وإذا كانت الدَّعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها، فهى لا تحصل إلاّ بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لابُدَّ في كمال الدَّعوة من البلوغ في العلم إلى أبعد حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أنَّ صاحبه يحوز به هذا المقام والله يؤتي فضله من يشاء ) [2].
إذاً لابُدَّ من العلم للدَّاعية، فالعلم بما شرعه الله تعالى أولاً ثم ما لم يشرعه.

كما أنه ينبغي للدَّاعية أن يميِّز بين السُّنَّة والبدعة، والحسنة والسيئة، والحلال والحرام، وبين الكفر والفسوق والعصيان، حتى يعامل المدعوين بحسب ما عندهم من الخلل. فهو يحتاج إلى العلم الذي يستطيع به إقناع المعارض، وإفحام المناظر، ودحض الشبهة، ويكون لديه من الحصيلة العلمية ما يقابل به أعداء الدين [3].

ويقرر ابن كثير أنَّ حَمَلَةَ العلم الصحيح - الكتاب والسنة - لهم العقبى الحميدة في الدُّنيا والآخرة، وهم شهداء الله في أرضه، ولا يضيرهم إنكار المنكرين ومعارضة المعارضين. بل يثبتون ثبوت الرواسي، ويذبُّون عن

---

(١) مفتاح دار السعادة ٨٧/١

(٢) المصدر السابق ١٥٤/١

(٣) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة. للدكتور صالح الفوزان صـ ١٣٨

دين الله في جميع المواقف على مرِّ الأزمان ومختلف الأحوال، وهذا المعنى نلاحظه في مدلول قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قل ءامنوا به أولا تؤمنوا إنَّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجّداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾[1].

فقال رحمه الله: " الله تعالى يخاطب نبيه محمَّداً ﷺ قائلاً له: قل لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به في هذا القرآن العظيم ﴿ءامنوا به أولا تؤمنوا﴾ أي: سواء آمنتم به أو لا، فهو حق في نفسه أنزله الله ونوه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزلة على رسله ولهذا قال: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ أي: من صالحي أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم ويقيمونه و لم يبدّلوه أو يحرّفوه ﴿إذا يتلى عليهم﴾ هذا القرآن ﴿يخرون للأذقان[2] سجَّداً﴾ كاملي التسليم لله رب العالمين، شاكرين الله على عموم نعمه، ومنها إدراكهم بعثة رسول الله ﷺ الذي جاء ذكره في الكتب السماوية

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧-١٠٩

(٢) الأذقان: الواحد ذقن وهو أسفل الوجه. انظر: المفردات في غريب القرآن صـ ١٧٩

السابقة المنزلة على أنبياء الله فهم معظمون مسبحون لله على قدرته التامَّة [1].

وليحذر الدَّاعية إلى الله تعالى من إرادته بالعلم طلب الدنيا، بل عليه أن يطلب العلم النافع ليحوز على رضا الله في الدار الآخرة، وقد أوضح ابن كثير ذلك من خلال قصة قارون مع قومه.

قال الله تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنَّه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلاَّ الصابرون﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: " يقول الله تعالى مخبراً عن قارون أنَّه خرج ذات يوم على قومه في زينةٍ عظيمةٍ وتجمُّلٍ باهرٍ - من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه - فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أُعْطِيَ ﴿قالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنَّه لذو حظٍّ عظيم﴾أي: ذو حظٍ وافر من الدُّنيا، فلمَّا سمع مقالتهم

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٦٨.

(٢) سورة القصص، الآيات: ١٠٧-١٠٩

أهل العلم النافع قالوا لهم: ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحاً﴾ أي: جزاء الله لعباده المؤمنين الصَّالحين في الدَّار الآخرة خيرٌ ممَّا ترون. كما في الحديث الصحيح: يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصَّالحين مالا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم [1] ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قرَّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[2].

وقوله: ﴿ولا يلقَّاها إلاَّ الصَّابرون﴾ قال ابن جرير: ولا يلَقَّى هذه الكلمة إلاَّ الصَّابرون عن محبة الدنيا، الراضون في الدَّار الآخرة. وكأنَّه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك. وجعله من كلام الله عزَّ وجلَّ وإخباره بذلك [3].

والدَّاعية إلى الله تعالى الذي يحمل مشعل العلم والهداية إلى الناس، مؤيَّد من قبل الله تعالى في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٤/٢١٧٤، سنن الدارمي: كتاب الرقاق، باب ما أعد الله لعباده الصالحين ٢/٢٤١، ومسند الإمام أحمد ٢/٣١٣ بدون ذكر الآية التي في الحديث.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٢٠/١١٦ مع اختلاف في بعض العبارات والمعنى واحد. وانظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٤٠.

وعليه أن يستمر في إقامة الحُجَّة على المكابرين والصادِّين عن دين الله، فكما أقامها عليهم في الدُّنيا، سوف يقيمها عليهم في الآخرة، في يوم القيامة، ولكن لا رجعة إلى الدنيا، بل تكون الحسرة والندامة، وهذا المعنى هو ما قرَّره [1] ابن كثير عند قول الله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾[2].

ودعوة الأقربين من مهمّات الدَّاعية إلى الله تعالى، بل عليه أن يبدأ بهم أولاً قبل دعوة غيرهم، حتى لو كان أصغر منهم، أو كانا والديه، قال تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3].

فعليه أن يدعوهم مادام عنده علم من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ورأى لديهم مخالفات تستوجب دعوتهم إلى دين الله تعالى، وسلوك صراطه المستقيم.

وهذا ما بيَّنه ابن كثير عند تفسيره [4] لما قصَّه الله من دعوة إبراهيم لأبيه حيث قال: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سويا ۞ يا أبت لا تعبد الشَّيطان إنَّ الشَّيطان كان للرحمن عصيا﴾.[5]

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٤٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٦

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٢٢-١٢٣.

وإنَّ ممَّا ينبغي للدَّاعية إدراكه أهمية العلم الشرعي.. فإنَّ العلم التجريبي البشري مهما طالت آماده، وامتدت أبعاده، وترادفت كشوفاته، فلن يجيء إلاَّ بما يصدق الوحي، ويقوي الإيمان با لله، ويمكن لهداية الرحمن، ولن يزيد المؤمنين إلاَّ يقينا بجلال ا لله، وقياماً بحقه، وثقةً بلقائه الموعود.

والتُّهمة التي تُوَجه إلى الدين في هذا العصر - بأنَّه لا يواكب التطور - ليست بجديدة، فقد سبق أن قال المشركون من عبدة الأصنام أعظم من ذلك (١).

قال تعالى: ﴿وما يَكذِّب بها إلاَّ كل معتدٍ أثيمٍ * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوَّلين * كلاَّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلاَّ إنَّهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ (٢).

قال ابن كثير رحمه ا لله: " أي معتدٍ في أفعاله من تعاطى المحرَّم، أو المجاوزة في تناول المباح. والأثيم في أقواله: إن حدَّث كذب، وإن وعد

---

⇐⇐

(٥) سورة مريم، الآيتان ٤٣-٤٤

(١) انظر: مع ا لله.. " دراسات في الدعوة والدعاة، للشيخ محمد الغزالي صـ ٢٦٧، والخطب المنبرية، للشيخ صالح الوزان صـ ٧٢

(٢) سورة المطففين، الآيات: ١٢-١٥

أخلف، وإن خاصم فجر. وقوله تعالى: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أي: إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول ﷺ يكذب به، ويظن به ظن السوء، فيعتقد أنه مُفْتَعَل مجموع من كتب الأولين كما قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾[1] قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا إنَّ هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين [2] الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا " [3].

إذاً فالعلم الشرعي، وهو ما جاءت به رسل الله، هو الذي فيه الخير للعباد والبلاد.

أمَّا علوم البشر فأغلب ما يكون فيها الضرر والفساد الكبير إذا تجرد أهلها والقائمون عليها من هدى الله، ورعاية الحدود والحرمات، كما هو

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٣

(٢) الرين: صدأ يعلو الشيء الجليل قال تعالى: ﴿بل ران على قلوبهم﴾أي: صار ذلك الصدأ على جلاء قلوبهم فعمَّى عليهم معرفة الخير من الشر.
المفردات في غريب القرآن صـ ٢٠٨

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٥

مشاهد اليوم في العلم الحديث لدى دول الكفر والعدوان وما استحدثوه بعلمهم من أسلحة فتاكة، وقنابل مدمرة، وصواريخ نووية مهلكة.

وإذا كان بعض الناس يقول إنَّ الدين لا يواكب النهضة الحديثة فالواجب على الدعاة أن يفقهوا الناس بأنَّ علم الشرع والدين الحق يُعَرِّف بالله والدار الآخرة. وعلوم البشر علوم جزئية قاصرة يغلب عليها الغرور والجهل إذا لم توصل إلى نتائجها الكلية الضرورية من معرفته بالخالق وعظيم قدرته وبديع حكمته وما تخضع له جميع المخلوقات من سنن كونية ونظام محكم دقيق وما توجبه معرفة ذلك على المخلوق من استجابة وتسليم لأمر خالقه ورعاية لحدوده وحرماته. قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾[1].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وأضله الله على علم﴾: " يحتمل قولين:

**أحدهما**: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك.

**والآخر** : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه.

والثاني يستلزم الأول ولا ينعكس " [2].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣

(٢) تفسير ابن كثير ٤/١٥٠

والعلم الحديث وتطوراته لا ينكر أنَّ فيه نفعاً إذا استعمل في الخير وكان بأيدٍ مؤمنة.

ولكنَّ الإنكار يأتي من قبل إحاطة هذه العلوم بالإكبار والإعجاب، حتى يطلق عليها وعلى أصحابها العلم والعلماء. ويفسر بها كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، حتى بلغ الأمر ببعض الناس إلى حد إخضاع نصوص الشرع لقضايا العقل في زعمهم، أو نظريات العلم التى لا تصمد لتقلبات الزمن والآراء.

وإنَّه لمن أجلى مظاهر الانحطاط في الحياة المدنية الحديثة، ما نراه من تسلط العامل الاقتصادي المادي، وتأثيره القوي في توجيه سياسة الأمم، والتحكم في ميول الناس وحرياتهم، حتى أصبح سعي الإنسان المعاصر يكاد يكون محصورا في توفير لقمة العيش، فخلت بعض المجتمعات من القيم والأخلاق والسلوك الأمثل [1].

قال الله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملَّتهم قل إنَّ هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾[2].

---

(١) انظر: الخطب المنبرية للشيخ صالح الفوزان صـ ٧٢، ومع الله... دراسات في الدعوة والدعاة، للشيخ محمد الغزالي صـ ٢٤٠

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠

يقرر ابن كثير أن الهدى الحق هو الـذي بَعَـثَ الله بـه محمَّـداً ﷺ، فهـو الشامل الكامل الصحيح.

وأنَّ هذه الآية فيها تهديد ووعيد شديد وتحذير للأمة مـن اتبـاع طرائـق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة - عيـاذاً بـالله مـن ذلـك - فإن الخطاب مع الرسول ﷺ والأمر لأمته [1].

فالواجب على الدَّاعية المسلم ألاَّ ينخدع بهذه الدِّعايات المناهضة للديـن وعليه أن يعظم كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ كما قال عليـه الصـلاة والسـلام: **(أما بعد فـإنَّ خـير الحديـث كتـاب الله، وخـير الهـدى هـدى محمَّـدٍ، وشـر الأمور محدثاتها، وكل بدعـة ضلالة )** [2].

**ثانياً: العمل:**

يجب على الدَّاعية إلى الله تعالى ألاَّ يخالف فعله قوله، ولا ظـاهره باطنـه، فلا يأمر بشيء مالم يكن هو أول عـامل بـه، ولا ينهـى عـن شـيء مـالم يكـن أبعد الناس عنه، ليفيد وعظـه، ويثمـر وينجـح إرشـاده ويؤثـر، فالدَّاعيـة عليـه

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٦٣/١.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة ٩٢/٢ د
وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل ١٧/١

أن يكون عاملاً بما يدعو إليه من الهدى والعلم، لأنَّ الناس ينظرون إلى عمله قبل أن يستمعوا إلى قوله.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم حال نبيه شعيب مع قومه، وما عرَّفهم به لكي يحملهم على الاستجابة لما يدعوهم إليه، فأخبر سبحانه أنَّه قال لهم: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلاَّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾[1].

قال الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " يُفْهَم من هذه الآية الكريمة أنَّ الإنسان يجب عليه أن يكون منتهيا عمَّا يَنْهَى عنه غيره، مؤتمراً بما يأمر به غيره " [2].

قال الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر [3] وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[4].

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٤٠

(٣) برر: تأتي على ثلاثة أوجه منها البر التقوى يعني بالتقوى طاعة الله تعالى وإتباع محمد صلى الله عليه وسلم. انظر: قاموس القرآن للحسين بن محمد المرامعاني صـ ٦٨

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٤

**بيان ابن كثير لهذا المعنى وما قرره فيه وذكر ما يتصل بذلك:**

يبين ابن كثير رحمه الله ما يجب أن يكون عليه الدَّاعية إلى الله من إتباع القول بالفعل، وعدم مخالفة ذلك. ويذكر في تفسيره للآية السابقة أنَّ الله تعالى قد عاب على أهل الكتاب وذمَّهم على مخالفتهم فيما يقولون للناس، ونبَّههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه.

ورأي ابن كثير هنا أنَّه ليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل تركهم له فإنَّ الأمر بالمعروف معروف، وهوواجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلَّف عنهم.

فكل من الأمر بالمعروف وفعل المعروف واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف. والعالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه [1].

---

(١) كون العالم مطالباً بالأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وبالنهى عن المنكر وإن ارتكبه ناشيء عن كونه لا يحل له أن يكتم ما يعلم من الحق مهما ساء حاله، ولكن هذا لا ينافى كونه آثما مقصرا في دعوته مضيعاً لما يدعو إليه بعدم عمله به، وأن الصورة الصحيحة للداعية تستلزم اقتران القول بالعمل.

ثم أتبع ذلك جملة من الأحاديث النبوية التي فيها وعيد شديد لِمَنْ خالف قوله فعله لأخذ العبرة والاتعاظ بذلك، ليكون الدَّاعية على حذر فيما يدعو الناس إليه من دين الله [1].

منها ما رُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( **مررت ليلة أُسْرِيَ بي على قومٍ تُقْرَض شفاههم بمقاريض من نار. قال: قلت من هؤلاء ؟ قالوا: خُطَباء أُمَّتك من أهل الدنيا ممَّن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون** ) [2].

ومنها حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( **يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه** [3] **فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه، فيطوف به أهل النار فيقولون يا فلان ! ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه** ) [4].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٨٥ بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٨٦، ومسند الإمام أحمد ٣/١٨٠

(٣) القتب: ما يحويه البطن وهو الحوايا والأمعاء، والاندلاق: خروج الشيء من مكانه وكل شيء ندر ارجها فقد اندلق. غريب الحديث للقاسم بن سلام الدوى ٢/٣١

(٤) صحيح البخاري مع الشرح، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار فإنها مخلوقة ٦/٣٢١ وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر المعروف ولا يفعله ٤/٢٢٩١

إنَّ الدَّعوة إلى الخير وصالح الأعمال تربيـة، والتربيـة الصادقـة لا تكـون إلاَّ بحسن العمل، فهى مبنية على القدوة الصحيحة والأسوة الحسنة.

فليست الدَّعوة قولاً بلا عمل، فالدَّاعية واعـظٌ ومرشـدٌ للنـاس، ومعلِّـمٌ للخير، ومحذِّرٌ لهم عن الشرِّ، وإرشاد نفسه مُقَدَّمٌ على إرشاد غيره، فإذا زكَّـى نفسه وكمَّلها أصبح له قبولٌ عند من يدعوهم.

إذاً فالإسلام لا يعرف القعود أو التواكـل، فكمـا فـرض الفرائـض مـن العبادات ليحقق بها الإنسان عبوديته لله رب العالمين، فكذلك طالب بـالعمل في كل ميادين الحياة الدينية والدنيوية.

والإسلام دائماً يقرن بين العمـل الصـالح والإيمـان بـا لله تعـالى. فـالعمل بالعلم النافع من أبرز صفات الدَّاعية المسلم التي يجـب أن يتصـف بهـا. يقـول الله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا لم تقولون مـالا تفعلون * كبر مقتـا عنـد الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾[1].

هذه الآية فيها إنكار ووعيد لمن يعد وعداً، أو يقـول قـولاً ولا يفـي بـه كأن يدعو الناس إلى الخير وهو في نفسه مخالف لما يدعو إليه.

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣

وقد جاءت الأحاديث تنهى المسلم عموماً والداعية خصوصاً عن ذلك. من ذلك ماورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ( **آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدَّث كذب، وإذا ائتومن خان** ) (١).

ومنها حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ( **أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتومن خان، وإذا حدَّث كَذَبَ، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر** ) (٢).

وحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: سأل رجل على عهد رسول الله ﷺ فأمسك القوم. ثم إن رجلاً أعطاه فأعطى القوم. فقال النبي ﷺ: ( **مَن سنَّ في الإسلام خيراً فاستن به كان له أجره ومِن أجور مَن تبعه**

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ٢٦/١، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ٧٨/١، وصحيح الجامع الصغير ٦٣/١، وتفسير ابن كثير ٣٥٧/٤

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ٢٦/١، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ٧٨/١، وصحيح الجامع الصغير ٣٠٦/١، وتفسير ابن كثير ٣٥٧/٤

**مِن غير أن ينقص مِن أجورهم شيئا، ومَن سنَّ شرا فاستن به كان عليه وزره ومِن أوزار مَن تبعه مِن غير أن ينقص من أوزارهم شيئا)**[1].

والإسلام يفرض العمل، ولا يعد الإيمان إيمانا حتى يتبعه بالعمل. والعمل الصالح مظهر إيجابي في حياة الداعية المسلم. وهو كل ما يرجوه فيما يقدم من جهد ونصيحة ودلالة وإرشاد إلى الخير [2].

يقول الله تعالى في كتابه العظيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿والعصر * إنَّ الإنسان لفي خسر * إلاَّ الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[3].

في هذه السورة الوجيزة في لفظها، العميقة في مضمونها ومعناها، دعائم قوية، وركائز متينة يتخذها الدَّاعية، بل الدُّعاة إلى الله تعالى، نبراساً ومنهجَ حياةٍ لدعوة الناس إلى دين الإسلام.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث رقم ١٠١٧، ورواه الترمذي في كتاب العلم، حديث رقم ٢٥٩٩، والنسائي في كتاب الزكاة، حديث رقم ٢٥٥٤، وابن ماجة في المقدمة، حديث رقم ٢٠٣. جامع المسانيد والسنن ٢/٤١٥، ومسند الإمام أحمد ٣٨٧/٥

(٢) انظر: الإسلام وعالمنا المعاصر. دراسة في الدعوة والدعاة، للدكتور صابر طعيمة ص ٧٨، ١٢٣

(٣) سورة العصر، الآيات: ١-٣

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله: " اعلم رحمك الله أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

**الأولى:** العلم. وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

**الثانية:** العمل به.

**الثالثة:** الدَّعوة إليه.

**الرابعة:** الصَّبر على الأذي فيه " (١).

والدليل قول الله تعالى: وذكر السورة السابقة - سورة العصر -.

قال ابن كثير رحمه الله: " لقد أقسم الله تعالى بالعصر، وهو الزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وميدان العاملين ومجال المتسابقين، أن الإنسان لفي خسرٍ، أي هلاك وضياع.

فمن الناس من يستهلك زمنه في طاعة ربه ويقوم بالإصلاح والدعوة في أمته وهؤلاء هم الرابحون. ومنهم من يستهلكه في معاصي الله، وإفساد مجتمعه وأمته، وهؤلاء هم الخاسرون.

أقسم الله تعالى أن كل إنسان في خيبة وخسر وهلاك مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه.

واستثنى الله تعالى من جنس الإنسان من الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم.

---

(١) ثلاثة الأصول وأدلتها صـ ١

فيشمل الإيمان كل ما يقرِّب إلى الله تعالى من اعتقادٍ صحيحٍ، وعلمٍ نافعٍ، والعمل الصالح يشمل كل قول أو فعل يقرِّب إلى الله، وأن يكون فاعله لله مخلصاً، ولمحمَّدٍ ﷺ مُتَّبِعاً. قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[1].

والعمل الصالح سواء كان صلاةً، أو صوماً، أو حجّاً، أو صدقةً، أو دعوةً إلى الخير وإصلاحاً، أمراً بمعروفٍ، أو نهياً عن منكرٍ، لابد أن يراد به وجه الله تعالى والدَّار الآخرة، لا رياءً ولا سمعةً ولا أي عَرَضٍ آخر من أعراض الدنيا ونوازع الهوى، لأنَّ الله لا يقبل من العمل إلاَّ ما أريد به وجهه وحده، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ( **قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)[2].

إذاً فالعمل الصالح الذي أمر الله به ورسوله ﷺ، هو الطاعة، فكل طاعة لله ورسوله عمل صالح، وكل عمل صالح طاعة، وهو العمل المشروع المسنون، إذ العمل المشروع المسنون هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب،

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تحريم الرياء ٤/٢٢٨٩
وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة ٢/١٤٠٥

وهو العمل الصالح، وهو الحسن، وهو البر، وهو التقوى، وهو الخير، وهو المحمود.

قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1].

وضد العمل الصالح: المعصية، والعمل الفاسد، والسيئة، والفجور، والظلم، والبغي، والإثم، والعدوان.

وقد نهى الله عباده عن ذلك كله في الكتاب العزيز، وعلى لسان رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

بعد ذلك يأتي التواصي بالحق، وهو التواصي على فعل الخير، والحث عليه، والترغيب فيه وأداء جميع الطاعات.

ويتبع ذلك التواصي بالصبر بأن يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على فعل أوامر الله، وترك محارم الله، وتحمُّل أقدار الله، وأذى من يؤذي ممَّن يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: " لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم " [2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية صـ ١٦، وتفسير ابن كثير ٤/٥٤٧-٥٤٨، والضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ⇐⇐

وقال الشيخ ابن الجوزي: " فالله الله في العلم بالعمل فإنه الأصل الأكبر " (١).

والمسكين كل المسكين مَن ضاع عمره في علمٍ لم يعمل به، ففاتته لذّات الدنيا، وخيرات الآخرة، فقدم مفلسا على قوة الحجّة عليه (٢).

فعلى الدّاعية إلى الله أن يصدق في دعوته، وأن يحسن القصد مع بذل الجهد في إيصال الخير لإخوانه المسلمين.

ويستمد العون من الله فيما يقوم به من نصحٍ وتوجيهٍ وإرشادٍ، ليترك خلفه بعد رحيله من الدُّنيا ذكرى حسنةً، وثناءً طيِّباً، ويرصد له في صحيفته ذخراً يجده يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

قال ﷺ: ( **إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته، فسأله رجل من القوم: ما استعمله ؟ قال: يهديه الله عزَّ وجلَّ إلى العمل الصالح قبل موته ثم يقبضه على ذلك** ). (٣).

---

⇐⇐

صـ٣٨٥، والوصايا في الكتاب والسنة للدكتور على بن ناصر فقيهي صـ٧٢-٧٣، والمجموعة الرابعة ١٦ وصية.

(١) من كتاب ابن الجوزي ( صيد الخاطر ) صـ ١٦٩

(٢) صيد الخاطر لأبي الفرج ابن الجوزي صـ ١٦٩

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٣٥

وقال عليه الصلاة والسلام: ( **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث: إلاّ من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** ) [1].

يقول الخطيب البغدادي [2] رحمه الله: " إني موصّيك يا طالب العلم بإخلاص النيَّة في طلبه، وإجهاد النّفس على العمل بموجبه، فإنَّ العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً.

فلا تأنس بالعمل مادمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ماكنت مُقَصِّراً في العمل، ولكن اجمع بينهما، وإنْ قَلَّ نصيبك منهما.

وما شيء أضعف من عالِمٍ ترك النّاس علمه لفساد طريقته، وجاهِلٍ أَخَذَ النّاس بجهله لنظرهم إلى عبادته.

والقليلُ من هذا مع القليلِ من هذا، أنجى في العاقبة إذا تفضَّل الله بالرحمة وتَمَّم على عبده النّعمة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١٢٥٥/٣

(٢) الخطيب البغدادي هو أحمد بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب أَحَد الحفاظ المؤرخين، وُلِدَ في (غُزَيَّة ) بصيغة التصغير، منتصف الطريق بين مكة المكرمة والكوفة عام ٣٩٢ هـ، ونشأته ببغداد، وتوفي في بغداد سنة ٤٦٣. كان فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، له تاريخ بغداد، أربعة عشر مجلداً، وله عدة مصنّفات في الحديث، والفقه، ومصطلح الحديث، وكان من كبار الشافعية، وقد قرأ القراءات.

انظر الأعلام ١٧٢/١ وسير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨، واللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين ابن الأثير الجزري ١٦٢/١

فأمَّا المدافعة والإهمال، وحب الهوينى والاسترسال، وإيثار الخفض والدعة، والميل مع الراحة والسعة، فإن خواتيم هذه الخصال ذميمة وعقباها كريهة وخيمة.

والعلم يراد للعمل كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم كان العلم كلاً على العالِمِ. ونعوذ بالله من علمٍ عاد كلاً، وأورث

ذُلاً، وصار في رقبة صاحبه غِلاً.

وكما لا تنفع الأموال إلاّ بإنفاقها، كذلك لا تنفع العلوم إلاّ لمن عمل بها وراعى واجباتها.

فلينظر امرؤٌ لنفسه، وليغتنم وقته فإنَّ الثواء [1] قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والإغترار غالب، والخطر عظيم، والنّاقد بصير، والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد [2]. ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾[3].

فالعلم بمفرده لا يكفي في حق الدَّاعية أو العالِم، بل الأولى والأحق به اقتران العلم بالعمل.

لأنَّ العمل بالعلم من أبرز ما يجب أنْ يتّسم به الدَّاعية إلى الله ".

يقول الإمام الشاطبي [4] رحمه الله: " وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات وهي ثلاث:-

---

(١) ثوى بالمكان يثوى بالكسر ثواء وثويا أى أقام به. مختار الصحاح باب الثاء صـ ٩٠

(٢) اقتضاء العلم العمل صـ ١٤-١٦

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨

(٤) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. أصولي حافظ من أهل غرناطة كان من أئمة المالكية من كتبه: الموافقات والمجالس والاعتصام وغيرها توفي سنة ٧٩٠ هـ. انظر هداية العارفين ١٨/٥، والأعلام ٧١/١

**إحداها**: العمل بما علم حتى يكون قوله مطابقاً لفعله فإن كان مخالفاً له فليس بأهل لأن يؤخذ عنه، ولا أن يقتدى به في علم.

**الثانية**: أنْ يكون ممَّن رباه الشيوخ في ذلك العلم، لأخذه عنهم وملازمته لهم، فهو الجدير بأن يتّصف بما اتّصفوا به من ذلك، وهكذا كان شأن السَّلف الصَّالح.

**الثالثة**: الاقتداء بمن أخذ عنه والتأدب بآدابه [1].

ونجد ابن كثير رحمه الله كثيرا ما يحثّ على العمل الصَّالح ويذكر ما أعدَّ الله تعالى لعباده المؤمنين من الجزاء الحسن في الدَّار الآخرة.

فقد ساق خطبة النبي ﷺ وهي أوَّل خطبة جمعة خطبها الرسول ﷺ عندما قدم المدينة.

وفي هذه الخطبة درسٌ عمليٌّ للدُّعاة إلى الله تعالى فيما يقومون به من الدَّعوة إلى الله على هدى وبصيرة.

وهي أيضاً حافز لهم للتطلُّع إلى ما بعد هذه الحياة الدُّنيا ممَّا أعدَّ الله لعباده العاملين بما علموا من أمور الدِّين، والحريصين على إيصال الخير للغير، الذين جعلهم الله مفاتيح للخير مغاليق للشرِّ. فلقد أعدَّ الله تعالى للسائرين

---

(١) الموافقات في أصول الأحكام ١/٦٠-٦١

إلى الله تعالى على بصيرة مالا عين رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خَطَرَ على قلب بشر [1].

وقد جمع ابن كثير بين العلم والعمل وكان مثالاً يحتذى.

وقد ساعد على تكوين حصيلته العلمية مواصلته العمل في ميدان نشر الدين الإسلامي في مختلف الفنون عِدَّة عوامل منها:

١) إخلاص العمل لله تعالى، فهو بعيد عن السُمْعَة والرِّياء والتطلع إلى ثناء النّاس وطلب حمدهم له، وإنّما كان يقصد بكل ما يقوم به، ويعدوا إليه رضا الله تعالى والدار الآخرة.

٢) عمله بما تعلّم، ودعوته به، وتعليم ما تعلّمه للنّاس. فكان يعمل بما علم، ويبذل ما تعلّم عن معرفة، وحباً في المسارعة إلى الخير. كما عرف بالتّقوى، والزُّهد، والورع، والإعراض عن الدُّنيا وملذّاتها.

٣) أسرته: فقد عاش في أسرة متدينة عرفت بالعلم، وسعة الإطلاع، وقد أخذ عنها منذ صغره، فتلقى منها التربية السليمة، والتوجيه السديد، والرعاية الصحيحة [2]. فعلى الدّاعية أن يهتم بعمله ويعتني بإصلاحه.

وقد بيّن الله تعالى في كتابه العظيم أنَّ العمل لا يكون صالحاً حتى يتوافر فيه شرطان:

---

(١) البداية والنهاية ٣/٢١١-٢١٢

(٢) البداية والنهاية ١٤/٤٢ وانظر التعريف به بالتفصيل في ترجمته في المبحث الأول من التمهيد.

**الأوَّل**: أن يكون العمل خالصا لوجه الله تعالى، ليس فيه شائبة شرك، أو قصد لغير الله سبحانه.

**والثاني**: أن يكون العمل صواباً على سُنَّة رسول الله ﷺ. ليس فيه بدعة، أو اتباع لغير رسول الله ﷺ.

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله هذين الشرطين عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسنٌ﴾[1] أي: من أخلص العمل لله وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿فإن حاجُّوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني﴾[2] الآية. ﴿وهو محسنٌ﴾ أي: اتَّبع فيه الرسول ﷺ. فإن للعمل المتقبل شرطين:

**أحدهما**: أن يكون خالصاً لله وحده.

**والآخر** : أن يكون صواباً. موافقاً للشريعة، فما كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يتقبل.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: ( **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** ). رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام [3]. فعمل الرهبان ومن شابههم، وإن فُرِضَ أنَّهم مخلصون فيه لله، فإنَّه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعاً للرسول ﷺ المبعوث إليهم وإلى الناس كافَّة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٢

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠

(٣) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣

وفيهم وفي أمثالهم قال الله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية * تسقى من عين آنية﴾[2].

وأمَّا إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضاً مردود على فاعله. وهذا حال المرائين والمنافقين كما قال تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصَّلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾[3].

وقال ابن كثير في هذه الآية ﴿بلى مَن أسْلَم وجهه لله وهو محسن﴾ بعد قوله ﴿فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾: "ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور، وأنهم ممَّا يخافونه من المحذور، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما مضى مما يتركونه "[4].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣

(٢) سورة الغاشية، الآيات: ٢-٥

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٢

(٤) تفسير ابن كثير ١/١٥٤-١٥٥

فمتى توافر الشرطان: الإخلاص لله تعالى، والموافقة للرسول ﷺ في أي عمل يعمله العبد، كان هذا العمل هو العمل الأحسن، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[1].

وليعلم الداعية إلى الله تعالى أن الأعمال هي حصيلة الإنسان التي يخرج بها من هذه الحياة الدنيا، ويترتب عليها مصيره في الدار الآخرة.

قال ﷺ: ( **يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد.. يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله، وماله، ويبقى عمله**)[2].

فالعمل هو رفيق الإنسان في القبر ينعم به صاحبه إن كان صالحاً أو يعذّب به إن كان سيئاً.

والعمل الصالح يتمناه المحتضر وهو في سياق الموت - قال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [3].

---

(١) سورة الملك، الآية: ٢

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت ٨/١٩٣، وفي كتاب الزهد، حديث رقم ٢٩٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩-١٠٠

قال ابن كثير رحمه الله في معنى هذه الآية الكريمة: " يخبر تعالى عن حالة المحتضر عند الموت من الكافرين، أو المفرطين في أمر الله تعالى، وما يقولون عند ذلك، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدَّة حياته " (١).

وليدرك الدَّاعية إلى الله تعالى فيما يقوم به من دعوةٍ إلى الخير وإلى صراط الله المستقيم، أنَّ ذلك داخل في ثناء الله تعالى الجميل، ولكن يجب أن ينضم إلى ذلك عمل صالح، كما بيَّن الله ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَن أحسن قولاً مِّمَّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنَّني من المسلمين﴾(٢).

ويبسط ابن كثير هذا المعنى فيقول: " يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ومن أحسن قولاً مِّمَّن دعا إلى الله﴾ أي: دعا عباد الله إليه ﴿وعمل صالحاً وقال إنَّني من المسلمين﴾ أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازمٌ ومُتَعَدٍّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٥٥

(٢) سورة فصلت آية ٣٣.

بالخير ويترك الشرّ، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامَّة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى بذلك " (١).

ولقد وعد الله تعالى بالحياة الطيبة، والراحة والسعادة في الحياة الدنيا والثواب العظيم لمن آمن بالله وعمل صالحا.

قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: " هذا وعد من الله لمن عمل صالحاً، وهو العمل التابع لكتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ من ذكرٍ أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله.

وأنَّ هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت " (٣).

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٠٠

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥٨٥

وعلى المسلم الذي نذر نفسه في نشر دين الله تعالى وإبلاغه عباده أن يدرك أنَّ الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن العظيم المجازاة والمؤاخذة على العمل السيء، إمَّا في الدنيا وهذا أسهل للعبد، وإمَّا في الآخرة وهذا أشق والعياذ بالله من ذلك، وإما عفو الله تعالى فيما دون الشرك.

وعلى العبد أن يسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ويبتعد عن العمل السيئ، قليله وكثيره، عاجلاً قبل حلول الأجل، وخاصّة في مجال الدَّعوة إلى الله تعالى.

أمَّا العمل الصالح فعاقبته حميدة، وثمراته طيّبة في الدنيا والآخرة، وقد شرع الله تعالى الصَّفح والعفو والمسامحة لبيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده، ذكرانهم وإناثهم، بشرط الإيمان، وأنَّهم سيدخلون الجنَّة ولا يظلمون شيئا من حسناتهم، حتى ولو كان قليلا، ليكون ذلك دافعاً للعبد إلى إخلاص العمل لربه سبحانه. فيعمل إيماناً واحتساباً، وهو متبع في عمله ما شرعه الله له، وما أُرسل به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٥٥٩.

قال ﷺ: ( **من استطاع منكم أن يكون له خبء [1] من عمل صالح فليفعل** )[2].

وعلى الدَّاعية ألاَّ يغتر فيما يقوم به من عملٍ صالح بما يفيض عليه من نعم في هذه الحياة الدنيا. فالله تعالى يقول: ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلاَّ مَن آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضّعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون**﴾[3].

فليست هبة الله تعالى وإنعامه من كثرة المال والولد للعبد دليلاً على محبة الله تعالى له، بل ربما يكون ذلك استدراجاً.

قال ﷺ: ( **إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** )[4].

---

(١) الخبء: ما خُبيء وغاب، كالخبيء والخبيئة، مأخوذ من خبأه أي: ستره.
القاموس المحيط ١٣/١

(٢) انظر: جامع المسانيد والسنن ٢٩/٣، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٢٤٠/٥

(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٧

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعِرْضِه، وماله ١٩٨٧/٤

فالذي يُقَرِّب إلى الله تعالى، الإيمان به، والعمل الصالح، فإذا تحقق ذلك، فإن الله سبحانه سيضاعف الأجر بمضاعفة الحسنات ورفعة الدرجات ، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، مع المنازل العالية في الجنّة. ومع الأمن من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يحذر منه[1].

إن العمل الصالح هو الرصيد الثابت الذي يجده الدَّاعية وهو أحوج ما يكون عليه يوم القيامة، فلا يخشى عليه من الكساد، ولا ينقص من كثرة الإنفاق، أمَّا أرصدة الدنيا فهي معرَّضة للآفة، ولا تنفع عند الشدائد والكربات. فإذا حضر الأجل انقطع العمل. قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلامٍ للعبيد﴾[2].

فما يقوم به الداعية من تبليغ دعوة الله تعالى إلى خلقه فهو من العمل الصالح وهو مسطر في صحائفه، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

والله تعالى لا يكفر سعيه وهو عمله، أي لا يضيعه بل يثيبه عليه ويشكره ولا يظلم أحداً ولا مثقال ذرة.

فإن جميع أعمال الدَّاعية مدونة ومكتوبة عند الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٥٤١

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٥

فعلى الدَّعاة أن يكثروا من الأعمال الصالحة، مع التفاني في ذلك. قال تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾[1].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٤

## المبحث الخامس:

## الحثُّ على لزوم الجماعة:

**تعريف الجماعة:**

الجماعة لغةً: العدد الكثير من النّاس والشجر والنبات.وطائفة من النّاس يجمعها غرض واحد. والجمع: الجماعة، والمجتمعون [1].

وورد في لسان العرب: جمع الشيء عن تفرقه يجمع جمعا. وجمعته وأجمعه فاجتمع. والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وتجمَّع القوم: اجتمعوا [2].

والجماعة هى الاجتماع، وضدها الفرقة. وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين [3].

**الجماعة في الشرع:**

لقد ذكر الإمام الشاطبي [4] المراد بالجماعة شرعاً بعد سوقه جملة من أحاديث النبي الكريم ﷺ تبين ذلك.

وأوضح اختلاف العلماء في مفهوم الجماعة على خمسة أقوال هى:

**الأول** : أنّها السَّواد الأعظم من أهل الإسلام.

---

(١) المعجم الوسيط ١٣٦/١ مادة الجماعة.. الجمع.

(٢) لسان العرب ٥٣/٨ مادة جمع.

(٣) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٥٧/٣

(٤) تقدمت ترجمته ص١٧٥.

**الثاني** : أنّها جماعة أئمة الإسلام المجتهدين.

**الثالث** : أنَّ الجماعة هى الصحابة على وجه الخصوص.

**الرابع** : أنَّ الجماعة هى جماعة أهل الإسلام.

**الخامس**: الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

ثم قال بعد ذلك: وحاصله أنَّ الجماعة راجعة إلى الإجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسُّنّة، وذلك ظاهر في أنَّ الإجتماع على غير سُنّه خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث [1].

وجاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري أنَّ الجماعة هم أهل العلم الشرعي ومن سواهم.

والجماعة: المراد بهم أهل الحلِّ والعقد في كل عصر [2].

وجاء في شرح الطّحاوية: والجماعة جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتّباعهم هَدْي، وخلافهم ضلال [3].

---

(١) الاعتصام ٢/٢٦٠-٢٦٥

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٣١٦

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١/٥٤٤

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[1].

وجاء في شرح العقيدة الواسطية أنَّ الجماعة في الأصل: القوم المجتمعون والمراد بهم هنا سلف هذه الأمة من الصَّحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ [2].

فالجماعة من الإجتماع والإئتلاف. وضد ذلك التفرُّق والاختلاف، ودين الإسلام حثَّ على لزوم الجماعة المعتصمة بالله، والمتعاونة على البر والتقوى، ففي ذلك الخير والبركة للفرد والجماعة.

قال الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النَّار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلَّكم تهتدون﴾[3].

**دعوة ابن كثير إلى لزوم الجماعة:**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١

(٢) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس صـ ١٧

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣

وابن كثير يؤكد على أهمية الجماعة، والحثّ على لزومها عند قوله تعالى: ﴿ولا تفرّقوا﴾، فيقول: " أمركم - أي الله سبحانه - بالجماعة ونهاكم عن الفرقة. وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرُّق، والأمر بالاجتماع والائتلاف، كما في صحيح مسلم من حديث سهل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ( **إنَّ الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا. يرضى لكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرَّقوا، وأن تُناصِحُوا مَن ولاَّه الله أمركم. ويسخط لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال** ) [1].

وقد ضُمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا، وخيف عليهم الإفتراق والإختلاف، وقد دفع ذلك في هذه، فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية إلى الجنة مُسلّمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه [2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة... الخ ٣/١٣٤٠ إلاَّ أنَّ الذي في صحيح مسلم: ( ويكره لكم ) بدل ( ويسخط ) وليس في الصحيح: ( وأن تناصحوا من ولاَّه الله أمركم ) .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/٣٨٩

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ( **نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فبلَّغها، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه** ). زاد على بن محمَّد: ( **ثلاث لا يُغل عليهنَّ قلب امريء مسلم: إخلاص العمل لله، والنُّصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم** ) (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( **إنَّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإنَّ أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلاَّ واحدة، وهي الجماعة** ). وهذا إسناده قوى على شرط الصحيح تفرَّد به ابن ماجه (٢).

وإنَّ ممَّا يجب أن يدركه الدَّاعية إلى الله تعالى أهمية أمر ولاية المسلمين وعدم الاستخفاف أو الاستهانة بها، أو التساهل والتجرؤ على مخالفة إمام المسلمين والخروج عن طاعته، فإن فعل ذلك من الجهل والسعى في الأرض بالفساد، يعرف ذلك كل ذي عقل وإيمان.

وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنَّه لا دين إلاَّ بجماعة، ولا جماعة إلاَّ بإمامة، ولا إمامة إلاَّ بسمعٍ وطاعةٍ، وأنَّ الخروج عن طاعة ولي أمر المسلمين والافتيات (٣) عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد والعدول عن سبيل الهدى والرشاد.

---

(١) انظر: جامع المسانيد والسنن ١٤٣/٣، وسنن ابن ماجه المقدمة، باب من بلَّغ علما ٨٤/١

(٢) انظر: كتاب علامات يوم القيامة لابن كثير صـ ١٧ وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن بافتراق الأمم ١٣٢٢/٢، ورواه أبوداود في السنة، حديث رقم ٣٩٨١.

(٣) الإساءة إليه. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٣٦/٤

قال ﷺ:( أنا آمركم بخمس ا لله أمرنـي بهـن: بالجماعـة، وبالسـمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل ا لله، فإنه مَن خرج عـن الجماعـة قيـد شبر فقد خلع ربقة [1] الإسلام من عنقه إلى أن يرجـع، ومَـن دعـا بدعـوى الجاهلية فهو جثى [2] جهنم. قالوا يارسول ا لله: وإن صـام وصلى ؟ قـال: وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم، فـادعوا المسـلمين بمـا سمّـاهم المسـلمين المؤمنين عباد ا لله عزّ وجلّ ) [3].

فاتّهام أهل العلم والدين، ونسبتهم إلى التقصير، وترك القيام بمـا وجـب عليهم من أمر ا لله سبحانه، وكتمان ما يعلمـون مـن الحـق.. إنّ ذلـك جهـل واغتيـاب لأهـل العلـم والديـن. والتّفكـه بـأعراض المؤمنـين سُـمٌّ قـاتلٌ، وداء دفين، وإثمٌ واضح مبين. قال ا لله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾[4].

---

(١) هـي الحبـل والعهـد، شـبه مـا لـزم الأعنـاق منـه بالربقـة التـى تجعـل في أعنـاق إليهـم وإنما استعملها في موضع العهود لأنها تلزم كلزوم الرباق للأعناق.
المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث للأصفهاني ١/٧٣١

(٢) أى من جماعاتها. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١/١٩٠

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد ٤/٢٠٢، ومشكاة المصابيح ٢/١٠٩١. وقال الشيخ الألبـاني : إسناده صحيح.

(٤) سورة الأحزاب، الآيـة: ٥٨

إن الإخلاص لله تعالى، ومناصحة جميع المسلمين، ولزوم جماعتهم، والتزام السمع والطاعة لمن ولاّه الله أمر المسلمين، وترك التفرُّق والإختلاف لهو مطلب عظيم حثّت وأكدت عليه شريعة الله تعالى [1].

لأنَّ المسلمين كلمتهم واحدة، ومنهجهم واحد، وقوتهم واحدة، والتفرُّق والتمزُّق لا يأتي بخير، بل هو ممَّا يُفْرِح أعداء الله في الشرق والغرب [2]، والله سبحانه وتعالى نهى عن التفرُّق والإختلاف. قال جلَّ ثناؤه: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾[3].

قال الحافظ ابن كثير: " ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع قيام الحجة عليهم " [4].

---

(١) انظر: المجموع المفيد من رسائل وفتاوي الشيخ سعد بن حمد بن عتيق صـ ٥٩-٦٠

(٢) انظر: الصحوة الإسلامية - ضوابط وتوجيهات - للشيخ ابن عثيمين صـ ٨

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥

(٤) تفسير ابن كثير ١/٣٩٠

قال الله تعالى: ﴿ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾[1].

فالله تعالى يريد من عباده أن يكونوا موحدين له، مخلصين له العبادة، مسلمين له في الانقياد والطاعة، نائين بأنفسهم عن التفرُّق، لأن التفرُّق مذموم والاجتماع محبوب.

قال الإمام ابن كثير حول معنى هذه الآية الكريمة: " أي: لا تكونوا من المشركين الذين قد فرَّقوا دينهم، أي بدَّلوه وغيَّروه، وآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض. وقرأ بعضهم ﴿فارقوا دينهم﴾[2] أي: تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء كاليهود، والنصارى، والمجوس، وعبدة الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة، وهم مَن عدا أهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله﴾[3] الآية.

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ٣١-٣٢

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن من أوجه الإعراب والقراءات، للعكبري ١٨٦/٢

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩

فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنها على شيء.

وهذه الأمَّة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نِحَلٍ كلها ضلالة إلاَّ واحدة وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة التابعين وأئمة المسلمين في قديم الزمن وحديثه. كما رواه الحاكم في مستدركه أنَّه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم فقال: ( **مَن كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي** ) (١).

قال الإمام ابن تيمية: وقد نهى الله تعالى في كتابه عن التفرُّق، والتَّشتُّت، وأمر بالاعتصام بحبله.

فهذا موضوع يجب على المؤمن أن يثبت فيه ويعتصم بحبل الله، فإنَّ السُّنَّة مبناها على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ (٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٣٣/٣ وانظر: قريبا من هذا اللفظ المذكور في مستدرك الحاكم، كتاب الفتن والملاحم ٥٥٢/٤

(٢) الوصية الكبرى في عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية صـ ٦٠

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[1].

وقد أورد ابن كثير بعد هذه الآية بعض الأحاديث الدالّة على لزوم الجماعة والحثّ على السَّمع والطَّاعة كما رتّبها الله تعالى في الآية.

والمسلم الدَّاعية إلى دين الله عليه أن يتحلّى بالصَّبر على ما يلاقى مِن أذىً في سبيل الله، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، حفاظاً على جمع الكلمة ولَمِّ الشَّمل، واتّحاد الصَّف، ورأب الصَّدع.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ( **مَن رأى مِن أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنَّه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلاَّ مات ميتة جاهلية** ) [2].

وقال ﷺ: ( **إن لم يكن نبي من قبلي إلاَّ كان حقاً عليه أن يَدُلَّ أُمَّته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم.**

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٧/١ وانظر: صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب لزوم جماعة المسلمين ١٤٧٧/٣، وسنن الدارمي، كتاب السير، باب لزوم الطاعة والجماعة ١٥٨/٢

وإنَّ هـذه الأمـة جعلـت عاقبتهـا في أولهـا، وسـيصيب آخرهـا بـلاءً وأمـور ينكرونهـا، وتجـيء فـتن يرقـق بعضهـا بعضـاً. وتجـيء الفتنـة فيقـول المؤمـن: هـذه مهلكـتي، ثـم تنكشـف، وتجـيء الفتنـة فيقـول المؤمن: هـذه هـذه. فمَن أحـبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عـن النّـار ويدخـل الجنّـة فلتأتـه منيتـه وهـو يومـن بـالله واليـوم والآخـر، وليـأت إلى النّـاس الـذي يحـبّ أن يؤتـى إليـه. ومـن بـايع إمامـاً فأعطـاه صفقـة يـده وثمـرة فـؤاده فليطعه إن استطاع. فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر )[1].

وعن عبـد الله بـن عمـر رضـي الله عنهمـا عـن رسـول الله ﷺ قـال: ( السَّـمع والطاعـة على المـرء المسـلم فيمـا أحـبّ وكـره، مـالم يؤمـر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعـة ) [2].

وعن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنـه قـال: ( بايعنـا رسـول الله ﷺ على السَّـمع والطاعـة في منشـطنا ومكرهنـا، وعسـرنا ويسـرنا، وأثـرة

---

(١) تفسير ابن كثير ٥١٧/١ وانظر: صحيح مسلم، كتاب الإمـارة، بـاب وجـوب الوفـاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ١٤٧٢/٣، والنسائي في كتاب البيعة، حديث رقم ٤١٩١، وابن ماجة في الفتن، حديث رقم ٣٩٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٧/١ وانظر: صحيح البخاري، كتـاب الأحكـام، بـاب السـمع والطاعة للإمام مـالم تكـن معصيـة ١٣٣/٩، وصحيـح مسـلم، كتـاب الإمـارة، بـاب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣

**علينا، وألا ننازع الأمر أهله. قال: إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان )** [1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: **( مَن خلع يداً من طاعةٍ لقى الله يوم القيامة لا حُجَّة له، ومَن مَات وليس في عُنُقِه بيعة مات ميتة جاهليَّة )** [2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **( اسمعوا وأطيعوا وإنْ أُمِّرَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأنَّ رأسه زبيبة )** [3].

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يقع الإختلاف من أجل الإبتلاء والإختبار، فيُثَبِّتُ الله مَن يشاء من عباده، فيسلكون صراطه المستقيم، ويُضِلُّ مَن يشاء وهو أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين.

---

(١) تفسير ابن كثير ٥١٧/١، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الفتن، حديث رقم ٧٠٥٦، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ١٤٧٠/٢

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٧/١، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ١٤٧٨/٣

(٣) تفسير ابن كثير ٥١٧/١، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ١١٣/٩، وابن ماجة في كتاب الجهاد، برقم ٢٨٦٠.

والذين ثبَّتهم الله هم من المرحومين السالمين من التفرُّق والإختلاف، النائين عن التنازع والشقاق، وهم أتباع الرسل الكرام، الذين تمسَّكوا بما أُمِرُوا به من الدين، الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من عند ربهم. وخاتم الرسل والأنبياء هو محمَّد ﷺ، فالذين اتَّبعوه وصدَّقوه، وآزروه ونصروه، واهتدوا بهديه، وأخذوا بسُنَّته، هم الفائزون بسعادة الدُّنيا وعظيم المثوبة في الآخرة [1].

قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل النَّاس أُمَّةً واحدةً ولا يزالون مختلفين * إلَّا مَن رحم ربك ولذلك خلقهم وتمَّت كلمة ربِّك لأملأنَّ جهنَّم مِنَ الجِنَّةِ والنَّاس أجمعين﴾[2].

فتجريد الإخلاص لله تعالى، ومحض النُّصح لعامَّة المسلمين، ومتابعة السُّنَّة، أمرٌ مطلوبٌ من الدَّاعية إلى الله تعالى.

وينتج من ذلك ائتلاف القلوب، ولزوم الجماعة، وعدم الإختلاف عليهم [3]. قال تعالى: ﴿ومَن يشاقِقِ الرَّسول مِن بعدِ ما تبيَّن له الهُدى ويتَّبِع غيرَ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٦٥.

(٢) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩

سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[1]. فالجماعة ضرورة في حياة الأُمَّة المسلمة، ولزوم جماعتها آكد.

وغياب جماعة المسلمين يؤدي إلى التفرُّق والذِّلَّة والهوان والفوضى. هذا في الحياة الدُّنيا، وأمَّا في الآخرة فإنَّه إذا حصل تفريطٌ واستهانةٌ بأمر الحفاظ عليها، وخاصّة من قِبَلِ أهل العلم والدِّين، فهناك العذَّاب الأليم، كما أنَّ تخلِّي المسلمين عنها يُحَمِّلهم الإثم والوِزْر.

وبهذا يظهر معنى السُّنَّة والجماعة، وأنَّ السُّنَّة مقرونة بالجماعة، ويجب الحذر من ضد ذلك، وهو البدع، والزيغ، والضلال.

والنُّصوص من الكتاب والسُّنَّة أظهرت بجلاء وجوب لزوم جماعة المسلمين، وطاعة أئمتهم ولو عَصَوا.

ومِن جهل بعض المسلمين - حين رأوا فساد وظُلْم بعض الخلفاء المتأخرين في الدولة العثمانية - أنَّهم سعوا للتحالف مع الكفرة لإزالة دولة

---

⇐⇐

(٣) انظر: بهجة قلوب الأبرار وشرح جوامع الأخبار للشيخ عبد الرحمن السعدي صـ ٢٦٥-٢٦٦

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥

الخلافة. وتناسوا أنّه لا يجوز الخروج على الأئمة ما لَمْ يروا كُفْراً بواحاً، وشركاً ظاهراً، عندهم عليه من الله فيه برهان.

وعند خلو المسلمين من الجماعة والإمام - فإنَّ على المسلم أن يعتزل فِرَق الضلال والهوى وأحزاب الفُرْقة، كما أرشد إلى ذلك النَّبِيُّ الكريم ﷺ.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان النَّاس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشَّرِّ مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله ! إنّا كُنّا في جاهليَّةٍ وشَرٍّ، وجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير مِن شَرٍّ ؟ قال: ( **نعم** ). قلت: وهل بعد هذا الشَّرِّ مِن خير ؟ قال: ( **نعم. وفيه دَخَن** ) [1] قلت: وما دخنه ؟ قال: ( **قوم يستنون بغير سُنَّتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتُنْكِر** ). قلت: فهل بعد ذلك الخير من شَرٍّ ؟ قال: ( **نعم. دعاة على أبواب جهنَّم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها** ). قلت: يا رسول الله ! صِفْهُم لي. قال: ( **هم من جلدتنا، ويتكلّمون بألسنتنا** ). قلت: فما تأمرني إنْ أدركني ذلك ؟ قال: ( **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** ). قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال:

---

(١) الدَّخَن: مصدر دَخَنَت النّار تَدْخَن إذا أُلقِيَ عليها حطب رطب فكثر دخانها.
وفي الحديث تشبيه للفتنة بالدخان المرتفع عند ظهورها وإثارتها.
انظر: النهاية في غريب الحديث ١٠٩/٢ مادة ( دَخَنَ ).

**(فاعتزِل تِلْك الفِرَق كلها، ولو تعض بأصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك )** [1].

فالنّاس لا تصلح حالهم في دنياهم ومآلهم إلاّ بالإتّفاق والإئتلاف، واجتناب الفُرْقَة والإختلاف. ولابُدَّ أن يكون الإجتماع والإتّحاد على أمرٍ عامٍّ يشتركون في نفعه، ويرجون جميعاً منه فائدة تعود عليهم في عاجل أمرهم وآجله.

ولا يحصل الإتّفاق الكامل، الذي تكون فيه المحبَّة والأُلفة إلاّ مع اتّفاق الدين والعقيدة، فإذا كان الدين حقّاً، والعقيدة صافية من الشوائب، سالمة من الإنحرافات، فهناك يكون الإتّفاق الصَّادِق، وتتأصَّل الروابط، ويكون البذل والعطاء والتضحية والإيثار والإتّحاد.

والله تعالى قد أوجب على المسلمين الإجتماع على دين الإسلام، والإعتصام بكتابه القويم، وطاعة رسوله الأمين ﷺ، وأن يكون الإلتفات حوله، والوحدة على التّمَسُّك بذلك.

فلا عصبيَّات، ولا قوميات، ولا جنسيات، ولا مذهبيات، ولا حزبيات سياسية، وقد ظهرت هذه الأمور حديثاً، استناداً إلى أفكار قاصرة.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، حديث رقم ٣٦٠٦، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفِتَن ١٢/٢٣٦-٢٣٧.

والله سبحانه وتعالى نهى عن التَّفَرُّقِ في الدين والإنقسام بعد الإجتماع، والإعتصام بكتاب الله، لِمَا في التفرُّق من زوال الوحدة التي هي معقد العزّ والقوَّة. فبالإجتماع تقوى الأُمَّة، وبالقوَّة يعزّ الحقّ فيعلو على الباطل.

قال تعالى: ﴿كان الناس أُمَّةً واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلاَّ الذين أوتوه مِنْ بعدِ ما جاءتهم البيِّنات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه والله يهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾[1].

فأخبر سبحانه عن اتِّفاق النَّاس في الأصل، وأنَّهم كانوا جماعة متَّحِدَة، وهذا الإختلاف في الدِّين هو الإختلاف الذي يكون به تضليل بعضهم بعضاً، ومعاداة بعضهم بعضاً، ثُمَّ بعد ذلك يكون القِتال وشِدَّة التَّفَرُّقِ والنِّزاع والشِّقاق والتَّقاطُعِ والإنقسام.

وقد بعث الله إلى العباد الرُّسُلَ مبشرين مَنْ أطاعهم واجتمع على الهدى الذي جاءوا به بالسعادة في الدارين، والسيادة في الدنيا، ومُنْذِرين مَن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣

عصاهم بالعذابِ في الآخرة، والعقوبة في الدُّنيا، بما يَنغّص عليهم حياتهم، أو يهلكهم بعذابٍ مُتّصلٍ بعذاب الآخرة [1].

وعند اعتزال فِرَق الضَّلالة، والبعد عن الفتن وترك الإختلاف، فليس المراد العُزْلَة المُطْلَقة، التي يُتْرَك فيها الباطل يصول ويجول، ويطغى شرُّه على الحق، دون رادعٍ أو منازع. بل على المسلم التَّمَسُّك بأصول هذا الحديث كتاباً وسُنَّة، وفهمهما بفهم صحابة رسول الله ﷺ، ومَن سار على دربهم واقتفى أثرهم من أئمة الهدى، حتى يأتي أجل المسلم ويموت وهو على دين الإسلام الحق.

وعلى المسلمين عامَّةً، والدُّعاة إلى الله تعالى خاصّة، دعوة النَّاس إلى التَّمَسُّكِ والعمل بهذين الأصلين العظيمين: الكتاب، والسُّنَّة [2].

قال ابن كثير رحمه الله: " وقد تكون لِمَا اجتمعت عليه الأُمَّة المحمَّديَّة فيما عُلِمَ اتِّفاقهم عليه تحقيقاً، فإنّه قد ضُمِنَت لهم العِصْمة - في اجتماعهم - من الخطأ تشريفاً لهم، وتعظيماً لِنَبِيِّهم " [3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٥٠، ورسالة في ذمِّ الفُرْقَة والإختلاف في الكتاب والسُّنَّة للشيخ عبد الله بن محمَّد الغنيمان.

(٢) انظر: الإستقامة لابن تيمية ١/٢٤-٤٦. والقول المبين في جماعة المسلمين: لسليم بن عيد هلال صـ ٥١-٥٧

(٣) تفسير ابن كثير: ١/٥٥٦

وقد أورد ابن كثير ما يتعلّق بالجماعة في كتاب أحكام الكبيرة، كما ذكر ذلك في تفسيره [1]. وقال في موضعٍ آخر من تفسيره: " وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك - أي الجماعة - ذكرنا طرفاً منها في كتاب أحاديث الأصول " [2]. وهذان الكتابان حسب اطّلاعي لم يُطْبَعا.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٨٤/١

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٦/١

# الفصل الثَّاني

—

# منهجه في إعـداد الدَّاعيـة

—

## المبحث الأوّل: إعداده بالعلم:

يجب على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يدرك أهمية العلم الشرعي، وتكون له القدرة والفهم العميق لوظيفة العلم في حياة الإنسان المسلم.

والعلم لا يُطلَب لذاته، وإنّما يؤدّي إلى غايةٍ مشروعةٍ يُحَقّقُها. ولابُدَّ من التّحصيل، والإستمرار في التّلقّي، لتتكون لدى الدَّاعي أهلية العلم والمعرفة.

والعلم المراد هو المبني على الكتاب والسُّنّة، فهما اللذان يحقّقان السعادة للإنسان في الدُّنيا والآخرة، ويبعد العلم بهما عن الدَّاعي صفة الجهل[1].

قال الله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافّةً فلولا نفر من كُلِّ فرقةٍ منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾[2].

ففي الآية الكريمة بيان عن الله تعالى لِمَن خرج مع النّبيِّ ﷺ للجهاد في سبيل الله، أن يكون نفر المسلمين معه من عموم القبائل، ليتفقّه الخارجون مع الرسول ﷺ بما ينزل من الوحي على الرسول ﷺ، فينذروا أقوامهم إذا رجعوا إليهم [3].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور علي عبد الحليم محمود ١/٤٠٨-٤٠٩

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٠٠ بتصرُّف.

وفي الآية الكريمة أيضاً ندب من الله تعالى للمؤمنين إلى التَّفقُّه في الدِّين، وهو تعلُّمِه، وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، وهو التَّعليم.

وعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يحذو حذو أهل العلم المؤمنين الذين شاع لهم ذكر في الأُمَّة، لأنَّهم تدبروا كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ، وحصَّلوا من العلم ما يعينهم على فهم كتاب الله، وعلى فهم سُنَّة رسول الله ﷺ فهماً صحيحاً من الصحابة رضي الله عنهم، ومِنَ التَّابعين لهم بإحسانٍ مِن أئمة الإسلام، فيما كتبوا وما نقل عنهم، ومَن سار على نهجهم من أهل الصِّدق والوفاء والبصيرة. كأبي العباس ابن تيمية، وتلميذيه: ابن القيِّم، والحافظ ابن كثير، وغيرهم مِمَّن برزوا في هذا الميدان من أئمة هذا الشأن [1].

إذاً فيجب لكل داعٍ إلى الله تعالى: العِلْم بشرع الله تعالى، وبالحلال والحرام، وما يجوز وما لا يجوز، وما يسوغ فيه الإجتهاد وما لا يسوغ فيه، وعليه أن يستزيد من هذا العلم الشرعي ليعرف موضوع دعوته حق المعرفة، ويكون فيه على بَيِّنَةٍ، فلا يأمر إلاَّ بالحق، ولا ينهى إلاَّ عن باطل [2].

وعلى الدَّاعية أن ينقاد لأمر الله تعالى ويتواضع له، ومَنْ كان كذلك، فإنَّ الله يرفع قدره، وينشر ذكره، ويجزيه الجزاء الحميد في الدُّنيا والآخرة [3].

---

(١) رسالة في أهمية العلم للشيخ عبد العزيز بن باز صـ ٣٣-٣٤

(٢) انظر: أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان صـ ٣١٥

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٢٦/٤

قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1].

وكلّما ازداد العالم والدّاعي معرفةً بالله تعالى، كلّما كانت معرفته بالله العظيم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى أعظم، والعلم به أكمل، والخشية له أكثر [2].

قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنّه الحق من ربّك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإنّ الله لهاد الذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيم﴾[4].

يوضّح ابن كثير عند هذه الآية الكريمة أنّ مَن أُوتي علماً فهذا العلم لا يكون نافعاً، ومُفَرِّقاً بين الحق والباطل، إلاّ إذا كان صاحبه مُحَقِّقاً الإيمان بالله تعالى، وبرسوله ﷺ، وأنّ ما أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ هو الحق الذي أنزله بعلمه، وحفظه وحرسه من أن يختلط به غيره، وأنّه كتابٌ

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٥٥٣

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨

(٤) سورة الحج، الآية: ٥٤

عزيزٌ ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد﴾[٥]، وأنَّ نتيجة الإيمان التصديق والإذعان والإنقياد لِمَا أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ.

وثمرة ذلك طمأنينة قلوب المؤمنين وخضوعها لله تعالى، فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى السعي الحثيث في تحصيل هذا الشرف الرفيع.. ففي الدنيا له مكانة حميدة، يغبطه عليها غيره من النَّاس، مع أنَّ الدُّنيا ليست غاية، وهي سريعة الزوال. أمَّا الآخرة فهي التي يجب أن يهتمَّ لها المؤمنون عامَّةً، والدُّعاة إلى الله خاصَّةً. والدَّاعية بالعلم النافع يكون قد أدرك فيها قدراً عظيماً، وهو أعود نفعاً وأتمّ فائدةً، وأجلّ في حصول المقصود.

والله سبحانه وتعالى هادي الذين آمنوا إلى سلوك صراطه المستقيم في الدُّنيا والآخرة، في الدُّنيا يرشدهم إلى الحقِّ واتِّباعه، ويوفقهم لمخالفة الباطل، وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنَّات، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدَّركات [١].

فالعلم والمعرفة من سُبُلِ الخير، والله تعالى بيَّن في كتابه الكريم سُبُل الخير وسُبُل الشر. وأمر عباده باتِّباع سبيله، ونهاهم عن السُّبُل المضلَّة، والتي تخالف سبيله.

---

(٥) سورة فصِّلَت، الآية: ٤٢

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٢٣٠ بتصرُّف.

وانظر: كتاب " أدب الطلب ومنتهى الأرب " للشوكاني صـ ١٢٨، وكتاب " جماع العلم " للإمام محمَّد بن إدريس الشافعي صـ ١١، ٣٧

قال تعالى: ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون﴾[٢].

ولقد أقام الله الحُجَّة على خلقه، وسدَّ الذريعة التي تؤدي إلى المعاذير والتأويلات الباطلة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿رُسُلاً مبشِّرين ومُنذِرين لئلاَّ يكون للنَّاس على الله حُجَّةٌ بعد الرُّسُل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[١].

ولقد بيَّن ابن كثير أنَّ الدَّاعية إلى الله تعالى - والذي تعلَّم العلم للقيام بواجب الدَّعوة - مطيعٌ لله تعالى ولو خالف أهواء النَّاس، لأنَّه يرغب في الثَّواب من الله تعالى. فالرسول ﷺ بيَّن أنَّ مَن دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من تبعه مِنْ غير أنْ ينقص ذلك مِن أجورهم شيئاً.

جاء في الحديث الصَّحيح: (**مَنْ دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثل أُجور من اتَّبعه لا ينقص ذلك مِن أُجورهم شيئاً. ومَنْ دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثم مثل آثام مَن اتَّبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**)[٢].

---

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣ .

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب العلم، باب مَن سَنَّ سُنَّةً حسنة أو سيئة، ومَن دعا إلى هدى أو ضلالة: ٤/٢٠٦٠. والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، والترمذي في كتاب العلم، حديث رقم ٢٥٩٨.

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يقوم بواجب معرفة الله تعالى، بما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه في الإعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال. لأنَّ ذلك يؤدي إلى القيام بجميع ما أوجب الله، فتعود ثمرة هذا العلم النَّافع بالفائدة للدَّاعية ولِمَن يدعو [1].

وقد ذكر الله تعالى المحاورة التي وقعت بين موسى والخضر عليهما السلام، وفيها يظهر ما يجب أن يكون عليه موقف المتعلِّمين مِنَ العَالِم. قال تعالى: ﴿وقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾[2].

ويبيِّنُ ابن كثير - رحمه الله - في هذا الموضع علاقة المتعلِّم مع العَالِم، وما ينبغي أن يكون عليه المتعلِّم من الأدب والإحترام والتلطُّف، فيقول: " سؤال تلطُّف لا على وجه الإلزام والإجبار. وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلِّم مع العالِمِ " [3].

والدَّاعية إلى الله تعالى الذي تحصَّل على العلم النَّافع هذا هو الذي يأمل في الثواب في الآخرة، وهو السعيد حقّاً، لأنَّه موقنٌ بثواب الله في الآخرة،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٦٦/٢، وفضل علم السلف على الخلف لابن رجب الحنبلي صـ ٤٧، وجامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر ٤/١، ٣٩

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٦

(٣) تفسير ابن كثير: ٩٦/٣

فهو يتحمَّل ما يلاقيه من أذىً في سبيل دعوتـه النّاس إلى الخير، وإخراجهم مِنَ الظُّلمات إلى النُّور.

قال ﷺ: **(مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنَّة)**[1].

فالحفظ والدراسة والمطالعة والمذاكرة والفهم، مِن الطُّرق التي يتوصل بها إلى العلم، فالدَّاعية الذي يلتمس العلم ليهتدي ويهدي به، يزيده الله هُدى، وييسر له الإنتفاع به في الآخرة. والشَّقِيُّ هو مَن عَصَى الله واتَّبع هواه بغير هُدىً من الله. فمَن سلك طريقاً يظنه طريق الجنَّة، بغير علم، فقد سلك أعسر الطرق وأشقاها.

يقول الله تعالى عن الذين أقبلوا على الدُّنيا، وغفلوا عن الآخرة: **﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدُّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾**[2].

قال ابن كثير: " أي أكثر النّاس ليس لهم علم إلاّ بالدُّنيا وأكسابها وشئونها وما فيها، فهم حُذّاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدَّار الآخرة " [3].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب. وصحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء، برقم ٢٦٩٩.

(٢) سورة الروم، الآية: ٧

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٢٧/٣، والبداية والنهاية ٧٢/٦، وشرح حديث أبي الدرداء لابن رجب صـ ٩، ومختصر إيقاظ همم أولي الأبصار، لصالح الفلاني صـ ٣٥

## المبحث الثاني: الإخـــلاص:

الإخلاص من أهم أسباب النجاح والفلاح، ومِمَّا ينبغـي أن يتحلّى بـه الدَّاعي إلى الله تعالى في دعوتـه.

فالله تعالى خلق الخلق لعبادته وأمر بذلـك، قـال تعـالى: ﴿وما أُمِروا إلاَّ ليعبـدوا اللهَ مخلصـين لـه الديـن حُنَفَـاء ويقيمـوا الصَّـلاة ويؤتـوا الزَّكـاة وذلـك ديـن القَيِمـة﴾[1].

فـالله تعـالى أمـر عبـاده بـالإخلاص لـه، لأنَّ الإخـلاص روح العبـادة ولُبُّها، فأي طاعة من الطَّاعات، وأي عبادة مـن العبـادات، إذا لم تصـدر عـن إخلاصٍ لله تعالى وحسن طويـة، فلا اعتداد بها، ولا التفات إليها.

فالإخلاص هو القاعدة الأولى التي تُبْنَى عليها العبادة وتتم بهـا، بجـانب المتابعة للرسول ﷺ.

قـــال تعـــالى: ﴿قُـلْ إنَّ صَلاتـي ونُسُـكي ومَحْيـايَ ومَمَـاتي للهِ ربِّ العالمين ۞ لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أوَّل المسلمين﴾[2].

---

(١) سورة البَيِّنة، الآيـة: ٥

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣

فابن كثير - رحمه الله تعالى - بيَّن أنَّ الله تعالى أمَرَ نبيَّه محمَّداً ﷺ أنْ يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه، أنَّه مخالفٌ لهم في ذلك.

لأنَّ الصَّلاة لا تكون إلاَّ لله سبحانه، والذَّبح لا يحل إلاَّ بذكر اسم الله عليه وحده لا شريك له. وهذا مثل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[1] أي: أخْلِص له صلاتك وذبحك، فإنَّ المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله بمخالفتهم واجتناب ما هم عليه. والأعمال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى [2].

ولقد كان رسول الله ﷺ ينوه عن إخلاص حتَّى في دعائه، فكان ﷺ إذا أصبح قال: (**أصبحنا على مِلَّة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبيِّنا محمَّدٍ، ومِلَّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**) [3].

**حقيقة الإخلاص:**

أن يعمل الإنسان العمل لا يريد به إلاَّ وجه الله، ولا ينتظر من أحَدٍ جزاءً ولا شكوراً.

---

(١) سورة الكوثر، الآية: ٢

(٢) تفسير ابن كثير ١٩٨/٢ بتصرف.

(٣) المصدر السابق. وانظر: مسند الإمام أحمد ٤٠٦/٣-٤٠٧، ١٢٣/٥

فالإخلاص مورده القلب، والنية معيار الأعمال، ومقياسها العادل الذي يتميَّز به طيبها من خبيثها، وصحيحها من فاسدها، ومقبولها من مردودها، ونافعها من ضارِّها.

لأنَّ الطَّاعات تتفاوت ويتفاوت أجرها بتفاوت النية فيها، وما قام بالقلب منها.

لذا يجب على من نصح لنفسه، وطلب لها الخلاص من عذاب الله، أنْ يسعى في خلاصها بالإخلاص لله وحده في جميع العبادات التي موردها القلب واللسان والجوارح، كما يجب عليه أنْ يطلب العلم الذي ينجو به من النَّار، ويدخل به جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، ويصح به إيمانه، وتنفعه معه أعماله [1].

ولقد جلى ابن كثير حقيقة الإخلاص عند قوله تعالى: ﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدِّين ۞ ألا لله الدِّين الخالص﴾[2].

حيث يقول ابن كثير: " أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنَّه لا تصلح العبادة إلاَّ له وحده، وأنَّه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ألا لله الدِّين الخالص﴾

---

(١) انظر: الدرر السنية، لعبد الرحمن محمَّد بن قاسم ٢/٢٨٤، وأحاديث الجمعة، لعبد الله بن حسن القاعود صـ ١٤، وأسس الدَّعوة، لمحمَّد السيد الوكيل صـ ٨٦

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢-٣

أي: لا يقبل من العمل إلاّ ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له " [1].

ثُمَّ ذكر ابن كثير ما يدل على حقيقة الإخلاص من الأحاديث النبوية الشريفة التي تدفع بالعامل إلى التّطلُّعِ إلى ما أعدَّ الله لعباده العاملين الذين أخلصوا له من السعادة في الدَّارين.

قال ﷺ: **(ثلاثُ خِصال لا يُغل عليهنَّ قلب مسلمٍ أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم)** [2].

وقال عليه الصلاة والسلام: **(مَنْ كان همّه الآخرة، جمع الله شمله** [3]**، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدُّنيا وهي راغمة** [4]**. ومَن كانت نيته الدُّنيا فرَّق الله عليه ضيعته** [5]**، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدُّنيا إلاّ ما كُتِبَ له)** [6].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/٤٥

(٢) جامع المسانيد والسنن ٣/١١٢-١١٣، وانظر: سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحثّ على تبليغ السماع ٥/٣٤-٣٥، وابن ماجة في المقدمة، حديث رقم ٢٣٠.

(٣) الشمل: الإجتماع. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٥٠١ مادَّة (شمل).

(٤) أي: ذليلة ومنقادة على كُرْه. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٢٣٨ مادَّة (رغم)

(٥) الضَّيْعَة في الأصل: المرَّة مِن الضَّياع. وضيعة الرَّجُل ما يكون منه معاشر، كالصَّنعة والتجارة والزراعة، وغير ذلك.

⇐⇐

وإذا كانت حقيقة الإخلاص أن يريد الإنسان بعمله وجه الله وحده، فإنَّ مراءاة الإنسان بعمله، وقصد الشهرة، والنِّفاق، كل ذلك ينافي الإخلاص ويقدح فيه أو يخل به خللاً بليغاً، ويؤدِّي إلى حبوط العمل، لأنَّ الإخلاص الذي يريده الله تعالى ويتوقَّف عليه قبول العمل، هو إفراد الله تعالى بالطَّاعات، وقصده بها دون غيره، وتجريدها وتصفيتها من قَصْدِ المحمَدة أو الثناء والرِّياء والسُّمعة، وكل معنىً آخر سوى التقرُّب بها إلى الله وحده.

وعلى هذا يكون باطن العامل كظاهره أو أحسن، وسِرُّه كعلنه أو أفضل، وتكون خشيته لله تعالى، ومراقبته له في الغيب والشهادة.

فالإخلاص أعزّ الأشياء، وأشقها على النَّفس، لارتباطه الوثيق بالله تعالى، وما يجب له، وتعلُّقه بالأعمال وآفاتها، فلا يهم العمل لسهولته، وإنَّما المهم سلامة العمل، وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه والمنقصة له، لذا كان السلف الصَّالح يحرصون على سلامة العمل وإخلاصه لله تعالى [1].

---

⇐⇐

انظر: النهاية في غريب الحديث ١٠٨/٣ مادَّة (ضيع)

(٦) جامع المسانيد والسُّنَن ١١٣/٣. وانظر: مسند الإمام أحمد ١٨٣/٥، وابن ماجة في الزهد، حديث رقم ٤١٠٥.

(١) انظر: الدُّرر السنيَّة ٢٩٤/٢، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ٧٩/١

ولقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - جملةً من الأحاديث التي فيها ذَمٌّ للشرك الأصغر، وتحذيرٌ من الرِّياء والسُّمعة، لِمَا في ذلك من خطرٍ على العبد المسلم في آخرته.

وعلى الدُّعاةِ إلى الله الحذر من ذلك أشد الحذر، لأنَّ الدَّاعي إلى الله تعالى لا يطلب أجراً من أحَد، وإنّما يرغب فيما عند الله، ويطلب الأجر منه وحده.

١) قال شدَّاد بن أوس رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَن صلّى يرائي** [1] **فقد أشرك، ومَنْ صام يرائي فقد أشرك، ومَن تصدَّق يرائي فقد أشرك**). قال عوف بن مالك عند ذلك: أفلا يعمد إلى الله ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله، فيقبل ما يخلص، ويدع ما أشرك به. فقال شدَّاد بن أوس عند ذلك: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنَّ الله يقول: أنا خير قسيم لِمَن أشرك بي. مَن أشرك بي شيئاً فإنَّ عمله، قليله وكثيره، لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني**) [2].

٢) وقال ﷺ: (**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**). قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال: (**الرياء، يقول الله تعالى**

---

(١) الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه. انظر: التعريفات صـ ١١٣

(٢) تفسير ابن كثير: ١٠٩/٣، وانظر: مسند الإمام أحمد: ١٢٦/٤

**يوم القيامة إذا جزى النَّاس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون في الدُّنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً)** [1].

٣) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **(مَن يُرائي يرائي الله به، ومَن يَسمَّع يُسمِّع الله به)** [2].

٤) وقال ﷺ: **(مَن سمَّع النَّاس بعمله سمَّع الله به مسامع خلقه وصغَّره وحقَّره)** [3].

وبهذا يتبيَّن أنَّ الإخلاص له أثرٌ كبيرٌ في قبول الأعمال و عدمه في ردِّها.

قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن لمَّا طلب منه معاذ أنْ يوصيه: **(أخلِص دينك يكفيك العمل القليل)** [4].

فعلى الدَّاعية أن يُخلِص في عمله، وأن يبتغي به وجه الله والدَّار الآخرة، والله تعالى يكتب له كل عملٍ يعمله، وكل خطوةٍ يمشيها، وكل كلمةٍ يلقيها، وكل لحظةٍ يصرفها في سبيل الدَّعوة إلى الله سبحانه.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/١٠٩، وانظر: مسند الإمام أحمد: ٥/٤٢٨

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/١٠٩، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب مَن أشرك في عمله غير الله ٤/٢٢٨٩. وصحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٤٩٩. وفي الحديث تقديمٌ وتأخيرٌ لما عند ابن كثير في تفسيره.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/١١٠، وانظر: مسند الإمام أحمد: ٢/٢٢٣-٢٢٤

(٤) مستدرك الحاكم، كتاب الرقاق ٤/٣٤١ وقال: صحيح الإسناد و لم يخرِّجاه. وانظر: تفسير ابن كثير: ١/٥٠٧

فالإخلاص مطلب عزيز يجب تحققه في كل ما شرعه الله تعالى من قولٍ أو فعلٍ، فما يقوم به الدَّاعية مِمَّا شرعه الله ينبغي أن يكون الباعِثَ عليه امتثال أمر الله خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه.

قال تعالى: ﴿ومَنْ يُسلِم وجهه إلى الله وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور﴾[1].

قال ابن كثير: " يقول تعالى مخبراً عمَّن أسلم وجهه لله، أي أخلص له العمل، وانقاد لأمره، واتَّبع شرعه، ولهذا قال: ﴿وهو محسنٌ﴾ أي: في عمله، باتِّباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي: فقد أخذ موثقاً من الله متيناً أنَّه لا يعذِّبه "[2].

**رُكْنا القبول:**

العمل المتقبَّل له شرطان، وهذا هو معنى الإخلاص كما يؤخذ من الآية السابقة - ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسنٌ﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربِّه أحداً﴾[3].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٢

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/٤٥٠

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠

**فالأوَّل**: أن يكون موافقاً لشرع الله، وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له.

**والثاني**: أن يكون صواباً على شريعة رسول الله ﷺ [1].

كما يقرِّر ابن كثير هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿ومن أحسن ديناً مِمَّن أسلم وجهه لله وهو محسنٌ واتَّبع مِلَّة إبراهيم حنيفاً﴾[2] فيقول: " أي أخلص العمل لربِّه عزَّ وجلَّ، فعمل إيماناً واحتساباً ﴿وهو محسنٌ﴾ أي: اتَّبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ".

وهذان الشَّرطان لا يصح عمل عاملٍ بدونهما، أي يجب أن يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة، فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص. فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد. ومتى فَقَدَ الإخلاص كان منافقاً، وهم الذين يراءون النَّاس، ومَن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومَن جمعهما - أي الإخلاص والمتابعة - كان عمل المؤمنين " [3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/١٠٨

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٥

(٣) تفسير ابن كثير: ١/٥٥٩

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً﴾[1]: " أخلصه وأصوبه ". وقال: " إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالِصاً لم يُقبل حتّى يكون خالصاً صواباً ". قال: " والخالِص إذا كان لله عزَّ وجلَّ، والصواب إذا كان على السُّنّة " [2].

قال تعالى: ﴿إلاَّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾[3].

قال ابن كثير بعد هذه الآية: " أي بدَّلوا الرِّياء بالإخلاص فينفعهم العمل الصالح وإنْ قلَّ " [4].

إذاً فلابُدَّ من تصفية الإخلاص مِمَّا يشوبه ويعلق به مِن أُمور الدُّنيا حتّى لا ينتفي الإخلاص.

---

(١) سورة الملك، الآية: ٢

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب صـ ٧٢، ورسالة في الإخلاص والإحسان والإلتزام بالشريعة، للشيخ عبد المحسن العبَّاد صـ ٨، ومدارج السالكين، لابن القيِّم ٨٩/٢

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٦

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/١

**طريق التخلُّص مِمَّا يذهب الإخلاص أو يضعفه:**

إنَّ على العبد المسلم عموماً، وعلى الدُّعاة إلى الله تعالى على وجه الخصوص، السعي القوي الحثيث للتخلُّص مِن هذا الدَّاء - الرِّياء وما في معناه - والذي يُساعد على ذلك أمور منها:

١ - مراقبة الله تعالى على الدوام.

٢ - الزُّهد فيما ينتظر من النَّاس مِنَ الثَّناء والعطاء.

٣ - أن يحمل العبد نفسه على إخفاء الأعمال.

٤ - كسر حظوظ النَّفس، وقطع الطَّمع عن الدُّنيا والتجرُّد للآخرة.

٥ - بالإخلاص يتحرَّز الإنسان بإذن الله تعالى من الشيطان، قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]، وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

٦ - تصحيح النِّيَّة وسلامة المقصد.

٧ - أن يكون الباعث في الحركات والسَّكنات طلب القرب من الله تعالى. قال ابن القيِّم: " لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبَّة المدح والثناء والطمع فيما عند النَّاس " [3].

---

(١) سورة ص، الآية ٨٣

(٢) سورة الصَّافَّات، الآية: ٣٩

(٣) الفوائد صـ ٢١٨

وقال تعالى مخاطباً حبيبه ونبيه ﷺ، مبيِّناً له طريق الخلاص لإخلاص العبادة، وصيانة جميع حركات الإنسان، وجعلها كلها لله وحده لا شريك له: ﴿قل إني أُمِرْت أن أعبد الله مخلصاً له الدِّين﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قل الله اعبد مخلصاً له ديني ۞ فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾[2].

وينوِّه ابن كثير بأنَّ الله تعالى أمر نبيه بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ويؤكِّد ذلك عند تفسيره لتلك الآيتين [3].

إنَّ الإخلاص يضفي بهاءً على النفس الإنسانية. ألا ما أعزَّ الإخلاص وأغزر بركته، إنَّه يخالط القليل فينميه، ويخلو منه الكثير فلا يزن عند الله شيئا [4].

قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: " أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى، والورع عمَّا حرَّم الله تعالى، وصِدْق النيَّة فيما عند الله عزّ وجلَّ، فينبغي أن يكون للعبد في كل شيء نية، حتَّى في مطعمه ومشربه

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١١

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١٤-١٥

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٨/٤

(٤) انظر: خلق المسلم، للشيخ محمَّد الغزالي صـ ٦٧-٧٦

وملبسه ونومه ونكاحه، فإنَّ ذلك كله من أعماله التي يسأل عنها، فإن كانت لله تعالى وفيه، كانت في ميزان حسناته، وإن كانت في سبيل الهوى ولغير المولى كانت في ميزان سيئاته، إذ لكل عبدٍ ما نوى، وإن كان ذلك غفلةً وسهواً من غير نية ولا عقد طوية ولا حسبة لم يكن ذلك في شيء، ولم يجد عمله في الآخرة شيئاً، وكان فيه لا له ولا عليه، وكان ذلك في الدُّنيا على مثال الأنعام التي تتصرَّف من غير عقول ولا تكليف، ولكن بإلهامٍ وتوفيق، وأخاف أن يدخل في وصف مَن قال الله تعالى فيه: ﴿ . . . أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتَّبع هواه وكان أمره فرطاً﴾[1]، أي غفلةً وسهواً، وقيل: تفريطاً وتضييعاً، وقيل: مقدماً على الهلاك، فالنيَّة الصالحة هي اوَّل العمل الصَّالح [2].

ولقد استحب العلماء رحمهم الله أنْ تستفتح مصنَّفاتهم بحديث: **(إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكل امرئٍ ما نوى)** [3]، وذلك تنبيهاً للطالب إلى تصحيح النِيَّة [4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨

(٢) انظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي صـ ١٥٨-١٥٩، ومسند الفاروق عمر بن الخطَّاب، لابن كثير: ٢/٦٦٠-٦٦١

(٣) صحيح البخاري، بيان كيفية الوحي ١/٢، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (إنَّما الأعمال بالنيَّة) ٣/١٥١٥، ومسند الفاروق ١/١٠٣

(٤) انظر: شرح الأربعين حديثاً النووية، لابن دقيق العيد صـ ١٠

حتّى إنَّ بعضهم قالوا: إنَّ مَن سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجهه تعالى نجا وذلك لعزة الإخلاص.

وهذا الإخلاص لا يأتي للعبد إلاّ بمحبة الله تعالى، وتعظيم حقه بحيث تستغرق محبته وإجلاله فكره، ويكون همه كله للآخرة، ولا يبقى لحب الدُّنيا في قلبه قرار. فمثل هذا لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان صحيح النيَّة خالص العمل. ومَن ليس كذلك فباب الإخلاص مسدود عليه إلاّ إذا تخلَّص من سيطرة الدُّنيا على نفسه، وجعل اتجاهه للآخرة [1].

**ثمرة الإخلاص وضرورته:**

إنَّ للإخلاص ثمرات طيِّبة، وعاقبة حميدة، ونتائج مفيدة، تعود على المسلم بالخير في العاجل والآجل، نذكر بعضاً منها فيما يلي:

- إهتمام الدعاة إلى الله بنشر الدعوة إليه، وتبليغها للنَّاس في الشرق والغرب من بلاد الله الواسعة، مضحين في سبيل ذلك بكل غالٍ ونفيس مهما كلَّف الأمر من جهدٍ ومالٍ ووقتٍ وتضحيةٍ.
- ترك الشهوات لله، فهذا الترك مع كونه ينجي من عذاب الله، ويوجب الفوز برحمته، فإنَّه يجعله لا يرى الحياة إلاّ به ومعه، ويرى الموت والألم والغم والحزن إذا لم يكن معه.

---

(١) انظر: تزكية النفوس وتربيتها كما يقرر علماء السلف، تحقيق ماجد بن أبي الليل، جمع وترتيب: أحمد فريد، صـ ١٥

قال ابن القيِّم: " فهذا له جنّتان: جنّةٌ في الدُّنيا معجَّلة، وجنّةٌ يوم القيامة " [1].

- ترك الذنوب والمعاصي، قليلها وكثيرها، خوفاً من علاّم الغيوب.
- التحقق من أنَّ القبول عند الله تعالى لا يكون إلاّ بالإخلاص في العمل.

قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ۞ إلاّ مَن أتى الله بقلبٍ سليم﴾[2]. وفي ذلك صِدق الإيمان بالله، وإسلام الوجه له، وإخلاص الدين له، والتبرُّؤ من الشرك وأهله [3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)** [4].

- امتثال أمر الله تعالى حيث أمر بالإخلاص. قال تعالى: ﴿**وادعوه مخلصين له الدين**﴾[5].
- مضاعفة الأجور، ورفعة في الدرجات بتحقيق الإخلاص.

---

(١) انظر: الفوائد صـ ٢٧٧، وموعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لمحمَّد جمال القاسمي ٣٥٢/٢

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨-٨٩

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣٣٨/٣

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم ١٩٨٧/٤، وتفسير ابن كثير ٢٢٤/٣

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٩

۞ الأخذ بالإخلاص عزٌّ للمسلم، وتعظيمٌ لشأنه، ورجاءٌ في الثّواب من الله في الآخرة.

قال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدُّنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ۞ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاَّ النَّار وحبط ما صنعوا وباطلٌ ما كانوا يعملون﴾[1].

(١) سورة هود، الآيتان: ١٥-١٦

## المبحث الثالث: إعداد الدَّاعية بالصِّدق:

**تعريف الصدق:**

الصَّدق في اللُّغة: مطابقة الحكم للواقع.

وفي الإصطلاح: قول الحق في مواطن الهلاك. والصدق ضد الكذب، وهو الإبانة عمَّا يخبر به على ما كان [1].

وقال الرَّاغب: الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تماماً [2].

**حقيقة الصِّدق:**

الصِّدْق منزلةٌ عظيمة، ودرجةٌ رفيعة، يجب أنْ يتَّصِف بها الدَّاعية إلى الله تعالى.

وحقيقة الصِّدق حصول الشيء وتمامه، وكمال قوَّته، واجتماع أجزائه.

وهو الصِّدق في موضعٍ يُرى أنَّه لا ينجي فيه إلاَّ الكذب،وهو ألاَّ يكون في أحوالِ الإنسان شوب، ولا في اعتقاده ريب، ولا في أعماله عيب.

والصَّادِقُ حقيقةً هو الذي انجذبت قوى روحه كلها إلى إرادة الله وطلبه، والسير إليه، والاستعداد للقائه. ومَنْ تكون هذه حاله لا يحتمل سبباً يدعوه إلى نقض عهده مع الله بوجهٍ [3].

---

(١) كتاب التعريفات صـ ١٣٢

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ ٢٧٧

(٣) انظر: مدارج السالكين ٢/٢٨٠، وأصول الدَّعوة صـ ٢٣٣، والتعريفات صـ ١٣٢

قال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسئولاً﴾[1].

**والصِّدقُ يُستعمل لِعِدَّة معانٍ:**

يرِدُ الصِّدق في الشرع ويراد به عِدَّة معانٍ:

**الأوَّل: صدق اللسان:**

فيجب على المسلم أن يحفظ ألفاظه، فلا يتكلَّم إلاَّ بالصِّدْق، فَمَن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادِق. وكمال صِدق القول الإحتراز عن المعاريض إلاَّ إذا دعت الحاجة إلى ذلك، واقتضته المصلحة في بعض الأحوال. فمَن اضطرَّ إلى شيءٍ من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره به الحق ويقتضيه الدين.

فالنَّبيُّ ﷺ كان إذا أراد سفراً ورى بغيره، وذلك كي لا ينتهي الخبر إلى الأعداء، فيقصدونه. فهذا ليس من الكذب.

والنَّبيُّ ﷺ ذكر أشياء من المصلحة أن يستعمل فيها الإنسان المعاريض. قال ﷺ: (**ليس الكذَّاب الذي يُصلح بين النَّاس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً، ولم يرخِّص في شيءٍ مِمَّا يقول النَّاس إلاَّ في**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٤

**ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين النّاس، وحديث الرَّجُل إلى امرأته، وحديث المرأة إلى زوجها)** [1].

ولقد أثنى الله تبارك وتعالى على الأنبياء والرُّسل مِن بَيْن سائر الأُمم بالصِّدق في القول. قال تعالى: ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليًا﴾[2].

قال ابن كثير - رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنَّه كان صادِق الوعدِ وكان رسولاً نبيا﴾[3]: " أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد، وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضاً لا يعد أَحَداً شيئاً إلاّ وفَّى له به " [4].

" والرَّسول الكريم ﷺ قد عُرِفَ في الجاهلية قبل مبعثه ﷺ بصدق الحديث، وعدم الكذب.. لمّا تنازعت قريش في وضع الحجر، واتّفقوا على أنَّ أوَّل مَن يدخل من باب الصَّفا هو الذي يحكم في ذلك، فدخل الرسول ﷺ فقالوا: هذا الصَّادِق ورضوا به.

---

(١) انظر: أخرجه البخاري في كتاب الصلح، حديث رقم ٢٦٩٢، ومسلم في كتاب البر والصلة، حديث رقم ٢٦٠٥.صحيح الجامع الصغير للألباني ٢٠٦/٤، ومسند الإمام أحمد ٤٠٣/٦

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٠

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٤

(٤) تفسير ابن كثير ١٢٥/٣

ولقد أثنت خديجة رضي الله عنها على النَّبـيِّ ﷺ بـالصِّدق قبـل زواجها منه، مِمَّا كان سبباً في طلبها الزواج منه [1] ﷺ).

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى ألاَّ ينطق إلاَّ بالصِّدق فيما يصدر عنـه مِن الأقوال.

قال ابن القيِّم: " استواء اللسـان على الأقـوال كاسـتواء السـنبلة على ساقها.

وقـال تعـالى: ﴿والـذي جـاء بـالصدق وصـدَّق بـه أولئـك هـم المتَّقون﴾[2].

والذي جاء بـالصِّدق هـو مَـن شـأنه الصِّـدق في قولـه، وعملـه، وحاله، فالصِّدق في هذه الثلاثـة [3].

**الثاني: صِدْق النيَّة والإرادة:**

ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو استواء أعمال القلب والجـوارح عليه، واستفراغ الوسع، وبذل الطَّاقـة لله وبالله وابتغاء مرضاته [4].

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٢/٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٧٩

(٢) سورة الزمر، الآيـة: ٣٣

(٣) انظر: مدارج السالكين ٣/٢٧٠

(٤) المصدر السابق.

**الثالث: صِدْقُ العزم:**

وذلك بأن يعزِم عزماً صادقاً على فعل الخيرات، وأداء الواجبات كلها، فلا يحصل ميل أو تردُّد أو ضعف عن ذلك كله، بل تصفو نفسه إلى المبادرة إلى طاعة الله وامتثال أمره.

**الرَّابع: الوفاءُ بالعزم:**

إنَّ النُّفس البشرية تُهَوِّن عزم الإنسان إمَّا بسبب المشقة، أو ثقل المؤونة وعظم المسئولية في شتّى شئون الحياة.

فتجد المسلم متى تحرَّكت فيه النَّفس الأمَّارة بالسوء، وأطلق لها العنان، هاجت بالشهوات، فانحلّت العزيمة، وغلبت الشهوة، و لم يتّفِق الوفاء بالعزم، وهذا يضاد الصِّدق.

قال تعالى: ﴿مِنَ المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَن قضى نحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾[1].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: عَمِّي أنس بن النَّضِر رضي الله عنه، سُمِّيت به، لم يشهد مع رسول الله يوم بدر، فشقَّ عليه وقال: أوَّل مشهد شهده رسول الله ﷺ غِبْت عنه، لئن أراني الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله عزَّ وجلَّ ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها. فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه. فقال له أنس

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣

رضي الله عنه: يا أبا عمرو: أين واها لريح الجنّة إني أجده دون أُحُد. قال: فقاتلهم حتّى قُتِلَ رضي الله عنه. قال: فوُجِدَ في جسده بضعٌ وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية. فقالت أخته - عمّتي الرُّبيع ابنة النضر -: فما عرفته إلاّ ببنانه. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿مِنَ المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾[1].

فالعزم على فعل الشيء يكون عهداً، والخُلْف فيه كذباً، والوفاء به صدقاً.

وقد ذكر ابن كثير: " أنَّ مِن صفات المنافقين: إعطاء العهد والميثاق على فعل شيءٍ يتم طلبه من الله سبحانه، فإذا تحقّق ما طلبوا لم يُوفُوا بما قالوا، و لم يَصْدُقوا فيما ادَّعوا " [2]. وذلك بخلاف المؤمنين.

قال تعالى عن أولئك المنافقين: ﴿ومنهم مَن عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقَنَّ ولنكونَنَّ من الصَّالحين ۞ فلمَّا آتاهم من فضله بَخِلُوا به وتولَّوا وهم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤٧٥/٣، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنّة للشهيد ١٥١٢/٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣٧٣/٢ بتصرُّف.

معرضون فأعقبهم ﴿نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[1].

**الخامس: الصِّدْقُ في الأعمال وفي أمور الدين كلها:**

ومعنى هذا أن يجتهد العبد حتّى لا تدل أعماله الظاهرة على أمرٍ لا يتصف هو به في باطنه.

فمن وقف على هيئة الخشوع في صلاته يُرائي غيره، بينما هو في الباطن قائمٌ في السُّوق بين يدي شهوة من شهواته، فهو كاذبٌ بلسان الحال في عمله، غيرُ صادقٍ فيه.

فالمراد بالصدق هنا: استواء السريرة والعلانية، بأن يكون باطنه مثل ظاهره، أو خيراً من ظاهره.

وعلى العبد أنْ يسعى جاهداً في طلب رضى الله تعالى بصدقٍ، مع المتابعة والتسليم لأمر الرَّسول ﷺ في ظاهره وباطنه، والإقتداء به، والتعبُّد بطاعته في كُلِّ حركةٍ وسكونٍ، فإنَّ الله تعالى أبَى أن يقبل مِنَ عبده عملاً، أو يرضى به، حتّى يكون على متابعة رسوله ﷺ، خالصاً لوجهه سبحانه[2].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي ٤/٣٣١-٣٣٣، ومدارج السالكين ٢/٢٨٤، وموعظة المؤمنين ٢/٣٥٤ - ٣٥٦

## فضل الصِّدْق والحثُّ عليه:

الصِّدق أساس عبادة الله تعالى التي خلق الإنسان من أجلها، وهو جامعُ لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه، وهو أساس تقوى الله التي أمرنا بها، وأساسُ لجميع الأخلاق الفاضلة، والقِيَم الحميدة، التي يقوم عليها بناء المجتمعات ؛ وهو جامعٌ لخيري الدُّنيا والآخرة.

فالتحلّي بالصِّدق خُلُق كُـلّ مسـلم، وصِفـة ثابتـة في سـلوكه وتعاملـه، وامتثال وانقياد لأمر الله تعالى، حيث أمر بالصِّدق.

قال تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وكونوا مع الصَّادقين﴾[1].

قـال ابـن كثـير في معنـى الآيـة: " أي اصدقـوا والزمـوا الصِّـدق تكونـوا مِن أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل الله لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً. ثُـمَّ ذكـر حديثـاً يحـثُّ علـى الصِّـدق، عـن ابـن مسـعود رضـي الله عنـه قـال: قال رسول الله ﷺ: **(عليكم بالصِّدق فإنَّ الصِّدق يهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجَنَّة، ولا يزال الرَّجُل يَصْدُق ويتحرَّى الصِّدق حتَّى يُكتَبَ عند الله صِدِّيقاً. وإيَّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النَّار، ولا يزال الرَّجُل يكذِبُ ويتحرَّى الكَذِبَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْـدَ الله كَذَّاباً)** [2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٩٩، وصحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وكونوا مع الصَّـادِقين﴾، ومـا ينهـى عنـه مـن ⇐⇐

ولقد أثنى الله تعالى على عباده الصَّادقين، وجعل لهم مرتبة عالية، حيث جعلها تلي درجة الأنبياء، كما جعل لهم مرتبة المعيَّة معه سبحانه، فإنَّ الله مع الصَّادقين، فلهم منزلة القرب منه سبحانه.

ولا يزال الله يُمدُّهم بأنعُمِهِ وألطافِهِ ومزيد إحسانه وتوفيقه. قال تعالى: ﴿ومَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسولَ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداءِ والصَّالحين وحَسُنَ أُولئكَ رفيقاً﴾[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون أهلَ الغُرَفِ من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدُّرِّيَّ الغابر [2] مِنَ الأُفُق [3] من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم،**

---

⇐

الكَذِبَ ٨/٤٦. وصحيح مسلم، كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب قُبْحِ الكَذِبِ وحُسْنِ الصِّدْقِ وفضْلِهِ ٤/٢٠١٣. ومسند الإمام أحمد ١/٨

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩

(٢) الغابر: الذَّهِب الماشي الذي تولَّى للغروب وبَعُدَ عن العيون.
انظر: تعليق محمَّد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ٤/٢١٧٧

(٣) الأُفُق: ناحية السَّماء. المصدر السابق.

**قالوا: يا رسول الله ! أتلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده ! رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين)** [1].

والله تعالى أخبر في كتابه الكريم عن أهل البرِّ، وقد أثنى عليهم بأحسن أعمالهم - من الإيمان، والإسلام، والصَّدقة، والصَّبر - بأنَّهم أهل الصِّدق والتَّقوى.

قال تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[2].

ففي هذه الآية بيانٌ وتصريحٌ بأنَّ الصِّدق يكون في الأعمال الظَّاهرة والباطنة، وأنَّ مَن اتَّصف بهذه الصِّفات المذكورة، فإنَّه من أهل الصِّدق

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٥٥٦، وصحيح مسلم، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهلُ الجنَّة أهلَ الغُرَف كما يرون الكوكب في السَّماء ٤/٢١٧٧

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧

الذين صدقوا في إيمانهم، لأنّهم حقّقوا الإيمان القبي بالأقوال والأفعال، فهؤلاء هم الذين صدقوا، لأنّهم اتّقوا المحارم وفعلوا الطّاعات [1].

فعلى الدّاعي أن يَصْدُق في دعوته، وذلك بصدق لهجته في قوله، وبصدق عمله في إنجازه وتنفيذه، ويصدق في تفكيره وتقديره، بضبط الأشياء وتحديدها، والنّظر إلى مآل الأُمور وعواقبها، ويصدق في سريرته، وتكون علانيته صالحة.

وقد وعد الله عباده الصّادقين في طاعتهم له، المخلصين له في النِيَّة، الدّاعين إلى دينه بالثواب العظيم، والخير العميم، والعاقبة الحميدة، في الدُّنيا والآخرة [2].

قال تعالى: ﴿طاعةٌ وقولٌ معروفٌ فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾[3].

قال أبو حاتم [4] - رحمه الله -: " الصِّدق يرفع المرء في الدّارين، كما أنَّ الكذب يهوي به في الحالين، ولو لم يكن للصَّدق خصلة تُحمد

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢٠٨/١، ومدارج السالكين ٢٦٩/٢ بتصرُّف.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١٧٨/٤، وأُسُس الدَّعوة وآداب الدُّعاة لأبي بكر جابر الجزائري صـ ١١٦

(٣) سورة محمَّد، الآية: ٢١

(٤) محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبَّان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم البستي، مؤرِّخ علاَّمة مُحَدِّث، وُلِدَ في بست مِن بلاد سجستان، وتوفي عام ٣٥٤ هـ.

⇐⇐

- إلاّ أنَّ المرء إذا عُرِف بـه قبل كذبـه، وصار صدقاً عند مَن يسمعه - لكـان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه، حتّى يستقيم لـه على الصِّدق ومجانبة الكذِب، والعِيّ [1] في بعض الأوقات خيرٌ من النُّطق، لأنَّ كُلَّ كلامٍ أخطأ صاحبه موضعه، فالعِيّ خيرٌ منه " [2].

فصاحب الصِّدق محبوب عند الله تعالى، وعند الخلق، وهو موضـع ثقـة بينهم، مرغوب الحديث فيهم.

وهـذا شـرفٌ عظيـمٌ، ومكانـةٌ فاضلـةٌ، ينالهـا المؤمـن الدَّاعيـة إلى الله تعـالى الصَّـادِق في هـذه الحيـاة الدُّنيـا ﴿وللآخـرة أكـبر درجـات وأكـبرُ تفضيلا﴾[3].

فعلى الدَّاعية أن يلزم الصِّدق حتّى يكون الصِّدق طبعاً له، وسـجية مِـن سجاياه، لأنَّ قصده الحق، ومنزعه الصِّدق، فالحق أقوى معين، والصِّدق خـير قريـن.

---

⇐

الأعـلام ٦/٧٨

(١) العِيّ: ضد (البيان)، وقد (عَيِيَ) في نطقه، و (عَيَى) إذا لم يهتد لوجهٍ.
مختار الصحاح صـ ٤٦٧

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفُضلاء للحافظ أبي حاتم البستي (ابن حبان) صـ ٥٤

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢١

ومِمَّا جاء في فضل الصِّدق والحثّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصَّادقين والصَّادقات والصَّابرين والصَّابرات والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدّقات والصَّائمين والصَّائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذَّاكرين الله كثيراً والذَّاكرات أعدَّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾[1].

فهذا ثناء من المولى سبحانه وتعالى على عباده الصَّادقين والصَّادقات، وأنَّ لهم عند الله مغفرة وثواباً عظيماً مدوناً في صحائفهم يجدونه يوم القيامة، لأنَّهم صدقوا في أقوالهم، والصِّدق خصلة محمودة.

وبعض الصَّحابة رضوان الله عليهم لم يُجَرَّب عليه كذبٌ لا في جاهلية ولا في إسلام. ومَن صدق نجا وسلم وظفر بالمطلوب [2].

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ۞ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومَن يُطِع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤٨٧/٣ بتصرُّف.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١

فالله تعالى أمر عباده أن يعبدوه عبادة من كأنّه يراه، وأن يقولوا ﴿قولاً سديداً﴾ أي مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنّهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم ذنوبهم الماضية، وما قد يقع في المستقبل يلهمهم التوبة منه [1].

وأعظم فضل في الصِّدق كون الصَّادقين عند رب العالمين في مقعد صدق. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[2]. ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه [3].

## علامات الصِّدق وعلامات الكَذِب:

إنَّ للصدق علامات، وللكذب أمارات.

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يأخذ علامات الصِّدق، ويبتعد عن الكذب وأماراته.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٥٢١

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ - ٥٥

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٢٦٩

قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾[1].

فالمؤمن الحق هو الذي لا يشك ولا يتزلزل، بل يثبت على حالةٍ واحدةٍ وهي الصِّدق فيما يقول من قولٍ، لا كبعض الأعراب وشأن المنافقين الذين ليس لهم من الإيمان إلاَّ الكلمة الظاهرة [2].

فمِن علامات الصِّدق: طمأنينة القلب وسكونه إلى الحق.

ومن علامات الكذب: حصول الريبة والتردد والشك.

قال رسول الله ﷺ: (**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنَّ الصِّدق طمأنينة، وإنَّ الكذب ريبة... الحديث**) [3].

ومِن دواعي الكذب: طلب النَّفع، ودفع الضُّرِّ، فيميل الإنسان إلى الكذب خداعاً وطمعاً فيما يريد، وربَّما كان الكذب أبعد مِمَّا يومل، وأقرب لما يخالف، لأنَّ القبيح لا يكون حسناً، والشرَّ لا يكون خيراً.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢١٩

(٣) انظر: جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة ٤/٦٦٨، ومسند الإمام أحمد ١/٢٠٠، وسنن النسائي، كتاب آداب القضاة، حديث رقم ٥٣٩٧.

ومِن دواعي الصِّدق: العقل، لأنَّه موجب لقبح الكذب، لا سيما إذا لم يجلب نفعاً، و لم يدفع ضرراً.

والعقل يدعو إلى فعل ما كان مستحسناً، ويمنع من إتيان ما كان مستقبحاً.

ومِن علامات الصِّدق: كتمان المصائب والطَّاعات جميعاً، وكراهة اطِّلاع الخلق على ذلك، والكذب ضد ذلك، لأنَّه متضمن للنِّفاق، فالصدق علامته الإيمان، كما أنَّ الكذب أمارته النِّفاق [1].

**محاسن الصِّدق ومساويء الكذب:**

الصدق عمود الدين، وركن الأدب، وعنوان الإسلام، وميزان الإيمان، وعلامة الكمال.

والصِّدق يهدي إلى البِرِّ، الجامع لأمور الخير كلِّها، والموصل إلى جنَّات النعيم ﴿إِنَّ الأبرار لفي نعيم﴾[2].

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري صـ ٢٧١، ومختصر منهاج القاصدين لأحمد المقدسي صـ ٣٦٩، ومدارج السالكين صـ ٢٧٢، وتفسير ابن كثير ٤٨٧/٣

(٢) سورة الإنفطار، الآية: ١٣، وسورة المطففين، الآية: ٢٢

والكذب ممقوت، وهو داعٍ إلى الفجور، جامع لأبواب الشر كلها، يؤدي إلى نار جهنّم ﴿وإنَّ الفجَّار لفي جحيم﴾[1].

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يصدق في الحديث، وهو من أنجع الأسباب لنجاح الدعوة، ويتجنّب الكذب لما فيه من العواقب الوخيمة، والأضرار الجسيمة المؤثرة على سير الدَّعوة إلى الله تعالى.

ولقد نهى الله تعالى عن خلط الصدق بالكذب، بل لابُدَّ من الصدق وحده. قال تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون﴾[2].

والله تعالى أمر نبيه محمَّداً ﷺ أن يسأله، أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق، قال تعالى: ﴿وقل ربِّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾[3].

إذاً فالصادق عمله بعيدٌ عن الرِّياء، والسُّمعة، والنِّفاق، والغيبة، والنميمة،والبهتان، فلا يريد بعمله ما يأتيه وما يدعه إلاَّ طاعة الله تعالى.

---

(١) سورة الإنفطار، الآية: ١٤

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٢

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٠

فنجد أنَّ الصَّادِق يرغب النَّاس في جواره ومعاشرته ومصاهرته وسائر وجوه التعامل معه، وهو مؤتمن الأحياء، ووصي الأموات، وما يقدم من إحسان وجهدٍ في سبيل الدَّعوة وعموم وجوه البرِّ، لا يشوبه غش ولا خداع ولا يطلب مِن أَحَدٍ غير الله تعالى جزاءً ولا شكورا.

والكاذب يجني على نفسه بسبب ما يقوم به من أعمال وأفعال ذميمة حتَّى يُكْتَبَ كذَّاباً في السماء والأرض.

والكذب دليل على حقارة الكاذب وخيانته، وقلَّة مروءته.

والكذب يفضي بصاحبه إلى اللعن والطرد، وبُعد النَّاس عنه.

وأعظم الكذب الكذب على الله ورسوله ﷺ، من تحريم الحلال، وتحليل الحرام.

قال تعالى: ﴿ولا تقولوا لِمَا تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ۞ متاعٌ قليلٌ ولهم عذابٌ أليم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنَّم مثوىً للمتكبرين﴾[2].

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ١١٦ - ١١٧

وقال ﷺ: **(لا تكذبوا عليَّ فإنَّه مَن كذب عليَّ فليلج النَّار)** [1].

فالكذب من صفات المنافقين، وهو أصل كل ذم.

والكذب ينتج النميمة والبغضاء، والحسد، والحقد، ومَنْ قلَّ صدقه قَلَّ صديقه.

والكاذب لص، لأنَّ اللِّص يسرق مال الإنسان، والكاذب يسرق عقله. والسعداء هم أهل الصِّدق والتصديق. ولا عون مثل الصِّدق. والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب [2].

## نجاةُ الصَّادقين:

في يوم القيامة لا ينفع العبد المسلم وينجيه من سخط الله سبحانه إلاَّ الصِّدق.

---

⇐

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٠

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث ١٠٦، صحيح مسلم - المقدمة - باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١/٩

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/٨٤، ٣/٥٨، ومدارج السالكين ٢/٢٧٠، وبهجة النَّاظرين فيما يصلح الدُّنيا والدين، للشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله صـ ٣٩٨، وأدب الدُّنيا والدين ص، ٢٧٠-٢٧١، ومنهاج اليقين شرح كتاب أدب الدنيا والدين، لأويس وفا بن محمَّد خليل الأرزنجاني صـ ٤٢٩، والفوائد لابن القيم صـ ١٩٩

قال الحق عزَّ وجلَّ: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾[1].

والدَّاعي المسلم الصَّادق هو الذي يعد العُدَّة للفوز العظيم في جنّات النّعيم، فأعماله كلها لله تعالى.

لذا تجد الدَّاعي المسلم يظهر أثر الصِّدق في محياه وكلامه، فالصِّدق ضروري لكلِّ مسلمٍ ولكل داعٍ إلى الله تعالى [2].

## المبحث الرَّابع: إعداد الدَّاعية بالصَّبر:

### تعريف الصَّبر:

الصَّبر لغة: الحبس والمنع.

وفي لسان العرب: صَبَرَه عن الشيء يصبره صبراً: حبسه.

والصَّبر: نصب الإنسان للقتل، وأصل الصَّبر: الحبس.

وكُلّ مَن صبر شيئاً: حبسه عنه [3].

قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١٢٢/٢، وأصول الدَّعوة صـ ٣٣٣-٣٣٤

(٣) انظر: لسان العرب ٤٣٨/٤ - ٤٣٩ مادَّة (صَبَرَ).

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٨

فـا لله تعـالى أمـر نبيـه محمَّـداً ﷺ أن يصـبر نفسـه مـع عبـاد ا لله الذيـن يذكرون ا لله تعالى بُكْرَةً وعشيّا، سواء كانوا أغنياء أقوياء أو ضعفاء [1].

فالصَّبر حبس النَّفس على ما يقتضيه الشرع والعقل.

والرسول ﷺ قد حبس نفسه مع أولئـك الصَّحابـة رضـوان ا لله عليهـم وثبتها [2].

والصَّبر نقيض الجزع، ومنه قوله تعالى على لسـان أهـل النَّـار: ﴿سـواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾[3].

قال ابن كثير في معنى الآية: " أي ليـس لنـا خـلاص مِمَّـا نحـن فيـه إنْ صبرنا عليه أو جزعنا منه " [4].

والصَّبر: التجلُّد وحسن الاحتمال [5]. ومنه صبره واصطبر.

قال تعالى: ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾[6].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٨٠

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٢٧٣، وكلمـات القـرآن لحسـنين محمَّـد مخلـوف صـ ١٧٥

(٣) سورة إبراهيم، الآيـة: ٢١

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٥٢٨

(٥) المعجم الوسيط ١/٥٠٨

(٦) سورة مريم، الآيـة: ٦٥

والصَّبر في الإصطلاح: الكف عن المعاصي، وقد قرن الله تعالى بالصَّبر أداء العبادات، ومن أجَلِّها فعل الصَّلاة [1].

قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصَّبر والصَّلاة وإنَّها لكبيرةٌ إلاَّ على الخاشعين﴾[2].

والصَّبر: خُلُقٌ فاضلٌ، يبعث على حبس النَّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمَّا يقتضيان حبسها عنه [3].

ومن ذلك حبس النَّفس عن الجزع، واللِّسان عن الشكوى، ونحو ذلك[4].

إذاً فالصبر ترك الشكوى إلى غير الله تعالى كائناً ما كان، وانتظار الفرج من الله وحده في دفع الضُّرِّ وجلب النَّفع. وقد أثنى الله على أيوب عليه السلام بقوله: ﴿إنَّا وجدناه صابراً نعم العبد إنَّه أوَّاب﴾[5] مع دعائه ربه في دفع الضر عنه في قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربَّه أني مسَّني الضُّرُّ وأنت أرحم الرَّاحمين﴾[6].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨٧/١ بتصرُّف.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥

(٣) أخلاق القرآن، للدكتور أحمد الشرباصي صـ ١٩١

(٤) عُدَّةُ الصَّابرين وذخيرةُ الشَّاكرين، لابن القيم صـ ١٢

(٥) سورة ص، الآية: ٤٤

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣

فعلمنا بذلك أنَّ العبد إذا دعا الله في كشف الضُّرِّ عنه لا يقدح في صبره [1].

(١) كشف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ١/٩٠٥

**أهمية الصبر للداعية:**

وطهور بالصَّبر، وقوة التحمُّل عند الدَّاعية، سببٌ لنجاح دعوته. فطريق الدَّعوة طريقٌ شائكٌ شاقٌ، والثبات عليه، والاستمرار على السير فيه ليس بالأمر السَّهل الهيِّن.

ولكن هذا الأمر الصَّعب يسير على مَن يسَّره الله عليه، وخفيفٌ على مَن صبر في الله، وطلب العون منه، وثبت في الشِّدَّة والبلاء والمحن، لأنه طريق الأنبياء وسبيل الأصفياء من عباد الله الأتقياء.

قال الله تعالى: ﴿الم ۞ أحسب النَّاس أن يُتْرَكوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يُفْتَنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين﴾[1].

فالمؤمنون الدُّعاة يمتحنون، ويصيبهم البلاء، ليظهر صدقهم. ويؤذون ليتَّضح صبرهم، فيعظم ويزداد أجرهم[2].

قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصَّابرين﴾[3].

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١ - ٣

(٢) انظر: من القرآن إلى القرآن، لمحمَّد محمود الصوَّاف صـ ٧١ - ٧٢

فلا يحصل دخول الجنّة حتّى يكون ابتلاء واختبار للعباد، فيرى الله تعالى المجاهدين في سبيله، والصّابرين على مقاومة الأعداء [1].

فالصّبر قوّة خلقية من قوى الإرادة، تُمَكّن الإنسان من ضبط نفسه بتحمُّل المتاعب والمصاعب والمشاق والآلام.

وضبطها عند الاندفاع، والتّهوُّر، والضّعف، بعوامل وتأثيرات الضجر والضيق، والجزع، والسأم، والعلل، والعجلة، والغضب، والطّيْش، والخوف، والطّمع، والهلع، والأهواء، والشّهوات، والغرائز [2].

**حقيقة الصّبر وما يعنيه للدّاعية:**

الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة...

وثبات باعث الدين حال تثمره المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادة في الدُّنيا والآخرة، فإذا قوي يقينه بكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق الله تعالى، قوي ثبات باعث الدين، وتمّت الأفعال على خلاف ما تقتضيه الشهوة، فقوة المعرفة والإيمان تكبح مغبّة الشهوات وسوء عاقبتها.

---

⇐⇐

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٠٨ - ٤٠٩

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأُسُسها، لعبد الرحمن الميداني ٢/٢٩٣

وقال ابن القيِّم: " والنَّفس فيها قوتـان: قـوة الإقـدام، وقـوة الإحجـام، فحقيقة الصبر أن يجعل قـوة الإقـدام مصروفـة إلى مـا ينفعـه، وقـوة الإحجـام إمساكاً عمَّا يضره.

ومن النَّاس من تكون قوَّة صبره علـى فعـل مـا ينتفـع بـه، وثباتـه عليـه أقوى من صبره عمَّا يضره. فيصبر على مشقَّة الطَّاعة، ولا صبر له عـن داعـي هواه إلى ارتكاب ما نُهِيَ عنـه.

ومنهم مَن تكون قوة صبره عن المخالفات أقوى من صبره علـى مشـقَّة الطاعات. ومنهم مَن لا صبر له على هذا ولا ذاك.

وأفضل النَّاس أصبرهم على النَّوعين. فكثيرٌ من النَّاس يصبر على مكابدة قيام الليل في الحرِّ والبرد، وعلى مشقَّة الصِّيـام، ولا يصـبر عـن نظـرة محرَّمـة. وكثيرٌ من النَّاس يصبر عن النَّظر عن الإلتفات إلى الصُّـوَر، ولا صـبر لـه علـى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكافرين والمنافقين، بل هو أضعف شيء في هذا وأعجزه.

وأكـثرهم لا صـبر لـه علـى واحِـدٍ مـن الأمريـن، وأقلّهـم أصـبرهم في الموضعين[1].

الصبر شجاعة النَّفس، والنَّفس مطية الإنسـان الـتي يسـير عليهـا إمَّـا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار.

---

(١) عُدَّة الصَّابرين وذخيرة الشاكرين صـ ١٦

والصَّبر لها بمنزلة الخطام[1] والزمام للمطية، فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام، شرعَت في كل مذهب.

والنُّفوس لها طلعة إلى كل سوء، فلابُدَّ من قرعها وردِّها إلى الخير، ورحم الله امرءاً جعل لنفسه خطاماً وزماماً، فقادها بخطامها إلى طاعة الله تعالى، وصرفها بزمامها عن معاصي الله سبحانه وتعالى، فإنَّ الصَّبر عن محارم الله أيسر من الصَّبر على عذابه [2].

لذا فإنَّ على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يحرص على هداية النَّاس ودعوتهم إلى الخير، متحمِّلاً كُلَّ ما يلاقيه من الشَّدائد بصدرٍ رحبٍ، ونفسٍ هادئةٍ مطمئنَّة، وعزمٍ وتصميمٍ على مواصلة الدَّعوة، غير متأثرٍ بالأزمات الصعبة التي تعصف به، أو توهن قواه، صابراً في سبيل ذلك على قلَّة المؤونة، متقبلاً ما يقابله من النَّاس من إعراضٍ أو إحباطٍ أو إهانةٍ أو ردٍّ لدعوته.

---

(١) الخطام للبعير، سُمِّي بذلك لأنَّه يقع على خطمه.
معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٢/١٩٨ مادة (خَطَمَ).

(٢) انظر: تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، تحقيق ماجد بن أبي الليل، جمع وترتيب: أحمد فريد. صـ ٨٦

ولقد بيَّن ابن كثير - رحمه الله - حقيقة الصَّبر عند قول الله تعالى: ﴿ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصَّابرين ۞ واصبر وما صبرك إلاَّ بالله﴾[1]. حيث يقول: " إنَّ في ذلك تأكيداً للأمر بالصَّبر، وإخباراً بأنَّ ذلك لا يُنَال إلاَّ بمشيئة الله تعالى وإعانته وحوله وقوَّته "[2].

## حُكْمُ الصَّبْرِ:

الصَّبر واجب بإجماع الأُمَّة، فالله تعالى أمر به في عِدَّة آيات من كتابه العظيم. قال تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتَّقوا الله لعلَّكم تفلحون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿واستعينوا بالصَّبر والصَّلاة﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿واصبر وما صبرك إلاَّ بالله﴾[5].

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ١٢٦ - ١٢٧

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٥٩٢

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٥

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٧

فهذه الآيات الكريمة جاءت بالحثّ على الصَّبر والأمر به، فهو واجب [1].

وهذا الحكم في الصَّبر الذي لابُدَّ منه لتحقيق الرِّضا بقضاء الله، والتزام حدود الله، والبعد عن معصيته، وأداء ما افترضه على العبد. أمَّا ما يجاوز ذلك كالصَّبر على فعل المندوبات، وكسب المحامد والمكرمات، وترك المكروهات، وصبر الإنسان عن حقه وعن كثيرٍ مِمَّا يحل له مِن متاع الدُّنيا، فذلك فضل وزيادة درجة ومنزلة عند الله.

ولذلك جعل أبو حامد الغزالي من أقسام الصَّبر ما هو فرض، وما هو نفل [2].

وقال صاحب قوت القلوب: " إنَّ الصَّبر فرضٌ وفضلٌ، يُعرف ذلك بمعرفة الأحكام، فما كان أمراً أو إيجاباً فالصَّبر عليه أو عنه فرض. وما كان حقّاً أو ندباً فالصَّبر عنه أو عليه فضلٌ " [3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٩٦/١، ٣١٦/٢. وعُدَّة الصَّابرين صـ ٣٠، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي ٣٧١/٣

(٢) انظر: عُدَّة الصَّابرين صـ ٣٠

(٣) قوت القلوب، صـ ١٩٩

**أقسام الصَّبر باعتبار متعلّقه:**

ينقسم الصَّبر إلى ثلاثة أقسام:

١) صبر على ترك المحارم والمآثم: وهذا يقتضي البعد عن المناهي والمخالفات حتّى لا يقع فيها. فلابُدَّ من حبس النفس عن فعل السوء والشرّ ودواعي الهوى والشهوة.

٢) صبر على فعل الطاعات والقربات. وهذا أكثر ثواباً، لأنّه هو المقصود فلابُدَّ من الصبر على الأوامر والطّاعات حتّى يؤديها، فالزمن قصير، والوقت محدود، وهذا غالباً.

٣) صبر على المصائب والنوائب، فذاك واجبٌ أيضاً كالاستغفار من المعايب، فلا يتسخط العبد من المكروه والآلام والمتاعب حين تصيبه، بل عليه أن يظهر الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره.

والصبر أيضاً نوعان: اختياري، واضطراري.

والاختياري أكمل من الاضطراري، فإنَّ الاضطراري يشترك فيه النّاس، ولذا كان صبر يوسف عليه السلام من مطاوعة امرأة العزيز أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لمّا ألقوه في الجُبِّ.

والدَّاعية لا يستغني عن الصَّبر في حالٍ من الأحوال، لأنّه يتقلّب بين أمرٍ يجب عليه امتثاله، ونهيٍ يجب عليه اجتنابه وتركه، وقَدَرٍ يجري عليه،

ونعمةٍ يجب شكرها، والاعتراف بها لله عليه. وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه، فالصَّبر لازم له حتَّى الممات [1].

وقد ورد في القرآن الكريم الصَّبر لله، والصَّبر بالله، والصَّبر مع الله.

فالصَّبر بالله هو أوَّل درجات الصَّبر، وهو الاستعانة بالله ورؤيته أنَّه هو المصبِّر، وأنَّ صبر العبد بربِّه لا بنفسه كما قال تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلَّا بالله﴾[2]، يعني: إن لم يُصَبِّرك هو تصَبَّر.

والصَّبر لله: هو أن يكون الباعث على الصَّبر محبَّة الله تعالى، وإرادة وجهه، والتقرُّب إليه، لا إظهار قوَّة النَّفس، أو طلب الثناء من الخلق. قال تعالى: ﴿ولربِّك فاصبر﴾[3]، أي: لربِّك وحده لا لغيره.

فيكون الصَّبر لله لا لكسب ثناء النَّاس، وقولهم إنَّ فلاناً صابرٌ.

فيجب أن يكون الصَّبر خالصاً لله تعالى، ومتَّى كان الصَّبر لله كان عبادة ينال عليها عظيم الأجر والثَّواب.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٩٦/١، وعُدَّة الصَّابرين صـ ٢٦، و تزكية النفوس صـ ٨٧ والصبر في القرآن، للدكتور محمود الشريف صـ ١٨ - ١٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٦٦٧/١٠

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧

(٣) سورة المدَّثر، الآية: ٧

قال تعالى: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصَّلاة وأنفقوا مِمَّا رزقناهم سِرّاً وعلانيةً ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدَّار﴾[٤].

والصَّبر مع الله: هو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، أي أنَّه قد جعل نفسه وقفاً على أوامر الله ومحابّه، يتوجَّه معها أينما توجَّهت، وينزل معها أينما قامت مضاربها. وذلك أشد أنواع الصَّبر، قال سبحانه: ﴿إنَّ الله مع الصَّابرين﴾[١] [٢].

**فضل الصَّبر، وما أعدَّ الله للصَّابرين من جزيل الثَّواب:**

لقد ذكر الله تعالى الصَّبر في القرآن الكريم، وبيَّن فضله، وما تكرار لفظ " الصبر " في القرآن إلاَّ دليل على مكانته وشرفه وفضله[٣].

قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمَّا صبروا﴾[٤].

---

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٢

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٣

(٢) انظر: مدارج السالكين ١٦٩/٢ - ١٧٠، والصبر في القرآن صـ ١٩

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمَّد فواد عبد الباقي صـ ٣٩٩-٤٠١. وقد وردت كلمة الصَّبر في هذا المعجم أكثر من مائة مرَّة

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤

وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[٥]. فالله سبحانه وتعالى رتّب الفلاح على مجموع هذه الأمور.

فالله تعالى أمر عباده أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه لهم، وهو دين الإسلام، فلا يَدَعُوه لسرَّاء ولا لضرَّاء، ولا لشدَّةٍ ولا لرخاء، حتّى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكيدون لهم، والمرابطة: المداومة في مكان العبادة، والطّاعة، والثبات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيِّ ﷺ قال: **(ألا أخبركم بما يمحو به الله الخطايا، ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد، وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة، فذلكم الرّباط، فذلكم الرّباط)** [١].

ولقد بشَّر الله تعالى الصّابرين الذين صبروا في مواطن الصّبر عن المصائب والبلايا، بأن جمع لهم الصّلاة من الله تعالى عليهم ورحمته لهم، وهدايته وتأييده لهم، والطمأنينة والراحة التي في نفوسهم. قال تعالى:

---

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٤٤٤، ومسند الإمام أحمد ٢/٣٠٣

﴿وبشِّر الصَّابرين ۞ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ۞ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[٢].

وفي صحيح مسلم، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما مِن عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. اللهم اؤجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلاَّ أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها**). قالت: فلمَّا توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف لي خيراً منه، رسول الله ﷺ[١].

فعلى العبد المسلم أن يظهر الرضا والتسليم عند حدوث المصائب، وما يلاقي من الشدائد في هذه الحياة الدُّنيا، فالعاقبة حميدة، والثَّواب عظيم، والفضل كبير من عند الله تعالى في الدُّنيا والآخرة.

---

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٩٨/١، وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند المصيبة ٦٣٣/٢، وأبو داود في الجنائز، حديث رقم ٢٧١٢، والترمذي في الجنائز، حديث رقم ٨٩٩، والنسائي في الجنائز، حديث رقم ١٨٢٥، وابن ماجة في الجنائز، حديث رقم ١٤٤٧.

والله سبحانه قد قرن بين الصَّبر والتُّقوى، فإذا اجتمعا في العبد فقد نال مغنماً عظيماً، ودرجةً رفيعةً، وتحصَّن من شرِّ الأعداء ومكرهم.

قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتّقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾[1].

وقد أخبر تعالى أنَّ الملائكة تُسلِّم على الصَّابرين في الجنّة بسبب صبرهم الحميد في الدُّنيا.

قال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل بابٍ ۞ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدَّار﴾[2].

ولقد جعل الله الصَّبر على المصائب من عزمِ الأُمور، أي مِمَّا يعزم عليه من الأُمور التي إنَّما يعزم على أجلّها وأشرفها.

قال تعالى: ﴿ولمن صَبَرَ وغفر إنَّ ذلك لَمِن عزمِ الأُمور﴾[3].

وجاء في وصيَّة لقمان لابنه وهو يعظه قوله تعالى: ﴿وأْمُر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنَّ ذلك من عزمِ الأُمور﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠

(٢) سورة الرَّعد، الآيتان: ٢٣ - ٢٤

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٣

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٧

فعلى الدَّاعي أن يوطِّن نفسه على الثَّبات والصَّبر في الدَّعوة إلى الله تعالى والأمر المعروف والنَّهي عن المنكر، والبعد عن المآثم والمحارم، وفطم النَّفس عن الهوى والشهوات ابتغاء مرضاة الله تعالى، وطمعاً في جزيل ثوابه، وعليه في سبيل ذلك أن يتحمَّل الأذى من النَّاس، فيصبر على ما يتعرَّض له منهم في سبيل دعوتهم إلى دين الله والثَّبات عليه، وأن يستر مساوئهم، وعمل ذلك من عزمِ الأمور.

والدُّعاة رجال إصلاح، ولا يمكن أن ينجو المُصلِح من الشدائد والمحن، وكيف ينجو الدَّاعي من التعرُّض لهذه الشدائد، ومهمَّته أن يحول بين النُّفوس وشهواتها، والقلوب وأهوائها.

إذاً فلابُدَّ من الابتلاء، وتلك سُنَّة الله تعالى في خلقه حتَّى مع الأنبياء. والنَّصر مع الصَّبر، ومع العسر اليسر [1].

ولقد أوجب الله تعالى الجزاء الحسن والمغفرة للصابرين، بل أعطاهم الأجر بغير حساب لِمَا قاموا به من الصَّبر على الأعمال الطيبة والخِصال الحميدة، فكل جهد له ثمرة، وكل عمل له جزاء.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٤٦، ٢/٥١٠، ٤/١١٩

قال تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرَّتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومِمَّا رزقناهم ينفقون﴾[2].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أولئك يجزون الغُرْفَة بما صبروا ويُلَقَّون فيها تحيةً وسلاما﴾[4].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وكأيِّن من نَبِيٍّ قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لِمَا أصابهم في سبيل الله وما ضعُفوا وما استكانوا والله يحبُّ الصَّابرين﴾[5].

---

(١) سورة النَّحل، الآية: ٩٦

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٤

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٧

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦

وقال تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمَن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقّاها إلاّ الصّابرون﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ثُمّ كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصّبر وتواصوا بالمرحمة ۞ أولئك أصحاب الميمنة﴾[2].

إنَّ الصَّبر يبعث على الثبات والعلم بأنَّ المُقَدَّر كائن لا محالة، ويحمل على إيثار الآخرة على العاجلة. وهذا يجعل العبد المسلم يهون أمر الدُّنيا، ولا يمد عينيه إلى ما متّع الله به أُناساً من زهرتها، ويتلقّى ما يصيبه فيها من حِرمان ومصاعب ومصائب بالصَّبر والرِّضا والتطلُّع إلى ما عند الله من فضلٍ ونعيمٍ وجزاءٍ عظيمٍ في الآخرة. وأعظم الصَّبر الصَّبرُ عند الصَّدمة الأولى، وهو أهون على المرء منه بعد ذلك.

ولقد أرشد الله عباده إلى استعمال الصَّبر، والتّقوى، واليقين، والتوكل على الله تعالى، وذلك لكي يسلموا من شرِّ الأشرار، وكيد الفُجّار، والله تعالى محيطٌ بأعداء الدِّين، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٠

(٢) سورة البلد، الآيتان: ١٧ - ١٨

وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يقع في الوجود شيء إلاّ بتقديره ومشيئته، ومَن توكل على الله كفاه.

ومِمَّا يثمره الصَّبر على الصَّابرين الصَّالحين، التّواصي بينهم على التمسُّك بالحق والثبات في مواجهة أذى النّاس، والتّراحُمِ فيما بينهم.

ومِنْ فضائل الصَّبر أنَّ الله تعالى لا يعامل أهله، ولا يقدر ثوابهم بالعَدِّ أو الكيل، أو الوزن، على قدر عملهم، وإنّما يضاعف لهم ويجزيهم بغير حساب، ويزيدهم من فضله وإحسانه بلا حَدٍّ ولا عَدٍّ، وذلك في الجنّة، والجنّة لا يُلَقّاها إلاّ الصَّابرون.

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يتحشَّم اتّباع الحَقِّ في الشدائد، ويعرف أعداء الإسلام، ومدى قوتهم، وما يقصدون إليه من حرب الدِّين.

وبفضلٍ من الله تعالى فإنَّ هذه القُوى الهائلة التي تحيط بالإسلام مِن كُلِّ جانبٍ، وتسعى لإبادة المسلمين، سيكفينا الله أمرها إنْ صَدَق المسلمون، والدُّعاة منهم خاصّةً في دعوتهم، وتغلّبوا على الشَّدائد، وساروا بعزمٍ وصِدْقٍ وصَبْرٍ، وكان لهم الثّواب العظيم في الآخرة، وكان النّصر حليفهم في الدُّنيا، وكان الله معهم، والله غالبٌ على أمره، ولكنَّ أكثر النّاس لا يعلمون [1].

## ومِمَّا أورده ابن كثير في فضل الصَّبْر مِنَ الأحاديث:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٨٧، ١٩٦، ٣٩٨، ٤٤٣، ٢/٣١٦، ٥٨٤، ٣/٤٨٨، ٤٠٠، ٤/٤٨، ٥١٤ بتصرُّف.

قوله ﷺ: (إنَّ في الجنَّة شجرة يُقال لها شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يرفع لهم ديوان، ولا ينصب لهم ميزان، فيصب عليهم الأجر صَبّاً، ثُمَّ قرأ: ﴿إنَّما يوفَّى الصَّابرون أجرهم بغير حساب﴾[1] [2].

وعن زيد بن أرقم الأنصاري رضي الله عنه قال: أصابني رمد، فعادني رسول الله ﷺ. قال: فلمَّا برأت خَرَجْتُ. قال: فقال لي رسول الله ﷺ: (أرأيت لو كانت عيناك لما بهما ما كنت صانعاً ؟ قال: قلت: لو كانت عيناي لما بهما صبرت واحتسبت. قال: لو كانت عيناك لما بهما ثُمَّ صبرت واحتسبت لقيت الله عزَّ وجلَّ ولا ذنب لك). قال إسماعيل: (ثُمَّ صبرت واحتسبت لأوجب الله تعالى لك الجنَّة) [3].

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: " وجدنا خير عيشنا الصَّبر " [4].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٨٨١، ومسلم في كتاب الامارة، حديث رقم ١٨٨٢، وجامع المسانيد والسنن ٤٥٩/٢، والمعجم الكبير للطبراني ٩٢/٣

(٣) انظر: جامع المسانيد ٩٣/٣، ومسند الإمام أحمد ٣٧٥/٤، وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب العيادة من الرَّمد ١٨٦/٣

(٤) مسند الفاروق ٨٤/٢

وكان رسول الله ﷺ (**يتعاهد الأنصار ويعودهم ويسأل عنهم، فبلغه أنَّ امرأةً من الأنصار مات ابن لها فجزعت عليه، فأمرها بتقوى الله والصَّبر**) [1]. وذلك لِمَا للصَّبر من الأثر الطيب والفضل الكبير. فالصَّبر له مكانته في الدِّين، وأثره الحميد على المسلم في العاجل والآجل.

ولذا كان من دعاء النَّبيِّ ﷺ أن يجعله الله صبوراً. فكان ﷺ يقول في دعائه: (**اللهم اجعلني شكوراً، واجعلني صبوراً، واجعلني في عيني صغيراً، وفي أعين النَّاس كبيراً**) [2].

ولقد جمع الله بين التَّقوى والصَّبر في عِدَّة مواضع من كتابه الكريم، فمن جمع الله بينهما من الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدُّنيا والآخرة، والله تعالى ينتصر لعبده الصَّابر على الأعداء مِنَ الكُفَّار والمنافقين، وعلى مَن يسيء إليه ويظلمه من المسلمين، وتكون عاقبته حميدة، وقد قرن الله بين الصَّبر والأعمال الصَّالِحَة عموماً وخصوصاً، قال تعالى: ﴿واتَّبِع ما يوحى إليك واصبر حتَّى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ [3] [4].

---

(١) جامع المسانيد ٥٠٤/١، مجمع الزوائد للهيثمي ٨/٣

(٢) جامع المسانيد والسنن ٥١١/١ - ٥١٢

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٩

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٧٣/١٠، ٦٧٥، ٦٧٦

## ضرورة الصَّبر والأسباب المعينة عليه:

الصَّبر ضروري للدَّاعية إلى الله تعالى، والإسلام جعل له أهمية ومنزلة رفيعة، ونوَّه بذكره في مواطن كثيرة، فهو ضروري للدِّين، كما هو ضروري للدُّنيا.

فكسب الرِّزق، ومعاملة النَّاس، والقيام بالواجبات الدينية، والإمتناع عن المحرَّمات، ومقارعة الشَّدائد في طريق الدَّعوة، كُلّ ذلك يحتاج إلى صبر.

والصَّبر دواء القلوب للدُّعاة، والبلسم الشافي لأمراض النُّفوس، وله التأثير الشَّديد في حياة الإنسان.

وهو يقود إلى الفضائل الحسنة، والأخلاق الحميدة، فما أعظمه من علاجٍ نافعٍ للنُّفوس الحيَّة بنور الإيمان.

وطريق الإيمان ليس مفروشاً بالورود والرياحين، بل لابُدَّ من المنغِّصات وحصول الأذى، حتَّى يتبيَّن الصَّابر المحتسب مِن غيره.

والجنَّة لابُدَّ لها مِن ثمن، فسلعة الله غالية، وقد دفع الثمن الأنبياء والرُّسُل الكرام وأتباع الرُّسل، فهم أشدّ النَّاس ابتلاءً بعد الأنبياء، ثُمَّ الأمثل فالأمثل [1].

---

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأُسُسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني ٣٠٦/٢، والصبر في القرآن، ليوسف القرضاوي صـ ١٧ - ١٨، وكتاب: النَّفس - أمراضها، وعلاجها - لمحمَّد الفقي صـ ٣٩٤

قال تعالى: ﴿لتبلونَّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعُنَّ مِن الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومِنَ الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتَّقوا فإنَّ ذلك من عزم الأُمور﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: " لابُدَّ أن يبتلى المؤمن في شيءٍ من ماله، أو نفسه، أو ولده، أو أهله. ويبتلى المؤمن على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زِيدَ في البلاء.

ولقد أمر الله المؤمنين بالصَّفح والصَّبر والعفو مَع مَن خالفهم في الدِّين حتَّى يتمَّ الفرج من الله تعالى "[2].

وعلى الدَّاعية إلى الله تعالى الإستمرار في الدَّعوة، وعدم اليأس.

فالدَّاعية إلى الله تعالى يحتاج إلى الصَّبر، ولا غنى له عنه، فهو ضروريٌّ له، وذلك لِمَا يواجهه من شتَّى النَّوازع والدَّوافع، ولِمَا يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض من شتَّى صنوف الصِّراع والعقبات. فلابُدَّ أن يكون الدَّاعية صابراً على دعوته، فطريق الدَّعوة لا يمكن أن يقطع إنْ لَمْ يستعن بالصَّبر عليه، بأن يكون صابراً على ما يلاقيه هو من الأذى. ذلك أنَّ من لوازم الدَّعوة إلى الله تعالى أن يتعرَّض الدَّاعية للأذى والسخرية، في سبيل نشر الدَّعوة وإبلاغها للنَّاس.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/٤٣٥، وجامع المسانيد والسُّنَن ١/٢١٨ - ٢١٩

فعليه أن يتذرَّع بالصَّبر، ولا يستعجل النتائج، ويصبر على بطء سيرها وتعثُّره، فلا يضجر ولا يسأم ولا يملّ [1].

قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [2].

وجاء في الحديث أنَّ بعض الصَّحابة قالوا للرسول ﷺ: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا ؟ قال: (**إنَّ مَن كان قبلكم كان يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه**). ثُمَّ قال: (**والله ليتمَّن الله هذا الأمر حتّى يسير الرَّاكب مِن صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاَّ الله والذئب على غنمه، ولكنَّكم قومٌ تستعجلون**) [3].

فلا شكَّ أنَّ الدَّاعية المؤمن بحاجة ضرورية إلى الصَّبر، فالدُّعاة يتعرَّضون للأذى والإبتلاء على مَرِّ الأجيال والأزمان.

---

(١) انظر: فقه الدعوة، لسيد قطب، جمع: أحمد حسن صـ ٣٠١، وزاد الدَّاعية، لابن عثيمين صـ ١٣

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤

(٣) صحيح البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم ٣٦١٢، وأبو داود في كتاب الجهاد، حديث رقم ٢٢٧٨، وانظر: تفسير ابن كثير ٢٥١/١، وجامع المسانيد والسُّنَن ٢ /٦١٧

وسُنّة الله تعالى في هذه الحياة أن يكون لدعاة الحق أعداء يتربّصون بهم الدوائر، محاولين إعاقة سير الدّعوة أو ردها.

فعلى الدّاعية أن يوطّن نفسه على الصّبر وقوّة التّحمّل، وكظم الغيظ والغضب، ومواصلة سير الدّعوة، غير مبالٍ بالصّعاب والأذى في سبيل نشر دعوة الله، وأن يمعن النّظر في سيرة رسول الله ﷺ في مجال الدّعوة إلى الله، وكيف كان يطمع أن يخرج الله من أصلاب الكُفّار من يعبد الله وحده [1].

## الأسباب التي تعين على الصّبر:

قال ابن القَيّم: " لمّا كان الصّبر مأموراً به، جعل الله سبحانه له أسباباً تعين عليه، وتوصّل إليه.

فالصّبر وإن كان شاقّاً كريها على النفوس، فتحصيله ممكن، وهو يتركّب من مفردين: العلم، والعمل. فمنهما تُرَكّب جميع الأدوية التي تداوى بها القلوب والأبدان. فلابُدَّ من جزءٍ علمي، وجزءٍ عملي. فمنهما يُرَكّب الدواء الذي هو أنفع الأدوية. أمّا الجزء العلمي فهو إدراك ما في المأمور به من الخير والنّفع واللّذة والكمال، وإدراك ما في المحظور مِن الشّرّ والضرّ والنّقص، فإذا أدرك هذين العلمين كما ينبغي، أضاف إليهما العزيمة الصّادقة، والهمّة العالية، والنّخوة، والمروءة الإنسانية، وضَمَّ هذا الجزء إلى هذا الجزء، فمتى فعل ذلك حصل له الصّبر، وهانت عليه مشاقّه، وحَلَت له مرارته، وانقلب ألمه لذّة " [2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣/١٣٣ - ١٣٤، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/١٤٩

(٢) عُدّة الصّابرين صـ ٥٤

## ومِنَ الأسباب التي تعين على الصَّبر:

### ١ - الرِّضا بقضاء الله وقدره:

مِمَّا يعين الدَّاعية إلى الله تعالى في جانب الصبر، اعتقاده أنَّ كُلَّ شيءٍ بقضاء الله وقدره، فما شاءه الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال تعالى: ﴿ما أصاب مِن مصيبة إلَّا بإذن الله ومَن يُؤمن بالله يَهْدِ قلبه والله بكُلِّ شيءٍ عليم﴾[1].

قال ابن كثير - رحمه الله - " يقول الله تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿وما أصاب مِن مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلَّا في كتابٍ مِن قبل أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير﴾[2]. وهكذا قال ههنا: ﴿ما أصاب مِنْ مصيبةٍ إلَّا بإذن الله ومَن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكلِّ شيءٍ عليم﴾ أي: ومَن أصابته مصيبة فعلم أنَّها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوَّضه عمَّا فاته من الدُّنيا هُدىً في قلبه ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه " [3].

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١١

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٣٧٥

٢ - معرفة حقيقة الحياة الدُّنيا:

إنَّ مِمَّا يعين على الصبر إدراك حقيقة هذه الحياة، وأنَّها ليست بدار بقاء، ولا دار نعيم ولا خلود، وإنَّما هي ممر ومعبر إلى الدَّار الآخرة، وهي دار ابتلاء واختبار، وفيها الخير والشر، والباطل والحق، والصابر فيها على مواجهة الباطل واتِّباع الحق له أجرٌ عظيم.

قال تعالى موضحاً حقيقة هذه الحياة الدُّنيا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

فالحياة الدنيا تكون نضرة حسناء، ثُمَّ بعد ذلك تصير عجوزاً شوهاء، والشاب يعود شيخاً ضعيفاً كبيراً، ثُمَّ الموت، والسعيد مَن كان حاله بعد ذلك إلى خيرٍ، فإنْ أحسن العمل وصبر على الطَّاعة نال الجزاء الحسن في دار القرار، وقد ضرب الله مثل الحياة الدُّنيا بماء أنزله مِنَ السَّماء على الأرض فأنبت فيها فأصبحت الأرض مخضرَّة، ثُمَّ يكون بعد ذلك هشيماً يابساً: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[2].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢١

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٥

فلا يستوي مَن كان قلبه متعلّقاً بالله، ومَنْ كان قلبه قاسياً بعيداً عن الله [1].

### ٣ – معرفة الإنسان دوره في هذه الحياة:

مِمَّا يعين على الصَّبر أن يعلم الإنسان أنَّ الله تعالى لم يخلقه عبثاً، ولم يتركه سُدىً. وأنَّ مالك الملك هو الله تعالى، الذي أوجد الإنسان على ظهر هذه الحياة الدُّنيا لعمارتها، وعبادة الله تعالى فيها. وهو الذي جعل صورته حسنة، ووهب له السمع والبصر والفؤاد، وأسبغ عليه نِعَمَه ظاهرةً وباطنة، ويجيء يوم القيامة فرداً، كما خلقه الله تعالى أوَّل مرّةً بلا أهلٍ ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإنَّ الإيمان بهذه الحقائق يعين على الصَّبر، ويُخَفِّف المصائب على الإنسان [2].

### ٤ – الإقتداء بالأنبياء:

النَّظر في حياة الأنبياء والرُّسُل الكرام وأتباعهم الصالحين، وكيف صبروا على ما أصابهم من أذىً ومشاقّ في الدَّعوة إلى الله تعالى، مِمَّا يعين على الصَّبر.

فلقد لاقى الأنبياء والرُّسُل ما لاقوه من الابتلاء والأذى، ولكنّهم صبروا وتجلّدوا طلباً لمرضاة الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٥٠، ٣/٨٥

(٢) انظر: الصَّبر في القرآن الكريم، ليوسف القرضاوي، صـ ٩٤ – ٩٥

قال تعالى: ﴿ولقد كُذِّبَت رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَروا عَلى مَا كُذِّبوا وأُوذوا حتَّى أتاهُم نصْرُنا ولا مُبَدِّلَ لكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نبأِ المُرْسَلِينَ﴾[1]. ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة ما يُطَمْئِنُ النَّبيَّ ﷺ ويُسَلِّيه لما واجه من قومه مِن الأذى البليغ والتكذيب، ويأمره بالصبر كما صَبَر إخوانه أولوا العزم من الرسل. وفي الآية أيضاً وعْدٌ من الله تعالى بالنَّصر والتأييد والظَّفر والعاقبة الحميدة بعد الأذى والتكذيب مِمَّن خالف دعوة الحق وأنَّ الله تعالى ينصر عباده المؤمنين، كما نصر مِن قبل الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الصالحين، وأنَّ النَّصر حليف المؤمنين في الدُّنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ۞ إنَّهم لهم المنصورون ۞ وإنَّ جندنا لهم الغالبون﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿إنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدُّنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٤

(٢) سورة الصَّافَّات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣

(٣) سورة غافر، الآية: ٥١

فسُنّة الله تعالى ماضية بأنَّ العاقبة الحميدة للرُّسُل وأتباعهم في الدُّنيا والآخرة، فالنّصر حليفهم، والنجاة لهم، ويقر الله أعينهم بأن يريهم الخذلان بمن آذاهم وكذّبهم ونَصَب العداوة لهم عاجلاً في الدُّنيا قبل الآخرة[1]

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **(يقول الله تعالى: مَن عادى لي وليّاً فقد بارزني بالحرب)**[2].

**٥ – اليقين بفرج الله تعالى وحُسن الجزاء للصابرين:**

مِمَّا يعين الدَّاعية إلى الله تعالى على الصَّبر، وثقته بنصر الله تعالى، وأنَّ فرجه قريب، وأنَّ الضِّيق يعقبه الفرج، وأنَّ مع العسر يسراً.

قال تعالى: ﴿سيجعل الله بعد عسرٍ يسرا﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿فاصبر إنَّ وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربّك بالعشي والإبكار﴾[4].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٣٠/٢، ٢٤/٤، ٨٣

(٢) تفسير ابن كثير ٨٣/٤. و صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، إلاّ أنَّ رواية البخاري: ( **إنَّ الله تعالى يقول: مَنْ عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب**).. الحديث ١٨٩/٨.

(٣) سورة الطّلاق، الآية: ٧

(٤) سورة غافر، الآية: ٥٥

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وذكر ابن كثير - رحمه الله تعالى - أنَّ يوسف عليه السلام لمَّا ضاق به الحال، واشتدَّ الأمر عليه، جعل الله تعالى له بمنه وكرمه فرجاً مِن ذلك الضِّيق، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[2].

ثُمَّ أورد حديثاً - عن الرَّسول ﷺ يوضِّح فرج الله تعالى لعباده المؤمنين - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(بينما رجلٌ وامرأةٌ له في السَّلف الخالي [3] لا يقدران على شيءٍ، فجاء الرَّجُل من سفرٍ فدخل على امرأته جائعاً قد أصابته مسغبة شديدة، فقال لامرأته: عندك شيء ؟ قالت: نعم ! أبشر أتانا رزق الله، فاستحثَّها فقال: ويحك ابتغي إنْ كان عندك شيء. قالت: نعم هُنَيْهَة [4] - ترجو رحمة الله - حتَّى إذا طال عليه الطوى قال: ويحك ! قومي فابتغي إنْ كان عندك شيء فائتيني به فإني قد بغَّلت [5] وجهدت. فقالت: نعم !**

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٠

(٢) سورة الشَّرح، الآيتان: ٥ - ٦

(٣) الخالي: الذي مضى وذهب. يُقال: خلا الشيء: مضى وذهب.
المعجم الوسيط ١/٢٥٤

(٤) هنيهة: القليل من الزمان. المعجم الوسيط ٢/٩٩٨

(٥) بغَّلت: بغَّل تبغيلاً: تبلَّد وأعيا. القاموس المحيط ٣/٣٣٦

الآن نفتح التّنور فلا تعجل. فلمَّا أنْ سكت عنها ساعة وتحيَّنت أن يقول لها، قالت مِنْ عند نفسها: لو قمت فَنَظَرْتُ إلى تنُّوري، فقامت فنظرت إلى تَنُّورِها ملآن من جنوب الغنم وإلى رحيها تطحنان، فقامت إلى الرَّحى فنفضتها، واستخرجت ما في تَنُّورِها من جنوب الغنم. قال أبو هريرة: فوالذي نفس أبي القاسم بيده، هو قول محمَّد ﷺ: (لو اخذت ما في رحييها ولم تنفضها لطحنت إلى يوم القيامة) [1].

لقد بَيَّن الله تعالى في القرآن الكريم حُسن جزاء الصَّابرين، وذلك في عِدَّة مواضع من كتابه الكريم.

وهذا مِمَّا يدفع الدَّاعية إلى الله تعالى إلى مواصلة أعمال الخير والإحسان والمداومة عليها، لأنَّه يوقن بأنَّ الجزاء من عند الله تعالى كائنٌ ومُدَوَّنٌ في صحائفت، يجده يوم القيامة ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ۞ إلاَّ مَن أتى الله بقلبٍ سليم﴾ [2].

كُلُّ ذلك بالإضافة إلى ما يجده الدَّاعية في الحياة الدُّنيا من تكريمٍ وحوافزَ وتقديرٍ من عباد الله المؤمنين، لِمَا يقوم به من جهدٍ وعملٍ في سائر وجوه الخير، وهذا جزاء عاجل، وهو بشرى للمؤمن.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٨٩، ٤/٨٤، ٣٨٣ - ٣٨٤ بتصرُّف. ومسند الإمام أحمد ٢/٤٢١

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ - ٨٩

يقول الله تعالى عن بيان جزاء الصَّابرين: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنَّهم مِنَ الجنَّة غُرَفاً تجري مِن تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ۞ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكَّلون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ولنجزينَّ الذين صبروا أجرهم بأحسنِ ما كانوا يعملون﴾[2].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وبشِّر الصَّابرين ۞ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ۞ أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[3].

يقول ابن كثير - رحمه الله -: " إنَّ الله أعدَّ لعباده المؤمنين المتوكلين عليه في أحوالهم كلها، في دينهم ودنياهم، ما يسرهم في الجنَّة من الغُرَف المزيَّنة بأنواع الزِّينة، وأبهى الزِّينة، تكريماً لهم وأجراً على أعمالهم وصبرهم على دينهم... هاجروا إلى الله، ونابذوا الأعداء، وفارقوا الأهل والأقرباء،

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٨ - ٥٩

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧

ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده، وتصديق موعده، ثُمَّ ساق رحمه الله حديثاً عن رسول الله ﷺ يؤيِّد ذلك [1].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها خيراً)**. الحديث [2].

## ما يقدح في الصَّبر وينافيه:

### ١ - الشكـوى:

لَمَّا كان الصَّبر اعـترافَ العبد بما أصابه لله واحتسابه عنده، وحبس النَّفس عمَّا لا يحسن فعله، وحبس اللسان عمَّا لا يحسن قوله.

وكان هذا يقتضي حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله، والقلب عن التسَّخُط، والجوارح عن لطم الخدود، وخمش الوجوه، وشقِّ الثِّياب، ونحو ذلك، لأنَّ الصَّبر رضا عن الله فيما يفعله به مِمَّا يحب ويكره.

فإنَّه إذا وقع من العبد عكس ما ذكر كان منافياً للصَّبر، وكان متلبِّساً بالنقائص والرذائل. فمَن شكا ما به إلى مخلوقٍ مثله، كان قد

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٨٥، ٣/٤٢٠

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدُّنيا والآخرة ٤/٢١٦٢. ومسند الإمام أحمد ٣/١٢٥، وتفسير ابن كثير ٢/٥٨٥

شكا ربَّه إلى بعض مخلوقاته. وهذا من عدم المعرفة بالله، وضعف الإيمان به تعالى.

فقد شكا الضَّارَّ النَّافِعَ الذي بيده أزِمَّة الأمور، إلى مَن لا يضر ولا ينفع. وهذا مِمَّا يقدح في الصَّبر ويخرج الإنسان من دائرة الصَّابرين.

وتأمَّل في حالة الأنبياء أيوب ويعقوب، وغيرهما، فقد طلب كُلُّ واحِدٍ منهم كشف الضُّرّ من الله وَحده، والرحمة منه وحده، ورفع الضِّيق منه وحده، لا مِن أَحَدٍ سواه.

قال تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿أني مسَّنِيَ الضُّرّ وأنت أرحم الرَّاحمين﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله﴾[2].

وقد بلغ أيوب عليه السَّلام الغاية في الصَّبر، وبه يُضرَب المثل فيه، فقد ابتلي بذَهَاب أهله، وماله، وولده، وكُلّ شيءٍ له، وقال مع ذلك مخاطِباً ربَّه: الحمد لله فأنت تعلم ما بي.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٦

وكذلك يعقوب عليه السَّلام يتوجه إلى الله وحده وقد أصابه ما أصابه من الهمِّ، وحلَّ به ما هو فيه، ويرجو من الله كل خير، وذلك حين ذهب عنه أبناؤه الثلاثة، ومنهم يوسف عليه السلام [1].

**٢ - الهلع وإظهار المصيبة:**

ومِمَّا يقدح في الصَّبر، الهلع، وهو الجزع عند ورود المصيبة، والمنع عند ورود النعمة، وكتمان المصيبة رأس الصَّبر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسانَ خُلِقَ هَلوعاً ۞ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزوعاً ۞ وَإِذا مَسَّهُ الخَيرُ مَنوعاً ۞ إِلَّا المُصَلِّينَ. . . ﴾ [2].

فينبغي ألاَّ يتحدَّث بالمصائب التي تنزل به إلاَّ لضرورة.

بيَّن ابن كثير ما جُبِلَ عليه الإنسان من الضَّعف الذي يؤدي به إلى الأخلاق الدنيئة إذا لم يقو نفسه بالإيمان والصَّبر، فيصبح هالعاً، إذا مسَّه الضرّ جزع وفزع وأيس أن يجعل له ذلك خيراً، وإذا حصل له نعمةً من الله تعالى بخل بها على غيره، ومنع حقَّ الله تعالى فيها.

قال رسول الله ﷺ: ( **شَرُّ مَا في الرَّجُلِ: شُحٌّ هالِعٌ، وجُبْنٌ خالِعٌ**)[3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٨٨، ٣/١٨٨، وتسلية أهل المصائب صـ ١٧٤، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/٣٨٠ - ٣٨١

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١٩ - ٢٢

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٢١، ومسند الإمام أحمد ٢/٣٠٢، وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الجُرْأة والجُبن ٣/١٢، و عُدَّة الصَّابرين صـ ٢٧٥

### ٣ - الاستعجال والغضب:

مِمَّا يقدح في الصَّبر العجلة والغضب، فطبيعة الإنسان العجلة التي تقاوم وتُهذَّب بالإيمان والصَّبر، وقد بيَّن الله ذلك بقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[١].

وبعض الدُّعاة إلى الله تعالى أحياناً يستعجلون النتائج، محاولين أن يجنوا ثمرة أعمالهم في ميدان الدَّعوة في أسرع وقت، وهذا ليس في مقدورهم، فإنَّ الأمر بيد الله تعالى، وما عليهم إلاَّ أن يغرسوا البذرة، ويتعاهدوها بالعناية والرعاية، حتَّى تؤتي أُكُلها بإذن ربها، وعليهم ألاَّ يتكاسلوا أو يضعفوا ويتخاذلوا، بل عليهم مواصلة الدَّعوة [٢].

فإنَّ الله تعالى خاطب نبيَّه محمَّداً ﷺ وأمره بالصَّبر وعدم الاستعجال. قال تعالى: ﴿فاصبر كما صَبَرَ أُولوا العزم مِن الرُّسُل ولا تستعجل لهم﴾[٣].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧

(٢) الصَّبر في القرآن، ليوسف القرضاوي، صـ ١٠٩

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥

فنجد هنا أنَّ الله تعالى أمر نبيَّه محمَّداً ﷺ بالصَّبر على تكذيب من كذَّبه مِن قومه، وعدم الاستعجال بطلب العقوبة بهم [1]. كما قال تعالى في آيةٍ أُخرى: ﴿وذرني والمكذِّبين أُولي النَّعْمَة ومهِّلهم قليلاً﴾[2].

والغضب كذلك قادح في الصَّبر، فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أنْ يتَّسِم بالحلم، وسعة الصَّدر، فقد يكون أمام الدَّاعية نفرٌ من النَّاس قليل، وقد يعرضوا عنه فيتركوه، فالدَّاعية عليه ألاَّ ييأس، بل يعاود دعوتهم مرَّة بعد مرَّة.

وهذا ما وجَّه الله تعالى نبيّه محمَّداً ﷺ إليه حين قصَّ عليه قصَّة يونس عليه السَّلام. فقد دعا يونس قومه إلى الله، ولكنَّهم أعرضوا عنه ولم يجيبوه، فلم يصبر، وغضب، وركب البحر، وقد ذكر الله سبحانه قصَّته في القرآن. قال تعالى: ﴿وذا النُّون إذ ذهب مغاضباً فظن أنْ لَنْ نقدِرَ عليه فنادى في الظُّلمات أن لا إله إلاَّ أنت سبحانك إنِّي كنت من الظَّالمين﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فلولا أنَّه كان من المسبحين ۞ للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾[2].

---

(١) تفسير ابن كثير ١٧٢/٤

(٢) سورة المزمل، الآية: ١١

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧

(٢) سورة الصَّافات، الآيتان: ١٤٣ - ١٤٤

٤ - الحزن واليأس:

وهما من أعظم عوائق الصَّبر، وأكثرها منافاة له.

قال تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلاَّ بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيقٍ مِمَّا يمكرون﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿فلعلَّك تاركٌ بعض ما يوحى إليك وضائقٌ به صدرك أن يقولوا لولا أُنزل عليه كنزٌ أو جاء معه ملك إنَّما أنت نذير والله على كُلِّ شيءٍ وكيل﴾[٤].

وهكذا بيَّن الله سبحانه لرسوله محمَّدٍ ﷺ أنَّ مَن خالف و لم يتَّبع ما جاء به، فالله قادرٌ عليه، فلا مجال للغمِّ والضِّيق والحُزن بسبب عداوة هؤلاء المخالفين، ومحاولتهم إيصال الشرِّ إليك، فإنَّهم لن يقدروا على ذلك ولن ينالك منه شيء، لأنَّ الله تعالى ناصرٌ ومؤيِّدٌ لك، ومُظْهِرُكَ عليهم، بل عليك الإستمرار في دعوتهم آناء اللَّيل وأطراف النَّهار.

---

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٧

(٤) سورة هود، الآية: ١٢

وفي ذلك توجيهٌ للدُّعاة إلى الله تعالى ألاّ ينثنوا عن الدَّعوة إلى الله، فالرَّسولُ ﷺ قُدوةٌ لهم، وقد عرفوا كيف ثبت ولم يضِق صدراً بعَنَتِ المشركين فيما يقولونه له [1].

فعلى الدُّعاة إلى الله ألاّ يتطرق اليأس إليهم فيما يقومون به من عملٍ. فلابُدَّ لهم من الصبر حتّى يتحقّق ما يصبون إليه. وإذا كان الأمل في الله مِمَّا يرجى به ثبات الدَّاعية وصبره في دعوته، فإنَّ اليأس مانعٌ من موانع الصَّبر.

قال تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلاَّ الضَّالون﴾[2].

وقال سبحانه فيما حكاه عن مقالة يعقوب لبنيه: ﴿يا بني اذهبوا فتحسَّسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنَّه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون﴾[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٣٩، ٥٩٢، والصَّبر في القرآن ليوسف القرضاوي صـ ١١١ - ١١٢

(٢) سورة الحجر، الآية: ٥٦

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧

فيعقوب عليه السلام ندب بنيه للذهاب والتطلُّع إلى أخبار يوسف وأخيه، وأمرهم ألاَّ ييأسوا من روح الله ولا يقطعوا رجاءهم وأملهم منه سبحانه، فإنّه لا يعمل ذلك أَحَد إلاَّ أخطأ السبيل [٢].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٨٨، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٤/٦٨

## المبحث الخامس: إعداد الدَّاعية بالزُّهد:

### الزهد في اللغة:

ترك الميل إلى الشيء، والانصراف عنه احتقاراً له، وتصغيراً لشأنه، للاستغناء عنه بخيرٍ منه.

قال تعالى: ﴿وشروه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة وكانوا فيه من الزَّاهدين﴾[1].

أي: ليس لهم رغبة فيه، بل لو سُئِلُوه بلا شيء لأجابوا.

والزُّهد في الدُّنيا خوفاً من الحساب. والزُّهد في الحرام خوفاً من العقاب [2].

### والزُّهْدُ في الاصطلاح:

الزُّهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، مع كون المرغوب عنه مرغوباً فيه بوجهٍ من الوجوه، بحيث تتعلَّق النَّفس به فيصرفها عنه. فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً لنفسه لم يُسَمَّ زاهداً، كمن تركَ التُّراب لا يُسَمَّى زاهداً [3].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٠

(٢) انظر: القاموس المحيط ١/٢٥٨. وكتاب الزهد، للإمام وكيع بن الجرَّاح، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ١/١٢٣، وكتاب التعريفات صـ ١١٥، ومدارج السالكين، تحقيق الفقي ٢/٨-٩، وتفسير ابن كثير ٢/٤٧٢

(٣) مختصر منهاج القاصدين صـ ٣٢٤

والعلم المورث لهذه الحال هو العلم بكون المتروك حقيراً بالنسبة إلى المأخوذ. فمن عرف أنَّ ما عند الله باقٍ، وأنَّ الآخرة خيرٌ وأبقى من الدُّنيا - كما أنَّ الدُّرَّ خيرٌ من الثَّلْجِ، فالدُّنيا مثل قطعة الثلج الموضوعة في الشمس لا تزال في الذَّوبان حتَّى تنتهي، والآخرة كالدُّرِّ غالي الثمن لا يذوب ولا ينتهي - مَن عرف ذلك يؤثر الآخرة على الدُّنيا، ويقدر اليقين بالتفاوت بين الدُّنيا والآخرة، تقوى الرغبة في البيع [1].

ويمكن أن يُعَرَّف الزهد أيضاً في الإصطلاح: بأنَّه حالة نفسية تنشأ في الضمير حين ينال المرء حظه من معرفة الله، بالتفكير في الآيات، فإذا به سعيد بتلك المعرفة، مبتهج، عزيز، غني، وتستفيض تلك الحال حتَّى تعمَّ ذهنه ووعيه كله، فلا يحس نحو الدُّنيا إلاَّ إحساس الممتليء الرَّاغب فيما هو خير منها عند الله تعالى.

وقد يُعَرَّف كذلك بأنَّه ترك راحة الدُّنيا طلباً لراحة الآخرة، وسفر القلب من وطن الدُّنيا وأخذه في منازل الآخرة. فالزُّهد ألاَّ يركن العبد إلى الدُّنيا ويتنافس فيها، وأنْ يؤثر عليها الحياة الأخروية ويعمل لها.

---

(١) انظر: البحر الرائق في الزهد والرقائق، لأحمد فريد صـ ١٨٧، وتزكية النفوس صـ ٦٣ بتصرف.

وهذا لا يعني كون الزُّهد حاصلاً بتحريم الحلال، وإضاعة المال. ولكن يجب أن يكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يده، وأن يكون في أجر المصيبة إذا أصابته أرغب إلى الله منه فيما لو لم تصبه [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " الزُّهد هو عمَّا لا ينفع إمَّا لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحاً، لأنَّه مفوت لما هو أنفع منه أو محصل لما يربو ضرره على نفعه، وأمَّا المنافع الخالصة الراجحة فالزُّهد فيها حُمقٌ " [١].

قال تعالى: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى﴾[٢].

ويحدِّثنا ابن كثير - رحمه الله تعالى - عمَّا في هذه الآية من معنى الزُّهد فيقول: " يقول الله لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وما هم فيه من النَّعيم، فإنَّما هو زهرة زائلة لنختبرهم بذلك، وقليلٌ من عبادي الشَّكور - فقد آتاك الله خيراً مِمَّا آتاهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ۞ لا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به

---

(٢) انظر: تذكرة الدعاة، للبهي الخولي صـ ١٧٥، وكتاب التعريفات صـ ١١٥، ومدارج السالكين ١٣/٢

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦١٥/١٠

(٢) سورة طه، الآية: ١٣١

أزواجاً منهم﴾الآية [1]، وكذلك ما ادَّخره الله تعالى لرسوله ﷺ في الآخرة أمرٌ عظيمٌ لا يحد ولا يوصف كما قال تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[2].

ولهذا قال في الآية الأولى: ﴿ورزق ربك خيرٌ وأبقى﴾.

وفي الصَّحيح: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمَّا دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى [3] منهنَّ، فرآه متوسِّداً مضطجعاً على رمال حصير، وليس في البيت إلاَّ صبرة [4] من قرظ [5] واهية مُعَلَّقة، فابتدرت عينا عمر بالبكاء. فقال له رسول الله ﷺ: (**ما يُبكيك يا عمر** ؟) فقال: يا رسول الله إنَّ كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه ؟ فقال: (**أو في شك أنت يا ابن الخطَّاب ؟! أولئك قومٌ عُجِّلَت لهم طيِّباتهم في حياتهم الدُّنيا**).

---

(1) سورة الحجر، الآيتان: ٨٧ - ٨٨

(2) سورة الضحى، الآية: ٥

(3) آلى: أي: حلف لا يدخل عليهن. النهاية ٦٢/١

(4) الصبرة: شيء من الطَّعام. النهاية ٩/٣

(5) القرظ: ورق السلم. النهاية ٤٣/٤

فكان رسول الله ﷺ أزهد النّاس في الدُّنيا، مع القدرة عليها، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، و لم يدَّخِر لنفسه شيئاً لغد [1].

## حقيقة الزُّهد:

ألاّ يفرح بعاجلٍ موجودٍ من حظّ النّفس، ولا يحزن على مفقودٍ من ذلك، وأن يأخذ الحاجة من كُلِّ شيء عند الحاجة إلى الشيء، ولا يتناول عند الحاجة إلاّ سد الفاقة، ولا يطلب الشيء قبل الحاجة [2].

وحقيقة الزُّهد أيضاً: صرف الرَّغبة إلى الله تعالى وتعلُّق الهمَّة به،والاشتغال به عن كل شيءٍ يشغل عنه، ليتولّى هو حسم جميع الأسباب للعبد.

وعلى الدَّاعية إلى الله تعالى في تحقيق الزُّهد: أن يقصر الأمل، وأن ييأس مِمَّا في أيدي النّاس، ويستصغر شأن الدنيا، وأن يزهد في كُلِّ شيءٍ سوى الله تبارك وتعالى.

ولتحقيق الزُّهد ثلاث علامات:

١) ألاّ يفرح بموجودٍ، ولا يحزن على مفقودٍ، كما قال تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[3].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطّلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهنَّ ٢/١١٠٥ - ١١٠٧. والحديث طويل أطول مِمَّا ذكره ابن كثير. وانظر: تفسير ابن كثير ٣/١٧٠

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي صـ ٢٤٩

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٣

٢) أن يستوي عنده ذامّه ومادِحَه.

٣) أن يكون أنسه بالله، والغالب على قلبه حلاوة الطّاعة [1].

## أصناف الزُّهْد وأقسامه ودرجاته:

للزُّهد ثلاثة أصناف:

١) زهد فرض: وهو الزهد في الحرام.

٢) زهد فضل: وهو الزهد في الحلال.

٣) زهد سلامة: وهو الزهد في الشبهات.

وقال ابن القيم: الزهد على أربعة أقسام:

١) فرض على كل مسلم: وهو الزهد في الحرام، وهذا متى أخلَّ به انعقد سبب العقاب، فلابُدَّ من وجود مسبّبه ما لم ينعقد سبب آخر يضاده.

٢) زهد مستحب: وهو على درجات في الإستحباب بحسب المزهود فيه وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنن في الشهوات المباحة.

٣) زهد الداخلين في هذا الشأن: وهم المشمرون في السير إلى الله. وهو نوعان:

---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم صـ ٢١٠، ومدارج السالكين ١١/٢، ومختصر منهاج القاصدين صـ ٣٢٤، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢٥٢/٢، وتفسير ابن كثير ٣١٤/٤.

أ - الزهد في الدنيا جملة، وليس المراد تخلي اليد منها ولا إخراجها منها وقعوده صفر اليدين منها، وإنّما المراد إخراجها من القلب بالكلية. فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنّما الزهد أن تتركها وهي في يدك. والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء:

١ - علم العبد أنّها ظل زائل، وأنّها كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿اعلموا أنّما الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكُفّار نباته ثُمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثُمّ يكون حطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ وما الحياة الدُّنيا إلاّ متاع الغرور﴾[1].

فسمّى الله تعالى الدُّنيا متاع الغرور، ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذّرنا من مثل مصارعهم وذم مَن رضي بها واطمأنّ إليها.

٢ - علم العبد أنّ وراءها داراً أعظم منها قدراً وأجلّ خطراً، وهي دار البقاء، فالزهد فيها بمنزلة رجلٍ في يده درهم قيل له: اطرحه فلك عوضه ألف دينار مثلاً، فألقاه من

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠

يده رجاء ذلك العوض. فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها، فلذلك كان زهده في الدنيا.

٣ - معرفة العبد أنَّ الزهد في الدُّنيا لا يمنع أن يكون الله قد كتب له شيئاً منها، وأنَّ حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها. فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين، هان عليه الزهد فيها. فإنّه متى تيقن ذلك وثلج له صدره، وعلم أنَّ مضمونه منه سيأتيه، بقي حرصه وتعبه وكدَّه ضائعاً. والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك.

فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد في الدُّنيا، وتثبِّت قدمه في مقامه.

ب - الزهد في نفسك[1]: وهو أصعب الأقسام وأشقها، وأكثر الزَّاهدين إنّما وصلوا إليه و لم يلجوه. فالزهد في الحرام يسهل على الزاهد لمعرفته بسوء عاقبته: وقبح ثمرته، وحماية لدينه، وإيثار اللذة والنعيم على العذاب، وأنفته من مشاركة الفُسَّاق والفجرة.

ويسهل على العبد الزهد في المكروهات، وفضول المباحات لعلمه بما يفوته إيثارها من اللذة والسرور والنعيم المقيم. ويسهل عليه الزهد في الدنيا لمعرفته بما وراءها وما يطلبه من العوض التام في الآخرة.

---

(١) البداية والنهاية ٦١/١٣. عن الزهد.

أمَّا الزهـد في النفس، فهو ذبحها بغير سكّين.

وجميع مراتب الزهـد المتقدِّمـة مبادئ ووسائل لهذه المرتبة، ولكن لا تصـح إلاّ بتلـك المراتـب، فمَـن رامَ الوصـول إلى هـذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعنٍ متمنٍ رامَ الصُّعـود إلى أعلى المنـارة بلا سلّم.

٤) زهـد جامعٌ لذلك كله، وهو الزهـد فيمـا سـوى الله تعـالى، وفي كـل مـا يشـغلك عنـه. وأفضـل الزهـد إخفـاء الزهـد، وأصعبـه الزهـد في الحظوظ [1].

## درجـات الزهـد:

١) أن يزهد في الدُّنيا وهو مشتهٍ لها وقلبه لهـا مـائل، ونفسـه إليهـا ملتفتـة، ولكن يجاهدها ويكفها. وهذا يسمَّى متزهـداً، وهو مبدأ الزهـد.

٢) أن يـترك الدنيـا طوعـاً لاستحقاره إيَّاهـا، بالإضافـة إلى مـا طمـع فيـه، ولكنّه يرى زهـده ويلتفت إليه كـالذي يـترك درهمـاً لأجـل درهمـين، وهذا نقص.

---

(١) طريق الهجرتين صـ ٢٣٤ - ٢٣٦، والفوائـد صـ ١٧٢ بتصرف يسير.

٣) أن يزهد في الدُّنيا طوعاً، ويزهد في زهده، فلا يرى أنَّه ترك شيئاً، لأنَّه عرف أنَّ الدُّنيا ليست بشيء، فيكون كمن ترك خرقة وأخذ جوهرة، فلا يرى ذلك معاوضة. فإنَّ الدنيا بالإضافة إلى نعيم الآخرة أخَسُّ من خرقةٍ باليةٍ بالإضافة إلى جوهرة، فهذا هو الكمال في الزهد [1].

**وأمَّا الزُّهد بالإضافة إلى المرغوب فيه فعلى ثلاث درجاتٍ أيضاً:**

**أحدها:** الزُّهد للنجاة من العذاب والحساب والأهوال التي بين يدي الآدمي. وهذا زهد الخائفين.

**الدرجة الثانية:** الزُّهد للرغبة في الثَّواب والنَّعيم المرغوب فيه. وهذا زهد الرَّاجين، فإنَّ هؤلاء تركوا نعيماً لنعيمٍ.

**الدرجة الثالثة:** وهي العليا، ألاَّ يزهد في الدُّنيا للتخلُّص من الآلام، ولا للرغبة في نيل اللَّذَّات، بل لطلب الله تعالى. وهذا زهد المحسنين العارفين. فإنَّ لذَّة النَّظر إلى الله تعالى بالإضافة إلى لذَّات الجنَّة كلذَّة مُلْكِ الدُّنيا والاستيلاء عليها بالإضافة إلى الاستيلاء على عصفور واللعب به [1].

## فضل الزُّهْد:

---

(١) مختصر منهاج القاصدين صـ ٣٢٥

(١) مختصر منهاج القاصدين صـ ٣٢٦

الزهد المراد ألاّ يركن العبد إلى الدُّنيا ويتنافس فيها، ويرغب البقاء من أجلها، متحملاً ما يعتريه فيها من الهمِّ والحزن.

والزَّاهد هو الذي يوقن بأنَّ هذه الحياة الدُّنيا قصيرة، وأنَّها مُمَهِّدة لحياةٍ أُخرى طويلة، فهي دار ممر ومعبر إلى الآخرة. بهذا الشعور يريح العبد نفسه وقلبه وبدنه.

والدَّاعية الزَّاهِد هو الذي يؤثر الحياة الأخروية، الحياة الباقية، على الحياة الدنيوية، الفانية.

واتِّصافه بهذا الوصف يجعله يستطيع أن يعيش في هذه الحياة الدُّنيا، آخذاً نصيبه منها، بمقدار زاد الرَّاكب، ولا يعني ذلك ترك الأسباب والكسب والاكتساب بالطرق المباحة، والتخلّي عن المسئولية الفردية والجماعية، وإنّما ينبغي عليه أن يجعل هذه الحياة الدنيا وسيلة لا غاية، ويأخذ بالأسباب المناسبة، فلا ضرر ولا ضِرار، لا تفريط ولا إفراط.

قال تعالى: ﴿وابتغِ فيما آتاك الله الدَّار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدُّنيا﴾[1].

فعلى الإنسان أن يستعمل ما وهبه الله من المال والنِّعم في طاعة الله تعالى والتقرُّب إليه بأنواع القربات، التي يحصل بها الثواب في الدنيا والآخرة، ويتمتَّع بما أباح الله له من المأكل والمشرب والملابس والمناكح

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧

والمساكن، فالرَّب له حق، والنفس لها حق، والأهل لهم حق، والضيف له حق، فيعطي كل ذي حقٍّ حقه [٢].

لقد حقَّر الله سبحانه الحياة الدُّنيا بالنسبة إلى ما ادَّخره لعباده المؤمنين في الدَّار الآخرة.

وهذا حافز قوي يدفع بالدُّعاة إلى الله تعالى إلى التَّفاني في نشر الدَّعوة، متحملين كل ما يلاقونه من ضيقٍ في المعيشة بنفسٍ راضيةٍ راغبةٍ فيما عند الله تعالى، مطمئنةٍ إليه. قال تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خيرٌ لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا﴾[١]. وقال بعد ذلك في موضعٍ آخر: ﴿وما الحياة الدُّنيا في الآخرة إلاَّ متاع﴾[٢].

وقال ﷺ: (ما الدُّنيا في الآخرة إلاَّ كما يجعل أحَدُكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بِمَ ترجع) وأشار بالسبابة [٣].

---

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣٩٩/٣

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٦

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٥٢٦/١ ٥١١/٢، وصحيح مسلم، كتاب الجنَّة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٢١٩٣/٤، بزيادة القَسَم بلفظ الجلالة في أول الحديث ⇐⇐

ويذكر ابن كثير معقّباً على ذلك كلاماً نفيساً حول الزُّهد وفضله، وأنَّ على العبد المسلم أن يدرك أهمية السَّعي للآخرة لأنَّها هي الباقية.

أمَّا الحياة الدُّنيا فنعيمها لا محالة زائل، وقد يحصل، وقد لا يحصل.

قال تعالى: ﴿مَن كان يريد العاجلة عجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثُمَّ جعلنا له جهنَّم يصلاها مذموماً مدحوراً ۞ ومَن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾[1].

قال ابن كثير - رحمه الله -: " يخبر الله تعالى أنَّه ما كل من طلب الدُّنيا وما فيها من النَّعيم يحصل له، بل إنَّما يحصل لمن أراد الله وما يشاء. وهذه قاعدة مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات فإنَّه قال: ﴿عجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثُمَّ جعلنا له جهنَّم﴾ أي في الدَّار الآخرة ﴿يصلاها﴾ أي يدخلها حتَّى تغمره من جميع جوانبه ﴿مذموماً﴾ أي في حال كونه مذموماً على سوء

---

⇐

عند مسلم. ومسند الإمام أحمد ٤/٢٢٩، والترمذي في كتاب الزهد، حديث ٢٢٤٥، وابن ماجة في كتاب الزهد، حديث ٤١٠٨.

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٨ - ١٩

تصرُّفه وصنيعه إذ اختار الفاني على الباقي ﴿مدحوراً﴾ مبعداً قصياً حقيراً ذليلاً مهاناً. قال ﷺ: (**الدُّنيا دار مَن لا دار له، ومال مَن لا مال له، ولها يجمع مَن لا عقل له**) [1]. وقوله: ﴿ومَن أراد الآخرة﴾ أي أراد الدَّار الآخرة وما فيها من النَّعيم والسُّرور ﴿وسعى لها سعيها﴾، أي: طلب ذلك من طريقه، وهو متابعة الرسول ﷺ ﴿وهو مؤمن﴾، أي: قلبه مؤمن، أي مصدِّق بالثواب والجزاء ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾[2].

وعن فضيل بن عياض [3] قال: " خمس مِن علامات السعادة: اليقين في القلب، والورع في الدِّين، والزُّهد في الدُّنيا، والحياء في العينين، والخشية في البدن. وخمسٌ من علامات الشقاوة: القسوة في القلب، والجمود في العينين، وقِلَّة الحياء، والرَّغبة في الدُّنيا، وطول الأمل ".

وقال بعض الحكماء: أمر الدُّنيا كله عجب، ولكنِّي أعجب من ابن آدم المغرور في خمسةِ أشياء:

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٣/٣، ومسند الإمام أحمد ٧١/٦

(٢) تفسير ابن كثير ٢٣/٣

(٣) شيخ مصري، روى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. مات سنة ١٢٦ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٤٩/٨

**أولهـــا**: أتعجب من صاحب فضول الدُّنيا كيف لا يُقَدِّم فضولـه ليـوم فقـره وحاجته إليها.

**والثاني**: أتعجَّب من لسانٍ ناطِقٍ كيف يطاوع نفسه ويُعْـرِض عـن ذكـر الله تعالى وعن تلاوة القرآن.

**الثالـث**: أتعجَّب من صحيحٍ فارغٍ، رأيتـه مُفْطِراً أبـداً كيـف لا يصـوم مِـن كُلِّ شهرٍ ثلاثة أيَّـام أو نحوها، وكيـف لا يتفكَّـر في عاقبـة الصـوم إذا استقبله.

**الرَّابـــع**: أتعجَّـب مـن الـذي يمهّـد فراشـه، وينـام إلى الصبـح كيـف لا يتفكَّـر في فضـلِ صـلاة ركعتـين في الليـل، فيقـوم سـاعة من الليل.

**الخامس**: أتعجَّب من الذي يجتريء على الله، ويرتكـب مـا نهـاه عنـه، وهـو يعلم أنّـه يعرض عليه يوم القيامـة، فكيف لا يتفكَّر في عاقبـة أمـره لينزجر عنه [1].

والدَّاعية عليه أن يزهد في الدُّنيا الزُّهـد المشروع، وذلـك بالإقبـال علـى الله تعالى، والتفرُّغ لعبادتـه، وذلك خير من انشغاله بالمال والبنـين. فالباقيـات الصَّالحات خيرٌ عند ربِّك ثواباً وخيرٌ أملا [2].

---

(١) انظر: تنبيه الغافلين، لنصر بن محمَّد السمرقندي ٢/٥١٦-٥١٧

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٨٥، ومنهـاج الصـالحين عقيـدةً وسـلوكاً في ضـوء الكتـاب والسنّة والسيرة النبويـة، لأبي الحسن الندوي صـ ١١٨

الحياة الدُّنيا عيشتها حقيرة تافهة بالنسبة إلى ما أعدَّ الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم، والثّواب والأجر الجزيل.

فعلى الدُّعاة ألاّ يتلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، وعليهم أن يستمروا في نصح عباد الله ودعوتهم إليه.

فهذا مؤمن آل فرعون يقف ثابت الجنان، واثقاً بالله تعالى، داعياً إلى سبيله، أمام مَن طغى وتمرَّد وآثر الحياة الدُّنيا على الآخرة [1].

قال تعالى عن ذلك المؤمن: ﴿يا قوم اتَّبعونِ أهدكم سبيل الرَّشاد ۞ يا قوم إنَّما هذه الحياة الدُّنيا متاع وإنَّ الآخرة هي دار القرار﴾[2].

وها نحن نرى قدوة الدُّعاة جميعاً، رسول الله ﷺ لم تشغل الدُّنيا قلبه، ولم تتطلّع نفسه الشريفة إلى شيءٍ من متاعها، بل كان يبذلها بسخاء، ويعطيها لمن يتألّف قلوبهم، ليكسبهم أتباعاً لدعوته، وحماةً لشريعته.

كما كان هذا هو نهج رسل الله الكرام مِنْ قبله الذين اصطفاهم الله لرسالته، وأخلصهم له، بهذه الصفة الخالصة فيهم، وهي ذكر الآخرة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٨٠ بتصرُّفٍ يسيرٍ.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٣٨ - ٣٩

وتحكيمها في كُلِّ موقف وكل تصرُّف مؤثرين لها على الدُّنيا. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدَّار﴾[1].

ولقد سار على نهج المصطفى ﷺ وترسَّم خطاه الشريفة الخلفاءُ الرَّاشدون والصَّحابة الكرام، ومَن تبعهم بإحسانٍ، رضي الله عن الجميع.

فقد جدُّوا في نشر الدَّعوة إلى الله، ولم يجمعوا شيئاً من الدُّنيا، وقد فُتِحَت عليهم وحُمِلَت لهم كنوزها فعافوها، وبذلوها طائعين، في نصرة الدِّين، وتأليف قلوب المستجدِّين [2].

ولقد ندب الله تعالى عباده المؤمنين إلى عدم الانشغال بالدُّنيا وما فيها من النَّعيم، عن الدَّار الآخرة وما فيها مِمَّا لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال تعالى: ﴿أَلهاكم التَّكَاثُرُ ۞ حتَّى زُرْتُمُ المقابر﴾[3].

ويعلِّق على ذلك ابن كثير بقوله: " يقول الله تعالى: شغلكم حُبُّ الدُّنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتَّى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها " [4].

---

(١) سورة ص، الآية: ٤٦

(٢) أُسُس الدُّعاة، لمحمَّد السيد الوكيل، صـ ٨٤

(٣) سورة التكاثر، الآيتان: ١ - ٢

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٥٤٤

فالدَّاعية المسلم لا يركن إلى الدُّنيا، بل يزهد فيها ولا يتّخذها وطناً، ولا تحدِّثه نفسه بطول البقاء فيها، ولا الإعتناء بها، ولا التعلُّق فيهـا، إلاّ بمـا يتعلّـق الغريب في غير وطنه، ولا يشتغل فيها إلاّ بما يشـتغل بـه الغريـب الـذي يريـد الذّهاب إلى أهله [1].

الدَّاعية إلى الله تعالى هو الذي لا يعول على ما يأتيـه مـن أجـرٍ في هـذه الحياة الدُّنيا، لأنّـه يريد الأجر كاملاً من عند الله تعالى.

فهو يرغب في الاجتهاد في العمل، والنُّصح، والدَّعوة، ليرصد له الأجـر، وعظيم الثّواب من الله تعالى في الآخرة.

إذاً ليست الدعوة إلى الله تعالى مجرَّد وظيفة لكسب المال في هذه الحيـاة الدُّنيا، لأنَّ الدَّعوة إلى الله تعالى مِنْ أهَمِّ أمور الدِّين. ولقد كان كُـلُّ نبيٍّ مـن أنبياء الله تعالى يؤكّـد على طلب الأجر مِنَ الله تعالى قائلاً: ﴿لا أسألكم عليه أجراً﴾[2].

---

(١) انظر: رياض الصالحين للإمام النووي صـ ٢٤٢

(٢) صورة الأنعام، الآيـة: ٩٠

قال نوحٌ عليه السلام: ﴿لا أسألكم عليه مالاً إنْ أجري إلاَّ على الله﴾[1]، فالدَّعوة إلى الله تعالى غايتها أكرم من أن ترتبط بمتاع الحياة الدُّنيا.

والدَّاعي إلى الله قد وقف نفسه لله تعالى طلباً لمرضاته، فهو يعمل في الدُّنيا لا لأجل الدُّنيا، وإنَّما الدُّنيا وسيلة وطريق إلى الآخرة.

وإذا أفسد الدَّاعي حياته الدُّنيا بتطلُّعه إليها، وفعَلَ بعض المخالفات التي لا يقرها الشرع الطهر، فإنَّ الآثار غير الحميدة تظهر على جوارحه، وفي سلوكه، وعلى أهله وبيئته ومجتمعه.

وإذا اهتمَّ الدَّاعي بأمر الآخرة وسعى لها، تظهر الآثار الطيبة الحميدة في تعامله مع الآخرين، وعلى جوارحه، وتعود بالخير على أسرته ومجتمعه [2].

قال تعالى: ﴿مَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لهُ في حَرْثِه ومَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الدُّنيا نؤتِه منها وما له في الآخرةِ مِنْ نصيب﴾[3].

والرَّسول ﷺ قد نذر نفسه للدَّعوةِ إلى الله تعالى، والاستمرار عليها، وتحمُّلِ الأذى في سبيلها، مع الاجتهاد في عمل الآخرة، وما يُقَرِّب إلى الله،

---

(١) سورة هود، الآية: ٢٩

(٢) انظر: تذكرة دعاة الإسلام للمودودي صـ ٦١

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٠

وكان كما قال الله تعالى له: ﴿يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ۞ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[1].

فالرَّسول ﷺ النموذج الفريد للدُّعاة إلى الله في أداء رسالتهم، وحفز هممهم للعمل في سبيل الله تعالى، والفوز برضاه في الآخرة [2].

ويؤكّد ابن كثير رحمه الله تعالى في فضل الزُّهْد على أهمية السعي للآخرة. ومَنْ كانت الآخرة قصده فالله يعينه ويقويه، ويكثر نماءه، ويجزيه بالحسنةِ عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله تعالى.

ومَن كان سعيه لكي يحصل على شيء من الدُّنيا، وليس له إلى الآخرة همٌّ البتّة بالكلية، حرمه الله تعالى الآخرة.

والدُّنيا إن شاء أعطاه، وإن لم يشأ لم يحصل له هذه ولا تلك، وفاز بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٧٢ - ٤٨٣، ومسند الفاروق لابن كثير ٢/٦٤٤. وانظر: شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير، باب زهده عليه الصلاة والسلام وإعراضه عن هذه الدار، وإقباله واجتهاده وعمله لدار القرار صـ ٩٢

والدليل على هـذا أنَّ قـول الحـق تبـارك وتعـالى: ﴿مَن كان يريد حرث الآخرة نـزد له في حرثه ومَن كان يريد حرث الدُّنيا نؤتـه منها وما له في الآخرة من نصيب﴾[1]. مقيَّد بالآيات التي في سورة الإسراء، وهي قول الله تعالى: ﴿مَن كان يريد العاجلة عجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثُمَّ جعلنا له جهنَّم يصلاها مذموماً مدحوراً ۞ ومَن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيهم مشكوراً ۞ كلاًّ نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ۞ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾[2].

وقال ﷺ: (**بشِّر هذه الأُمَّـة بالسَّناء [1] والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**) [2][3].

ويذكر ابن كثير ما كان من حال النَّبيِّ ﷺ في جانب الزهد في الدُّنيـا، والتقلُّل منها، وكونه ﷺ اتخذ هذه الحياة الفانية مزرعة للآخـرة، وهـي الـدار الباقيـة.

---

(١) سورة الشورى، الآيـة: ٢٠

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ١٨-٢١

(١) السناء: ارتفاع المنزلة والقدر عند الله تعالى، وقد سَنِي يسنى سناءً أي ارتفع.
انظر: النهايـة في غريب الحديث ٢/٤١٤

(٢) النصيب: الحظ المنصوب، أي: المعيَّن. انظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٤٩٤

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤/١١١، وصحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني ٣/٦

وقال ﷺ: (مَن يتزود في الدُّنيا ينفعه في الآخرة)[1].

وعن الحارث بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: (أنَّه مرَّ برسول الله ﷺ فقال: كيف أصبحت يا حارث ؟ قال: أصبحت مؤمناً حقّاً. قال: انظر ما تقول، فإنَّ لكل شيءٍ حقيقة، فما حقيقة إيمانك ؟ قال: عزفت نفسي عن الدُّنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أرى عرش الرحمن بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنّة يتزاءون فيها، وإلى أهل النّار يتصايحون فيها، فقال: يا حارث عرفت فالزم. ثلاثاً) [2].

وقال ﷺ: (إنَّ العبد ليلتمس مرضاة الله، ولا يزال بذلك فيقول الله تعالى لجبريل: إنَّ فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإنَّ رحمتي عليه. فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها مَن حولهم، حتّى يقولها أهل السموات السَّبْع، ثُمَّ تهبط له إلى الأرض) [3].

وقال ﷺ: (ما أُحب أنَّ لي الدُّنيا وما فيها بهذه الآية: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾[4] فقال رجلٌ:

---

(١) جامع المسانيد والسنن ١٦٠/٢، والمعجم الكبير للطبراني ٣٠٥/٢

(٢) جامع المسانيد والسنن ٢٨٢/٢، والمعجم الكبير للطبراني ٢٦٦/٣

(٣) جامع المسانيد والسنن ٦٦١/١، ومسند الإمام أحمد ٢٧٥/٥

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣

يا رسول الله ! فمَن أشرك ؟ فسكت رسول الله ﷺ ثُمَّ قال: إلاَّ مَن أشرك.. ثلاث مرَّات) [1].

## الزُّهْدُ المشروعُ والنَّافِعُ:

الزُّهد المشروع هو ترك كل شيء يكون لتركه فضل ونفع في الآخرة، وثقة القلب بما عند الله تعالى، وليس الزهد بترك الحلال أو تحريمه، ولا في إضاعة المال وإهماله، ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت أرغب منك فيها لو أنَّها بقيت لك، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[2]. فهذا صفة القلب.

فالزَّاهد موقن بالله تعالى، واثقٌ به، مشتغلٌ بعبادته، ذاكرٌ للموت، متوكِّلٌ على الله في جميع أحواله، منشرحُ الصَّدر بنور الإيمان، فلا يجل الزهد ولا يحسن إلاَّ باقترانه بالتَّقوى [3].

وفي الظاهر الزَّاهد لابُدَّ أن يترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله تعالى من مطعمٍ وملبسٍ ومالٍ وغير ذلك.

---

(١) جامع المسانيد والسنن ١/٦٦١، ومسند الإمام أحمد ٥/٢٧٥

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٣

(٣) قوت القلوب، لأبي طالب المكي، صـ ٢٥٠ - ٢٥٣

وخُلُق الرَّسول ﷺ جامعٌ للزُّهْد المشروع، فكان مِن عادته ﷺ في المطعم لا يردُّ موجوداً، ولا يتكلَّف مفقوداً، ويلبس من اللِّباس ما يتيسَّر من قطنٍ وصوفٍ وغير ذلك، وكان القطن أحب إليه، وكان إذا بلغه أنَّ أَحَد أصحابه يريد أن يعتدي فيزيد في الزهد، أو العبادة، على المشروع، ويقول: أنَّا مثل رسول الله ﷺ. فالرسول ﷺ يغضب وينكر على مَن يقع منه ذلك ويقول: (**وا لله إني لأخشاكم لله تعالى، وأعلمكم بحدود الله تعالى**). كما جاء في حديث الصحابة الذين بلغه عنهم قول أحدهم: إني لأصوم أبداً. وقول الآخر: إني لا أتزوَّج النساء. وقول الثالث: إني لا أفتر عن العبادة. وقول الرَّابع: إني لا آكل اللحم. فقال ﷺ منكراً: (**أمَّا أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوَّج النِّساء، وآكل اللحم. فمَن رَغِبَ عَن سُنَّتي فليس مِنِّي**) [1].

والزهد النَّافع المشروع الذي يحبه الله ورسوله هو الزهْد فيما لا ينفع في الآخرة، فأمَّا ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك، فالزهد فيه زهد في نوعٍ من عبادة الله وطاعته، والزهد إنَّما يُراد لأنَّه زهد فيما يضر، أو زهد فيما لا ينفع.

فأمَّا الزهد في النَّافع فجهلٌ وضلال، والنَّافع للعبد هو عبادة الله وطاعته، وطاعة رسوله ﷺ. وكل ما صدَّه عن ذلك فإنَّه ضارٌّ لا نافع، ثُمَّ الأنفع له أن تكون أعماله عبادة لله تعالى وطاعة له.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب النكاح، حديث رقم ٥٠٦٣، ومسلم في كتاب النكاح، حديث رقم ١٤٠١.

وإن أدَّى الفرائض، وفعل مباحاً لا يعينه على الطَّاعة، فقد فعل ما ينفعه وأتى معه بما لا ينفعه ولا يضره.

وفي الزهد والرغبة عليه أن يراعي ما يحبه الله ورسوله من الرغبة والزهد وما يكرهه من ذلك، وإلاَّ فقد يدع واجبات ويرتكب محرَّمات، مثل مَن يدع ما يحتاج إليه من الأكل أو أكل الدسم حتَّى يفسد عقله أو تضعف قوَّته عمَّا يجب عليه من حقوق الله تعالى، أو حقوق عباده، أو يدع الأمر بالمعروف والنَّهْيَ عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، لِمَا في فعل ذلك مِن أذى بعض النَّاس والإنتقام منهم حتَّى يستولي الكُفَّار والفُجَّار على الصَّالحين الأبرار، فلا ينظر المصلحة الرَّاجحة في ذلك.

وقد قال الله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قُل قتالٌ فيه كبيرٌ وصَدٌّ عن سبيل الله وكُفْرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنةُ أكبر مِنَ القتل﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧

يقول سبحانه وتعالى: وإن كان قتل النُفوس فيه شر، فالفتنة الحاصلة بالكفّار، وظهور أهل الكفر أعظم من ذلك، فيدفع أعظم المفسدين بالتزام أدناهما [1].

## ضرورة الزُّهد للدَّاعية:

مِمَّا يعين الدَّاعية إلى الله تعالى على مواصلة دعوته النَّاس إلى الله، زُهده في الدُّنيا، وطمعه في فضل الله تعالى، والرَّغبة إليه، لأنَّ الدَّاعية إلى الله تعالى همه واحد، وهو الله وحده، وهذا غاية سعادة العبد.

فالدَّاعي زهد فيما عند النَّاس، وقبل هذا زهد في الدُّنيا كلها. وقد بيَّن الله تعالى ذلك في القرآن حيث نوَّه بإعطائه أحد أنبيائه الزَّاهدين أجره في الدُّنيا، وجعله في الآخرة من الصالحين جزاءً وأجراً له فيها. قال تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدُّنيا وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين﴾[2].

قال ابن كثير - رحمه الله - في معنى هذه الآية التي تتحدَّث عن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: " أي جمع الله له بين سعادة الدُّنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدُّنيا الرِّزْق الواسع الهنيء، والمنزل الرحب، والمورد العذب، والزوجة الحسنة الصالحة، والثناء

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٥١٢ - ٥١٤

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧

الجميل، والذكر الحسن، وكل أحَدٍ من المؤمنين يحبه ويتولاّه. قال تعالى: ﴿وإبراهيم الذي وفّى﴾[1] أي: قام بجميع ما أُمِرَ به، وكمَّل طاعة ربّه، كما قال تعالى: ﴿إنَّ إبراهيم كان أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ● شاكراً لأنعُمِه اجتباه وهداه إلى صراطٍ مستقيم وآتيناه في الدُّنيا حسنة وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين﴾[2] [3].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله ! دُلّني على عملٍ إذا عملته أحبني الله، وأحبني النّاس. فقال: (**ازهد في الدُّنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي النّاس يحبك النّاس**)[4].

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٧

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢

(٣) تفسير ابن كثير ٤١١/٣

(٤) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا ١٣٧٤/٢، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢٥٣/٣

# الفصل الثالث

# أسلوبه في الدَّعوَةِ

المبحث الأوَّل: تشخيص الدَّاء ومعرفة الدَّواء

المبحث الثاني: القدوة الحسنة

المبحث الثالث: الحكمة

المبحث الرابع: الموعظة الحسنة

المبحث الخامس: المجادلة بالتي هي أحسن

# أسلوب ابن كثير في الدَّعوة

## -

## (مقدمـــة)

### تعريف الأسلوب:

**الأسلوب في اللغة**: الطريق، يُقال: سلكت طريق فلان في كذا، أي طريقته ومذهبه.

وأسلوب الكاتب أي طريقته في كتابته [1].

**وجاء في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**: الأُسلوب - بضم الهمزة - أي الطريق والفن، وهو على أُسلوبٍ من أساليب القوم: أي على طريقٍ من طُرُقِهم، والأساليب جمع أُسلوب [2].

**والأسلوب في اصطلاح الأدباء**: هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال، أو هو العبارة اللفظية المنسقة لأداء المعاني [3].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادَّة ( سلب) ٤٤٣/١

(٢) المصباح المنير، لأحمد بن محمَّد الفيومي ١٥١/١

(٣) الأسلوب، لأحمد الشايب صـ ٤٦

مِنْ خلال ما سبق يتبيَّن أنَّ أُسلوب الدَّعوة هو: طريقة الدَّاعي في دعوته إلى الله تعالى.

## (تمهيد)

سلك ابن كثير - رحمه الله تعالى - الطرق الواضحة والكيفية المناسبة في الدَّعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال إيضاحه لمعاني الآيات التي تحدَّثت عن الدَّعوة [1]، كقوله تعالى: ﴿قُل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتَّبعَني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[2].

ونلحظ أيضاً أسلوب ابن كثير في الدَّعوة إلى الله تعالى مِن خلال سرده لبعض المواقف الدَّعوية التي وقعت بين يدي الرسول ﷺ [3].

وعلى ضوء ذلك كله وما يتَّصل به، تتضح لنا عناصر هذا الأُسلوب وخصائصه كما سأعرضها مُفَصَّلةً من خلال مباحث خمسة في هذا الفصل **(الثالث)** وهي: تشخيص الدَّاء ومعرفة الدواء، القدوة الحسنة، الحكمة، الموعظة الحسنة، المجادلة بالتي هي أحسن.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤١٩/١ - ٤٢٠، ٤٠٤/٢، ٤٩٥

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨

(٣) البداية والنهاية ٢٨٨/٢، ٢٩٦

## المبحث الأوَّل: تشخيص الدَّاء ومعرفة الدَّواء:

### الدَّاء والدَّواء:

الأدواء هي العِلل والأمراض، وهي هنا العِلَل والأمراض القلبية والذُّنوب، وتكون كِباراً وصِغاراً.

وقد ورد في الكتاب والسُّنَّة ما يدل على ذلك، والأُمَّة أجمعت على تنَوُّعِ الذُّنوبِ [1].

قال الله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما﴾[2].

وقال تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاَّ اللَّمم﴾[3].

فالله تعالى بفضله جعل لمن يجتنب كبائر الآثام والفواحش التي نُهي عنها، تكفير الصغائر من الذنوب مع الستر عليه فيما فعل. وهذا حافز عظيم من ربٍّ كريم للعبد المسلم للزوم طاعة الله تعالى والمتابعة لرسوله ﷺ والبعد والحذر من الذُّنوب الكبيرة ومُحَقِّرات الأعمال، والدَّاعي إلى الله تعالى في ذلك أخصّ [4].

---

(١) انظر: الدَّاء والدَّواء، لابن قيِّم الجوزية صـ ١٣١

(٢) سورة النساء، الآية: ٣١

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ١/٤٨٠، ٤، ٢٥٥

إنَّ طبيب الأبدان والأمراض الحسية يشخص الدَّاء أو العلَّة والمرض لكي يصف الدَّواء والعلاج المناسب. وهذا هو الطريق النَّاجح في المعالجة.

والدَّاعي إلى الله تعالى هو طبيب للقلوب، لذا كان عليه أن يسلك الأُسلوب الأفضل، والطريقة الصحيحة لمعرفة الأدواء التي يقع فيها النَّاس، والمخَالِفة للشرع، فيسعى جاهداً لوضع العلاج النَّاجِع، والطُّرُق المناسبة لهداية النَّاس، وإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور، ومِن ظُلمة المعصية إلى نور الطَّاعة، ومِنَ النَّفرة والوحشة مع الخَلْقِ إلى الأُنس والتعلُّقِ بالخَالِقِ سبحانه [1].

## أهم الأدواء وعلاجها:

### ١) الشرك:

الشرك ضد التوحيد، ومعنى التَّوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فمَن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك.

والشرك أعظم الأدواء والذنوب، لأنَّ الله تعالى أخبر في كتابه الكريم أنَّه لا يغفر لِمَن لم يتب منه، مع أنَّ الله تعالى كتب على نفسه الرحمة.

أمَّا غيره من الذنوب والأدواء فهو داخلٌ تحت مشيئة الله تعالى:

قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[3].

---

(١) انظر: أُصول الدَّعوة صـ ٤٠٥

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦

وابن كثير - رحمه الله - أوضح هذا الدَّاء، وهو الشرك، ووصف الدَّواء، وهو عبادة الله وحده لا شريك له. ومِن ذلك ما جاء في تفسيره لهذه الآية، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿اعبدوا الله﴾ فهذا أمرٌ منه سبحانه بعبادته، لأنَّه هو الخالق الرازق المتفضِّل على خلقه في جميع الحالات، فهو المستحق من عباده أن يوحِّدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته.

ثُمَّ يؤكِّد هذه الحقيقة فيذكر حديث رسول الله ﷺ الذي بيَّن فيه أنَّ الواجب على الخلق جميعاً هو عبادة الله تعالى وحده، وتجنُّب الشرك، حيث قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذ بن جبل [1] رضي الله عنه: **(أتدري ما حق الله على العباد ؟) قال: الله ورسوله أعلم. قال: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)،**

---

⇐⇐

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦

(١) هو: معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، يُكنَّى أبا عبد الرحمن، أرسله النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قاضياً على اليمن وبقي حتَّى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: ( **أعلمهم بالحلال والحرام**)، و ( **معاذ أمام العلماء يوم القيامة بركوة**)، توفي في طاعون عمواس عام ١٨ هـ.
انظر: أُسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي الجزري ١٦٤/٥ -١٦٧

**ثُمَّ قال: (أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟).... (ألاَّ يعذّبهم)**[1].

فالشرك داءٌ مهلكٌ، ودواؤه الحذر منه ومن الوقوع فيه. وعلى المسلم معرفته لتجنبه.

وعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يبيِّن للمسلمين ضرره وخطره، ويعلمهم بضرورة مقاومته، والقضاء عليه، تأسياً برُسُلِ الله عليهم الصَّلاة والسلام، فلقد كانوا يقاومون الشِّرك ويحذرون منه، وينهون النَّاس عنه. وقد جاهدوا المشركين باللسان واليد، وبيَّنوا الدَّواء لهذا الوباء ؛ ألا وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رسولاً أنِ اعبدوا اللهَ واجتنبوا الطَّاغوت﴾[2].

وكُلّ رسولٍ يقوله لقومه: ﴿اعبدوا اللهَ ما لكم مِنْ إلهٍ غيره﴾[3].

ولا فائدة من جميع الأعمال مع وجود الشرك، لأنَّ الشرك أعظم الفساد الذي تُصاب به الأُمَم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤٩٣/١، ٥٠٨، وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب دُعاء النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ٣٠٠/١٣، ومسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم ٣٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦

(٣) سورة هود، الآية: ٥٠

إذاً فالواجب على الدُّعاة والمصلحين أن تتّجه دعواتهم وتعليمهم وإرشادهم إلى مقاومة الشرك وإصلاح العقائد أولاً، والأُمور التي دونه تكون بعد ذلك.

ويقرِّر ابن كثير أنَّ الله حذَّر عباده من هذا الدَّاء وهو الشرك من أوَّلِ ظهوره، فلم يزل يُرسل الرُسُلَ إليهم منذ حدث الشرك في بني آدم، بدءاً من قوم نوحٍ عليه السلام الذين أرسل إليهم نوحاً، وكان أوَّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وتتابع الرُّسُل إلى أن ختمهم بمحمَّدٍ ﷺ، الذي عمَّت دعوته الإنس والجن، وطبقت المشارق والمغارب. وكُلُّهم كما قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا مِن قبلك مِن رسولٍ إلاَّ نوحي إليه أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون﴾[1]، وقال: ﴿وسْئَل مَن أرسلنا قبلك مِن رُسُلِنا أجعلنا مِن دون الرَّحمن آلهةً يُعْبَدون﴾[2].

فكيف يسوغ بعد هذا لأحَدٍ من المشركين أن يقول: ﴿لو شاء الله ما عبدنا مِن دونه مِن شيء﴾[3]، فمشيئته تعالى الشرعية عنهم منتفية لأنَّه

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٥

نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله، وأمَّا مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قَدَراً فلا حُجَّة لهم فيها لأنَّه تعالى خلق النَّار وأهلها من الشياطين والكَفَرة وهو لا يرضى لعباده الكُفْرَ وله في ذلك الحُجَّة البالغة والحكمة القاطعة[1].

## ٢) النِّفَاق:

النفاق داءٌ عضال، ينخَر في الأُمَّة فيؤثر فيها تأثيراً بالغاً. ولذا ذمَّه الشَّارِعَ الحكيم، وحقَّر من شأن أهله، سواء النفاق الاعتقادي، أو النفاق العملي.

### تعريف النِّفاق:

**النِّفاق لغة:** مادَّة نَفَقَ - نون، وفاء، وقاف - فيها أصلان صحيحان يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيءٍ وإغماضه ومنه - أي المعنى الثاني - اشتقاق النِّفاق، لأنَّ صاحبه يكتم خلاف ما يظهر [2].

قال ابن الأثير: النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروف يُقال: نافق يُنافق مُنافقةً ونِفاقاً [3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٦٨ - ٥٦٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٤٥٤

(٣) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٥/٩٨

**والنِّفاق في الشرع**: هو إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكُفر بالقلب[1]. فالنِّفاق هو الدُّخول في الشرع من بابٍ والخروج عنه من بابٍ وعلى ذلك نبَّه بقوله: ﴿إِنَّ المنافقين هم الفاسقون﴾[2] أي الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شرّاً من الكافرين [3]، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النَّار﴾[4].

قال ابن تيمية: النِّفاق كالكُفْرِ، ولهذا كثيراً ما يُقال: كُفْرٌ ينقل عن المِلَّة، وكُفْرٌ لا ينقل، ونِفَاقٌ أكبر، ونِفَاقٌ أصغر [5].

قال ابن كثير: النِّفاق هو إظهار الخير وإسرار الشَّرِّ، وهو أنواع: إعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النَّار، وعملي وهو مِن أكبر الذُّنوب [6].

والنِّفاق في الاعتقاد: هو أن يُظهر الإنسانُ الإيمانَ بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وهو في الباطن مُضْمِرٌ الكُفْرَ،

---

(١) كتاب التعريفات للجرجاني صـ ٢٤٥

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني صـ ٥٠٢

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٥

(٥) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٢٤/٧

(٦) تفسير ابن كثير ٤٧/١

مكذِّبٌ لرسول الله ﷺ، أو مُكَذِّبٌ ببعض ما جاء به، أو مبغِضٌ لبعض ما جاء به، أو يكره انتصار المسلمين ويفرح بانهزامهم.

قال تعالى: ﴿ومِنَ النَّاس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾[1].

وقال جلَّ شأنه: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنَّك لرسول الله والله يعلم إنَّك لرسوله والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون * اتَّخذوا أيمانهم جُنَّة فصَدُّوا عن سبيل الله. . .﴾[2].

والنِّفاق العملي هو ترك المحافظة على أمور الدين سِرّاً ومراعاتها علناً [3].

ومن أعظم مظاهر ذلك وآياته: الكذب في الحديث، والخيانة في الأمانة، والفجور في الخصومة، والخُلْف في الوعد.

وإنَّ على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يحذر من النِّفاق ويبيِّن سوء عاقبة المنافقين. كما أنَّ على الدُّعاة أن يوطنوا أنفسهم على الصبر، فقد يُبْتَلُون بما يقوله المنافقون من الاتِّهامات والمفتريات زوراً وبُهتاناً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨

(٢) سورة المنافقون، الآيتان: ١ - ٢

(٣) انظر: هداية المرشدين صـ ٢٨٤، و النِّفاق وضرره للشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي، محاضرة له من محاضرات الجامعة الإسلامية، الموسم الثقافي عام ١٣٩٨/١٣٩٩ هـ.

ولا يعني هذا السكوت على أعمالهم، وعدم كشفهم للنّاس، ودوام التحذير منهم، بل يجب عليهم ألاّ يتركوا هذا الدّاء في المجتمع فيقضي عليه.

## بداية ظهور النّفاق:

تحدّث ابن كثير عن بداية النفاق فقال: نزلت صفات المنافقين في السور المدنية، لأنَّ مكّة لم يكن فيها نفاق، بل كان الحال على خلاف ذلك فمن النّاس مَن كان يُظهِر الكفر مُستكرِهاً وهو في الباطن مؤمن. ثُمَّ هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وكان بها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة حلفاء الأوس.

فلمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة، وأسلم مَن أسلم من قبيلتي الأوس والخزرج، وقلَّ مَن أسلم من اليهود إلاّ عبد الله بن سلام رضي الله عنه. لَم يكن إذ ذاك نفاقٌ أيضاً، لأنّه لَمْ يكن للمسلمين بعد شوكة تُخَاف، بل قد كان عليه السَّلام وادَع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة ؛ فلمَّا كانت وقعة بدر العُظمى، وأظهر الله كلمته، وأعزَّ الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي سلول - وكان رأساً في المدينة، وهو مِن الخزرج، وكان سيِّد الطّائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يُمَلِّكوه عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلمَّا كانت وقعة بدر - قال: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في

الإسلام، ودخل معه طوائف مِمَّن هم على طريقته ونِحْلَتِه، وآخرون مِن أهل الكتاب. فَمِنْ ثَمَّ وُجِدَ النِّفاق في أهل المدينة ومَن حولها من الأعراب.

فأمَّا المهاجرون فلم يكن أحَد يُهاجِر مُكرهاً، بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبةً فيما عند الله تعالى في الدَّار الآخرة [1].

## دَواء النِّفَاق:

إنَّ الله تعالى بفضله ورحمته لم يوصد الباب أمام مَن ابتلي بهذا الدَّاء، بل جعل سبحانه باباً للتخلُّص من هذا الدَّاء، وهو التوبة إليه سبحانه.

قال تعالى: ﴿إلاَّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولَّوا يعذِّبهم الله عذاباً أليماً في الدُّنيا والآخرة وما لهم في الأرض من وليٍّ ولا نصير﴾ [3].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٧

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٦

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٤

وقال سبحانه: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾[1].

قال ابن كثير - رحمه الله -: لقد أخبر تعالى أنَّ مَن تاب مِنَ المنافقين وغيرهم مِمَّن عمل سوءاً، فإنَّ الله تعالى يتوب عليه ويقبل توبته إذا أخلص فيها، وأصلح عمله، واعتصم بربه في جميع أمره، وبدَّل الرياء بالإخلاص، فبذلك ينفع العمل الصَّالح وإن قلَّ [2].

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يُبَيِّن للنَّاس أنَّ الله قد امتنَّ على عباده بقبول التوبة من التَّائبين إذا تابوا ورجعوا إليه.

فَمِن كرم الله تعالى وحلمه أنَّه يعفو ويصفح ويستر ويغفر، فهو يقبل التوبة لما يأتي ويعفو عن السيئات فيما مضى، جلَّ ثناؤه.

قال تعالى مبيِّناً عطفه على عباده ورحمته بهم: ﴿ومَن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثُمَّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾[3].

وقال ﷺ: (**لَلَّه تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه مِن أحدكم كانت راحلته بأرضٍ فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه،**

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/٥٧٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠

**فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلّها – قد أيس مِن راحلته – فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثُمَّ قال مِن شِدَّة الفرح: اللّهم أنت عبدي، وأنا ربُّك – أخطأ مِن شِدَّة الفرح)**[1].

## ٣) الشبهة والشهوة:

**الشبهة**: الالتباس... وفي الشرع: ما التبس أمره فلا يدري أحلال هو أم حرام، وحقّ هو أم باطل، والجمع: شُبَه [2].

**والشبهة في العقيدة**: المأخذ الملبس [3]. وهو ما يوقع في النفس الشكَّ والوساوس والارتياب، أو يستعين به الشيطان وأهل الباطل لِيُلَبِّسوا على الإنسان ويضلوه عن الحق.

**والشهوة**: الرغبة الشديدة، والقوة النفسانية الراغبة فيما يشتهى. وتُطلق أيضاً على ما يُشْتَهى مِن الملذّات المادّية والمُتَع الدُّنيوية كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ . . .﴾ الآية [4] [5].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/١١٤، وصحيح البخاري، كتاب الدعوات، حديث رقم ٦٣٠٩، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها ٤/٢١٠٤

(٢) المعجم الوسيط ١/٤٧١

(٣) المصباح المنير، صـ ٣٠٤

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤

(٥) المعجم الوسيط ١/٤٩٨

وكُلٌّ مِن الشبهة والشهوة داءٌ يفتك بالأُمَّة المسلمة فيضعفها ويوهنها. فالشبهة تثير الشك والإرتياب في صِدق الدَّاعي، وحقيقة ما يدعو إليه، فيحدث صدٌّ عن رؤية الحق والاستجابة له، ويظهر هذا في النُّفوس الضعيفة أو فيمن يكابر ويعرض عن الإسلام.

والدَّاعي إلى الله تعالى يلزمه التحذير والرد على جميع الشبهات مسترشداً بالكتاب والسُّنَّة، وما عليه سلف الأُمَّة في هذا النَّهج. كما يجب عليه أن يسلك مسلكاً لا ترتقي إليه التُّهم. وعليه أن يُحسن التعامل مع النَّاس ويترفَّع عن الدنايا والرذائل. وبذلك يقضي على الشهوة الدنيوية التي قد تخرج الدَّاعي من المسار الصحيح والطريق المستقيم.

فالدَّاعي إلى الله تعالى يطمع فيما عند الله من الثواب العظيم. وليعلم الدُّعاة أنَّ أئمة الدُّعاة إلى الله، وهم الأنبياء والرُّسُل الكرام وأتباعهم بإحسان لم يسلموا من مواجهة هذا الدَّاء، فقد نالهم الشيء الكثير، وواجهوا شبهات ومفتريات عظيمة، فصبروا وتحمَّلوا في سبيل نشر دعوة الله، غير مبالين بما ينالهم من أذى أو يلحق بهم مِن ضرر.

فعلى الدُّعاة إلى الله تعالى أن يلتمسوا في ذلك الأُسوة الحسنة، فيستمروا في الدَّعوة إلى الله تعالى بالقول الحسن، والتوجيه الصحيح، والرأي السديد، وتفنيد جميع الشبهات بما يجلي الحق ويظهره.

وهكذا يجب على الدُّعاة إلى الله أن ينهجوا ذلك النهج، ويسيروا على ذلك الطريق في كُلِّ زمانٍ ومكان.

قال تعالى: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلاَّ قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ * أتواصوا به بل هم قومٌ طاغون * فتولَّ عنهم فما أنت بملومٍ * وذكِّر فإنَّ الذِّكرى تنفع المؤمنين﴾[1].

وهنا يقرر ابن كثير أنَّ في ذلك تسلية للرسول ﷺ، وأنَّ ما قاله المشركون له من إيراد الشُّبَه والصَّدِّ عن قبول الحق والشَّكِّ فيه، هو كما قال غيرهم من المكذِّبين للرُّسُل من قبلك، وبهذا أوصى بعضهم بعضاً، فتشابهت قلوب المتأخرين بمَن تقدَّمهم فهي واحدة، فأنت يا محمَّد أعرض عنهم ولا لوم عليك ولا مؤاخذة، وعليك بالإستمرار في التَّذكِرَة [2].

## أمَّا الدَّواء لِداء الشُّبهة والشَّهْوَة:

فقد بيَّن الله تبارك وتعالى ذلك في القرآن الكريم، ووضع الدَّواء بما يزيل ذلك تماماً.

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٢ - ٥٥

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٢٣٨.

قال الله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لِمَا في الصُّدور وهُدىً ورحمةٌ للمؤمنين * قُلْ بفضْلِ اللهِ وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مِمَّا يجمعون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ونُنَزِّلُ مِنَ القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولا يزيد الظَّالمين إلاَّ خساراً﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هو للذين آمنوا هُدىً وشفاءٌ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى أولئك يُنادَوْنَ مِنْ مكانٍ بعيدٍ﴾[3].

وقال ﷺ: (ما أنزل الله داءً إلاَّ أنزل له شفاء)[4].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٥٧ - ٥٨

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢

(٣) سورة فُصِّلَت، الآية: ٤٤

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داءً إلاَّ أنزل له شفاء ٧/٢٢٢، وابن ماجة في كتاب الطب، حديث رقم ٣٤٣٨.

ويقرِّر ابن كثير في معنى الآيات الكريمة السابقة ما وصفته من دواءٍ لهذا الدَّاء، ألا وهو كتاب الله تعالى.

فالله سبحانه قد امتنَّ على عباده بإنزاله هذا الكتاب العظيم على سيِّد البشر محمَّد ﷺ ليكون منهج حياة وشفاء لجميع الأدواء، ومنها داء الشبهة والشهوة.

وفي هذا الكتاب - القرآن الكريم - زجرٌ عن الفواحش، وهو مزيلٌ لِمَا في الصُّدور من الشُّبَه والشُّكوك والرِّجس والدَّنس.

وبه تحصل الهداية من الله تعالى للمؤمنين الصَّادقين والموقنين بما فيه. وعلى المؤمنين أن يفرحوا به ويطمئنوا إليه، وهو خيرٌ من حطام الدُّنيا وزهرتها الزَّاهية، والفانية لا محالة [1].

فعلى الدُّعاة إلى الله الإبتعاد عن تلك الشُّبهات والشَّهوات ليحصل لهم القبول والمحبَّة [2].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٢٠ - ٤٢١، ٣/٥٩، ٤/١٠٣ بتصرُّفٍ يسيرٍ.

(٢) انظر: رسالة في أمراض القلوب لابن القيم صـ ٢٢، والمعرفة في منهج القرآن الكريم ... دراسة في الدَّعوة والدُّعاة، لصابر طعيمة صـ ٩٥

## المبحث الثاني: القدوة الحسنة عند ابن كثير:

### التعريف:

**القدوة في اللغة:** قدوة: أي به يقتدى [1].

**وفي لسان العرب لابن منظور:** القدوة، بمعنى الأُسوة، يقال: فلان قدوة يُقتدى به [2].

والقِدَّة: المثال الذي يتشبه به غيره، فيعمل مثل ما يعمل.

والقُدْوَة: القِدَّة، يقال: فلان قُدوَة إذا كان يُقتَدَى به، ولي بك قدوة[3].

وقُيِّدَت القدوة (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة، فالإنسان قد يكون أسوة حسنة، أو يكون أسوة سيئة.

وقد جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: **(مَن سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها، وأجر مَن عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم**

---

(١) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٩٥/٥

(٢) مادَّة ( قدو) ١٧١/١٥

(٣) المعجم الوسيط ٧٢٧/٢

**شيئ، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)**[1].

**والقدوة الحسنة في اصطلاح الشرع**: أن يكون المسلم عموماً، والدَّاعية خصوصاً مَثَلاً يُحتذى في أقواله وأفعاله وجميع أحواله حتَّى تطمئن النُّفوس إليه ويتأسَّى به النَّاس.

## أهمية القدوة للدَّاعية إلى الله تعالى:

إنَّ الدَّاعية إلى الله تعالى الموفق النَّاصح هو الذي يدعو إلى دين الإسلام بعمله الصالح، وشرف سيرته، وسلوكه الحسن، وخُلُقِه الحميد. وهذا الفعل يؤثِّر تأثيراً بالغاً في النَّاس، فيحصل القبول، وتكون الإستجابة، لأنَّ طبيعة البشر مُحِبَّة للحسن ميَّالة إليه.

فهذا السلوك الصادق على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية يجب على الدَّاعية إدراكه والعناية به.

ويجب على الدَّاعية إلى الله تعالى امتثالُ ما يدعو إليه والإلتزام به مع إصلاح الباطن، فالنَّاس حين يرون الإنسان الدَّاعي إلى الله ينظرون إليه نظرة قدوة، فإذا علموا أو رأوا منه أفعالاً رديئة فإنَّه يسقط من أعينهم.

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصَّدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيِّبة، وأنَّها حجاب من النَّار ٢/٧٠٥ برقم ١٠١٧، والترمذي، كتاب العلم، حديث رقم ٢٥٩٩، والنسائي، كتاب الزكاة، حديث رقم ٢٥٥٤، وابن ماجة في المقدمة، حديث رقم ٢٠٣.

وتتضح أهمية القدوة الحسنة بوصية عمر بن الخطّاب لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما -، وفيها يقول أمير المؤمنين عمر: " فإنّه من يخلص نيّته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى، ولو على نفسه، يكفيه الله ما بينه وبين النّاس، ومن تزيَّن للنّاس بما يعلم الله منه خلاف ذلك، هتك الله ستره، وأبدى فعله ".

وليعلم الدَّاعي أن تقصيره أو تهاونه بطاعة الله تعالى ليس كتهاون غيره، لأنّه قدوة حسنة للنّاس، فمتى رأوه متهاوناً صاروا مثله أو أشد تهاوناً منه.

وليس تجرؤ الدَّاعي على ما حرَّم الله كتجرؤ غيره عليه، لأنَّ النَاس يقتدون به في ذلك، فيترتب على ذلك شيوع المعصية وانتشارها بين المسلمين، وإلفهم إيَّاها، فينقلب نكر المحرَّمات عرفاً بسبب تجرؤ الدَّاعي عليها، ولذلك قد يكون الشيء المكروه حراماً في حقِّ الدَّاعي إذا كان فعله إيَّاه يؤدي إلى اعتقاد النّاس إباحته.

فعلى الدَّاعي أمانة ثقيلة، ومسئولية كبيرة، ومهمَّة عظيمة، تجاه عباد الله تعالى، في إبلاغ دين الله تعالى [1].

فليكن الدَّاعي إلى الله تعالى مِمَّن يفعل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرَّمات والمكروهات، وبعض المباحات، لأنّه يواجه النّاس بالأقوال

---

(١) انظر: رسالة في الدَّعوة إلى الله تعالى للشيخ محمَّد بن صالح بن عثيمين صـ ٢٢ - ٢٣

والأعمال والأفعال، فيكون قدوة صالحة، وأُسوة حسنة، في قوله وفي فعله وعمله وسيرته، وهذا أمرٌ مهمٌّ يجب على الدَّاعي ملاحظته [1].

قال تعالى: ﴿ومَن أحسنُ قولاً مِمَّن دعى إلى الله وعمل صالحاً وقال إنَّني من المسلمين﴾[2].

لقد حذَّر الله تعالى وأنكر على الإنسان الذي يقول ما لا يفعل، لأنَّه بذلك يكون مثالاً سيئاً، وقدوة فاسدة.

والدَّاعي إلى الله تعالى قدوة حسنة في أقواله وأفعاله، في عبادته ومعاملته، في أخلاقه وآدابه، في هيئته ومطعمه ومشربه، في مركوبه ومسكنه، وفي كُلِّ أحواله، فيشمل ذلك فعل كُلِّ ما أمر الله به من طاعة أو فضيلة، واجتناب كُلِّ ما نهى الله عنه من معصية أو رذيلة. فليس من الدين أن يأمر بشيءٍ ولا يأتيه، أو ينهى عن شيءٍ ثُمَّ يقع فيه.

وتنكشف أهمية القدوة الحسنة أثناء اختلاط الدَّاعية بالنَّاس، فيطَّلعون على كثيرٍ من أخلاقه وأفعاله وأعماله وتصرُّفاته، بل أحياناً على بعض من أسراره. وهذا بخلاف المحاضر أو المدرِّس، فتصرّفاته أمام النَّاس تبدو محدودة وقليلة.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٥٥٤ - ٥٥٥، ومجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٢/١٠٠

(٢) سورة فُصِّلَت، الآية: ٣٣

والله تعالى قد ذمَّ اليهود الذين تعلَّموا التوراة وما فيها من الخير، ولكنّهم تركوا ذلك وانحرفوا عن طريق الله وسلوك صراطه المستقيم.

والنُّفوس البشرية مجبولة طبعاً على عدم الإستجابة والاستفادة مِمَّن لا يوافق قوله فعله.

ومِن أجل تحقيق النتائج الطيِّبَة ونيل ثواب الله في العاجل والآجل، على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يسعى جاهداً في أن ينفق القول مع العمل والفعل، وأن يلتزم السير في طريقٍ صحيحٍ على وفق كتاب الله تعالى وسُنَّة رسول الله ﷺ في كُلِّ شيء [1].

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثُمَّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذَّبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظَّالمين﴾[3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٣٥٧، ٣٦٤، وإحياء علوم الدين ١/٥٨

(٢) سورة الصَّف، الآيتان: ٢ - ٣

(٣) سورة الجُمُعة، الآية: ٥

وقال تعالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاَّ كذباً﴾[1].

## الاقتداء بالرُّسُل والأنبياء الكِرامِ عليهم الصَّلاة والسَّلام:

الرُّسُل والأنبياء الكرام دعاة إلى الله تعالى، وهم قدوة حسنة للخلق، فقد امتثلوا أوامر الله تعالى، وتركوا نهيه، في الأقوال والأعمال، والسيرة الحسنة في انفسهم، ودلالة غيرهم إلى صراط الله المستقيم، وهديه القويم. وقد انتفع غيرهم بسيرتهم الحسنة.

فالعامَّة وأرباب العلوم القاصرة من أتباع الأنبياء والرُّسُل قد انتفعوا بسيرة وأخلاق وأعمال أولئك الصفوة المختارة الذين اختارهم الله لحمل رسالته، ما لا ينتفعون به من الأقوال التي قد لا يفهمونها حق الفهم.

ولقد بعث الله تعالى إلى الخلق صفوة خلقه وحمَّلهم تبليغ شرعه. وقد بلَّغوا رسالات ربهم من خلال الدَّعوة، والصورة العطرة، والعبادة الصحيحة، والتَّعامل الحق مع النَّاس، وحسن السيرة [2].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، تحقيق: محمَّد أحمد عبد العزيز صـ ٣، ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٣/١١٠.

قال تعالى: ﴿يا أيها الرُّسُل كلوا من الطَّيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأُولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كُلِّ شيءٍ وهُدىً ورحمة لقومٍ يؤمنون﴾[2].

يقول ابن كثير في معنى الآية الأولى: يأمر الله تعالى عباده المرسلين عليهم الصَّلاة والسَّلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصَّالح من الأعمال، فدلَّ على أنَّ الحلال عون على العمل الصَّالح. فقام الأنبياء عليهم السَّلام بهذا أتمَّ القيام وجمعوا بين كُلِّ خيرٍ قولاً وعملاً ودلالةً ونصحاً، فجزاهم الله عن العباد خيراً [3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يا أيُّها النَّاس إنَّ الله طَيِّب لا يقبل إلاَّ طَيِّباً، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٢٤٦

فقال: ﴿يا أيها الرُّسُل كلوا من الطَّيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾[1]، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾[2]، ثُمَّ ذكر الرَّجُلَ يُطيل السَّفر أشعثَ [3] أغبرَ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذّي بالحرام يمُدُّ يديه إلى السماء: يارب ! يارب ! فأنّى يُستجاب له) [4].

فالله سبحانه ندب عباده إلى الاقتداء بالأنبياء والمرسلين عليهم الصَّلاة والسَّلام، وذلك في مواضع عِدَّة من كتابه العزيز.

قال تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[5].

ويقرِّر ابن كثير هنا أنَّ الذين يقتدى بهم هم الأنبياء عليهم السلام، وهم أهل الهداية لا غيرهم، والرَّسول ﷺ أمره الله تعالى أن يقتدي بهم ويتَّبع طريقهم، وإذا كان الأمر في الآية الكريمة للرسول ﷺ فأُمَّته تبعٌ له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به [6].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢

(٣) أشعث أغبر: الأشعث: مَن تغيَّر شعره وتلبَّد لِقِلَّة تعهده.( المصباح المنير صـ ٣١٤) والأغبر: المغبر الرأس. ( مختار الصحاح صـ ٣٣٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٢٤٧/٣، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصَّدقة ٧٠٣/٢، ومسند أحمد ٣٢٨/٢، والترمذي، كتاب التفسير، حديث رقم ٢٩١٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٠

(٦) تفسير ابن كثير ١٥٥/٢.

فـا لله سبحانـه وتعـالى بفضلـه جعـل الرُّسُـل أسـوة حسـنة لعبـاده، و لم يكتف بـإنزال الكتب عليهـم، بـل قـصَّ ا لله تعـالى علـى عبـاده المؤمنـين قصصهم، وعرض سيرتهم، ثُـمَّ أمـر باتّبـاعِهم، والاهتـداءِ بهديهـم، والتأسـيِّ بهم.

فالواجب على الدُّعاة إلى ا لله تعالى التأسيِّ برُسُـلِ ا لله، وجعلهـم المثـل الأعلى والأسمى في الاقتداء، لأنَّ ا لله تعالى أمر بذلك.

قال تعالى: ﴿قد كانت لكم أُسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه. . . .﴾[1].

وقـال سـبحانه: ﴿قـد كـان لكـم فيهـم أُسـوةٌ حسـنةٌ لِمَـن كـان يرجو الله واليوم الآخر﴾[2].

والاقتداء بالرُّسُل ليس بالأمر السَّهل، سواء في تبليـغ ديـن ا لله ونشـره لعباده، أو في جهادهم وعبادتهم وامتثالهم أمر ا لله تعالى، وابتعادهم عمَّا نهـى عنـه.

وسبيل الجنَّة وطريقها اتّباع رُسُل ا لله تعالى وأنبيائه، وهم معصومون في تبليغ رسالة ا لله، فطريقهم صعب، والعمل مثل عملهم صعب، ولكنَّـه شـيق،

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٦

وعاقبته حميدة، فلابُدَّ من الصَّبر والمثابرة ومواصلة الجهد في سبيل التأسي بهم، والاقتداء بهديهم، وسلوك طريقهم [1].

قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يأتكم مَثَلُ الذين خلَوا مِن قبلكم مستَّهم البأساء والضَّرَّاء وزُلزِلوا حتَّى يقول الرَّسُول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إنَّ نصر الله قريب﴾[2].

يبيِّن ابن كثير - رحمه الله - أنَّ إبراهيم علية الصَّلاة والسَّلام وآله المؤمنين، مطلوب التأسيِّ بهم إلاَّ في حالة استغفار إبراهيم لأبيه، فإنَّما كان عن موعدةٍ وعدها إيَّاه، فلمَّا تبيَّن له أنَّه عدوٌّ لله تبرأ منه.

وذلك أنَّ بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إنَّ إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ما كان للنَّبيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبيَّن لهم أنَّهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاَّ عن

---

(١) انظر: كتاب المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، لحامد محمَّد المصلح، صـ ٣٠١ - ٣٠٢

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤

موعدةٍ وعدها إيّاه فلمّا تبيّن له أنّه عدوٌّ لله تبرّأ منه إنّ إبراهيم لأوّاهٌ حليم﴾[1]، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿قد كانت لكم أُسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاء منكم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إلاّ قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيءٍ﴾ أي ليس لكم في ذلك أسوة حسنة، أي في الاستغفار للمشركين [2].

ولقد أكّد الله سبحانه وتعالى أمر الاقتداء بالرُّسُل والأنبياء عليهم السَّلام وربط ذلك باليوم الآخر يوم القيامة، وفي ذلك تهييجٌ للمؤمنين بالله تعالى والمعاد، ومَن أعرض عن التّأسّي بالرُّسُل والاقتداء بهم فلا يضر إلاّ نفسه، والله لا يضرُّه شيء، بل هو الغني سبحانه، والنّاس هم الفقراء إلى الله [3].

فسيرة الرُّسُل عليهم السَّلام متّصِلٌ بعضها ببعض، هدفها واحد، هو الدَّعوة إلى الله تعالى، لذا كانت مثلاً صالحاً، وقدوةً حسنةً، ونهجاً سديداً، ومسلكاً حميداً، لِكُلِّ مَن يأتي بعدهم، فيها تثبيتٌ لقلب النّبيِّ ﷺ، وتطييبٌ لنفسه، وأُمَّته تبعٌ له [4].

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١١٣ - ١١٤

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣٤٨/٤

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: دعوة الرُّسُل إلى الله تعالى، لمحمَّد العدوي، مقدّمة الكتاب.

ولقد أفرد ابن كثير رحمه الله لكُلِّ نبيٍّ من الأنبياء سيرة خاصّة به [1].

## الإقتداء بالرَّسول ﷺ:

لقد تبيَّن فيما سبق الأُمور التي تُعين على القدوة الحسنة الصَّالحة، وذلك من خلال ذكر سيرة الأنبياء عليهم السَّلام، والاقتداء بهم.

وخاتم أولئك الرُّسُل وأكملهم في القدوة الحسنة، هو نبينا محمَّدٍ ﷺ، فهو إمام المتَّقين، وسيِّد المرسلين، وقائد الغُرِّ المحجَّلين، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ لِمَن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[2].

قال ابن كثير: هذه الآية أصلٌ كبيرٌ في التَّأسِّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى النَّاس بالتَّأسِّي بالنَّبيِّ ﷺ يوم الأحزاب في صبره، ومصابرته، ومرابطته، ومجاهدته،وانتظاره الفرج من ربِّه عزَّ وجلَّ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدِّين، ولهذا قال للذين تقلقلوا وتضجَّروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ﴾ أي هلاَّ اقتديتم به، وتأسَّيتم بشمائله ﷺ، ولهذا

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١/٣، ٤، ١٢، ٥٦، ١١٩، ١٤٤، ٢/١٦، ٧٢، ١٥٢ ٨١/٣ ، ١٣/٥، ٦٢، ٢٥٣، ٩٤/٩، ٢٠٢. ٢٠٨، ٢١٣، ١٨٠/١٠، ٣٧٤/١٢، ٣٣٠/١٤

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١

قال: ﴿لمَن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾، ثُمَّ قال تعالى - مخبراً عن عباده المؤمنين المصَدِّقين بموعود الله لهم، وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدُّنيا والآخرة -: ﴿ولمَّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلاَّ إيماناً وتسليماً﴾[1].

فما زاد الصَّحابة - رضوان الله عليهم - الحال الشديدة، والضيق في غزوة الأحزاب، إلاَّ إيماناً بالله تعالى، وانقياداً لأوامر الله، وطاعةً لرسوله ﷺ.[2]

فعلى الدَّاعي إلى الله تعالى أن يرشد النَّاس إلى التَّأسِّي بالنَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله، وإرشاد العباد إلى أسباب النَّجاة، وصِدق الاتجاه إلى الله تعالى، وتحذيرهم من أسباب الهلاك.

وكون الرَّسول ﷺ القدوة الكاملة لأمَّته - انبثقت من سيرته القيم الثابتة والأخلاق الفاضلة في حياته العامَّة إماماً وقائداً، وفي حياته الخاصّة زوجاً كريماً، فأباً مصلحاً وعائلاً - أمرٌ جاء به التوجيه الرَّبَّاني لنا بأن نجعله القدوة يتعيَّن علينا الاستجابة له إذا كُنَّا حقّاً نؤمن بالله، واليوم الآخر، ونؤمل النجاة فيه، ونكثر من ذكر الله ونداوم عليه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٧٤ - ٤٧٥

إنَّ على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يتأمَّل في شخصية الرَّسُولِ ﷺ حتَّى تتضِّح له القدوة الحسنة، فالرَّسُول ﷺ شخصٌ واحدٌ، وقد وقف في وجهه عليه الصَّلاة والسَّلام أعداءٌ كثيرون من اليهود، والنَّصارى، والمنافقين، والمشركين، ومع ذلك وقف ﷺ موقف الشجاع الثَّابت، يدعو إلى الله تعالى ولا يقنط من رحمته، فصبر وصابر حتَّى أظهر دين الله.

إنَّ رأس القدوة، وأعظم الدُّعاة، هو رسول الله ﷺ يلزم أُمَّته الاقتداء به، والتَّأسِّي بأحواله، ودراسة سيرته وأسلوبه في دعوة النَّاس، وكيف واجه الباطل وقاوم أهل الزيغ والضَّلال بالحُجَّة والسِّلاح حتى أظهر دين الله تعالى.

قال تعالى: ﴿هُوَ الذي أَرْسَلَ رسوله بالهدى ودين الحقِّ لِيُظْهِرَه على الدِّين كُلِّه ولو كَرِهَ المشركون﴾[1].

فالدُّعاة إلى الله تعالى يلزمهم الإلتزام بتعاليم الدِّين الإسلامي، لأنَّه يتضح من خلال التَّعامل والسُّلوك هل القدوة صالحة ؟ أم أنَّها قدوة سيئة ؟.

والرَّسول ﷺ بُعِثَ ليكون قدوة حسنة للنَّاس، ولذا فإنَّ الله تعالى وهب عبده ورسوله محمَّداً ﷺ أهلية القدوة الحسنة.

---

(١) سورة الصَّف، الآية: ٩

وقد سُئِلَت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِهِ فقالت: (كان خُلُقُه القرآن)[1].

قال الله تعالى: ﴿قُل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدّين * وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿يا أيها النبيُّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[3].

فكان النّبيُّ ﷺ قدوة لأُمّته في كافّة وجوه الخير، فهو المربي، وهو المعلّم والهادي بسلوكه الشخصي، وتصرُّفه وفعله قبل أن يكون بالكلام الذي يتكلّم به، سواء كلام الله المنزل عليه - القرآن الكريم - أو حديثه ﷺ.

ولقد بوَّب البخاري - رحمه الله - في كتابه الجامع الصحيح: " باب الإقتداء بأفعال النّبيِّ ﷺ ". ثُمَّ علّق ابن حجر - رحمه الله - على هذه الترجمة فقال: الأصل فيه قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ﴾. وقد ذهب جمعٌ إلى وجوبه لدخوله في عموم الأمر

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ٥١٣/١

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١١ - ١٢

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦

بقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾[1]، وقوله: ﴿فاتَّبعوني يحببكم الله﴾[2]. فيجب اتباعه في فعله كما يجب في قوله حتّى يقوم الدَّليل على النّدب أو الخصوصية [3].

فيجب على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يتَّبِعَ الرَّسول ﷺ في قوله وفعله وتقريره، وكل صفاته وأخلاقه، فهو القدوة لأُمَّته، وقد بيَّن الرسول ﷺ أنَّ مَنِ اتَّبعه وأطاعه فيما جاء به فقد سلك طريق الجنَّة، ومَن عصاه فهو على خطرٍ عظيمٍ، وذنبٍ كبيرٍ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**كُلُّ أُمَّتِي يدخلون الجنَّة إلاَّ مَن أبى. قالوا: يا رسول الله ! ومَن يأبى ؟! قال: مَن أطاعني دخل الجنَّة، ومَن عصاني فقد أبى**)[4].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/٢٧٤

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإعتصام، باب الإقتداء بسنن الرَّسول صلى الله عليه وسلم ١٣/٢٧٤، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم ١٨٣٥.

وكيف لا يُتّخذ رسول الله ﷺ قدوة وأسوة، والله تعالى قد زكّاه وأثنى عليه، وبيّن صفاته، ووضّح أخلاقه وشرفه وكرمه، فهو أشرف الخلق قال تعالى: ﴿وإنّك لعلى خلقٍ عظيم﴾[1].

يقول ابن كثير - رحمه الله -: ومعنى هذا أنّه عليه الصّلاة والسّلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيّةً له، وخُلُقاً تطبّعه وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلُقِ العظيمِ، والحياءِ، والكرمِ، والشّجاعةِ، والصّفْحِ، والحلمِ، وكُلِّ خُلُقٍ جميلٍ [2].

وثبت في الصّحيحين عن أنس قال: (**خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لشيءٍ فعلته لِمَ فعلته ؟ ولا لشيءٍ لم أفعله، ألاّ فعلت ؟**) [3]، (**وكان ﷺ أحسن النّاسِ خُلُقاً**)[4]، (**ولا مسست خزّاً ولا حريراً**

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤

(٢) تفسير ابن كثير ٤٠٢/٤

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٠٢/٤، وصحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حُسْنُ الخُلُق والسّخاء وما يُكره من البُخْلِ ٢٥/٨، بلفظ: ( **ولا لِمَ صَنَعْتَ ؟ ولا ألاّ صَنَعت ؟**) ١٨٠٤/٤، ومسلم في الفضائل، حديث رقم ٢٣٠٩.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٤٠٢/٤، وصحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٦٢٠٣، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النّاس خُلُقاً ١٨٠٥/٤

**ولا شيئاً كان ألين من كَفِّ رسول ا لله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرقِ رسول ا لله ﷺ)**[1].

وعن عائشة رضي ا لله عنها قالت: **(ما ضرب رسول ا لله ﷺ بيده خادماً له قط ولا ضرب امرأةً، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلاَّ أن يجاهد في سبيل ا لله)** الحديث[2].

وعنها أيضاً قالت: **(ما خُيِّرَ رسول ا لله ﷺ بين أمرين قط إلاَّ أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول ا لله ﷺ لنفسه من شيءٍ يؤتى إليه إلاَّ أن تنتهك حرمات ا لله فيكون هو ينتقم لله عزَّ وجلَّ)** [3].

وعن أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: **(إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّم صالح الأخلاق)** [4].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤٠٢/٤، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النَّبيِّ صلى ا لله عليه وسلم، ولين مسه ١٨١٤/٤ - ١٨١٥، والترمذي، كتاب البر، حديث رقم ١٩٣٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤٠٢/٤، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى ا لله عليه وسلم للآثام ١٨١٤/٤، وأبو داود في الأدب، برقم ٤١٥٤، وابن ماجة في كتاب النكاح، حديث رقم ١٩٨٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٠٣/٤، وصحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النَّبيِّ صلى ا لله عليه وسلم ٣١/٥ باختلافٍ بعض الألفاظ، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٣٢٧.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣١/٦، ٢٠٦، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٨١
وتفسير ابن كثير ٤٠٣/٤

والنَّبيُّ ﷺ قد بذل نفسه لنصرة دين الله تعالى، وفي ذلك حَفْزٌ للمؤمنين ليسيروا على نهجه، ويقتدوا به في إعزاز دين الله والدَّعوة إليه.

فعلى الدَّاعي إلى الله تعالى أن يقتدي بالرَّسُول ﷺ في جميع أفعاله، ويتأسَّى به في جميع أحواله، ففي غزوة أُحُد شُجَّ وجهه، وكُسِرَت رُباعيَّته، وقُتِلَ عمُّه حمزة، وجاع بطنه، ولَمْ يَلْفَ إلاَّ صَابِراً محتسباً، وشاكراً راضياً.

قال تعالى: ﴿خُذِ العفو وأْمُر بالعُرْفِ وأَعْرِض عَنِ الجاهلين * وإمَّا ينزغنَّك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنَّه سميعٌ عليمٌ﴾[1].

لقد أمر الله نبيه محمَّداً ﷺ أن يأمُر بالمعروف، ويدخل في ذلك جميع الطَّاعات، وبالإعراض عن الجاهلين، وذلك وإن كان أمراً لنبيِّه ﷺ فإنَّه تأديبٌ لخلقه باحتمال مَن ظلمهم واعتدى عليهم، لا بالإعراض عمَّن جهل الحق الواجب في حقِّ الله، ولا بالصَّفح عمَّن كفر بالله وجحد وحدانيَّته، وهو حربٌ للمسلمين، فلقد جمع رسول الله ﷺ مكارم الأخلاق والشِّيَم كلَّها[2].

فالله تعالى قد رتَّب وعلَّق هداية الإنسان على طاعته للرسول ﷺ واتِّخاذه قدوة في شئون حياته كُلِّها.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩-٢٠٠

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمَّد القرطبي ١٤/١٥٥ - ١٥٦، وزاد المعاد ٣/١٦٣ - ١٦٤، وتفسير ابن كثير ٢/٢٧٨

قال تعالى: ﴿قُل أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول فإن تولَّوا فإنَّما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرَّسُولِ إلاَّ البلاغ المبين﴾[1].

فترك الإقتداء به يؤدي بصاحبه إلى الضَّلال الموجب للهلاك، لأنَّه ترك اتّباع كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ.

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يلزم طاعة رسول الله ﷺ، ومتابعته في التأسِّي به، وجعله قدوة له، فالاقتداء به واجبٌ على العبد فعله، لأنَّه محقق للنجاة من الهلاك، مفضٍ تركه إليه. فالخير والسعادة في اتّباع الرَّسولِ ﷺ والاقتداء به في الصَّغير والكبير، وفي كُلِّ الأحوال وسائر الأزمان [2].

إنَّ شخصية رسول الله ﷺ ليست آية عصرٍ، ولا جيلٍ، ولا أُمَّةٍ، ولا مذهبٍ، ولا بيئةٍ، فقد جعله الله سراجاً منيراً وداعياً إليه، فهو قدوة للنَّاس كافَّة، والأجيال عامَّة.

قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلاَّ كافَّةً للنَّاس بشيراً ونذيراً﴾[4]، فهو للعالمين كلّهم، لأنَّ الله تعالى

---

(١) سورة النُّور، الآية: ٥٤

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢٩٩/٣ - ٣٠٠، وهذا الحبيب محمَّد رسول الله ﷺ يا محب للشيخ أبي بكر جابر الجزائري صـ ٥٦٥ - ٥٦٦

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٨

أخبر في كتابه أنّه رحمةٌ لهم، فهداه للخلقِ أجمعين، فمن اتّبعه واقتدى به فقد قبل هذه الرحمة، وشكر هذه النّعمة، فله السعادة في الدُّنيا والآخرة، ومَن ردَّها وجحدها فقد خسر الدُّنيا والآخرة [1].

إنّه لحريٌّ بالدَّاعية إلى الله تعالى أن يسلك طريقه ﷺ، وأن يعمل بمنهجه، وأن يتّخِذَ سبيله نبراساً يستضيء به في هذه الحياة، لأنَّ شريعته أكمل الشرائع، ودينه أتم الدِّين، قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[2]، فمن تمسَّك بالكتاب والسُّنّة، والتزم القدوة، والتّأسّي في ذلك بالنّبيِّ ﷺ، فإنّه لا يضل في الدُّنيا ولا يشقى في الآخرة.

إنَّ فضل الله تعالى على أُمَّة محمَّدٍ ﷺ أنَّ الرَّسول ﷺ لم ينتقل إلى الرَّفيق الأعلى إلاّ بعد أن سجَّل له صحابته كُلَّ كبيرة وصغيرة حتّى حركاته وسكناته - وكان في بيته تسعٌ مِن أُمَّهات المؤمنين يروين دقائق معاشرته - في نومه ويقظته، وعبادته، وفي أقواله وأفعاله.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٠١ ٥٣٨ - ٥٣٩، ومنهج التربية الإسلامية للشيخ محمَّد قطب ١/٢٢٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣

هذا الرَّسول ﷺ كان آية من آيات الله تعالى دفعت برسالة القرآن عبر الأجيال والقرون إلى أن يلقى النَّاس ربهم، فقد كان ﷺ قرآناً نابضاً حيّاً متحرّكاً [1].

إنّه ينبغي أن تكون سيرة الرَّسول ﷺ جزءاً من حياة الدَّاعية في سلوكه وتعامله ودعوته، في شخصه وأسرته ومجتمعه، في كتاباته مقروءة كانت أو مسموعة، لتكون القدوة شامخة في كُلِّ أحواله وكُلِّ ما يعرضه ويدعو إليه.

إذاً فالقدوة من أهمِّ وسائل الدَّعوة وأسهلها، فالنَّاس لابُدَّ لهم من قدوة في مجتمعهم تطبع بطابع الإسلام الحنيف ومبادئه المتينة وأساسه القوي.

وقدوة الجميع هو رسول الله ﷺ الذي تمثّل فيه كل مباديء الإسلام وقيمه وتعاليمه.

ولقد تناول ابن كثير هذه القدوة وهو رسول الله ﷺ، فأثبت في كتابه الكبير " **البداية والنهاية** " المجلّدين الثاني والثالث، سيرة المصطفى ﷺ. وقد أفردت سيرة رسول الله ﷺ مستقلّة عن " **البداية والنهاية** " في أربع مجلّدات بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد.

---

(١) انظر: منهج القرآن في تربية المجتمع، للدكتور عبد الفتاح عاشور صـ ٢٣٨

كما ضمَّن ابن كثير " **البداية والنهاية** " أيضاً شمائل الرَّسول ﷺ وهذه كسابقتها أُفْرِدَت في كتابٍ مستقلٍّ أيضاً بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد [1].

وهناك كتاب آخر أُفْرد من " **البداية والنهاية** " ظهر باسم: " **الفصول في سيرة الرَّسول ﷺ** " تحقيق محمَّد السعيد الخطراوي، ومحي الدين مستو [2].

## مِن خصائص أُسلوب القُدوة:

أسلوب القُدوة له خصائص ومزايا عديدة، منها:

**١ - سهولته، وسرعة انتقال أفعال وحركات المقتدى به إلى المقتدي سواء كان خيراً أو غير ذلك:**

فالأخذ بالشيء عملياً والتَّمَسُّك به أكثر إقناعاً للمُخَاطَبين والمَدْعُوين من الكلام، والحديث، والثناء، وهذا وقع مُشَاهَد في هذه الحياة.

وقد قصَّ الله تعالى في القرآن مقالة الذين احتَجُّوا بعدم قبول الإيمان: ﴿قالوا إنَّا وجدنا آباءنا على أُمَّة وإنَّا على آثارهم مقتدون﴾ [3].

---

(١) في كتاب الشمائل، وفي صـ ٦٤ ( ذكر أخلاق الرَّسول صلى الله عليه وسلم وشمائله الطَّاهرة).

(٢) في كتاب " الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم "، وفي صـ ٢٦٣ - ٢٦٤ ذكر صفة الرَّسول صلى الله عليه وسلم الظَّاهرة وذكر أخلاقه الطَّاهرة صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن كثير - رحمه الله - عن هؤلاء: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنّهم كانوا على أُمَّة، والمراد بها ههنا الدِّين [1].

من السَّهل أيضاً تأليف كتاب، ووضع منهج، وإن كان يحتاج كُلّ منهما إلى إحاطةٍ وشمولٍ، ولكنَّ ذلك المنهاج يظلُّ معلّقاً ما لم يتحوَّل إلى واقعٍ وحقيقةٍ، ما لم يأت إنسانٌ يترجم بسلوكه وتصرُّفاته مباديء ذلك المنهج ومعانيه.

وقد علم الله تعالى مَن يكون لذلك المنهج من البشر ليتحمَّل تبليغ دين الله تعالى، قال جلَّ شأنه: ﴿اللهُ أعلم حيثُ يجعل رسالته﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿اللهُ يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النَّاس إنَّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ﴾[3].

قال ابن كثير: الله سبحانه وتعالى أعلم حيث يضع رسالته، ومَن يصلح لها من خلقه، لإبلاغ رسالته [4].

---

⇐⇐

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٣

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٢٦/٤

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٥

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٢٧٣/٢، ٢٣٥/٣

وقد اختار الله تعالى من البشر مَن يحمل هذا المنهج ويحوله إلى واقع وحقيقة، يعرف النّاس أنّه حق ويتّبعونه، ولابُدَّ أن يكون ذلك قدوة. لذلك بعث الله محمَّداً ﷺ، ليكون قدوة للنّاس، ووضع في شخصه الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي والصورة الحيَّة الخالدة على مدار التّاريخ.

**٢ – صحيَّة الأخذ وضمان صدق النّقل:**

ولقد أوضح النّبيُّ ﷺ أشياء مهمَّة كالصَّلاة والحَجِّ عمليّاً، فقال في الصَّلاة: (**صَلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي**)[1]، وفي الحَجِّ: (**خذوا عنّي مناسككم**)[2].

**٣ – سرعة الاستجابة للأمور العملية أكثر من الإستجابة للأمور النظرية:**

مثال ذلك موقف النّبيِّ ﷺ في غزوة الحديبية، بعد صلح الحديبية، عندما قال النّبيُّ ﷺ لأصحابه: (**قوموا فانحروا واحلقوا وحُلُّوا**) فلم يجبه أَحَد، فردَّدها ثلاث مرَّات فلم يفعلوا، فدخل على أُمِّ سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب، فاضطجع، ثُمَّ أشارت أُمُّ سلمة على رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ٢/١١١

(٢) انظر صحيح مسلم، كتاب الحَجّ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم المنحر راكباً ٢/٩٤٣، والنسائي في كتاب مناسك الحج، حديث رقم ٣٠٦٢.

بالمبادرة إلى الحلق والتَّحَلُّل ليقتدي به النَّاس عمليّاً، فكان كما قالت رضي الله عنها [1].

وقد دعا رسول الله ﷺ يوم الفتح بإناءٍ من لبنٍ أو ماءٍ فشرب أمام النَّاس وأفطر، فقال المفطرون لمَّا رأوه للصُّوَّام أفطروا [2].

**٤- الصَّمت والفعل قد يغنيان عن البيان:**

فكم مِن قُدوة صالحة استطاعت الإصلاح، وكم من فعلٍ أغنى عن الكلام والخطب. فالتُّجَّار الذين ذهبوا إلى جنوب شرق آسيا، وغير ذلك، حملوا الإسلام، والمعاملة الطَّيِّبة، والسُّلوك النَّبيل، والأخلاق الفاضلة، فدخل الإسلام من سُكَّان تلك البلاد بسبب هؤلاء التُّجَّار العدد الكثير، وبذلك انتشر الإسلام بالقُدوة الصَّالحة والفعل والصَّمت.

لقد أسلم بالقُدْوَة الصَّالِحة فوق المائتين من الملايين، أو هم كُلّ من أسلم في سواحل الهند، وفي الصِّين، وجزائر جاوة، وصحاري إفريقيا [3].

**ولأجل نجاح أُسلوب القدوة في الدَّعوة إلى الله يجب الحذر مِمَّا يلي:**

**١ - الغرور والكبر:**

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ٥/٣٣٢، وزاد المعاد ٣/٢٩٥

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح ٨/٣

(٣) الإسلام في القرن العشرين، عباس محمود العقَّاد صـ ٣٥

قال تعالى: ﴿ومِنَ النَّاس من يعجبك قوله في الحياة الدُّنيا . . .﴾ الآية [1].

وقال سبحانه: ﴿ولا تُصَعِّرْ خدَّكَ للنَّاس ولا تمش في الأرض مرحاً إنَّ الله لا يحب كُلَّ مختالٍ فخورٍ * واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[2].

أكّد ابن كثير - رحمه الله - أنَّ الآية الأولى عامَّة في المنافقين والمؤمنين، فعلى الدَّاعي إلى الله تعالى أن يقصد من التزامه بالدِّين الحنيف تأسيه بالرسول ﷺ، ابتغاء رضا الله تعالى ونيل الثَّواب منه سبحانه، ولا يكن مِمَّن يحسن ويجمل الفعل ويظهر الصَّلاح لأجل مأرب ونوايا، فإنَّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور، والله سبحانه نهى عن الكِبْرِ والتَّعالي على النَّاس، وحذَّر مِن أنَّ عاقبة المتكبِّر وخيمة، والله لا يحبُّ المتكبِّرين.

فينبغي للدَّاعي أن يُقْبِل بوجهه على النَّاس ولا يُعْرِض عنهم في كلامه لهم أو سماعه منهم، وعليه أن يلين معهم، وينبسط إليهم، ويشرح صدره لهم. وقد عقد ابن كثير عند بيان معنى الآية الثانية فصلاً بعنوان (**فصْلٌ في الخُمول والتَّواضُع**) ضمَّنه جملة من أحاديث

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤

(٢) سورة لقمان، الآيتان: ١٨ - ١٩

الرَّسول ﷺ وأقوال السَّلف الصَّالح في التَّواضُع ولين الجانب، ثُمَّ أتبع ذلك بفصلٍ آخر بعنوان (**فصلٌ في حُسْنِ الخُلُق**) ساق فيه ما ورد في الأخلاق الحسنة الصِّفات الجليلة التي ينبغي لكُلِّ إنسانٍ الاتِّصاف والتَّحَلِّي بها، ثُمَّ أعقب ذلك بفصلٍ آخر (**في ذَمِّ الكِبْر**)، وختم هذا المبحث بقوله: (**فصلٌ في الاختيال**) [1].

وقد ذَمَّ الله الكِبْر، ومدَحَ التَّواضُعَ، وجعل السَّعادة والفوز للمؤمنين المتَّقين، قال تعالى: ﴿**تلك الدَّارُ الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبةُ للمُتَّقين**﴾[2].

**٢ - ارتكاب المخالفات:**

قد يقع بعض مَن هداهم الله مِنَ الدُّعاة وغيرهم مِمَّن يُقتدى بهم في تزيين أفعالهم للنَّاس وهم يرتكبون بعض ما حرَّم الله تعالى. وهذا بحمد الله قليل، ولكن السَّلامة من كُلِّ ذلك أولى، ولا يعدل السَّلامة شيء، مع مراقبة الله تعالى في السِّرِّ والعلن.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٤٦، وأيضاً ٣/٤٤٥ - ٤٥٠
وأصول الدَّعوة، لعبد الكريم زيدان صـ ٣٤٦ - ٣٥٠

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٣

قال تعالى: ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه إنَّ الذين يكسبون الإثم سيُجزَون بما كانوا يقترفون﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إنَّمَا حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لَم يُنزِّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[2].

ويقرِّر ابن كثير - رحمه الله - أنَّ الفواحش هي المعاصي والخطايا، وأنَّ على العبد المسلم الحذر من ذلك، لأنَّ الله تعالى سيجازي العبد بما يجني على نفسه من هذه المحرَّمات، سواء كان ظاهراً أو خفياً.

قال ﷺ: (لا أَحَد أغير من الله، فلذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أَحَد أحبَ إليه المدح من الله)[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٠

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٣

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١٦٨/٢، ٢١١، وصحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٦٣٤، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٢١١٤/٤ إلاَّ أنَّ عند مسلم في نهاية الحديث عبارة: ( ولذلك مدح نفسه) ولم ترد عند ابن كثير.
وانظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٣٦/١

فعلى الدَّاعي أن يحذر من الانزلاق في مثل هذه الرذائل، لما تسببه له من أضرارٍ وخزيٍ وعذابٍ في العاجل والآجل - نسأل الله السَّلامة والعافية - فضلاً عمَّا ينتج عن ذلك من آثار سيئة على قبول الدَّعوة وسمعة الدُّعاة.

وقد يتمسَّك بعض ضِعاف النُّفوس بشيءٍ من ذلك ويجعله حُجَّة على الدُّعاة إلى الله تعالى [1].

### ٣ - ربط النَّاس بالحق:

فربط النَّاس لا يكون بالأشخاص، وإنَّما يكون بالتَّمَسُّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فالنَّاس مهما أوتوا من صفات طيِّبة هم إلى فناء وموت، ولكن كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ باقيان إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، ولهذا بيَّن الله تعالى أنَّ أُسوة الخلق كُلّهم محمَّداً ﷺ مرتحلٌ عن هذه الحياة، فكيف بمَن دونه ؟! فمَن دونه مِن باب أولى.

قال تعالى: ﴿وما محمَّدٌ إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشَّاكرين﴾ [2].

---

(١) انظر: الدَّعوة الفردية - أهميتها، حالاتها، عوامل نجاحها -، لصالح بن يحي صواب صـ ٣٩

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤، وانظر تفسير ابن كثير ١/٤٠٩ - ٤١٠

**ولتحقيق نجاح أُسلوب القدوة الحسنة في الدَّعوة إلى الله تعالى.. يحتاج الدَّاعية إلى الأُمور الآتية:**

أ - قوة الصِّلة بالله تعالى وتعميق الإيمان به، فهذا ضروري لكل مسلمٍ، ويتأكَّد أكثر للدَّاعية إلى الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿قد جاءكم بصائر من ربِّكم فمَن أبصَر فلِنَفْسِه ومَن عَمِي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾[1].

ب - إصلاح الدَّاعية نفسه، وتعهُّدها بالتَّدريب والتَّهذيب.

جـ - مداومة المراقبة لله تعالى على الدَّوام، ومحبَّة الخير لعباد الله، والتَّضحية والبذل في سبيل الله تعالى والدَّعوة إليه.

قال تعالى: ﴿إنَّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[3].

يقول ابن كثير - رحمه الله - في معنى هذه الآية الكريمة: يخبر الله عزَّ وجلَّ عن علمه التَّامِّ المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها، ليحذر النَّاس علمه بهم فيستحوا من الله تعالى حقَّ الحياء، ويتَّقوه حقَّ تقواه، ويراقبوه مراقبة مَن يعلم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤، وانظر: تفسير ابن كثير ١٦٢/٢

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥

(٣) سورة غافر، الآية: ١٩

أنّه يراه، فإنّه عزَّ وجلَّ يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصُّدور من الضَّمائر والسَّرائر [1].

د - الاجتهاد وبذل الوسع - مِن كُلِّ داعية إلى الله تعالى - لجلب المصالح للمسلمين ودفع المفاسد عنهم [2].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٧٥

(٢) انظر: كتاب فقه الدَّعوة إلى الله، للدكتور علي عبد الحليم محمود صـ ٢٣٦

## المبحث الثالث: أسلوب الحكمة عند ابن كثير:

تعريف الحكمة في اللغة: قال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع، وأوَّل ذلك الحكم وهو المنع من الظلم، وسمِّيت حكمة الدَّابة لأنَّها تمنعها، ثُمَّ قال: والحكمة هذا قياسها، لأنَّها تمنع من الجهل، وتقول: حكمت فلاناً تَحكُّماً: منعته عمَّا يريد [1].

والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء، وبأفضل العلوم.

ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم [2].

وقال الجوهري: الحكم: الحكمة من العلم، وصاحب الحكمة: المتقن للأمور، وأحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكماً [3].

والحَكَم، والحَكِيم: هما بمعنى الحاكِم والقاضي، والحكيم: فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحكم الأشياء ويتقنها، فهو بمعنى مُفْعِل، والحكيم: ذو الحكمة [4].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة ( حكم) ٢/٩١

(٢) لسان العرب، مادة ( حكم) ١٢/١٤٩

(٣) الصحاح ٥/١٩٠١ - ١٩٠٢

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١/٤١٨ - ٤١٩

والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام. والحكمة من الإنسان: معرفة الموجودات، وفعل الخيرات [1].

والحكمة: العدل والعلم والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، وطاعة الله، والفقه في الدين، والعمل به، والخشية أو الفهم أو الورع أو العقل أو الإصابة في القول والفعل، والتفكر في أمر الله واتباعه، وهو حكيم أي عدل حليم. وحكمه وأحكمه: أي أتقنه ومنعه من الفساد [2].

## تعريف الحكمة في الاصطلاح:

الحكمة هي صفة من آتاه الله تعالى الإصابة في القول والفعل، فمَن أوتي الإصابة في ذلك فقد أوتي خيراً كثيراً [3].

والحكمة في القرآن: هي معرفة الحق وقوله والعمل به [4].

وقد ذكر ابن كثير بعض أقوال أهل العلم من السَّلف في معنى الحكمة.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للرَّاغب الأصفهاني صـ ١٢٧

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروز ابادي ٤٨٧/٢

(٣) انظر: تفسير الطبري ٨٩/٣

(٤) فتاوى ابن تيمية ٤٥/٢

فعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: الحكمة هي المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وعن مجاهد رحمه الله: ﴿يؤتي الحكمة مَن يشاء﴾[1] ليست النُّبوَّة، ولكنَّه العلم والفقه والقرآن.

وقال أبو العالية: الحكمة خشية الله تعالى، فإنَّ خشية الله رأس كُلِّ حكمة.

وقال مالك: وإنَّه ليقع في قلبي أنَّ الحكمة هي الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله.

وعند قوله تعالى: ﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلَّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾[2].

وبعد ذكر تلك الأقوال رجَّح ابن كثير أنَّ الحكمة كما قال الجمهور، لا تختصّ بالنُّبوَّة، بل هي أعم منها، وأعلاها النُّبوة، والرسالة أخص[3]. ولكنْ لأتباع الأنبياء حظٌّ من الخير على سبيل التَّبع كما جاء في بعض الأحاديث[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٣

(٣) لأنَّ كُلَّ رسولٍ نَبِيٌّ ولا عكس.
انظر: الرُّسُل والرِّسالات، لعمر سليمان الأشقر صـ ١٤ - ١٥

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٨٤، ٢٨١، ٣٢٢، ٥٥٤

قال ﷺ: **(لا حسد إلاّ في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويُعَلّمُها)** [1].

والحكمة هي: إتقان العلم والعمل، وبعبارةٍ أُخرى: معرفة الحق والعمل به [2].

وقيل: الحكمة هي: كُلُّ كلامٍ وافَق الحق فهو حكمة [3].

وقيل: الحكمة هي: كُلُّ ما يمنع من السَّفه وكُلّ قبيح، فمَن أعطاه الله الحكمة فقد أعطاه خيراً كثيراً [4].

والحكمة أيضاً هي: العلوم النّافعة، والمعارف الصّائبة، والعقول المسدَّدة، والألباب الرَّزينة، وإصابة الصَّواب في الأقوال والأفعال، فجميع الأُمور لا تصلُح إلاّ بالحكمة التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محلّ الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام [5].

## التّلازُم بَيْنَ التّعريفين اللغوي والاصطلاحي:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الإغتباط في العلم والحكمة ٤٧/١
وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل مَن يقوم بالقرآن ويعلّمه ٥٥٨/١. وتفسير ابن كثير ٣٢٢/١

(٢) انظر: تفسير القاسمي، لمحمَّد جمال الدين القاسمي ٢٤٥/٣

(٣) انظر: كتاب التعريفات للجرجاني صـ ٩١

(٤) تفسير فتح القدير، لمحمَّد بن علي الشوكاني ٢٨٩/١

(٥) كشّاف اصطلاحات الفنون، لمحمَّد التهانوي ٣٧٠/١، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦٤/١٩

وإذا تأمَّلنا المعاني اللغوية، والمعاني الاصطلاحية التي وردت في تعريف الحكمة، نجد أنَّ هناك ارتباطاً قويّاً بينهما، لأنَّ كُلاً منهما يجعل العلم بأحكام الله تعالى المبلّغة عن طريق رسول الله محمَّد ﷺ أصلاً من أُصول الحكمة.

إذاً فالتّعريف الشّامل للحكمة: هي الإصابة في القول، والعمل، والإعتقاد، ووضع الشيء موضعه بإحكامٍ وإتقانٍ.

بهذا التّعريف يتبيَّن أنَّ أُسلوب الحكمة في الدَّعوة إلى الله تعالى لا يقتصر على الكلام اللَّيِّن أو الحلم أو الرأفة والرِّفق والعفو، بل يعم إتقان الأُمور وإحكامها وتنزيلها منازلها.

فالقول الحكيم في موضعه، والتربية والتعليم في موضعهما، والقوَّة والزَّجر والشِّدَّة في مواضعها. ولابُدَّ من مراعاة أحوال المدعوين في مختلف الأزمان والأمكنة، فهذا هو عين الحكمة [1].

## أهميَّة الحكمة في الدَّعوة إلى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ربَّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ويزكِّيهم إنَّك أنتَ العزيزُ الحكيمُ﴾[2].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤١٥، والحكمة في الدَّعوة إلى الله تعالى، لسعيد بن علي القحطاني صـ ٣٠ - ٣١

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩

فيخبر تعالى عن دعوة إبراهيم وإسماعيل لأهل الحرم بأن يبعث الله فيهم رسولاً منهم.

وقد استجاب الله الدُّعاء، فبعث محمَّداً ﷺ داعياً إلى الله ومعلّماً لعباد الله الخير ليفعلوه، والشرَّ ليتّقوه، مخبراً برضا الله عنهم إذا أطاعوه، ليستكثروا من طاعته، ويجتنبوا ما يسخطه من معصية، وذلك متابعة لسنة رسوله ﷺ.

فالآيات القرآنية حكمة، والسُّنّة حكمة، وكونها حكمة بينة لأنّها تمنع مَن سمِع الأدلة الواضحة المبينة للحق من المُضِي في الباطل وتدعوه إلى الأخذ بالحق والعمل به، والوقوف عند الحدِّ الذي حدَّه الله تعالى.

وإذا كان الأمر موجهاً للرسول ﷺ فهو أمرٌ للأُمَّة جميعاً وإن خُوطِبَ به النَّبِيُّ ﷺ، فلأنّه الأصل والأساس، وهو القدوة عليه الصَّلاة والسَّلام، وأُمَّته تابعة له في الأمر والنهي إلاّ ما دلَّ الدليل على أنّه خاصّ به ﷺ.

فالدعوة إلى الله تعالى بأسلوب الحكمة واجب على الجميع، والأُمَّة الإسلامية عليها أن تتأسَّى بنبيها محمَّدٍ ﷺ. فيوضِّح بعضهم لبعض ما يهم في أمور الدين، ويتم البيان في هذا بأسلوب الحكمة مع مراعاة التأثير ومعرفة لغة مَن يدعوهم لتكون الدَّعوة إلى الله تعالى في محلِّها، فالدَّعوة إلى الله تعالى لابُدَّ أن تكون بالحكمة [1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٨٤، وفضل الدَّعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين عليها، للشيخ عبد العزيز بن باز صـ ٢٢، والصحوة الإسلامية، ضوابط وتوجيهات للشيخ محمَّد بن صالح العثيمين صـ ٣٥

قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. . .﴾ الآية[1].

ومن هنا تتبين أهمية الحكمة في الدَّعوة إلى الله تعالى، فقد أمر الله بها نبيه محمَّداً ﷺ في القرآن.

وإنَّ مَن آتاه الله تعالى الحكمة فقد آتاه خيراً كثيراً. قال تعالى: ﴿يؤتي الحكمة مَن يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[2].

وأسلوب الحكمة في الدَّعوة إلى الله تعالى له أهمية بالغة حيث يشمل أغلب أساليب الدَّعوة إلى الله.

ولقد كان النَّبيُّ ﷺ وهو إمام الدُّعاة إلى الله مع أصحابه وأتباعه، أو مع خصومه وأعدائه يسير في دعوته بسياسةٍ ولينٍ في غير ضعفٍ، وشدَّةٍ في غير عنف، وعفوٍ وإحسانٍ من غير خضوعٍ ولا استسلام، وعدل وإنصاف ورحمة مع الأصحاب والأعداء، مع إيثار حُسْنِ الظَّن بأصحابه. قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨

ولقد امتنَّ الله تعالى على لقمان حيث آتاه الحكمة فقال: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾[1].

قال ابن كثير: أعطى الله تعالى لقمان الفهم والعلم والتعبير والفقه في الإسلام ولم يكن نبياً ولم يوح إليه [2].

وقال ابن تيمية: النَّاس ثلاثة أقسام: إمَّا أن يعترف بالحق ويتبعه، فهذا صاحب الحكمة، وإمَّا أن يعترف به لكن لا يعمل به، فهذا يوعظ حتَّى يعمل. وإمَّا ألا يعترف به، فهذا يجادل بالتي هي أحسن لأنَّ الجدال مظنَّة الإنصاف [3].

## ضرورة الحكمة للدَّاعية إلى الله تعالى:

إنَّ الحكمة مطلب عزيز، وغاية نبيلة، ورتبة عالية، يحصل صاحبها على سمة من سمات الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصَّلاة والسَّلام.

---

(١) سورة لقمان، الآية:١٢

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٤٣ - ٤٤٤

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٤٥

ولهذا فإنّها - أي الحكمة - ليست متاحة لكُلِّ فردٍ، بل لابُـدَّ من بذل الأسباب والسعي الحثيث لتحصيلها واكتسابها، مع توفر أُسسها. ومن أُسسها تقوى الله تعالى، والإخلاص لله تعالى، والتوفيق، والعلم الشرعي، والتجربة، وبُعد النظر، والاستقامة، والعمل الصالح، والعقل، والتثبت.

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يدعو بالحكمة والأُسلوب الطيِّب، فإنَّ نجاح الدَّعوة متوقف على الحكمة.

ولقد أمر الله تعالى نبيه موسى ونبيه هارون عليهما السَّلام لمَّا أرسلهما إلى فرعون أن يقولا له قولاً ليناً وهو أطغى الطُّغاة. قال تعالى في أمره لموسى وهارون: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعلَّه يتذكَّر أو يخشى﴾[1].

وقال تعالى لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: ﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكَّل على الله إنَّ الله يحبُّ المتوكلين﴾[2].

فالأسلوب الحكيم والطريق المستقيم في الدَّعوة إلى الله تعالى أن يكون الدَّاعية في ذلك حكيماً متبصراً بالأساليب النافعة، ولا يعجل، ولا يعنف، بل

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٤

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩

يدعو بالرفق والحكمة، مستشهداً بالكتاب والسُّنَّة، ويحذر من الجهل والقول بدون تثبت، فإنَّه يضرُّ أشدَّ الضرر، والدَّعوة إلى الله مع الجهل بالأدلة قولٌ على الله بلا علمٍ وهذا خطرٌ عظيمٌ.

فالدَّاعية يفعل ما يرشد إليه الشَّرع، على الوجه الصحيح، في الوقت المعين، فيعرف الحقَّ ويعمل به، ويتحرَّى الإصابة في القول والعمل [1].

فالشريعة كلها حكمة، قال الله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾[2].

فما جاء به الرَّسول ﷺ من الكتاب والسُّنَّة كله حكمة، بل هو أعلى أنواع الحكمة على الإطلاق.

والدَّاعية إلى الله تعالى إذا عرف الحق فاتَّبعه، والباطل واجتنبه فهو حكيم.

ولهذا يجب أن تكون أقوال الدَّاعية وأفعاله وتدبيراته تابعة للحكمة، موافقة للصواب، غير متقدّمة على أوانها ولا متأخرة، ولا زيادة فيها عمَّا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٤٢٠، وفقه الدَّعوة إلى الله تعالى، للدكتور علي عبد الحليم محمود ١/٤٠٣، وفضل الدَّعوة إلى الله، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز صـ ٢٣

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٣

ينبغي ولا نفس. وأن يكـون في كُـلِّ صفاتـه وأحوالـه مجتهـداً في معرفـة نفعـه وصلاحه، سالكاً أقرب طريق موصِّلٍ له إلى ذلك.

فالدَّعوة إلى الله تعالى وإلى سبيله تشمل تعليم الجـاهل، وإرشـاد النـاس إلى ما ينفعهم في أمـور دينهـم ودنيـاهم، فـإذا سـلك الدَّاعـي في ذلـك طريـق الحكمة كان أقرب وأرجى لحصول مقصوده.

وعلى الدَّاعية أن يسلك سبيل الحكمة مـع نفسـه، فيراقبهـا في أعمالهـا، ويجتهد في تنمية وازع الديـن فيهـا، ويقـوي الرغبـة في أمـور الدَّعـوة إلى الله وعمل الخير عموماً، ويعمل على إضعاف دواعي الشَّرِّ فيها، ويلاطـف النَّفـس ملاطفة الطِّفل في تحصيل الأمور المطلوبة في سبيل الدَّعوة إلى الله، ونفع نفسه والمسلمين عامَّـة.

وينمي في نفسه الأخلاق الفاضلة، ويعطي نفسه من الرَّاحات والطَّيِّبات المباحة ما يسهل عليها معه القيام بالطَّاعات، ويستغل وقـت نشـاطها في تبليـغ دعوتـه للناس، مستخدماً وسائله العديـدة الحكيمـة في أمـور الدَّعـوة، مدركـاً تماماً كيفية استخدام هـذه الوسـيلة الـتي ارتآهـا وطبيعتهـا ووقتهـا والظـروف والأحوال المحيطة بـه، والتي لها تأثير في الإقـدام أو التوقـف، والسـر أو الجهـر، إلى غير ذلك.

وفي وقت فتور النَّفس يعطيها حظَّها من الرَّاحة، مع الحذر من جموحهـا إلى الانهماك في اللذات التي تشغل عن الأمور النَّافعة [1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٨٤، والرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة لعبـد الرحمـن ابن ناصر السـعدي صـ ٨٧ - ٩٢، والحكمـة في الدَّعـوة إلى الله للدكتـور زيـد بـن عبد الكريم الزيد صـ ٧٢، ٨٩ بتصرُّف.

## المبحث الرابع: أُسلوب الموعظة الحسنة عند ابن كثير:

**تعريف الموعظة لغة:** العِظَة: الموعظة، وَعَظْتُ الرَّجُلَ أعِظُه عِظَة وموعِظَة واتَّعظ: تقبَّل العِظَة، وهو تذكيرك إيّاه الخير ونحوه مِمَّا يرق له قلبه[1].

**قال الرَّاغب الأصفهاني:** الوعظ زجرٌ مقترنٌ بتخويفٍ[2].

**وجاء في لسان العرب:** الوعظ والعِظَة والموعظة: النُّصح، والتَّذكير بالعواقب، قال ابن سيده: هو تذكيرك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب أو عقابٍ[3]. والموعظة ما يوعظ به مِن قولٍ أو فعل[4].

والحسنة تقابل السيئة، والموعظة قد تكون حسنة، وقد تكون سيئة، بحسب ما يعظ به الإنسان في الخير والشر.

فالحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، ويترتب عليها ثواب، وكونها بعيدة عن الشبهة. والسيئة تضاد الحسنة، وهي الفعلة القبيحة.

قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾[5].

---

(١) انظر: كتاب العين، للفراهيدي ٢/٢٢٨

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٥٢٧

(٣) اللسان لابن منظور ٧/٤٦٦

(٤) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمَّد إسماعيل إبراهيم صـ٥٨.

وقال سبحانه: ﴿مَن يشفع شفاعةً حسنةً يكن له نصيبٌ منها ومَن يشفع شفاعةً سيئةً يكن له كِفْلٌ منها . . .﴾ الآية[1].

وقال جلَّ شأنه: ﴿قُل يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾[2].

فهناك فرقٌ كبيرٌ بين الحسنة والسيئة، فعلى المسلم، وبالأخصِّ الدَّاعية، أن تكون موعظته للنَّاس حسنة حتَّى يكتبَ الله له ذلك في الدُّنيا والآخرة. والموعظة إذا أُطلقت في القرآن فإنَّه يراد بها الموعظة الحسنة [3].

## تعريف الموعظة الحسنة في الاصطلاح:

قال ابن تيمية: والموعظة الحسنة تجمع التصديق بالخير والطاعة للأمر، ولهذا يجيء الوعظ في القرآن مراداً به الأمر والنهي بترغيبٍ في الحقِّ وترهيبٍ

---

=<

(٥) سورة فُصِّلَت، الآية: ٣٤

(١) سورة النساء، الآية: ٨٥

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن صـ ١١٨، ٢٥٣، وبصائر ذوي التمييز ٤٦٤/٢، وتفسير ابن كثير ٥٢٧/١، ٥٣١، ٤٧/٢، ١٠١

من الباطل. كما قال تعالى: ﴿ولو أنَّهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم...﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتّقين﴾[3] أي يتّعظون بها فينتبهون وينزجرون [4].

قال ابن كثير: الموعظة الحسنة: هي ما في الكتاب والسُّنّة من الزَّواجر والوقائع، ذكرها الله تعالى ليحذر النّاس من بأسه، فيفعلوا ما أمر الله به ويتركوا ما نهى عنه. قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[5].

ومن الزَّواجر التي ذكرها الله تعالى في القرآن، لتكون موعظة للنّاس، ما أصاب اليهود من البأس والنكال، في مقابلة ما ارتكبوه من

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٦

(٢) سورة النور، الآية: ١٧

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٦

(٤) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٤٥، ١٩/١٦٤

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥

محارم الله، وما تحيلوا به من الحِيَل، ليحْذَرَ منه المتقون أن يقعوا فيه فيصيبهم ما أصابهم [1].

إذاً فالموعظة هي: أمر بتقوى الله تعالى لاتباع الحق، وتحذير من غضبه لترك الباطل، وترغيب في موجبات رضا الله تعالى، مع استعمال ما يلين القلب ويبعث على العمل ويرشد إلى الخير حتى يؤثّر في النُّفوس ويكبح جماح النُّفوس المتمردة، ويزيد النُّفوس المهذّبة إيماناً وهدايةً، والدَّاعية إلى الله تعالى عليه أن يلاحظ ذلك في دعوته [2].

## مرادفات الموعظة الحسنة:

### ١) الذِّكر، والتَّذكير، والذِّكرى:

فالدَّاعية إلى الله تعالى واعظ ومذكر لأنّه مرشد للعقول، مهذّب للنُّفوس، منوِّر للمدارك، مُصَحِّح للعقائد، مُبَيِّن للعبادات، ناشر للعلم الصَّحيح - المستمدّ من كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ - للناس، حاثّاً لهم على العمل به، مخالطاً لهم لتأليف قلوبهم. يعمل على إخراج النَّاس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، محذّراً لهم من الخرافات والدَّجل والأباطيل.

قال تعالى: ﴿فذكِّر بالقرآن مَن يخاف وعيد﴾[3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٠٧، ٥٢٢، ٢/٥٩١ بتصرُّفٍ يسيرٍ.

(٢) انظر: هداية المرشدين صـ ٧١ - ٧٢، والموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السنة للشيخ صدّيق حسن خان صـ ٢٢، والحكمة في الدَّعوة إلى الله صـ ٤٨٢

(٣) سورة ق، الآية: ٤٥

وقال سبحانه: ﴿وذكِّر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وذكِّر فما أنت بنعمة ربك بكاهنٍ ولا مجنونٍ﴾[2].

وقال جلَّ شأنه: ﴿فذكِّر إنَّما أنت مُذكِّر﴾[3].

ولقد قام الدَّاعية الأوَّل رسول الهدى ﷺ بتذكير النَّاس ما أرسله الله تعالى إليهم به من دين الحق، وانتفع بهذه الذِّكرى أصحاب القلوب المؤمنة بالله تعالى[4].

**٢) الإرشاد:**

والإرشاد هو الدَّلالة على طريق الخير والدَّعوة إلى صراط الله المستقيم ولزوم الاستقامة.

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يرشد النَّاس إلى الإسلام والأخذ به، فالدَّعاة جميعاً وعلى رأسهم رسولنا محمَّد ﷺ لهم هداية الدِّلالة والإرشاد، وأمَّا هداية التوفيق والقبول فهي لله تعالى وحده.

قال تعالى: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي مَن يشاء﴾[5].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥

(٢) سورة الطور، الآية: ٢٩

(٣) سورة الغاشية، الآية: ٢١

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٢٣٨، ٥٠٤

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢

وقال تعالى: ﴿إنَّك لا تهدي مَن أحببت ولكنَّ الله يهدي مَن يشاء﴾[1].

وقال تعالى مبيناً هداية الدلالة والإرشاد في قصة مؤمن آل فرعون: ﴿وما أهديكم إلاَّ سبيل الرشاد﴾[2].

٣) القصص:

الموعظة الحسنة ينبغي أن يكون فيها شيء من القصص للعبرة، ولكن على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يتحرَّى الصِّدق والتثبُّت في قصصه، قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[3]

وقال سبحانه: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أشد منهم بطشاً فنقَّبوا في البلاد هل من محيص * إنَّ في ذلك لذكرى لمَن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد﴾[4].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٩

(٣) سورة يوسف، الآية: ١١١

(٤) سورة ق، الآيتان: ٣٦ - ٣٧

فالعظة بالقصص من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة في ذلك عبرة لأصحاب القلوب النيِّرة، فيثبتوا على دين الله ولا يحيدون عنه، فإنَّ النَّجاة للمؤمنين، والهلاك والخسران للكافرين [1].

٤) النُّصـــح:

فالدَّاعية إلى الله تعالى يجب عليه أن يمحص النصح لإخوانه المسلمين.

قال تعالى عن نوح عليه السَّلام: ﴿أُبَلِّغكم رسالات ربي وأنصح لكم﴾[2].

وقال عن هود عليه السَّلام: ﴿أُبَلِّغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين﴾[3].

وقد ذمَّ الله مَن لم يقبل النصيحة، قال تعالى عن صالح عليه السَّلام: ﴿ونصحتُ لكم ولكن لا تحبُّون النَّاصحين﴾[4].

فمن لا يحب الحق ولا يتبعه لا يقبل النصح ولا ينتفع بالنصيحة، بل يخرج من الهدى إلى الضَّلال.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٩٨، ٤/٢٢٩

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٢

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٦٨

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٧٩

قال ابن كثير رحمه الله: إنَّ شأن كُلّ رسول أن يكون مبلّغاً فصيحاً ناصحاً عالماً بالله، لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات. إضافةً إلى البلاغ: الأمانة، والفطانة، والصِّدق. جاء في صحيح مسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعاً: **(يا أيُّها النَّاس إنَّكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟. قالوا: نشهد أنَّك قد بلّغت وأدَّيت ونصحت. فجعل يرفع اصبعه إلى السماء وينكتها عليهم ويقول: اللهم اشهد. اللهم اشهد)** [1].

**٥) القول الحسن والبلاغ:**

فالموعظة الحسنة ينبغي أن تكون بالقول الحسن لإبلاغ شرع الله تعالى للنَّاس. قال تعالى: ﴿وقولوا للنَّاس حُسناً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الرَّسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته والله يعصمك من النَّاس إنَّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾[3].

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حَجَّة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ٢/٨٩٠ والحديث في صحيح مسلم طويل اقتصر ابن كثير على ما ذكره في تفسيره ٢/٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٧

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧

وقال سبحانه: ﴿ومَن أحسنُ قولاً مِمَّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنَّني من المسلمين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿الذين يبلِّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاَّ الله وكفى بالله حسيباً﴾[2].

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يكون كلامه طيِّباً ليِّناً في غير ضعف، حازماً في غير عنف، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر بالرِّفق والمعروف.

والرَّسول ﷺ وهو قدوة الدُّعاة إلى الله، قد امتثل أمر الله سبحانه وتعالى، فبلَّغ جميع ما أرسله الله تعالى به، وقام به أتمَّ قيام، وشهدت أُمَّته له بأنَّه بلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة. والله تعالى قد مدح عباده المبلِّغين دعوة الله إلى خلقه.

فالدَّعية إلى الله تعالى عليه ألاَّ يُقَصِّر في التَّبليغ، أو يصيبه ضعف أو يلحقه فتور.

ومِن مقتضيات القول الحسن وحسن أداء التبليغ أن يكون كلام الدَّاعية مشتملاً على الألفاظ الحسنة، والمعاني الجميلة، واضح العبارة، بعيداً عن

---

(١) سورة فُصِّلَت، الآية: ٣٣

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩

التكلُّف في النُّطق، مثيراً رغبة المدعو إلى السَّماع، متضمِّناً هذا الكلام الدَّعوي التحذير والإنذار والبشارة والثواب والعقاب.

عن أبي سعيد الخدري [1] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال ثُمَّ لا يقوله، فيقول الله: ما يمنعك أن تقول فيه ؟ فيقول: رب خشيت النَّاس. فيقول الله: فأنا أحق أن يُخشى)** [2].

## كيف يدعي بأسلوب الموعظة الحسنة ؟:

إذا رأى الدَّاعي إلى الله تعالى مِمَّن يدعوه بأُسلوبِ الموعظة الحسنة جفاءً وإعراضاً عن قبول الحق وتوقُفاً فيه، دعاه إلى دين الحق بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب والترهيب، أو بهما معاً إذا اقتضت الحال ذلك.

---

(١) الإمام المجاهد، مفتي المدينة سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة، من الخزرج، شهد الخندق، وبيعة الرضوان، حدَّث عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأطاب، وعن أبي بكر وعمر، وكان أحد الفقهاء المجتهدين، حدَّث عنه ابن عمر، وأنس، وجابر، وجماعة من أقرانه، مات سنة ٧٤ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي ١٦٨/٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤٩٢/٣، ومسند الإمام أحمد ٣٠/٣، وتفسير ابن كثير ١٢٠/١، ٧٧/٢، ١٠٠/٤، وهداية المرشدين صـ ٧٢، وأصول الدَّعوة لعبد الكريم زيدان صـ ٤٥٢، وقواعد الدَّعوة إلى الله، للدكتور همَّام عبد الرحيم بن سعيد، صـ ٣٥

قال تعالى: ﴿هذا بيانٌ للنَّاس وهُدىً وموعظةٌ للمتَّقين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصُّدور، وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[2].

وقال تعالى بعد أن قصَّ أنباء الرُّسُل على نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ لتثبيت فؤاده: ﴿وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾[3].

والدَّاعية يدرك تماماً أنَّ القرآن الكريم موعظة وركيزة قوية من ركائز الدَّعوة، ففيه خبر مَن قبلنا، وهو هدى لقلوبنا، وزاجر عن اقتراف الفواحش وانتهاك الحرمات وفعل الآثام، وذكر يتذكّر بها المؤمنون[4].

**ولكي تُحَقَّق الموعظةُ الحسنةُ نتائجها ينبغي مراعاة أُمورٍ عِدَّةٍ منها:**

**١) اختيار الوقت المناسب للموعظة:**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧

(٣) سورة هود، الآية: ١٢٠

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ١/٤٠٨، ٢/٤٢١، ٤٦٦، وفضل الدعوة لابن باز صـ ٢٣ والصحوة الإسلامية لابن عثيمين صـ ٩٠

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى ألاَّ يثقل على من يدعو، ولا يتكلَّف في موعظته، وينتهز نشاطه في القيام بالدَّعوة إلى الله. وإذا رأى بعض الفتور أو الكسل من المدعوين فعليه أن يسكت.

قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه: يا أبا عبد الرحمن إنَّا نحب حديثك ونشتهيه، ولوددنا أنَّك حدَّثتنا كُلَّ يوم، فقال: ما يمنعني أن أحدثكم إلاَّ كراهية أن أملكم. إنَّ رسول الله ﷺ كان يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا [1].

**٢) على الدَّاعية إلى الله تعالى** أن يعلم أنَّ الوعظ والتَّذكير بالله تعالى، ولزوم صراطه المستقيم، قد قام به أشرف الخلق وهم رسُل الله وأنبياؤه، ولم يتقاعسوا أو يخلدوا إلى الرَّاحة أو يجلسوا في مكانٍ قد لا يعلم بهم فيه أحَد، بل كانوا ينتشرون في الأرض لنشر دين الله.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم ٦٨، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الإقتصاد في الموعظة ٤/٢١٧٣، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٧٧، ٤٢٥، وأسس الدعوة وآداب الدُّعاة، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري صـ ٢٢

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً * وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً﴾[1].

فالرَّسول ﷺ قام بأمر دعوة النَّاس إلى الله وإلى دينه، فعلى أتباعه من الدُّعاة وعموم المسلمين أن يسيروا على ما سار عليه الرسول ﷺ في ربط النَّاس بالله وتذكيرهم به [2].

**٣) على الدَّاعية إلى الله تعالى** أن يدرك أنَّ الوعظ يتعلّق بأشرف الأُمور وهي الدينية، فالدَّاعي يدعو إلى دين الله تعالى لا إلى أمور الدُّنيا.

**٤) على الدَّاعي إلى الله تعالى** أن يضع في ذهنه أنَّ العاقبة حميدة لمن ثبت على دين الله ووعظ النَّاس بذلك، فهو متحلٍّ بالفضيلة، بعيد عن الرذيلة، ومآله الفوز بالسعادة الأبدية في الآخرة [3].

## أهميَّة أُسلوب الموعظة الحسنة للدَّاعية:

إنَّ عمل الدَّاعية بأُسلوب الموعظة الحسنة هو امتثالٌ لأمر الله تعالى، حيث قال سبحانه: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ...﴾[4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥ - ٤٧

(٢) تفسير ابن كثير ٤٩٧/٣

(٣) انظر: هداية المرشدين، للشيخ علي محفوظ صـ ٧٢ - ٧٣

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلَّكم تذكَّرون﴾[1].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قل إنَّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثُمَّ تتفكروا ما بصاحبِكُم من جنَّة إن هو إلاَّ نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ﴾[3].

فعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يهتم بأمر العقيدة، وتثبيتها لدى المسلمين، وتعميق التوكُّل على الله تعالى، ونبذ الشرك قليله وكثيره، والقيام لله تعالى بإخلاص من غير هوى ولا عصبية[4].

ليعلم الدَّاعية إلى الله تعالى أنَّ الرسول ﷺ جعل النَّصيحة - وهي مرادفة للموعظة - أساساً في الدين، بل إنَّ بعض الصحابة لمَّا بايع الرسول ﷺ على الدخول في الإسلام، اشترط على نفسه النُّصح لكُلِّ مسلمٍ، وهذا يدل على أهمية استخدام أُسلوب الموعظة في الدَّعوة إلى الله.

---

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٣

(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٦

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٥٤٣

قال رسول الله ﷺ: (**الدين النَّصيحة. قلنا: لِمَن يا رسول الله ؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامَّتهم**) [1].

وعن جرير بن عبد الله [2] رضي الله عنه قال: (**بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، والنُّصح لكُلِّ مسلمٍ**) [3].

## المبحث الخامس: المجادلة بالتي هي أحسن:

**تعريف الجدل في اللغة:** أصل الجدل: الفتل.

وهو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلةً وجِدالاً أي خاصمه. ورجل جَدِلٌ، ومِجْدَلٌ، ومِجْدَالٌ: شديد الجِدال، يُقال:

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين النصحية، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدين النصيحة ١/٧٤، وسنن النسائي، كتاب البيعة، النصيحة للإمام ٧/١٥٦

(٢) هو: جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، أسلم قبل وفاة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً، وكان حسن الصورة، وكان له أثر في الحروب، وجمع قبيلته بجيلة، مات عام ٥٤ هـ. (أُسد الغابة ١/٣٣٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث رقم ٥٧، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدين النصيحة ١/٧٥

جادلت الرجُلَ فجَدَلْتُهُ جَدَلاً، أي غلبته. والاسم: (الجدَل) وهو شـدَّة الخصومة [1].

**وفي المعجم الوسيط:** المُجَادَلَة (في علم المناظرة) هي المناظرة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم [2]. ويدخل في ذلك مقابلة الحُجَّة بالحُجَّةِ.

## تعريف الجدل في الاصطلاح:

هو المفاوضة على سبيل المنازعة لإلزام الخصم [3].

**وقال صاحب المصباح المنير:** استعمل الجدل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها [4].

والجدل أيضاً هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلاّ بمنازعة غيره [5].

## أسلوب المجادلة في القرآن:

القرآن الكريم كتاب هداية ونور ودعوة، وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، وهو المعجزة الخالدة.

---

(١) لسان العرب ١١/١٠٥

(٢) المعجم الوسيط ١/١١١

(٣) انظر: مناهج الجدل في القرآن، للدكتور زاهر بن عواض الألمعي صـ ٢٠

(٤) المصباح المنير صـ ١٢٨

(٥) كتاب الكليّات لأبي البقاء صـ ١٤٥

قال تعالى: ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً * قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويُبَشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً حسناً﴾[2].

والقرآن الكريم سمّاه الله تعالى فرقاناً، لأنّه يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام.

وهو أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظُّلُمات إلى النُّور، وجعله كتاباً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيغ، بل يهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ واضحٍ بَيِّنٍ جليٍّ، لينذر به الكافرين ويبشِّر المؤمنين.

ولهذا أودع الله فيه من البراهين والحجج القاطعة لإبطال الأفكار والعقائد والدَّعوات الفاسدة التي لا تعتمد إلاّ على حججٍ واهية، ولا غرابة أنْ نجد في القرآن العظيم أساليب جدلية مقنعة واضحة صادقة لمواجهة أي انحرافٍ عن منهج الله القويم والفطرة السليمة قديماً وحديثاً[3].

## أقسام الجدل وحكمها كما هو مبيَّن في القرآن:

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١ - ٢

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٧١، ٣٠٨ بتصرُّفٍ يسيرٍ.

ينقسم الجدل إلى قسمين:

**١) جدال محمود:**

وهو ما كان المراد منه إحقاق الحق ونصرته والدَّعوة إليه، بنيـةٍ خالصةٍ وطريقٍ صحيحٍ من أجل إقامـة الحُجَّة.

قال الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[١].

وقـال تعـالى: ﴿ولا تجـادلوا أهـل الكتـاب إلاَّ بـالتي هـي أحسـن إلاَّ الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾[٢].

يأمر سبحانه نبيه محمَّداً ﷺ بالدَّعوة إلى سبيله، ومَن احتاج من أهل الكتاب إلى استبصارٍ في الدِّين فإنَّه يناظر ويجادل بالوجه الحسن برفقٍ ولينٍ وحسنِ خطاب [٣].

كما أمر الله موسى وهارون عليهما السَّلام حين بعثهما إلى فرعون أن يلينا له في القول ﴿فقولا له قولاً لَيِّناً لعله يتذكَّر أو يخشى﴾[٤].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٩١، ٣/٤١٥ بتصرُّف.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٤

فالجدال للوصول إلى الحق، وبإقامة الحجة، وعن علم. فمَن لا عِلم له ولا تحقيق فلا يجادل، فقد يضر أكثر مِمَّا ينفع..

أمَّا من عنده العلم فيجوز له الجدال والمجادلة ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1].

وقال تعالى عمَّن يجادل بلا علم: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[2] [3].

**٢) جدال مذموم:**

كل جدال باطل أو مفضٍ إليه. و لا يؤدي إلى خير، فهو مذموم.

قال تعالى: ﴿ما يجادل في آيات الله إلاَّ الذين كفروا فلا يغررك تقلُّبهم في البلاد﴾[4].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦

(٣) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمّد القرطبي ٤/١٠٨ - ١٠٩

(٤) سورة غافر، الآية: ٤

وقال تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فاخذتهم فكيف كان عقاب﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قومٌ خصمون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ومن النّاس من يجادل في الله بغير علمٍ ويتّبع كلّ شيطانٍ مريدٍ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ومن النّاس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هُدىً ولا كتابٍ منيرٍ﴾[4].

لقد بيّن الله تعالى في الآيتين الأوليين أنّه ما يدفع الحق ويرده، ويورد الشبهة، ويجادل في الباطل إلاّ الذين كفروا وجحدوا آيات الله وحججه

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥٨

(٣) سورة الحج، الآية: ٣

(٤) سورة الحج، الآية: ٨

وبراهينه، بعد أن ظهر لهم الحق الواضح الجلي بكلِّ جلاءٍ ووضوحٍ وبيانٍ وبرهانٍ [1].

وقد ذمَّ الله تعالى في القرآن ثلاثة أنواع من المجادلة: ذمَّ صاحب المجادلة بالباطل ليدحض به الحق، وذمَّ المجادلة في الحق بعد ما تبيَّن، وذمَّ المحاجَّة فيما لا يعلم المحاج.

فقال تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يجادلونك في الحق بعد ما تبيَّن﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلمَ تحاجُّون فيما ليس لكم به علم﴾[4].

والذي ذمَّه السَّلف والآئمة من المجادلة والكلام هو من هذا الباب، فإنَّ أصل ذَمّهم الكلام هو الكلام المخالف للكتاب والسُّنَّة، وهذا لا يكون في نفس الأمر إلاَّ باطلاً، فمَن جادل به جادل بالباطل [5].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٧٠ - ٧١

(٢) سورة غافر، الآية: ٥

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦

(٥) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمَّد رشاد سالم ٧/١٧٠

ومن الجدل المذموم الجدل في آيات الله. قال تعالى: ﴿ما يجادل في آيات الله إلاّ الذين كفروا﴾[1].

فالجاحدون لآيات الله تعالى هم الذين يجادلون لدفع الحق بما لديهم من حُجَّةٍ باطلةٍ، أو يعارضون أقوال الرُّسُل عليهم السَّلام بأقوال غيرهم من كلام الكُفَّار.

ومِنَ المعلوم أنَّ كُلَّ من عارض القرآن، وجادل في ذلك بعقله ورأيه، فهو داخل في الذَّمِّ، وإن لم يزعم تقديم كلامه على كلام الله ورسوله، بل إذا قال ما يوجب الشَّك في كلام الله، فقد دخل في الكُفْر، فكيف بمَن يزعم أنَّ ما يقوله بعقله ورأيه مقدَّم على نصوص الكتاب والسُّنَّة، والله تعالى يقول مبيِّناً خطر هذا الجدال المذموم: ﴿وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾[2].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطانٍ أتاهم إن في صدورهم إلاَّ كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنَّه هو السميع العليم﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطانٍ أتاهم كَبُرَ مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كُلِّ قلب متكبرٍ جبَّار﴾[2].

فالذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحُجَج بغير دليلٍ وحجَّةٍ معهم مِنَ الله تعالى، فإنَّ الله يمقت ذلك أشد المقت، والمؤمنون يبغضون من تكون هذه صفته، ومَن تكون هذه صفته فإنَّ الله يطبع على قلبه فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

والحق لا يدفع بالباطل، والحُجَج الهابطة، والشُّبَه الفاسدة الخالية من البرهان والحُجَّة من الله تعالى، ولا يفعل ذلك إلاَّ مَن كان في صدره كبر وتعالٍ عن اتِّباع الحق، واحتقار لمن جاء به، وهو طريق أهل

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٦

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٥

النِّفاق والإلحاد، وطريق أهل الجهل والارتياب، لا طريق ذي عقل ولا ذي دين [1].

## وقد ورد الجدل في القرآن على ثلاثة أوجهٍ، هي:

١) ما ردَّ الله به على الخصوم من الحُجَج والبراهين، وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعد المِلّة مِمَّا جاء على ألسنة رسله وأنبيائه، وما ألهم الله به عباده الصَّالحين من قولٍ بالحق ودفعٍ للباطل. وهذا جدل بالحق، بل هو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله إلى أهل الأرض ودفع ما يورده المضلون من شبهات، وإزالة ما يقف في طريقها من عقبات، وكشف ما يُحاك من مؤامرات وما يدبر لها من كيدٍ وضلال.

وهذا النوع من الجدل القرآني وإن كان فيه معنى الإلزام إلاّ أنّه مشتمل على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والصَّواب.

ومن أمثل هذا النوع جدال إبراهيم لأبيه وقومه، وجدال موسى لفرعون وللسحرة، وجدال مؤمن آل فرعون لقومه في سورة غافر، وجدال الملائكة مع الله تعالى في سورة البقرة،

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمَّد رشاد سالم ٢٠٦/٥ - ٢٠٧، وتفسير ابن كثير ٧٩/٤، ٨٤

وجدال خولة بنت ثعلبة [1]، قال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾[2].

٢) ما ورد في القرآن بطريق الحوار، والمقصد منه الاسترشاد، والعِظَة، والإعتبار، أو الترجي والدُّعاء، كجدال إبراهيم عليه السلام مع ربه حين قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعةً من الطير فصرهن إليك ثُمَّ اجعل على كُلِّ جبلٍ منهنَّ جزءاً ثُمَّ ادعهن يأتينك سعياً واعلم أنَّ الله عزيزٌ حكيم﴾[3] [4].

---

(١) خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة، وهي زوجة أوس بن الصَّامت، أنزل الله فيها وفي زوجها الآية الأولى من سورة المجادلة. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدرها، وقد نصحت عمر مراراً، وكانت تقول له: اتَّق الله يا عمر في الرَّعية. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٢٨٩ - ٢٩٠

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠

(٤) انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، للدكتور زاهر عواض الألمعي صـ ٢١ - ٢٢

٣) ما يأتي على ألسنة الكفّار من الإعتراضات والشُّبه والدَّعاوى الباطلة التي حكاها القرآن الكريم وبيَّن بطلانها وما تنطوي عليه من مفاسد، ويدخل ذلك في الجدل المذموم.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: باب في مجادلة المشركين رسول ا لله ﷺ، وإقامة الحجَّة الدَّامغة عليهم، واعترافهم في أنفسهم بالحق، وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً.

وقد ساق رحمه ا لله في هذا الباب ما جرى بين الرسول ﷺ وبين المشركين المكذبين له وكيف أفحمهم وألزمهم الحُجَّة [1].

## مَع مَن يحاول الجدل ؟ وبأي أُسلوب يجادل الدَّاعية إلى ا لله فيه ؟:

تكون المجادلة مَع مَن لا يعترف بالحق وينازع فيه ولا يتّبعه، أو مع مَن لديه شبهة، ومَع مَن عنده إعراض عن الخير واندفاع إلى الشر ومحاجَّةً فيه.

أمَّا أي الأساليب يأخذ بها الدَّاعية إلى ا لله تعالى في المجادلة مع مَن يدعو ؟ فإنَّ عليه أن يأخذ بأُسلوب الجدل بالتي هي أحسن، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[2].

---

(١) البداية والنهاية ٣/٥٩، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٩٨

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥

**والجدل الأحسن**: هو الذي يجمع بين التّصديق والطّاعة، لأنَّ الجدل مظنّة الإغضاب، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان كدفع الصّائل.

والمراد بالأحسن: (أو بالتي هي أحسن: أي بالطريق الأحسن، أي بالحسنى): الأحسن في الأُسلوب، والأحسن في الإقناع، والأحسن أي الأوضح دليلاً حتّى لا يبقى لدى المجادل شيء يجادل به.

فإذا سلك المدعو سبيل الحق بعد الجدال بالتي هي أحسن ولزم جانب العدل فاعترف بالحق وأذعن له وترك طريقه المعوج، وإلاّ انتقل معه إلى ما أشار إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن إلاّ الذين ظلموا منهم**﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: أي حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح المحجَّة، وعاندوا وكابروا، فحينئذٍ ينتقل من الجدال إلى الجلاد والمقاتلة بما يمنعهم ويردعهم. لكن هذا العمل والانتقال إلى هذا الأُسلوب وهو الجلاد والمقاتلة من اختصاص ذوي السلطان وولي أمر المسلمين بمن ينيب عنه.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦

فسلوك الأفراد لها إذا لم يكونوا من ذوي السلطة، قد يحدث من الفوضى ما يكون فيه ضرر كثير وفساد كبير وخطر جسيم [1].

وعلى الدَّاعية إلى الله تعالى أن يتزود من العلم الشرعي، ويلم بما قاله علماء الإسلام في مسألة الرد على الملحدين وأهل البدع وغيرهم مِمَّن حادوا عن الصراط المستقيم، وتحقَّق فيهم قول الله تعالى: ﴿أفرأيت مَنِ اتَّخذ إلهه هواه وأضلَّه الله على علمٍ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكَّرون﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿أرأيت مَنِ اتَّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾[3].

قال ابن تيمية: " فكُلُّ من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين " [4].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٤٥، وتفسير ابن كثير ٣/٤١٥ - ٤١٦، ورسالة في الدَّعوة إلى الله تعالى، للشيخ محمَّد الصالح العثيمين صـ ١٢ - ١٣

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٣

(٤) درء تعارض العقل والنقل ١/٣٥٧، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/٦٩ - ٧٠

## أهمية المجادلة بالحسنى في سبيل الدَّعوة إلى الله:

إنَّ إيضاح دين الله وبيان أحكامه وفضائله، وأنَّه الدين الحق، وأنَّ النَّاس جميعاً يجب أن يدخلوا فيه ويتركوا ما سواه، أمرٌ يرتضيه ولا ينازع فيه أهل الهدى والإيمان.

أمَّا مَن كان بعيداً عن الإسلام أو لديه اعتراض أو شبهة، فهذا الذي يجب على الدُّعاة هدايته إلى دين الله تعالى، وإزالة كُلّ شبهة ممَّن له شبهة، والرد على كل اعتراض.

ولكن كيف يتم ذلك ؟ بإدراك الدَّاعية لأُسلوب الجدل في القرآن والسُّنَّة، فإنَّ ذلك يفيد كثيراً في مجال الدَّعوة إلى الله.

فعلى الدَّاعية أن يعرف أُسلوب الجدل، وأنه يكون بالحسنى بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل وتقبيح له، حتى يطمئنَّ إلى الدَّاعي، ويشعر أنَّه ليس هدفه الغلبة في الجدل، بل هدفه الإقناع والوصول إلى الحق.

فالنفس البشرية لها عزها وكبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلاَّ بالرفق وحسن التأتي، حتى لا يشعر بالهزيمة. والجدل بالحسنى هو الذي يُطامِن من هذه الكبرياء الحسَّاسة، ويشعر المجادل أنَّ كرامته مصونة، وأنَّ الدَّاعي لا يقصد إلاَّ كشف الحقيقة في ذاتها، والإهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته، ونصرة رأيه، وهزيمة الرأي الآخر.

فالدَّاعية عليه أن يبذل قصارى جهـده في البيـان، ولا ضـرورة للحاجَّـة وشدة المحاجـة، وإخـراج الجـدل عمَّـا بيَّنـه الشـرع، لأنَّ القـرآن الكريـم بيَّـن أنَّ الله تعالى هو الأعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين.

لـذا يـلزم الدَّاعيـة أسـلوب الجـدل فيمـن يجـادل مـا دام الأمـر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة. فإذا وقع الإعتداء على أهـل الدَّعـوة فإنَّ الموقف يتغيَّر. فالإعتداء عمل مادي يدفع بمثله، إعزازاً للحق، ودفعاً لغلبـة الباطل، في حدود ما أرشد إليه الشرع.

وما ورد في الكتاب والسُّنَّة من صور المجادلـة بالحسنى، فإنَّـه يفيـد في الدَّعوة للحق، ورد كُلِّ بـاطل ينافيـه، فـلا تجـد طريقـاً نافعـاً لإحقـاق الحـق، وإبطال البـاطل، إلاَّ وقـد رسمـه القـرآن علـى أكمـل وجـه، وأوضحتـه السُّـنَّة أتمّ إيضاح [1].

على الدَّاعي إلى الله تعالى أن يدرك أنَّ الجـدل أمرٌ فطـريٌّ جُبِـلَ عليـه الإنسان. والأُمور الفطرية لابُـدَّ للدَّاعي أن يراعيها ويهتـم بهـا ويلاحظهـا في دعوتـه حتى تُؤتي ثمارها طيبة، ونتائجها مفيدة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤١٥

وانظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي صـ ٤٣، و في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/٢٢٠٢

قال تعالى: ﴿ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للنَّاس مِن كُلِّ مثلٍ وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جدلاً﴾[1].

قال ابن كثير - رحمه الله -: يقول الله تعالى ولقد بيَّنا للنَّاس في هذا القرآن، ووضَّحنا لهم الأمور وفصَّلناها كيلا يضلوا عن الحقِّ ويخرجوا عن طريق الهدى. ومع هذا البيان، وهذا الفرقان، فالإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحقِّ بالباطل إلاَّ مَن هدى الله وبصَّره لطريق النجاة.

لقد طرق رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما ليلةً فقال: **(ألا تصلّيان)** ؟ فقال عليٌّ: يا رسول الله إنَّما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. قال عليٌّ: فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليَّ شيئاً، ثُمَّ سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثرَ شيءٍ جدلاً﴾[2].

ولأهمية الجدل في سبيل الدَّعوة إلى الله تعالى وإقامة الحجة، ودحض شُبَه المعارضين والمعاندين، أمر الله به فقال: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وذكر الله تعالى في القرآن استخدام الأنبياء والمرسلين

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٤

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٩٠، والحديث أخرجه مسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فيمن روى نام الليل أجمع حتَّى أصبح ١/٥٣٧ - ٥٣٨، وسنن النسائي، كتاب قيام الليل، باب الترغيب في قيام الليل ٣/٢٠٣ - ٢٠٤

عليهم السَّلام للجدل مع أممهم في سبيل الدَّعوة إلى الله تعالى لإعلاء كلمة الله. قال تعالى: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصَّادقين﴾[1].

وما ورد عن السَّلف رحمهم الله في ذَمِّهم الجدل يحمل على الجدل المذموم، كأن يكون جدالاً في الله تعالى وصفاته وآياته، أولا يكون قصد المجادل معرفة الحق واتِّباعه، وإنَّما المكابرة مع علمه بما هو الحق ولكنه لا يسلم ولا يذعن ويتابع، بل يصر على ما هو عليه من الباطل والإنحراف [2]

---

(١) سورة هود، الآية: ٣٢

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله ٩٢/٢ باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء.

## بعض خصائص الجدل وتأثيره:

١) الجدل لابُدَّ فيه من العلم والمعرفة، فلا يصح الجدال من غير علم، وقد عاب الله تعالى على الذين يجادلون بغير علم.

قال الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لِمَ تحاجُّون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلاَّ مِن بعده أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلِمَ تحاجُّون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[1].

٢) إقامة الحُجَّة على المجادل، حتّى لا يبقى عنده شيء يحاج به، فأصل الجدل: إلزام الخصم الحُجَّة واضحة، ولا يترك للخصم حُجَّة يتمسَّك بها أو شبهة يستدل بها على باطله.

قال تعالى ﴿ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربّه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإنَّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظَّالمين﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٦٥ - ٦٦

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨

٣) الجدل يستهدف الحقائق في ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج الدَّالة على الأمور المعينة، كقصَّة نوح مع قومه.

فالجدل لا يحرج المجادل لأجل إهانته وإذلاله لأي غرضٍ دنيوي، بل يقتصر على الجدال فيحاج ويناظر للوصول إلى إيضاح سبيل الله.

٤) الجدال في الدعوة إلى الله تعال لا يسلك فيه طرق المنطق والفلسفة المعقدة في ترتيب المقدمات والنتائج بأشكال منطقية، فالقرآن جاء بلسانٍ عربيٍ مبينٍ بعيدٍ عن المصطلحات المنطقية المعقَّدة.

٥) الجدال في الحق: تنوع في الخطاب والمجادلة سواء التَّعجب أو الإستهزاء أو الإستغراب. فيسلك الجدل الحق مسالك ثابتة حتَّى يصل إلى القناعة. ويجمع بين التَّرغيب والتَّرهيب [1].

٦) الجدل في الشرع: يجمع بين الإنصاف في الدَّعوة والإلزام في النتيجة.

ولنتأمَّل قول الله تعالى: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدَّمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتَّبع آياتك ونكون من المؤمنين * فلمَّا جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم

---

(١) انظر: مناهج الجدل في القرآن صـ ٤١٨ - ٤١٩

يكفروا بما أُوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنَّا بكلٍّ كافرون * قل فأتوا بكتابٍ من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾[1].

فالله تعالى قد أرسل الرُّسُل، فأقاموا الحُجَّة على الخلق، فإذا جاءهم سخط وعذاب من الله تعالى بسبب كفرهم وإعراضهم عن دين الله لا يكون لهم حُجَّة فيقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذير. فردَّ الله تعالى ذلك بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلاَّ يكون للنَّاس على الله حُجَّةٌ بعد الرُّسُل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾[2].

ويقول سبحانه: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترةٍ من الرُّسُل أن تقولوا ما جاءنا مِن بشيرٍ ولا نذير فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كل شيءٍ قدير﴾[3].

فببعثه نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ هدى الله الخلائق بعد أن كان الدين ملتبساً على أهل الأرض قبل مبعثه، فأخرجهم الله من الضلال إلى الهدى، وتركهم على المحجَّة البيضاء والشريعة الغرَّاء[4].

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٤٧ - ٤٩

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٩

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣٩٢/٣

٧) الجدل الذي ذكر في القرآن والذي ينبغي أن يسلكه الدُّعاة إلى الله يراعى فيه التعامل مع الخصوم بما يتناسب مع أحوالهم.

فمثلاً جدل المشركين جدل هداية وإرشاد، وجدل أهل الكتاب جدل إلزام لأنّه مع من علم. وجدل المنافقين يظهر عليه القوة والشدة مقروناً بالتهديد.

قال تعالى في شأن الكُفّار: ﴿قُل إنَّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثُمَّ تتفكّروا ما بصاحبكم مِن جِنَّة إنْ هو إلاَّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾[1].

وقال تعالى بعد أن بيَّن تناقض أهل الكتاب فيما يدعون: ﴿كُلُّ الطَّعام كان حِلاًّ لبني إسرائيل إلاَّ ما حرَّم إسرائيلُ على نفسه مِن قبل أن تنزَّل التَّوراة قُل فأتوا بالتَّوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾[2].

وقال تعالى عن المنافقين حيث يظهر في الجدل معهم الشِّدَّة والتَّهديد: ﴿ومِنَ النَّاس من يقولوا آمنَّا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ إلى

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٦

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٣

قوله سبحانه: ﴿أولئك الذين اشتروا الضَّلالة بالهُدى فما رَبِحَت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾[1].

٨) أسلوب الجدل في القرآن يخاطب العقل والوجدان ويؤثر فيهما، مِمَّا يجعله يحمل طابعاً لا يلتبس معه غيره.

فأسلوب القرآن لا يدانيه أسلوب من الأساليب الكلامية. ولا عجب فهو كلام الله تعالى. والله تعالى خَلَقَ الإنسان وهو الذي أودع فيه العقل والإدراك والتمييز، فمن عقل وأحكم أمره فلا شك في أنّه ينتفع بكلام الله ويؤثر فيه فيؤمن به وبما جاء به رسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمَن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد﴾[3].

والقرآن محفوظ من الزيادة والنُّقص والتّحريف والتغيير بإذن الله. وهو كتاب دعوة إلى دين الله تعالى، لأنّه مشتمل على البراهين وجميع

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٨ - ١٦

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩

(٣) سورة ق، الآية: ٣٧

أنواع الأدلّة، وما مِن برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من الكُلِّيَّات العقلية والسمعية، إلاّ وكتاب الله قد نطق به [1].

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٤٧، ٤/٢٢٩، ٢٤٤، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي صـ ٢٤ - ٢٥، والنبأ العظيم للدكتور عبد الله دراز صـ ١٠٠ - ١٠١، والوحي المحمَّدي، لمحمَّد رشيد رضا صـ ٩٥، وإعجاز القرآن، لمصطفى صادق الرافعي صـ ١٦٦ - ١٦٧، وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم صـ ١٣٠ - ١٣١

# الفصل الرابع

## دراسة في أسلوب الترغيب والترهيب

## عند ابن كثير رحمه الله

المبحث الأول: الاستشهاد بالكتاب والسنّة

المبحث الثاني: الاستشهاد بأقوال السلف الصالح

المبحث الثالث: ذكر الموت وسكراته

المبحث الرابع: القبر

المبحث الخامس: ذكر أمور الآخرة

المبحث السادس: ذكر القصص

المبحث السابع: إيراده الشعر

# الفصل الرابع

## دراسة في أسلوب الترغيب والترهيب

## عند ابن كثير رحمه الله

### مقدمة

في التعريف بالترغيب والترهيب، وتقسيم كل منهما، ودرجة تأثير أسلوب الترغيب والترهيب، وواجب الداعية في الاعتناء بكل منهما، والتنويه بأهمية اجتماع الرغبة والرهبة في نفس العبد، والمميزات والآثار التي تترتب على استعمال أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة.

## الترغيب:

أسلوب دعوة مؤثر في النفس البشرية، يشوِّق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق. وقد جبَل الله تعالى الإنسان على حب الخير، والرغبة في الظفر بالمحبوب [1].

ويمكن عرض أسلوب الدعوة من خلال هذا الأسلوب لجذب الناس إلى الخير، وحثهم على فعله، بأداء الطاعات رغبةً، وعلى لزوم الاستقامة على دين الله تعالى والثبات عليه.

فالداعية يرغِّب الناس في الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، ببيان فضل ذلك وحسن عاقبته وضرب الأمثال في العواقب الحميدة لنيل السعادة في الدنيا والآخرة.

والترغيب نوعان:

١ - ترغيب في جنس الطاعات.

٢ - ترغيب في أنواع الطاعات.

فمثال الأول: قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ، ولدارُ الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: [ من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه عمله في الدنيا والآخرة ].

---

(١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٤٢١.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٠.

وقد أخبر الله تعالى أن الدار الآخرة خير من الحياة الدنيا، والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا. قال تعالى على لسان من أوتوا العلم من قوم موسى لقومهم: ﴿ويلكم ثوابُ اللهِ خيرٌ لمن ءامن وعمل صالحًا ولا يُلقاها إلا الصابرون﴾[1].

فجزاء الله تعالى لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة عظيمٌ يفوق ما يحصل لبعض الناس من الثراء في المال والجاه ومتع الدنيا. جاء في الحديث الصحيح (يقول الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر" [2]. واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفي لهم من قرة أعينٍ جزاء بما كانوا يعملون﴾[3] ) [4].

ومثال الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات، قوله تعالى: ﴿إنَّ الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذِكرُ اللهِ أكبر واللهُ يعلمُ ما تصنعون﴾[5]. فالمواظبة على الصلاة تحمل صاحبها على ترك الفواحش والمنكرات [6].

الترهيب:

هو أيضًا أسلوب دعوي مؤثر في النفس البشرية لما يُحدثه من رهبةٍ في عدم قبول

---

(١) سورة القصص، آية: ٨٠

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿يريدون أن يبدّلوا كلام الله﴾، وفي بدء الوحي، حديث رقم ٣٢٤٤، ومسلم في كتاب الجنة، حديث رقم ٢٨٢٤.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٢ / ٥٦٧، ٣ / ٤٠٠.

(٥) سورة العنكبوت، آية ٤٥.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٤١٤ بتصرف.

الحق والاستجابة له والإعراض عنه [1].

ويمكن عرض الدعوة من خلال أسلوب الترهيب لجذب الناس إلى قبول الحق خوفًا من غضب الله تعالى وعقابه في الآخرة.

وفي الترهيب زجرٌ عن الشرِّ والفسق، وبيانُ إثمِ ذلك وضرره وسوء عاقبته. مع ضرب الأمثال في العواقب السيئة. والداعية في أسلوب الترهيب عليه أن يذكّر الناس بالأمور النافعة المفيدة لحملهم على ترك الفواحش والذنوب. ويحذّرهم من كل المعاصي صغيرها وكبيرها والإصرار عليها. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[2].

والترهيب نوعان:

١ - ترهيب فيه وعيد بالعذاب على جنس المعاصي والذنوب.

٢ - ترهيب فيه وعيد بالعذاب على أنواع الذنوب.

فمثال الأول قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

---

(١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٤٢١.

(٢) سورة محمد، آية : ١٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٦٥.

عذابٌ أليمٌ﴾[1].

ومثال الثاني: الترهيب بذِكرِ العذاب والعقوبات على أنواع الذنوب. قال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النارُ وما للظالمين من أنصارٍ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساءَ سبيلاً﴾[3].

ففي الآية الأولى ترهيبٌ وزجرٌ عن الشرك، الذي هو عبادة غير الله تعالى، وأنَّ من أشرك بالله فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة، وماله عند الله ناصرٌ ولا مُعينٌ ولا منقذٌ مما هو فيه من الحسرة والخسران والندامة يوم القيامة[4].

قال ابن كثير في سياق الترهيب في الآية الثانية في شأن الزنا: "يقول تعالى ناهيًا عباده عن الزنا وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً﴾ أي ذنبًا عظيمًا ﴿وساء سبيلاً﴾ أي وبئس طريقًا ومسلكًا"[5].

فالداعية عليه أن يولي أسلوب الترغيب والترهيب عنايةً تامةً، فيذكر ما ورد من الآيات والأحاديث في الترغيب في الأعمال الصالحة وزيادة الباقيات الصالحات ليزداد محبُّ الخير في نشاطه، وليُشوِّق المتوانيَ والعاجزَ والخاملَ إلى التفاني في عمل الخير وتحصيل ثمرته.

---

(١) سورة النور، آية : ٦٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٧٢.

(٣) سورة الإسراء، آية : ٣٢.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٢ / ٨١ بتصرف.

(٥) انظر المصدر السابق: ٣ / ٣٨.

وفي مجال الترهيب يذكر الداعية إلى الله ما حلَّ من العقوبات بالأمم السابقة بسبب ارتكاب ما نهى الله عنه، وترك الواجبات. فالتهاون في الصلاة والتثاقل عن أدائها يعرِّض الإنسان للفتون، وكذلك الزكاة والصوم والحج لمن استطاع إليه سبيلاً.

وأعظم من ذلك التساهل في أمر العقيدة الصحيحة أو الوقوع في الشرك بأنواعه المختلفة. فلا شك أنَّه يضر بدين الإنسان وكذلك بدنياه (١).

وينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يحذِّر المسلمين من أنواع الرذائل الخُلقية، كالكذب، ونقض العهد، والغيبة، والنميمة، والغدر، والخيانة، والنفاق، والرياء، والكِبْر، والبخل، والجبن، والشح، والجزع عند المصائب، والحقد، والحسد، والتحذير من كلِّ ما يضرُّ الأمَّة المسلمة في دينها ودنياها (٢).

ويقرِّر ابن كثير رحمه الله أنَّ من تمام العبادة أن تجمع بين الرغبة والرهبة (٣).

كما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا مرَّ بآية رحمةٍ وقف فسأل، وإذا مرَّ بآية عذابٍ وقف وتعوَّذ (٤).

---

(١) انظر الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص ٤٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٠٥.

(٣) مناقب الإمام الشافعي، لابن كثير، ص ٢١٣، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر.

(٤) انظر صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ١ / ٥٣٦، ٥٣٧ ؛ مسند الإمام أحمد ٥ / ٣٨٢، ٣٨٩ ؛ وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، ١ / ٢٣٠.

قال الله تعالى: ﴿أمَّن هو قانتٌ آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ (١). أي هو في حال عبادته خائفٌ راجٍ، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب، ولهذا قال تعالى: ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه (٢).

عن أنس بن مالك ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ على رجلٍ وهو في الموت فقال له: "كيف تَجِدُك". فقال: أرجو وأخاف. فقال رسول الله ﷺ: "لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلاَّ أعطاه الله عزَّ وجلَّ الذي يرجو وأمَّنه الذي يخاف"(٣).

إن أسلوب الترغيب والترهيب له ميزات تظهر في الدعوة، منها:

١ - الترغيب والترهيب له عظيم الأثر على الإنسان. فهو قوي الوقع على النفس، لما فيه من العِبَرِ لمن اعتبر. فقد بين الله تعالى عاقبة من كذَّب برسله عليهم الصلاة والسلام أو وقف من دعوتهم موقف الإعراض والمكابرة، فبعد إقامة الحجَّة عليهم وإنذارهم، حلَّ بهم النكال والهلاك والعذاب.

قال تعالى: ﴿وإن يُكذِّبوك فقد كَذَّبَتْ قبلهم قوم نوح وعاد وثمود. وقوم إبراهيم وقوم لوط. وأصحاب مدين وكُذِّب موسى فأمليتُ للكافرين ثم أخذتهم، فكيف كان نكير. فكأيِّن من قريةٍ أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها، وبئرٍ معطلة وقصر مَّشِيد﴾(٤).

---

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٧.

(٣) انظر المصدر السابق؛ والجامع الصحيح للترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين ٣ / ٣١١؛ سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الموت ٢ / ١٤٢٣.

(٤) سورة الحج، آية ٤٢ - ٤٥.

فالله تعالى شديد العقوبة لمن عصاه وخالف شرعه، وهو غفور رحيم لمن تاب إليه وأناب. وهذا من باب قرن الرحمة بالعقوبة لئلاّ يحصل اليأس، فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرًا لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف (١).

٢ - في الترغيب والترهيب قوة الحجة، وظهور البراهين الدالة على الحق لاتّباعه، وسبيل موصل إلى التفهيم والإقناع.

٣ - يتجلى في أسلوب الترغيب والترهيب إيضاح طريق الجنة وطريق النار. فطريق الجنّة فيه التشويق لأجل الاستمرار في العمل الصالح والثبات على الإيمان والدعوة إلى الخير. وطريق النار - والعياذ بالله - يظهر فيه الخوف والعاقبة السيئة لمن حاد عن صراط الله المستقيم.

٤ - أسلوب الترغيب والترهيب فيه تذكير بنعم الله تعالى وأفضاله على خلقه. فعلى العباد طاعة الله تعالى، والحذر من عدم الاستجابة لداعي الله والكفر بالله، فتزول النّعم ويحل العذاب.

قال تعالى: ﴿واتّقوا الذي أمدّكم بما تعلمون. أمدّكم بأنعامٍ وبنينَ. وجنّاتٍ وعيونٍ. إنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم﴾(٢).

٥ - في الترغيب والترهيب تحريكٌ لمشاعر الإنسان وإثارة لإحساسه كالخوف من الله تعالى والخشوع له، وهو يسير بتوازنٍ لا إفراط فيه ولا تفريط.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٥٩، ٣ / ٢٢٧، ٤ / ١٠٢.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٣٢ - ١٣٥.

# المبحث الأول

## الاستشهاد بالكتاب والسنّة

لقد اعتنى ابن كثير رحمه الله عنايةً كبيرةً بالاستشهاد بالكتاب والسنّة. وهذا هو منهج السلف الصالح من هذه الأمّة. فهم يعتمدون على الكتاب والسنّة في تقرير أمور الدِّين وإيضاحها للنّاس.

وقد التزم ابن كثير منهج السلف، وأخذ به، وأشار إلى ذلك في مقدّمة تفسيره، فقال: "فإن قال قائلٌ: فما أحسن طرق التفسير ؟ (فالجواب) أنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يُفسَّر القرآنُ بالقرآن، فما أُجمل في مكانٍ فإنّه قد بُسِطَ في موضعٍ آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة فإنها شارحةٌ للقرآن وموضّحةٌ له" (١).

ونسوق بعض الأمثلة لاستشهاده بالكتاب والسنّة ممّا له ارتباط بالترغيب والترهيب.

يذكر ابن كثير الآيةَ ثم يفسرها، ويبيّن معناها بآيةٍ أخرى، وقد يذكر الآية ثم يذكر مرادها بعد آياتٍ أخرى:

قال الله تعالى: ﴿إنَّ ربَّك سريع العقاب وإنّه لغفور رحيم﴾ (٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣. وهذا المنهج هو منهج شيخه ابن تيمية رحمه الله. فقد عمد ابن كثير إلى كتاب شيخه: (دقائق التفسير) فصل في حسن طرق التفسير، فاتخذه منهجًا لتفسيره ونقله بنصه. انظر: دقائق التفسير، لابن تيمية، ١ / ٧٦.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٦٥.

قال ابن كثير: فيها ترغيب وترهيب أن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن والاه واتّبع رسله فيما جاؤا به من خبر وطلب[1].

وقال تعالى: ﴿أولئك الذين يَدْعُون يبتغون إلى ربّهم الوسيلةَ أيُّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، إنَّ عذاب ربّك كان محذورًا﴾[2].

قال ابن كثير: لا تتم العبادة إلاّ بالخوف والرجاء. فبالخوف ينكفُّ عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات. وقوله تعالى: ﴿إنَّ عذاب ربّك كان محذورًا﴾ أي ينبغي أن يُحذَر ويخاف من وقوعه وحصوله، عياذًا بالله منه[3].

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين كقوله: ﴿وإنَّ ربَّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وإنَّ ربَّك لشديدُ العقاب﴾[4]. وقوله: ﴿نبِّئ عبادي أنّي أنا الغفور الرَّحيم وأنَّ عذابي هو العذاب الأليم﴾[5]. إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب. فتارةً يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارةً يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارةً بهما لينجع[6] في كلٍّ بحسبه. جعلنا الله ممَّن أطاعه في أمره وترك ما عنه نهى وزجر، وصدَّقه فيما أخبر، إنّه قريبٌ مجيبٌ سميع الدعاء جوادٌ كريمٌ وهَّابٌ[7].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٠٠ .

(٢) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧.

(٤) سورة الرعد، آية: ٦.

(٥) سورة الحجر، آية ٤٩، ٥٠.

(٦) ( نجع ) فيه الخطاب والوعظ والدواء، أي دخل وأثّر. انظر مختار الصحاح، ص ٦٤٧.

(٧) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٠٠.

وعن أبي هريرة مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحدٌ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط [1] أحدٌ من الجنة. خلق الله مائة رحمةٍ فوضع واحدةً بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعةٌ وتسعون) [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إنَّ رحمتي تغلب غضبي" [3]. وعنه أيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "جعل الله الرحمة مائة جزءٍ فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمِن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدَّابَّة حافرها [4] عن ولدها خشيةَ أن تصيبه" [5]، [6].

قال تعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ [7].

وقال تعالى: ﴿اعلموا أنَّ الله شديد العقاب وأنَّ الله غفور رحيم﴾ [8].

---

(١) القنوط وهو أشد اليأس من الشيء. انظر النهاية ٤ / ١١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى، ٤ / ٢١٠٩ ؛ ومسند الإمام أحمد ٣٩٧/٢، والترمذي، كتاب الدعوات، برقم ٣٤٦٥.

(٣) المصدر السابق، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ٤ / ٢١٠٧، وصحيح البخاري، كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٤٠٤.

(٤) المراد بالحافرة ذات الحافر وهي الفرس. انظر الفائق في غريب الحديث للزمخشري، ١ / ٢٩٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٦٠٠٠، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ٤ / ٢١٠٨.

(٦) وقد ذكر ابن كثير هذه الأحاديث في تفسيره ٢ / ٢٠٠.

(٧) سورة غافر، آية: ٣.

فالله تعالى أخبر أنه يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه، وخضع لديه، وقوله جلَّ وعلا ﴿شديد العقاب﴾ أي لمن تمرَّد وطغى وآثر الحياة الدنيا، وعتى عن أوامر الله تعالى وبغى، وهذه كقوله تعالى ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم، وأنَّ عذابي هو العذاب الأليم﴾[1]. فالله تعالى يقرن بين هذين الوصفين في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف [2].

والداعية إلى الله تعالى يجب عليه أن يعرِّف الناس ويعلِّمهم سعة رحمة الله ليأخذوا بالأسباب الموصلة إلى رضا الله تعالى، فيقلعوا عن سائر الذنوب ويتوبوا منها، ويلزموا الاستقامة على دين الله والثبات عليه حتى الممات لينالوا مغفرة الله، ويحوزوا على ثوابه، فينعموا بجنَّته. وعلى الداعية أيضًا أن يُحذِّر من التمادي في باب الرجاء إلى حال الأمن، حتى لا يركنوا إلى دار الدنيا الفانية، فيغفلوا عن الدار الباقية في الآخرة.

ولهذا فالله تعالى قد نبَّه عباده بقوله ﴿وأنَّ عذابي هو العذاب الأليم﴾ فلا عذاب في الحقيقة إلاَّ عذاب الله تعالى. نعوذ بالله من عذابه. فإذا عرف العبد أنه لا يعذِّب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد حذَر وبَعد عن كلِّ سببٍ يُسخط الله ويوجب عقابه.

كما أن على الداعية أن يبيِّن أن العبد ينبغي أن يكون قلبه دائمًا بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، فإذا نظر إلى رحمة الله ومغفرته وجوده وإحسانه أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربِّه أحدث له ذلك الخوف والرهبة والإقلاع [3].

---

(٨) سورة المائدة، آية: ٩٨.

(١) سورة الحجر، آية ٤٩، ٥٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤ / ٦٩، ٧٠.

(٣) انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ٤ / ٨٣ بتصرف.

إنَّ ابن كثير رحمه الله تعالى اعتمد في الاستشهاد - على ما يذكر - على الكتاب والسنّة في جميع مؤلفاته. فالمتأمِّل لتلك المؤلفات يجد ذلك. ففي تفسيره يذكر الآية ثم يفسرها بآية أخرى، وهذا ما يسمَّى بتفسير القرآن بالقرآن، ويأتي أحيانًا كثيرةً بعدة آياتٍ لمعنى الآية الواحدة لإيضاحها أو زيادة تأكيد المعنى فيها، مثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يا أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليمٌ﴾[1]. قال ابن كثير عند قوله تعالى ﴿أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين﴾: هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه كما قال تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم﴾[2]، [3].

أمَّا استشهاده بالأحاديث النبوية فقد أُطلِق عليه: الحافظ المحدِّث. فقد جمع الحديث، وبرز في تخريجه، ونقد الأحاديث، وتمييز صحيحها من غيره، بل والحكم على الحديث صحةً وضعفًا [4]. وألَّف في هذا الفن كتبًا منها: جامع المسانيد والسنن، وتحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، واختصار علوم الحديث، وغيرها.

وقد اعتمد في الاستشهاد بالأحاديث على الكتب الستّة من الصحاح والمسانيد والسنن، وعلى المعاجم والمستخرجات وكتب التفسير المعتَمدة.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) سورة الفتح، آية ٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣٥٨، ٣٥٩.

(٤) المصدر السابق، ٢ / ٧٠.

ففي أول سورة الإسراء بيَّن قدرة الله تعالى وعظمته على ما لا يقدر عليه أحدٌ سواه. فلا إله غيره، ولا رب سواه، ووضَّح معنى الإسراء ثم قال بعد ذلك: (ذِكر الأحاديث الواردة في الإسراء)، فساق جميع الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في الإسراء[1]. وقد يورد ابن كثير حول آية واحدة جملةً من الأحاديث تصلح أن تكون كتابًا مستقلاً.

فعند قوله تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم وقدّموا لأنفسكم واتّقوا الله واعلموا أنّكم مُلاقوه، وبشّر المؤمنين﴾[2]. يذكر جملةً من الأحاديث المرويَّة من طرق متعددة والحكمَ عليها صحةً وضعفًا، وهي في المباح في كيفية إتيان الزوجة، والنهي والزجر عن إتيانها في الدبر وقبح تعاطيه[3]. وقد يشير الحافظ ابن كثير أيضًا إلى الحديث في مظانه، فيذكر جملةً من المصادر الحديثية، وما قاله العلماء في الحكم على الحديث.

فعند قوله تعالى ﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[4]، ساق حديث يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران، قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناسٌ: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية. إنَّما نزلت فينا. صحبنا رسول الله ﷺ، وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلمَّا فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيها، فنزل فينا ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل

---

(١) المصدر السابق، ٣ / ٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٠ / ٢٦٠ - ٢٦٥.

(٤) سورة البقرة، آية ١٩٥.

والمال وترك الجهاد ". ثم قال الحافظ ابن كثير رواه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد في تفسيره وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والحافظ أبو يعلى في مسنده وابن حبَّان في صحيحه والحاكم في مستدركه [1].

وفي البداية والنهاية يذكر ابن كثير قصص الأنبياء، وبدء الخلق، وقصة الرجلين المؤمن والكافر، وقصة يأجوج ومأجوج، وأصحاب الكهف، وأصحاب الجنة والنار، وأصحاب السبت، وغير ذلك فيسوق الآيات الواردة فيها من القرآن، ثم يذكر الأحاديث [2]. وفي مسند الفاروق عمر بن الخطاب، وهو لابن كثير ضمَّنه آياتٍ وأحاديث وخصَّ كتابًا منه للتفسير [3]. وكذا بقية كتبه، ككتاب فضائل القرآن، وشمائل الرسول ﷺ، والنهاية في الفتن والملاحم، وقصص الأنبياء، وصفة الجنة، والفصول في سيرة الرسول ﷺ، وكتاب الاجتهاد في طلب الجهاد، وعلامات يوم القيامة، والإسراء والمعراج، وبداية الخلق، والسيرة النبوية، وجميعها مطبوعة متداولة.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١ / ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) البداية والنهاية، ١ / ٦، ١٢، ٢ / ١٠٣، ١٠٨، ١١١.

(٣) مسند الفاروق ٢ / ٥٦١.

## المبحث الثاني

# الاستشهاد بأقوال السلف الصالح

لقد اشتهر ابن كثير بإجازة رواية الحديث، وهو يُعد أحدَ الرُّواة المحدِّثين الحفّاظ. وقد غلب طابع الحديث على مصنفاته الكثيرة. لهذا نجد ابن كثير يُكثر من الاستشهاد بأقوال السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعيهم رحمهم الله. فالصحابة ﷺ أفضل هذه الأمّة وخيرها بعد نبيها محمد ﷺ.

وقد شهد لهم الرسول ﷺ بذلك، وأثنى عليهم. فعن عمران بن حصين [1] قال: قال رسول الله ﷺ: "خير أمّتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قوله مرتين أو ثلاثة: ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويَنذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن" [2].

وقد أخذ ابن كثير ما أثر عنهم من أقوال في مسائل الدين لأنهم أدرى من غيرهم فيما أخذوا عن رسول الله ﷺ، سواء كان ذلك مباشرةً أو عن بعضهم

---

(١) هو عمران بن حُصين بن عُبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر وغزا مع الرسول ﷺ غزوات، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليُفقّه أهلها، وكان من فضلاء الصحابة، كان مجاب الدعوة، ولم يشهد الفتنة، وروى عن النبي ﷺ توفي بالبصرة عام ٥٢ هـ. انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، ٤ / ٢٨١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٥ / ٦٣؛ وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٢٥٣٥.

البعض فيما يرفعونه إليه ﷺ.

كما أن الصحابة ﷺ قد شاهدوا نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، ووقوع الحوادث عليه ﷺ. ولما امتاز به الصحابة ﷺ من الفهم السليم، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم، وكبراؤهم كالأربعة الخلفاء أبي بكر الصدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأيضًا ما أُثر عن التابعين الذين تتلمذوا على الصحابة وأخذوا عنهم، والنبي ﷺ قد أثنى عليهم كما سبق.

فابن كثير يستشهد بأقوال السلف الصالح حينما لا يجد نصًّا من كتاب الله تعالى أو سنَّة رسول الله صلى الله عليه[1].

ولدقّة ابن كثير فيما يأخذ عن السلف الصالح من أقوال في أمور الدين، فإنه يتكلم على ما يحتاج إليه جرحًا وتعديلاً، ويرجِّح بعض الأقوال على بعض، ويذكر الروايات التي فيها ضعف؛ ويبيِّن الروايات الصحيحة، وينبِّه كثيرًا على منكرات الآثار الإسرائيلية، ويحذِّر منها، كما يذكر أقوال العلماء في الأحكام الفقهية، ويرجِّح، ويناقش بعض الأقوال والآثار والأدلة.

وهذا يدل على اهتمام ابن كثير وعنايته بأقوال السلف الصالح، ومدى استشهاده بآرائهم وأقوالهم في أمور الدين. كما نجد ابن كثير يثني عليهم ويَشيد بذِكرهم، فيقول: "وعلماء السلف أفصح وأعلم، وأقلُّ تكلفًا فيما يروونه من المعاني بألفاظهم من علماء الخلف، وهذا يشهده من له ذوقٌ بكلام الناس، كما

---

(١) انظر مقدمة تفسير ابن كثير، ١ / ٣، ٤، ٥.

يُدرك تفاوت ما بين أشعار العرب في زمن الجاهلية، وبين أشعار المولدين الذين جاؤا بعد ذلك" [1].

ومن أمثلة ما استشهد به ابن كثير من أقوال السلف رحمهم الله في تفسيره ما أورده عند قوله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهونَ عنه نكفِّرْ عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدخلاً كريمًا﴾[2].

فقد ذكر أقوال السلف في حصر عدد الكبائر، وفي حدِّ الكبيرة، وذكر من كَتب فيها من العلماء، ونقل بعض أقوالهم في تعريف الكبيرة، ثم ساق الأحاديث المتعلقة بهذه الآية، وأقوال بعض الصحابة، ثم أقوال التابعين [3].

وقد ذكر ابن كثير خمسة عشر قولاً في معنى أصحاب الأعراف في تفسيره عند قوله تعالى ﴿وبينهما حجابٌ وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحابَ الجنة أنْ سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾[4].

ثم قال: واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم، نصَّ عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله [5].

---

(١) انظر شمائل الرسول ﷺ لابن كثير، ص ١٣٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٣١.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ١ / ٤٨٠ - ٤٨٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٤٦.

(٥) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ٢١٦.

وعند قوله تعالى ﴿قالوا إنّكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾[1]. ذكر ابن كثير جملةً من أقوال السلف في معنى قوله تعالى ﴿كنتم تأتوننا عن اليمين﴾.

فقال: قال الضحاك عن ابن عباس: يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنّا كنّا أذلاء وكنتم أعزاء.

وقال مجاهد: يعني عن الحق، والكفار تقوله للشياطين.

وقال قتادة: قالت الإنس للجن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين. قال: من قبل الخير فتنهونا عنه وتبطئونا عنه.

وقال السدي: تأتوننا من قِبل الحق تزينون لنا الباطل وتصدونا عن الحق.

وقال الحسن: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، إي والله، يأتيه عند كل خير يريده فيصده عنه.

وقال ابن زيد: معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أُمرنا به.

وقال يزيد الرِشْك: من قبل لا إله إلاّ الله.

وقال خصيف: يعنون من قبل ميامينهم.

---

(١) سورة الصافات، آية: ٢٨.

وقال عكرمة: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: من حيث نأمنكم [1].

وعند تفسير قوله تعالى ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أنصتوا فلمّا قضى ولّوا إلى قومهم منذرين﴾ [2].

فقد ساق ابن كثير قرابة عشرين رواية عن السلف كأحمد، والشيخين، وابن جرير، وابن أبي شيبة، والبيهقي، وأبي نعيم، وأبي عوانة، وابن أبي حاتم، وسفيان الثوري، وغيرهم. وذلك في شأن دعوة الرسول ﷺ الجن إلى الله تعالى وقراءته القرآن عليهم.

قال ابن كثير: فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصدًا فتلى عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله تعالى وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه من ذلك الوقت [3].

مما تقدم يتبين لنا حرص ابن كثير على الاستشهاد بأقوال السلف الصالح رحمه الله، فهو يأخذ بأقوالهم، ويذكر آراءهم في المسائل والأحكام الدينية، فيحاول التوفيق إذا وردت آراء في مسألة واحدة، ويناقش ويفنّد، ويرجّح، ويضعّف متحريًا الدقة في كل ما يذكر.

وهذا يدل على عمق معرفته، وسعة اطّلاعه، وتمكّنه مما يسوقه من أدلة للمسائل التي يذكرها لإيضاح المعنى المراد. ولنذكر مثالاً لبعض الأحكام التي

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٥.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٢٩.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ١٦٦.

تطرَّق إليها ابن كثير في تفسيره وتناول أقوال السلف فيها.

ففي سورة البقرة عند قوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليُسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدَّة ولتكبِّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ (١).

قال ابن كثير: وها هنا مسائل تتعلق بهذه الآية:

( إحداها ) أنه قد ذهب طائفة من السلف إلى أن من كان مقيما في أول الشهر ثم سافر في أثنائه، فليس له الإفطار بعذر السفر والحالة هذه (٢) لقوله ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾، وإنما يباح الإفطار لمسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا القول غريب لأنه قد ثبت في السنّة عن رسول الله ﷺ أنه خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح فسار حتى بلغ الكديد (٣)، ثم أفطر وأمر الناس بالفطر (٤).

( الثانية ): ذهب آخرون مِن الصحابة والتابعين إلى وجوب الإفطار في السفر لقوله تعالى ﴿فعدَّة من أيام أخر﴾، والصحيح قول الجمهور أن الأمر في ذلك على التخيير، وليس بحتم، لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله ﷺ في شهر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ١ / ٢١٦.

(٣) الكدَيد: ماء بين عسفان وقديد، وهو موضع قرب مكة. انظر صحيح البخاري، ٣ / ٧٦، والكديد: التراب الناعم. انظر النهاية في غريب الحديث ٤ / ١٥٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا صام أيامًا من رمضان ثم سافر، ٣ / ٧٦.

رمضان قال[1]."**فمنا الصائم ومنا المفطر، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم**"[2]. فلو كان الإفطار هو الواجب لأنكر عليهم الصيام، بل الذي ثبت من فعل رسول الله ﷺ أنه كان في مثل هذه الحالة صائمًا لما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه، وما فينا صائمٌ إلاَّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي رواحة [3].

( الثالثة ): قالت طائفة: الصيام في السفر أفضل من الإفطار، لفعل النبي ﷺ كما تقدم.

وقالت طائفة: بل الإفطار أفضل، أخذًا بالرخصة [4]، كما جاء في الحديث "**عليكم برخصة الله التي رخص لكم**" [5].

وقالت طائفة هما سواء، لحديث عائشة [6]: أن حمزة بن عمرو الأسلمي [

---

( ١ ) القائل: أنس بن مالك رضي الله عنه، انظر صحيح مسلم ٧ / ٢٣٥.

( ٢ ) انظر صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، ٧ / ٢٣٥، والنسائي في كتاب الصيام، حديث رقم ٢٣٠٩.

( ٣ ) انظر صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا صام أيامًا من رمضان ثم سافر، ٣ / ٧٦ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، ٧ / ٢٣٨.

( ٤ ) تفسير ابن كثير، ١ / ٢١٧.

( ٥ ) انظر صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، ٧ / ٢٣٣، والنسائي في كتاب الصيام، حديث ٢٢٥٨.

( ٦ ) أم المؤمنين، عائشة بنت أبي بكر الصديق، ولدت بعد المبعث بأربع سنين، تزوجها الرسول ﷺ وهي بنت ست وقيل سبع، ودخل بها وهي بنت تسع، من أحبِّ النساء إلى رسول

[1] قال: يا رسول الله، إني كثير الصيام، أفأصوم في السفر ؟ فقال: إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر [2].

وقيل إن شق الصيام فالإفطار أفضل لحديث جابر: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً ظُلِّل عليه، فقال: ما هذا ؟ قالوا: صائم. فقال: "ليس من البر الصيام في السفر" [3].

فأما إن رغب عن السنة، ورأى أن الفطر مكروه إليه فهذا يتعين عليه الإفطار، ويحرم عليه الصيام والحالة هذه [4].

( الرابعة ) القضاء، هل يجب متتابعًا أو يجوز فيه التفريق؟ فيه قولان: أحدهما أنه يجب التتابع، لأن القضاء يحكي الأداء. والثاني: لا يجب التتابع، بل إن شاء فرَّق، وإن شاء تابع، وهذا قول السلف والخلف وعليه ثبتت الدلائل، لأن التتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر، فأما بعد انقضاء رمضان، فالمراد صيام أيام عدة ما أفطر، ولهذا قال تعالى ﴿فعدةٌ من أيامٍ أُخَر﴾[5] ثم قال ﴿يريد

---

الله ﷺ، واشتهرت بالعلم، ويرجع إليها الصحابة، روت كثيرًا من الأحاديث، وروي عنها. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٤ / ٣٥٩.

(١) هو حمزة بن عمرو بن الحارث بن سعد بن رزاح بن عدي الأسلمي، يكنى أبا صالح، توفي سنة إحدى وستين وعمره إحدى وسبعين. انظر أسد الغابة، ٢ / ٥٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، ٧ / ٢٢٦، ٢٢٧، والنسائي في كتاب الصيام، حديث ٢٣٠٣.

(٣) نفس المصدر، ٧ / ٢٣٣، والترمذي، كتاب الصوم، حديث رقم ٦٤٤.

(٤) تفسير ابن كثير، ١ / ٢١٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[1].

وقال ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن "بشّرا ولا تُنفّرا، ويسّرا ولا تعسّرا، وتطاوعا ولا تختلفا" [2].

وقال ﷺ "بُعثت بالحنيفة السمحة" [3].

ونجد ابن كثير رحمه الله لمحبته للسلف الصالح رحمهم الله يحرص على الإكثار من الاستشهاد بأقوالهم وإثبات آرائهم في كثير من المسائل في مصنفاته الكثيرة، نراه ينقل عنهم، ويثني عليهم، وينوه بذكرهم، فعند قوله تعالى ﴿والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم﴾[4].

قال ابن كثير: "فيا ويل من أبغضهم أو سبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد رسول الله ﷺ وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذًا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، برقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ٣ / ١٣٥٩ ؛ وتفسير ابن كثير، ١ / ٢١٧.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، ٥ / ٢٦٦ ؛ وتفسير ابن كثير. ١ / ٢١٧.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

يسبُّون من رضي الله عنهم ؟. وأمَّا أهل السنَّة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبُّون من سبَّه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متَّبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدئون وهؤلاء هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون"(١).

وعند قوله تعالى ﴿والَّذين جاءوا مِن بَعدهم يقولون ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غِلا للذين ءامنوا ربَّنا إنك رؤوف رحيم﴾(٢). قال ابن كثير في تفسيره بعد هذه الآية الكريمة: "فالتابعون لهم بإحسان هم المتَّبعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون﴾ أي قائلين ﴿ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا﴾ أي بغضًا وحسدًا" (٣).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ٣٨٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٣٩.

المبحث الثالث

# ذكر الموت وسكراته

## معنى الموت وحقيقته:

الموت خَلْقٌ من خلق الله تعالى، والموتُ والمَوَتَانُ ضد الحياة. والميتُ الذي مات، والموت في كلام العرب يطلق على السكون، يقال: ماتت الريحُ أي سكنت، والموت يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة، فمنها ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، كقوله تعالى ﴿ويحي الأرضَ بعد موتها﴾(١)، ومنها زوال القوة الحسية كقوله تعالى ﴿يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا﴾(٢)، ومنها زوال القوة العاقلة وهي الجهالة، كقوله تعالى ﴿أَوَمَن كان ميتًا فأحييناه﴾(٣)، ومنها الحزن والخوف المكدر للحياة، كقوله تعالى ﴿ويأتيه الموتُ من كلّ مكان وما هو بميّتٍ﴾(٤)، ومنها المنام كقوله تعالى ﴿والتي لم تمت في منامها﴾(٥). وقد قيل: المنام: المَوت الخفيف، والموت: النوم الثقيل، وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة كالفقر، والذل، والسؤال، والهرم، والمعصية، وقيل المراد بالموت زوال القوة الحيوانية، ومفارقة الروح البدن(٦). وقوله تعالى ﴿إنك ميّتٌ وإنهم ميّتون. ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون﴾(٧).

---

(١) سورة الروم، آية: ١٩.

(٢) سورة مريم، آية: ٢٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ١٧.

(٥) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٦) انظر لسان العرب، ٢ / ٩٠ / ٩١؛ والنهاية في غريب الحديث، ٤ / ٣٦٩؛ وبصائر ذوي التمييز، ٤ / ٥٣٧، ٥٣٨؛ والمفردات في غريب القرآن ص ٤٧٦، ٤٧٧؛ والتعريفات ص٢٣٥.

(٧) سورة الزمر، آية ٣٠، ٣١.

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصدِّيق ﷺ عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس من موته مع قوله عز وجل ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسلُ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين﴾[1]، ومعنى هذه الآية أنكم ستنتقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشِّرك بين يدي الله عز وجل، فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجِّي المؤمنين المخلصين الموحِّدين، ويعذِّب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين، ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة كاملة لكل متنازعين في الدنيا فإنه تُعاد عليهم الخصومة في الآخرة"[2].

وموت النفوس: هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب[3].

بالموت ينقطع تصرف الروح بالبدن، وخروج البدن عن أن يكون آلة لها، وسلب الإنسان عن أمواله وأهله، حيث يصير إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم الذي كان يعيش فيه قبل الموت، فإن كان له بالدنيا شيء يفرح به، ويستريح إليه، عظمت حسرته عليه بعد الموت، وإن كان لا يفرح إلاَّ بذكر الله تعالى والأنس به عظم نعيمه وتمَّت سعادته إذا خلى بينه وبين محبوبه، وقطعت عنه العوائق والشواغل، لأن جميع شواغل الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤ / ٥٢ ؛ وانظر البداية والنهاية، ٥ / ٢١٢ - ٢١٤.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٥٠ ؛ وكتاب الروح لابن القيم، ص ٤٦.

(٤) انظر إحياء علوم الدين، ٤ / ٤٢٢ ؛ ومختصر منهاج القاصدين، ص ٣٩٧.

والروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقا كليًا، بحيث لا يبقى لها التفات إليه، فهذا الرد للبدن إعادة خاصة، لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، وأمَّا قوله تعالى ﴿اللهُ يتوفى الأنفسَ حين موتها والتي لم تَمُتْ في منامها فيُمسكُ التي قضَى عليها الأجلَ ويُرسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسمًّى﴾[1]. فإمساكه سبحانه تعالى التي قضى عليها الموت لا ينافي ردَّها إلى جسدها الميت في وقتٍ ما ردًّا عارضًا لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا، وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي، وحياته غير حياة المستيقظ، فإن النوم شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم تُردَّ روحه إلى بدنه، كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت[2].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٢) الروح لابن القيم، ص ٥٧، ٥٨.

قال ابن كثير: "لقد أخبر الله تعالى عن نفسه الكريمة أنه هو المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفّى الأنفسَ الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مُسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون. وهو القاهر فوق عباده ويُرسِلُ عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفتهُ رسُلنا وهم لا يُفرّطون﴾(١)، فذكر تعالى الوفاتين الصغرى ثم الكبرى، وفي قوله تعالى ﴿الله يتوفى الأنفسَ حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٢)، ذكر الوفاة الكبرى ثم الصغرى، وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أوى أحدُكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل باسمك ربِّي وضعتُ جنبي وبك أرفعه، إن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" (٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا مات أحدُكم عرض عليه مقعدُه غدوةً وعشيًّا، إن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النّار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى تُبعث إليه يوم القيامة"(٤).

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٠، ٦١.

(٢) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٣) انظر- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوُّذ والقراءة عند النوم، ٨ / ١٢٧ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ٤ / ٢٠٨٤، ٢٠٨٥ ؛ وتفسير ابن كثير، ٤ / ٥٥.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ٨ / ١٩٣ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، ٤ / ٢١٩٩ ؛ وجامع المسانيد، ٢٩ / ١١٠.

قال الله تعالى ﴿كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت وإنّما تُوفَّونَ أجوركم يومَ القيامةِ فمن زُحزح عن النارِ وأُدخِلَ الجنة فقد فازَ، وما الحياةُ الدُّنيا إلا متاعُ الغرورِ﴾(١).

فالله تعالى يخبر في هذه الآية الكريمة إخبارًا عامًا يعم جميع الخليقة بأن كل نفسٍ ذائقة الموت، كقوله تعالى ﴿كلُّ من عليها فانٍ ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾(٢)، وقوله تعالى ﴿قل يتوفاكم مَلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بكم ثمَّ إلى ربكم ترجعون﴾(٣)، وقوله تعالى ﴿قل إنَّ الموتَ الذي تفرُّون منه فإنه ملاقيكم ثمَّ تردُّونَ إلى عالمِ الغيبِ والشَّهادةِ فيُنبِّئُكم بما كنتم تعملون﴾(٤)، وقوله تعالى ﴿أينما تكونوا يُدرككم الموت﴾(٥).

فالله تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحَمَلة العرش، وجميع أهل الأرض سيموتون أجمعون، وكذلك أهل السموات إلاّ من شاء الله، وينفرد الواحد الأحد القهار لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبدًا له الديمومة والبقاء سبحانه فيكون آخرًا كما كان أولاً، وكل أحد سائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء، فإن له أجلاً محتوما، ومقاما مقسوما(٦).

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يبيِّن للناس أن الموت نهاية كل حي، وأنه أكبر واعظ، وما من إنسان مهما طال عمره وامتد أجله إلاّ والموت نازل به وهو أول منازل

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٢) سورة الرحمن، آية ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة السجدة، آية: ١١.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٨.

(٥) سورة النساء، آية: ٧٨.

(٦) انظر تفسير ابن كثير، ١/ ٤٣٤، ٤٣٥، ٥٢٦، ٣ / ٤٥٧، ٤٥٨، ٤ / ٢٧٢، ٣٠٠، ٤٥١ ؛ والبداية والنهاية، ١ / ٤٢، ٤٣.

الآخرة، وسوف يفارق الأهل والولد والمال والجاه وكلَّ مظاهر هذه الحياة، وعند الموت يرى الملائكة ومنهم ملك الموت الذي يقبض روحه، فإن كان الميت مؤمنًا فالملائكة تبشِّره بالخير، وإن كان كافرًا أو فاسقًا فالملائكة تبشِّره بالسوء والعياذ بالله. فعلى المسلم أن يبادر إلى فعل الأعمال الصالحة، ويُصلح ما بينه وبين الله بأن يفعل أمره ويجتنب نهيه، وذلك باتباع هدي رسوله محمد ﷺ، والعاقل هو الذي يُكثر من ذكر الموت، والاستعداد له، وذلك بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود.

التذكير بالموت والاستعداد للقائه وشدة سكراته ممَّا ينبغي على الداعية إلى الله تعالى في حق نفسه ومن يدعوهم أن يذكِّرهم بالموت والاستعداد له، وفي ذلك حفز للناس إلى الاهتمام بأمور الآخرة وعدم الركون إلى الدنيا والغفلة عن الأعمال الصالحة التي تنفع في الدار الآخرة.

والتذكير بالموت فيه شحذ للهمم في الإقبال على الله تعالى والتوبة إليه، والإقلاع عن المعاصي، وترك سائر المخالفات، وحث على فعل الواجبات، والمحافظة عليها، وأنه يجب على المسلم الخروج من جميع المظالم، إمَّا بردِّها لأصحابها أو الاستحلال من أهلها.

والمسلم عليه أن يزداد من الأعمال الصالحة في حياته، مع المحافظة على ما اعتاده من سائر وجوه البر والإحسان إذا كان يطلب الثواب من الله تعالى، فقد قال تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملاً صالحا ولا يشرك بعبادة ربِّه أحدًا﴾[1].

وقد أورد ابن كثير جملةً من النصوص من كتاب الله تعالى وسنَّة رسول الله ﷺ في التذكير بالموت وما قبله وما بعده، وذكر بعض الآثار عن السلف الصالح في ذلك

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

ليكون المسلم على استعداد تام ويقين ثابت بقدوم الموت عليه، بل على كل البشر صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم، عزيزهم وذليلهم، ذَكَرهم وأنثاهم، فالموت لا بد منه عاجلاً أو آجلاً.

والعبد المسلم عليه أن يتزود في هذه الحياة الدنيا من الأعمال الصالحة للدار الآخرة، ويحاسب نفسه دائما، ويتفقدها ويقوِّمها على طاعة الله، ويحذر من التسويف والتفريط في جنب الله وإضاعة حقوق عباده بالاعتداء والظلم، قال تعالى ﴿وجاءتْ سكرةُ الموتِ بالحق ذلك ما كنتَ منه تحيد﴾[1].

قال ابن كثير: "يقول الله عز وجل، وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿ذلك ما كنتَ منه تحيد﴾ أي هذا هو الذي كنتَ تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا خلاص"[2].

وقال تعالى ﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ثمَّ إلينا تُرجعون﴾[3].

قال ابن كثير في معنى هذه الآية:"أي أينما كنتم يدرككم الموت، فكونوا في طاعة الله، وحيث أمركم الله فهو خير لكم، فإنَّ الموت لا بد منه، ثم إلى الله المرجع والمآب، فمن كان مطيعًا له جازاه أفضل الجزاء، ووافاه أتمَّ الثواب، ولهذا قال تعالى ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصَّالحاتِ لنبوِّئنهم من الجنة غرفًا تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها نعم أجرُ العاملين﴾[4]، أي لنسكننَّهم منازل عالية في الجنَّة تجري من تحتها الأنهار على

---

(١) سورة ق، آية: ١٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤ / ٢٢٤.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٥٧.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٥٨.

اختلاف أصنافها من ماءٍ وخمرٍ وعسلٍ ولبنٍ يصرفونها ويجرونها حيث شاؤا ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولاً" (١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجلٌ من الأنصار، فسلَّم ثم قال: يا رسول الله، أيُّ المؤمنين أفضل ؟ قال: "أحسنهم خُلقًا". قال: فأيُّهم أكيس ؟ (٢) قال: "أكثرهم للموت ذِكرًا، وأحسنُهم له استعدادًا أولئك الأكياس" (٣).

فالمسلم لا يغفل عن ذكر الموت في كل أحواله، فهو يجدُّ في العمل لما بعد الموت من فعل الواجبات والكف عن المحرمات وعمل الصالحات وكل ذلك بجدٍّ ونشاطٍ وحزمٍ، فيعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، بعيدًا عن التواني والكسل، تاركًا العجز جانبًا، لأنه يدرك تمامًا أن الله تعالى هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقِّب لحكمه، ولا يُسأل عمَّا يفعل لقهره وحكمته وعدله، فهو على كل شيءٍ قدير، والعباد مسئولون عن أفعالهم وأعمالهم وكل شيء محصى عليهم، فالله تعالى أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملا" (٤).قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى ﴿الذي خلقَ الموتَ والحياةَ﴾(٥): كان رسول الله ﷺ يقول: "إن الله أذلَّ بني آدم بالموت، وجعل

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣ / ٤١٩.

(٢) الكَيِّس: أي العاقل، كَاسَ يَكِيسُ كَيْسًا والكيس: العاقل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٢١٧.

(٣) انظر جامع المسانيد والسنن، ٢٨، ٤٥٥، وقد أخرجه ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الموت، ٢ / ١٤٢٣ ؛ ومجمع الزوائد للهيثمي، ١٠ / ٣٠٩.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٩٦.

(٥) سورة الملك، آية: ٢.

الدنيا دار حياةٍ ثم دار موتٍ، وجعل الآخرة دار جزاءٍ ثم دار بقاءٍ"[1].

فالحياة الدنيا حياةٌ موقوتةٌ بأجلٍ، والأنفاس فيها معدودة، ثم تأتي نهايتها بالموت، وبعد الموت محاسبة ثم إلى الجنّة أو إلى النّار، لذلك فالله تعالى حذّر من التفريط في جنب الله تعالى، ويوم القيامة لا ينفع الندمٍ، ولو تمنّى الإنسان الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحًا لا يُجاب إلى طلبه، قال تعالى ﴿حتى إذا جاء أحدَهُمُ الموتُ قال ربِّ ارجعون. لعلّي أعملُ صالحًا فيما تركتُ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله بعد هذه الآية: "يُخبر تعالى عن حال الكافرين أو المفرطين في أمر الله وأنهم يوم القيامة يسألون الرجعة إلى الدنيا ليصلحوا ما كانوا أفسدوه في مدة حياتهم ولكن لا يجابون إلى ذلك لأن الله تعالى أمهلهم وجعل لهم الحياة الدنيا ليعملوا فيها عملاً صالحًا، كما قال تعالى ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تُلهكُمْ أموالُكم ولا أولادُكم عن ذِكرِ الله، ومن يفعل ذلكَ فأولئك همُ الخاسرونَ. وأنفقوا مِمّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدَكُمُ الموتُ فيقول ربِّ لولا أخرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّقَ وأكن من الصالحين. ولن يُؤخرَ اللهُ نفسًا إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[3]، فكل مفرِّطٍ يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا ليستدرك ما فاته، وهيهات ! كان ما كان، وأتى ما هو آتٍ، وكلٌّ بحسب تفريطه"[4]، وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "يؤتَى بالموت في صورة كبشٍ أملح، فيوقف بين الجنّة والنّار، ثم يُذبح، ثم يقال: يا أهل الجنّة خلود

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٩٦ ؛ وانظر تفسير الطبري، ٢٩ / ١.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٩٩ - ١٠٠.

(٣) سورة المنافقون، آية: ٩ - ١١.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٢٥٥، ٤ / ٣٧٣.

فلا موت، ويا أهل النّار خلود فلا موت" [1].

ودخل المزني [2] على الشافعي [3] عند وفاته رحمهما الله تعالى فقال المزني: كيف أصبحتَ يا أستاذ ؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، وكأس المنيَّة شاربًا، وعلى الله واردًا، ولسوء أعمالي ملاقيًا، فلا أدري نفسي إلى الجنة تصير فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها. فقلت: عظني. فقال لي: اتّقِ الله، ومثل الآخرة في قلبك، واجعل الموت نصب عينيك، ولا تنسَ موقفك بين يدي الله عز وجل، وكن من الله عز وجل على وجلٍ، واجتنب محارمه، وأدِّ فرائضه، وكن مع الله حيث كنتَ، ولا تستصغرنَّ نِعَمَ الله عليك وإنْ قلّت، وقابلها بالشكر، وليكن صمتُكَ تفكرًا، وكلامُكَ ذِكرًا، ونظرُكَ عبرةً، واعفُ عمَّن ظلمك، وصِلْ من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، واصبر على النائبات، واستعذ بالله من النّار بالتّقوى. فقلت: زدني. فقال: ليكن الصدقُ لسانَك، والوفاء عمادك، والرحمة ثمرتك، والشكر طهارتك، والحق تجارتك، والتودُّد زينتك، والكياسة فطنتك، والطاعة معيشتك، والرضى أمانتك، والفهم بصيرتك، والرجاء اصطبارك، والخوف وزيرك، والتوكل درعك، والدنيا سجنك،

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة مريم، من قوله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾، ٦ / ١٧٣ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، باب النار يدخلها الجبارون، ٤/٢١٨٨ ؛ وتفسير ابن كثير، ٤ / ١٤٦.

(٢) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي، إمام، فقيه، زاهد، ولد سنة ١٧٥ هـ، له مختصر في الفقه، والجامع الكبير والصغير، والمسائل المعتبرة، والترغيب في العلم، توفي في رمضان عام ٢٦٤ هـ. انظر سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، ١٢ / ٤٩٢.

(٣) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بم هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، نشأ بمكة وبرع في العربية والشعر ثم حبب إليه الفقه، صنف التصانيف، ودوَّن العلم. انظر سير أعلام النبلاء، ١٠ / ٥.

والفقر ضجيعك، والحق قائدك، والحج والجهاد بغيتك، والقرآن محدِّثك، والله مؤنسك، فمن كانت هذه صفته كانت الجنّة منزلته (١).

وقال ﷺ: "أكثروا ذِكْرَ هاذمِ اللذّاتِ" يعني الموت (٢).

ومرَّت جنازةٌ فقام لها رسول الله ﷺ، وقام الصحابة فقال أحدهم: إنها جنازة يهودي، فقال: "إنَّ الموت فزع فإذا رأيتم الجنازةَ فقوموا" (٣).

فالداعية إلى الله تعالى عليه أن يبيِّن للناس أنَّ منه أيقن بالموت، وعلم أنه نازلٌ به لا محالة فلا بد له من الاستعداد بالأعمال الصالحة، واجتناب الأعمال السيئة، فإنه لا يدري متى ينزل به الموت.

والنبي ﷺ بيَّن شدة الموت، وأن فيه الخوف والفزع نصيحة من لأمَّته لكي يستعدُّوا له، ويصبروا على شدائد الدنيا، فإنَّ ذلك أيسر من شدة الموت.

فشدة الموت من عذاب الآخرة، وعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، فالموت هو الخطب الأكبر، والأمر الأعظم، والكأس الذي طعمه مر وكريه، فهو هادم اللذات، وقاطع الراحات، ولهذا أكَّد النبي ﷺ على إصلاح العمل وسلامته من المُحْبِطَاتِ، وكونه خالصًا لله تعالى، فلا رياء ولا سمعة، بل عمل صالح في حياته كلها حتى يأتيه

---

(١) انظر مناقب الإمام الشافعي، لابن كثير، تحقيق خليل ملا خاطر، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) الترمذي، كتاب الزهد، حديث رقم ٢٢٢٩، والنسائي، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٨٢٤، وابن ماجة، كتاب الزهد، حديث ٤٢٥٨. وانظر الجامع الصغير للترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ٤ / ٥٣٣.

(٣) وصحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ٢ / ١٨٢. وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، حديث ٩٦٠.

الموت مطيعًا لله رب العالمين مقتفيًا هدي سيد المرسلين ﷺ.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يتبع الميتَ ثلاثٌ: أهلُه، ومالُه، وعملُه، فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ، يرجع أهلُه ومالُه، ويبقى عملُه" (١).

وكان ﷺ يُدخل يده في الماء ويمسح وجهه ويقول: "لا إله إلاّ الله، إنَّ للموت لسكرات" (٢).

## لا ينبغي تمنّي الموت والدعاء به، بل المطلوب حسن الظن بالله تعالى "

وإذا كان ابن كثير ذكر الموت، وأنه حق لا محيد عنه ولا مهرب منه، وله شدة، وسكرة، وفيه خوف وفزع، فالملائكة تستعد لنزع الروح من الجسد، والناس يستعدون لتجهيزه، ولا يبقى إلاّ رحمة الله تعالى.

قال تعالى ﴿وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ ويُرسِلُ عليكُم حفَظَةً حتى إذا جاء أحَدَكُمُ الموتُ توفتهُ رسلنا وهم لا يفرطون. ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحقّ ألا له الحكم وهو أسرعُ الحاسبين﴾(٣).

فهذا من أجل أن يأخذ الناس العبرة، فالموت يأتي بغتةً، ويأخذ غِرَّةً، ولا يعرف صغيرًا أو كبيرًا أو غنيًّا أو فقيرًا أو شريفًا أو وضيعًا، قال تعالى ﴿ولكلِّ أمّةٍ أجلٌ فإذا جاء

---

(١) جامع المسانيد، ٢٢ / ٤١٢ ؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب سكرات الموت، ٨ / ١٩٣ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ٤ / ٢٢٧٣.

(٢) جامع المسانيد والسنن، ٣٤ / ١٧٧ ؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ٨ / ١٩٢.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان ٦١، ٦٢.

أجلُهُمْ لا يستأخِرون ساعةً ولا يستقدِمون﴾[1].

وهذا مما يجعل المسلم يقظًا طول حياته مراقبًا الله تعالى في كل أحواله مع الحذر من القنوط واليأس من رحمة الله تعالى والأمن من مكره. لذا فقد ذكر ابن كثير ما ينبغي للمسلم فعله والتنبُّه له حال حدوث الموت وذكره والتفكر فيه في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وما أثر عن السلف الصالح رحمه الله تعالى. فبيَّن أن المسلم إذا أصابه ضرٌّ لا يدعو بالموت جزعًا وسخطًا بل يرضى ويُسلم أمره إلى الله تعالى، ويُظهر الرِّضا بالقضاء والقدر، ويطلب الخَلَفَ من الله تعالى، ويدعو ربَّه إن كانت الحياةُ خيرًا له أن يحييه، وإن كانت شرًّا له أن يتوفاه على دين الإسلام.

كما إن المسلم يترحم على إخوانه المسلمين الميِّتين، ويدعو لهم، ويعفو ويسامح فيما له عليهم، فلا يسب أحدًا منهم، ولا يُظهر عيب أحدٍ بل يُظهر المحاسن، وإذا حضر احتضارَ أحدٍ من المسلمين يُذكِّره بالله والفرح بالقدوم، ويلقِّنه شهادة أن لا إله إلاَّ الله[2].

والداعية إلى الله تعالى ينبغي عليه أن يستغل حال التذكير بالموت من خلال أساليب الدعوة التي يسير فيها على هدي الكتاب والسنَّة ومنهج السلف الصالح.

فيحرص على هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وانتشالهم من أوحال الفساد والمعصية والرذائل والإعراض عن دين الله تعالى إلى الإقبال عليه، وامتثال

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣٤.

(٢) انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، ١ / ٣٢ ؛ وتنبيه الغافلين، محمد السمرقندي، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، ١ / ٢٩، ٣٠.

أوامره في الأمر فعلاً والنهي تركًا، والإقلاع عن المعاصي فورًا، وترك الرذائل ولزوم الطاعة، وبذل الندى وكف الأذى، ففي ذلك تُنال السعادة في الدارين.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤمّن روعاتكم" (١).

وعن أنس - أيضًا - ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يتمنين أحدُكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا الموت فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي" (٢).

وله أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تدْعوا بالموت ولا تتمنوه، فمن كان داعيًا لا بد فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفّني ما كانت الوفاة خيرًا لي"(٣).

فالمسلم يذكر الموت وهو مستعد له لأنه أحسنَ الظنَّ بالله تعالى، وأخلص ما بينه وبين الله تعالى، وصدق في جميع أحواله، ولم ينهمك في الدنيا لأن المنهمك في الدنيا يتأسف على دنياه، وذكر الموت يزيده من الله بعدًا، والمؤمن التائب ينبعث ذكر الموت من باب الخشية لله تعالى، وقد يتمنى الشهادة وليس ذلك من تمني الموت. جاء في

---

(١) جامع المسانيد والسنن، ٢٢ / ٣٨٦، ٣٨٧ ؛ وانظر مجمع الزوائد، ١٠ / ٢٣١.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة، ٨ / ١٣٧، وصحيح مسلم، كتاب الذكر، حديث رقم ٢٦٨٠.

(٣) جامع المسانيد والسنن، ٢١ / ٢٧١ ؛ وانظر سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الدعاء بالموت، ٤ / ٤.

الحديث "**من سأل الله الشهادةَ بصدقٍ بلّغه الله منازل الشهداء**" (١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاءَ الله كره الله لقاءه، والموت قبل لقاء الله عز وجل" (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ذُكر عند النبي ﷺ هالكٌ بسوءٍ. فقال: "لا تذكروا هلكاكم إلا بخيرٍ" (٣).

وينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يبيِّن ما يقوله المسلم حين يحضر أجلُه وقبل موته، من الوصية وتدوين ذلك، فيوضح ما له من حقوق على إخوانه المسلمين، وما لهم عليه، فمن يأتي بعده ينفذ هذه الوصية في حدود الشرع.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ يبيت ليلتين، وله ما يريد أن يوصي فيه، إلاّ ووصيته مكتوبة عنده" (٤).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم ١٩٠٩، وأبوداود، كتاب الصلاة، حديث رقم ١٢٩٩، والترمذي، كتاب فضائل الجهاد، حديث رقم ١٥٧٧، والنسائي في كتاب الجهاد، حديث رقم ٣١٦٢، وابن ماجة، كتاب الجهاد، حديث ٢٧٩٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٥٠٧، وانظر صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله تعالى، ٤ / ٢٠٦٥.

(٣) جامع المسانيد والسنن، ٣٧ / ٣٢٤ ؛ وانظر سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب النهي عن ذكر الهلكى إلاّ بخير، ٤ / ٥٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، حديث ٢٧٣٧، وانظر صحيح مسلم، كتاب الوصية، ٣ / ١٢٤٩ ؛ والجامع الصحيح للترمذي، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الحث على الوصية، ٤ / ٤٣٢.

والرسول الكريم ﷺ وهو في مرض الموت الـذي تـوفي فيـه يوصـي أمَّتـه، وهـذه الوصية تمثلت في الاهتمام بالصلاة لأنها عماد الدين، وأول ما يُحاسـب عنـه الإنسـان، وكذلك أكَّد ﷺ حين حضرته الوفاة "الصلاة، وما ملكت أيمانُكم" (١).

فالمسلم عليه أن يعتني بالوصية لمن بعده من حثّهم على التمسّك بالكتاب والسـنّة، ولزوم التقوى، والمحافظة على أركان الإسلام والإيمان والدين عامةً.

---

(١) البداية والنهاية، ٥ / ٢٠٩ ؛ وانظر سنن ابن ماجة، كتاب الوصايا، باب هل أوصى رسول الله ﷺ، ٢ / ٩٠٠، ٩٠١.

# المبحث الرابع
# القبر

الداعية إلى الله تعالى عليه أن يبيِّن للناس أهمية الاستعداد للانتقال من هذه الحياة الدنيا إلى الدار الآخرة. وأن أول منازل الآخرة القبر، فإمَّا حفرةٌ من حفر النار، وإمَّا روضةٌ من رياض الجنّة، والاستعداد يكون بالأعمال الصالحة من المحافظة على الفرائض وفعل الواجبات والكف عن المحرَّمات.

والمسلم حين يقرأ في كتاب الله يتدبَّر آياته كما أمر الله تعالى، وما ذكر الله تعالى في شأن القبر وما يكون فيه، وحال الناس بعد ذلك، قال تعالى ﴿ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(١).

وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾(٢).

وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾(٣).

وقد بيَّن ابن كثير رحمه الله من خلال هذه الآيات الكريمات أن الله تعالى بقدرته يُخرج من في القبور من الأموات، ويُعيد إليهم الأرواح كما كانت في الدنيا، وذلك

---

(١) سورة يس، الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٢) سورة المعارج، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة ق، آية: ٤٤.

للجزاء والحساب، وقد ذكّر الله تعالى بذلك عباده على لسان رسوله محمد ﷺ، فقال ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

والذين يعتقدون في هذه الدار - دار الدنيا - أنهم لا يُبعثون إذا عاينوا في محشرهم ما كذبوا به ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ يعنون قبورهم، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدَّة كالرقاد[2].

فالله تعالى جلّت قدرته ينزل مطرًا من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها كما ينبت الحب في الأرض بالماء، فإذا تكاملت الأجساد، أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله عز وجل: وعزَّتي وجلالي لترجعنَّ كلُّ روحٍ إلى الجسد الذي كانت تعمره، فترجع كلُّ روحٍ إلى جسدها، فتدبُّ فيه كما يدب السم في اللديغ، وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعًا مبادرين إلى أمر الله عز وجل ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[3]، وقال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٥٧٤، بتصرف يسير.

(٣) سورة القمر، آية: ٨.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٥٢.

وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض" (١).

فالله تبارك وتعالى يقول لنبيه محمد ﷺ ﴿فَذَكِّر بالقرآن من يخافُ وعيد﴾ (٢)، أي بلِّغ أنت رسالة ربِّك، فإنما يتذكَّر من يخاف الله ووعيده، ويرجو وعده، كقوله تعالى ﴿فإنما عليكَ البلاغُ وعلينا الحِسابُ﴾ (٣)، وقوله جل جلاله ﴿فَذَكِّر إنما أنتَ مُذَكِّرٌ، لستَ عليهم بمُسيطِر﴾ (٤)، وقال تعالى ﴿ليسَ عليكَ هداهُم ولكنَّ اللهَ يهدي من يشاءُ﴾ (٥)، وقال تعالى ﴿إنك لا تهدِي من أحببتَ ولكنَّ اللهَ يهدي من يشاءُ وهُوَ أعلمُ بالمهتدين﴾ (٦).

فالله تعالى عالمٌ بجميع ما كان وما يكون، ومُحصٍ لجميع أعمال العباد الظاهرة والباطنة، فيجازيهم عليها أوفر الجزاء ولا يظلم ربُّك أحدًا (٧).

والمسلم يجب عليه أن يؤمن بكل ما أخبر به النبي ﷺ، ومن ذلك ما يكون بعد الموت، فيؤمن بفتنة القبر، وبعذاب القبر، ونعيمه. فأمَّا الفتنة: فإن الناس يُفتنون في

---

(١) الذي في صحيح مسلم برواية أبي هريرة بلفظ "وأول من ينشق عنه القبر"، في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق، ٤ / ١٧٨٢، وقد أخرجه الحاكم بلفظ "أول من تنشق عنه الأرض أنا" الحديث، كتاب معرفة الصحابة، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ٣ / ٧٢، والترمذي، كتاب التفسير، حديث رقم ٣٠٧٣.

(٢) سورة ق، آية: ٤٥.

(٣) سورة الرعد، آية: ٤٠.

(٤) سورة الغاشية، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٢.

(٦) سورة القصص، آية: ٥٦.

(٧) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٢٣١، ٥٤٢.

قبورهم، فيقال للرجل: "من ربك، وما دينك ؟" فيثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمدٌ ﷺ نبيي. وأمَّا المرتاب فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيُضرب بمرزبةٍ من حديد، فيصيح صيحةً يسمعها كل شيءٍ إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة: إمَّا نعيمٌ وإمَّا عذابٌ إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لربِّ العالمين حفاةً عراةً غرلاً، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق [1].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "إنَّ العبد إذا وُضع في قبره، وتولَّى عنه أصحابه، وإنَّه ليسمع خفق نعالهم فيأتيه ملكان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، يعني محمدًا ﷺ، قال: أمَّا المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا في الجنَّة، فيراهما جميعًا" [2].

وعن أنس أيضًا رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله عزَّ وجلَّ أن يُسمعكَم عذاب القبر" [3].

---

(١) انظر فتاوى ابن تيمية، شيخ ابن كثير، ٣ / ١٤٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٣٣٨، وصحيح مسلم، كتاب الجنة، حديث رقم ٢٨٧٠.

(٣) انظر جامع المسانيد والسنن، ٢٣ / ١٤٨ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنَّة وصفة نعيم أهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، ٤ / ٢١٩٨.

ولقد بيَّن ابن كثير رحمه الله مذهب السلف في عذاب القبر ونعيمه، وأنَّه يكون على الجسد والروح معًا، وذلك في أكثر من موضعٍ في تفسيره، ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنَّة على ذلك، وجمع بين المتعارض منها فيما يراه، ومن تلك المواضع عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿فادخلوا أبوابَ جهنمَ خالدينَ فيها، فلبئسَ مثوَى المتكبرينَ﴾[1].

فقال ابن كثير: "أي بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوانٍ لمن كان متكبرًا عن آيات الله، واتَّباع رسله، وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرِّها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادها، وخلدت في نار جهنَّم"[2]، ﴿لا يُقضَى عليهم فيموتوا ولا يُخفَّفُ عنهُم من عذابِها﴾[3]، كما قال تعالى ﴿النارُ يُعرضُونَ عليهَا غدُوًّا وعَشِيًّا ويومَ القيامةِ أدْخِلوا آلَ فِرْعَونَ أشَدَّ العذابِ﴾[4].

وقال رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: "وهذه الآية أصلٌ كبيرٌ في استدلال أهل السنَّة على عذاب البرزخ في القبور"[5].

والرسول ﷺ استعاذ بالله من عذاب القبر، وأرشد أمَّته إلى ذلك. وقد أورد ابن كثير الأحاديث في ذلك، منها ما رواه الإمام البخاري رحمه الله بسنده إلى عائشة رضي الله عنها أن يهوديةً دخلت عليها فقالت: "تعوذي بالله من عذاب القبر"، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال ﷺ: "نعم عذاب القبر

---

(١) سورة النحل، آية: ٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢ / ٥٦٧.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٦.

(٤) سورة غافر، آية ٤٦.

(٥) تفسير ابن كثير، ٤ / ٨١.

حق"، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلّى صلاةً إلاّ تعوَّذ بالله من عذاب القبر" (١).

ومن الأحاديث في عذاب القبر ونعيمه التي ساقها ابن كثير في تفسيره عند قول الله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذين ءامنوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة، ويُضِلُّ اللهُ الظالمين، ويفعلُ اللهُ ما يشاءُ﴾ (٢).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (٣).

ودخل رسول الله ﷺ على بني النجار، فسمع صوتًا، فخرج مذعورًا، فقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر" (٤).

ودخل رسول الله ﷺ مصلاّه، فرأى ناسًا يكثرون، قال: أما إنّكم لو أكثرتم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى ﴿إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم﴾ الآية، ٢ / ٢٠٤، ٢٠٥، بتغير يسير في بعض الألفاظ؛ وصحيح مسلم، كتاب الكسوف، حديث رقم ٩٠١، وانظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٨١ ؛ وجامع المسانيد والسنن، ٣٧ / ١٠٠.

(٢) سورة إبراهيم، آية ٢٧.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة إبراهيم، باب ﴿يثبِّتُ الله الذين ءامنوا بالقول الثابت﴾، ٦ / ١٥٠ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، ٤ / ٢٢٠١، ٢٢٠٢، بتغير بعض الألفاظ فيه.

(٤) انظر جامع المسانيد والسنن، ٢٥ / ١٧٢ ؛ ومسند أبي يعلى، ٤ / ١١٢ ؛ ومجمع الزوائد، ٥٥/٣.

ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى الموت، فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت، فإنَّه لم يأتِ على القبر يومٌ إلاَّ تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن، قال له القبر: مرحبًا وأهلا، أما إن كنتَ لأحبَّ من يمشي على ظهري إليَّ، فإذا أوليتك اليومَ وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك، قال: فيتسع له مد بصره، ويُفتح له بابٌ إلى الجنَّة، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر، قال له القبر: لا مرحبًا ولا أهلاً، أما إن كنتَ لأبغضَ من يمشي على ظهري إليَّ، فإن وليتك اليوم وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك، قال: فيلتئم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه، قال رسول الله ﷺ بأصابعه، فأدخل بعضها في جوف بعض. قال ويُقيِّضُ الله له سبعين تنِّينًا لو أن واحدًا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا، فينهشنه ويخدشنه حتى يفضي به الحساب، قال رسول الله ﷺ: إنَّما القبر روضةٌ من رياض الجنَّة أو حفرةٌ من حفر النار"(١).

وروى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولَّما لم يُلحَد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله كأنَّ على رؤسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماء، بيضُ الوجوه، كأنَّ وجوههم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنَّة، وحنوطٌ من حنوط الجنَّة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان - قال - فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ، حتى يأخذوها

---

(١) انظر جامع المسانيد والسنن، ٣٣ / ٣٢٧، ٣٢٨ ؛ وسنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، والحديث المذكور هو عنوان الباب، ٤ / ٦٣٩.

فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعني على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا: ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمُّونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتح له، فيتبعه من كل سماءٍ مقرَّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليِّين، وأعيدوه إلى الأرض، فإنَّ منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيُجلسانِه، فيقولان له: من ربُّك ؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما عِلمك ؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنَّة، وألبسوه من الجنَّة / وافتحوا له بابًا إلى الجنَّة، ويأتيه رجلٌ حسن الوجه، حسن الثياب، طيِّب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك، هذا يومك الذي كنت توعَده، فيقول: فمن أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير ؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي - قال - وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الآخرة، وإقبالٍ إلى الدنيا، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مَّد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ، قال: فتفرَّق في جسده، فينتزعها كما يُنتزع السفود [1] من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها أنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا ما هذه

---

(١) السفُّود: كتنُّور، حديدة يُشوى بها، وتسفيد اللحم: نظمه فيها للاشتواء ( القاموس المحيط، (٣٠٢/١).

الروح الخبيثة ؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يُفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[1]. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجِّين في الأرض السفلى، فتُطرَحُ روحه طرحًا، ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2]، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملَكان، فيُجلسانه، فيقولان له: من ربُّك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتَّى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنتَ تُوعَد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشرِّ، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول ربِّ لا تُقِمِ الساعة"[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده، إنَّ الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولُّون عنه مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

(٢) سورة الحج، آية: ٣١.

(٣) تفسير ابن كثير، ٢ / ٢١٣، ٢١٤، ٥٣١، ٥٣٢ ؛ وانظر مسند الإمام احمد، ٤ / ٢٨٧، ٢٨٨؛ وسنن النسائي، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر، ٤ / ١٠١، ١٠٢ ؛ وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب الجلوس عند القبر، ٣ / ٢١٣، وأيضًا سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب المسئلة في القبر وعذاب القبر، ٤ / ٢٣٨: ٢٣٩ ؛ وسنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ٢ / ١٤٢٣، وكتاب الإيمان لابن منده ٣ / ٩٤١ - ٩٤٤.

والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قِبَلِ رأسه، فتقول الصلاة: ما قِبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه، فتقول الزكاة: ما قِبلي مدخل، فيؤتى عن يساره، فيقول الصيام: ما قِبلي مدخل، فيؤتى من عند رجليه، فيقول فعل الخيرات: ما قِبلي مدخل، فيقال له: اجلس، فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب، فيقال له: أخبرنا عمَّا نسألك، فيقول دعني حتّى أصلّي، فيقال له إنّك ستفعل فأخبرنا عمَّا نسألك، فيقول: وعمَّ تسألوني ؟ فيقال: أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم، ماذا تقول فيه، وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول: أمحمدٌ ؟ فيقال له: نعم، فيقول: أشهد أنّه رسول الله، وأنّه جاءنا بالبينات من عند الله فصدَّقناه، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك متّ، وعليه تُبعث إن شاء الله، ثم يُفتح له في قبره سبعون ذراعًا، وينوَّر له فيه، ويُفتح له بابٌ إلى الجنّة، فيقال له: انظر إلى ما أعدَّ الله لك فيها، فيزداد غبطةً وسرورًا، ثم تجعل نسمته في النسيم الطيب، وهي طير خضر يعلق بشجر الجنّة، ويعاد الجسد إلى ما بُدئ من التراب"[1]، وذلك قول الله ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذين ءامنوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة﴾[2].

قال ابن كثير: "وأحاديث القبر كثيرةٌ جدًّا [3]. قال ذلك بعد أن ذكر جملةً من الأحاديث عن الرسول ﷺ الواردة في كتب السنّة التي في نعيم القبر وعذابه، والأمر بالاستعاذة من عذاب القبر وفتنته. وفي ذلك زادٌ للداعية إلى الله تعالى لتذكير الناس بذلك، وليتأمل الإنسان ما يعقب الموت من مفارقة الأهل والأحباب، وضمة القبر ووحشته، والسؤال فيه، وأن من عصى ربَّه في الدار الفانية الحياة الدنيا، و لم يتزوَّد بصالح الأعمال لآخرته الدار الباقية، يظل في قبره قلقًا حزينًا نادمًا، ولا ينفع النَّدم إذ

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢ / ٥٣٤ ؛ وانظر تفسير الطبري، ١٣ / ٢١٥، ٢١٦.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ٤ / ٨٢.

ذاك، بينما الذي أقبل على طاعة ربِّه، وعمل بما فيه رضاه، يكون عمله الصالح أنيسه في قبره لا يشوبه كدرٌ، بل نورٌ وضياء، وللجاحدين في قبورهم عذابٌ مستمرٌ.

ألا تعلم أيُّها الإنسان أنه لا بد من الارتحال إلى يومٍ شديد الأهوال، وليس ينفعك ثمَّ قيل ولا قال، بل يُعَدُّ عليك بين يدي الملك الدَّيان، ما بطشتِ اليدان، ومشت القدمان، ونطق به اللسان، وعملت الجوارح والأركان، فإن رحمك فإلى الجنان، وإن كانت الأخرى فإلى النيران. يا غافلاً عن هذه الأحوال إلى كم هذه الغفلة والتوان، أتحسب أن الأمر صغير، وتزعم أن الخطب يسير ؟ وتظن أن سينفعك حالُك إذا آن ارتحالك، أو ينفعك مالُك حين توبقك أعمالك، أو يُغني عنك ندمك إذا زلَّت بك قدمُك، أو يعطف عليك معشرك حين يضمك محشرك، كلاَّ، وا لله ساء ما تتوهم، ولا بد لك أن ستعلم، لا بالكفاف تقنع، ولا من الحرام تشبع، ولا للعظات تستمع، ولا بالوعيد ترتدع، دأبك أن تنقلب مع الأهواء، وتخبط خبط العشواء، يعجبك التكاثر بما لديك، ولا تذكر ما بين يديك، يا نائمًا في غفلة وفي خبطة يقظان، إلى كم هذه الغفلة والتوان، أتزعم أنك ستُترك سدى، وأن لا تُحاسَب غدًا، أم تحسب أن الموت يقبل الرُّشا، كلاَّ، وا للهِ لن يدفع عنك الموتَ مالٌ ولا بنون، ولا ينفع أهل القبور إلاَّ العمل المبرور، فطوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادَّعى، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى ﴿وأن ليسَ للإنسان إلا ما سعى، وأنَّ سعيَه سوفَ يُرى﴾[1]، فانتبه من هذه الرقدة، واجعل العمل الصالح لَك عُدَّة، ولا تتمنَّ منازلَ الأبرار، وأنت مقيمٌ على الأوزار، عاملٌ بعمل الفجَّار، بل أكْثِرْ من الأعمال الصالحات، وراقب ا لله في الخلوات، ربَّ الأرض والسموات، ولا يغرَّنَّك الأمل، فتزهد عن العمل، واعمل في ظلمة الليل لظلمة القبر [2]، قال ﷺ "إنِّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها،

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٢) انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، ١ / ١٠١.

فإنّها تذكّركم الآخرة" الحديث [1]، وقال الله تعالى ﴿وتزوّدوا فإنّ خيرَ الزّادِ التّقوى﴾[2].

وعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يتأملوا حال كثيرٍ من الناس في كثيرٍ من البلاد الإسلامية، حيث يرون أفعال أولئك الناس تخالف أمر الله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والانقياد والتسليم له، كما تخالف هدي رسوله ﷺ، والتأسي به، والاقتداء بأفعاله، كقول بعضهم: اللهم إنّي أسألك بحق قبر رسولك المعظّم، أو بجاهه، أو بحرمته، أو بحقّ قبر فلان، أو حرمة سيدي فلان، أو جاهه. فهذا منكرٌ ومحرَّمٌ وبدعةٌ في دين الإسلام.

ومن أمثلة هذه الأمور المحرَّمة: أن ينادي صاحبَ القبر فيقول: يا فلان، اشفع لي، أو أغثني، أو انصرني على من ظلمني، أو أدركني، أو اشفِ مريضي، أو ينادي: يا أقطاب، يا أوتاد، أجيبوا وأغيثوا. فمن فعل ذلك من النداء والدعاء والاستعانة أو الاستغاثة بصنمٍ أو قبرٍ أو وثنٍ أو حتى إن كان رسولاً أو نبيًّا أو وليًّا فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، المخرج من ملة الإسلام، ومثل ذلك النذر، والذبح لصاحب القبر، فإنّه شركٌ وكفرٌ بالله تعالى.

فواجب الدعاة إلى الله تعالى كبيرٌ لإيضاح الدين الإسلامي، والتحذير من الضلالات والأمور الشركية. فوجود الأضرحة، وإنفاق الأموال عندها، وسدانتها، والتبرك بها وبمن حولها، شيءٌ يندى له الجبين، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليِّ العظيمِ.

يقول الله تعالى ﴿ويعبُدون من دونِ اللهِ ما لا يضرُّهُم ولا ينفعُهُم ويقولونَ هؤلاءِ شفعاؤنا

---

(١) جامع المسانيد والسنن، ٢ / ٢١٤ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استأذن النبي ﷺ ربَّه عز وجل في زيارة قبر أمه، ٢ / ٦٧٢ ؛ ومسند أحمد، ٥ / ٣٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

عندَ اللهِ قُلْ أتُنبِّئونَ اللهَ بما لا يعلمُ في السَّموات ولا في الأرضِ سبحانَهُ وتعالَى عمَّا يُشركونَ﴾[1].

وقال تعالى ﴿والَّذين يدعونَ من دُونِ اللهِ لا يَخلُقونَ شيئًا وَهُمْ يُخلَقونَ، أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يَشعُرونَ أيَّانَ يُبعثونَ﴾[2].

والله تعالى أنكر على المشركين عبادتهم الأوثان والأصنام، فهي جماداتٌ لا أرواح فيها، فلا تسمع ولا تُبصر ولا تخلق، ولا يدرون متى تكون الساعة فكيف يُرجى منها نفعٌ أو ثوابٌ أو جزاءٌ، إنما يُرجى ذلك من الذي يعلم كلَّ شيءٍ، وهو خالق كلِّ شيءٍ، الذي يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر، وسيجزي كلَّ عاملٍ بعمله يوم القيامة إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشر، وهو الله وحده. أمَّا الأصنام والأوثان وكلُّ ما عُبد من دون الله فهي لا تنفع ولا تضر ولا تدفع الضر عن نفسها، فكيف تدفع عن غيرها؟ فهي لا تملك شيئًا، ولا يقع شيءٌ ممَّا يزعم المشركون فيها، ولا يكون ذلك أبدًا[3].

---

(١) سورة يونس، آية: ١٨.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ٤١١، ٥٦٥، بتصرف.

## المبحث الخامس

# ذكر أمور الآخرة

لقد أولى ابن كثير ذِكر أمور الآخرة عنايةً كبيرةً، لأجل حفز المسلم على الاهتمام بها لكي يستعد لذلك اليوم العظيم يوم القيامة، فيعمر دنياه بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، والحرص على العمل الصالح، فالحياة الدنيا محدودةٌ، والأنفاس معدودةٌ، والانتقال منها كائنٌ لا محالة، وذلك إلى الدار الآخرة، وكل ما يقدِّمه الإنسان من عملٍ سيجازى عليه في الآخرة. فالدنيا دار عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل.

قال الله تعالى ﴿أرضيتُم بالحياة الدُّنيا من الآخرة، فما متاع الحياة الدُّنيا في الآخرة إلاَّ قليل﴾[1].

وقال تعالى ﴿تلك الدَّارُ الآخرةُ نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرضِ ولا فسادًا والعاقبة للمتقين﴾[2].

وقال تعالى ﴿إنَّما هذه الدُّنيا متاعٌ وإنَّ الآخرةَ هي دارُ القرار﴾[3].

وقال تعالى ﴿إنَّ هؤلاء يحبُّون العاجلةَ ويذرونَ وراءَهم يومًا ثقيلاً﴾[4].

وقال تعالى ﴿بل تؤثرون الحياةَ الدُّنيا والآخرةُ خيرٌ وأبقى﴾[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣٨.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) سورة غافر، آية: ٣٩.

(٤) سورة الإنسان، آية ٢٧.

إن المؤمن عليه أن يستحضر ذكر الآخرة بقلبه في كلِّ أحواله، وهذا من تمام الإيمان بالله والاستقامة على شرعه. فهو موقنٌ بأن الله تعالى جعل السعادة الأبدية في الآخرة فضلاً منه وعدلاً.

كما أن من عصى الله في دار الدنيا فله في الآخرة من الله تعالى العقوبة، وتلحقه الشقاوة الأبدية، جزاءً وعدلاً، كما قال تعالى ﴿جزاءً وفاقًا﴾[1]. فالذين استحقوا العقوبة بسبب العصيان إنما حصل ذلك بفعل الأعمال الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا[2].

ويؤكد ابن كثير رحمه الله في تفسيره أن الله تعالى رغَّب عباده في الدار الآخرة، وبيَّن أن الدنيا متاعها قليل، وأنَّ الآخرة نعيمها مقيم لا يزول ولا يحول، جعلها الله لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوًّا في الأرض - أي ترفعًا على خلق الله، وتعاظمًا عليهم وتجبرًا بهم - ولا فسادًا فيهم وعملاً بالمعاصي.

والدار الآخرة لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا ظعن[3] عنها إلى غيرها، بل هي نعيم أو جحيم.

ولقد أنكر الله تعالى على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها، وترك الآخرة وراء ظهورهم، فيها المعاش الحق الكريم، فالمسلم لا يقدِّم الدنيا على الآخرة، لأن الآخرة فيها المعاد والصلاح، وثواب الله في الآخرة خير من الدنيا وأبقى،

---

(٥) سورة الأعلى، الآيتان، ١٦، ١٧.

(١) سورة النبأ، آية: ٢٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٤٦٤.

(٣) ظعن ضعنًا وظعونًا: سار وارتحل. انظر المعجم الوسيط. ٢ / ٥٨١.

فإن الدنيا دانيةٌ فانيةٌ، والآخرة شريفةٌ باقيةٌ. فكيف يُؤثر عاقلٌ ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبًا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد [1].

ثم بعد ذلك يذكر ابن كثير طرفًا من أحاديث الرسول ﷺ الدالة على الاهتمام بالآخرة وعدم الركون إلى الدنيا، قال ﷺ "ما الدنيا في الآخرة إلاَّ كما يجعل أحدُكم إصبعه هذه في اليمِّ، فلينظر بم ترجع ؟" وأشار بالسبابة [2].

ومعنى الحديث:ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قِصَرِ مدَّتها، وفناء لذَّاتها، ودوام الآخرة، ودوام لذَّاتها، ونعيمها، إلاَّ كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر[3].

عن أبي موسى الأشعري [4] رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى" [5].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ٣٥٨، ٣ / ٤٠٢، ٤ / ٨٠، ٤٥٨، ٥٠١، بتصرف

(٢) نفس المصدر، ٢ / ٣٥٨ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنَّة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ٤ / ٢١٩٣ ؛ ومسند الحاكم، كتاب الرقائق، ٤ / ٣٥٥

(٣) انظر هامش صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا، تعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ٤ / ٢١٩٣.

(٤) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضَّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري، الفقيه المقرئ، أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين، استعمله الرسول ﷺ ومعاذًا على زبيد وعدن، وولي إمرة الكوفة لعمر، جاهد مع رسول الله ﷺ، وحمل عنه علمًا كثيرًا، كان أبو موسى الأشعري صوامًا قوامًا عابدًا، جمع بين العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، توفي عام ٤٤ هـ. انظر سير أعلام النبلاء، ٢ / ٣٨٠.

(٥) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٥٠١ ؛ ومسند الإمام أحمد، ٤ / ٤١٢ ؛ والمستدرك، ٤ / ٣٥٤.

وقال ﷺ: "قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنّعه الله بما آتاه" (١).

فالرسول ﷺ حكم في هذا الحديث بالفلاح لمن جمع ثلاث خصال، لأن هذه الخصال جامعة لخيري الدنيا والآخرة، فإن العبد إذا هُدِيَ للإسلام الذي هو دين الله، الذي لا يقبل دينًا سواه، وهو مدار الفوز بالثواب، والنجاة من العقاب، وحصل له الرزق الذي يكفيه، ويكف وجهه عن سؤال الخلق، ثم تَمّم الله عليه النعمة بأن قنّعه بما آتاه، أي حصل له الرضا بما أوتي من الرزق والكفاف، ولم تطمح نفسه لما وراء ذلك، فقد حصل له حسنة الدنيا والآخرة (٢).

فابن كثير يؤكد أمر الآخرة للاهتمام به، والطمع في ثواب الله العظيم، وما أعدَّه لعباده الطائعين من الخلود بالجنات والنعيم المقيم، والخوف من وبيل عقابه والخلود في الجحيم وعذاب السعير.

ففي الآخرة أهوال وشدائد ستقع فيها، وقد بيَّنها ابن كثير في كتبه، ومن عقيدة المؤمن الإيمان بالغيب، ومن هذه الكتب الفتن والملاحم، وعلامات يوم القيامة، وصفة الجنة، وقصص الأنبياء، والبداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، وجامع المسانيد. وسوف أورد ما ذكره عن بعض أمور الآخرة فيما يلي:

أ - البعث والنُّشور.

ب - الحوض والميزان والصراط.

جـ - الجنّة والنّار.

---

(١) انظر جامع المسانيد والسنن، ٢٦ / ٢٦١، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، ٢ / ٧٣٠.

(٢) انظر بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي، ص ١٩٨.

أ - البعث والنُّشور:

لقد أكثر الله تعالى في القرآن الكريم من ذكر البعث، بل أقسم سبحانه وتعالى على وقوعه.

قال تعالى ﴿زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا قل بلى وربي لتُبعثُنَّ ثم لتُنبؤُنَّ بما عملتم وذلك على الله يسير﴾[1].

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى مخبرًا عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يُبعثون ﴿قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أي لتُخبرنَّ بجميع أعمالكم، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها ﴿وذلك على الله يسير﴾ أي بعثكم ومجازاتكم، وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يُقسِم بربِّه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده[2]. فالأولى في سورة يونس ﴿ويستنبِئونك أحقٌّ هو، قل إي وربي إنه لحقٌّ وما أنتم بمعجزين﴾[3]، والثانية في سورة سبأ ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة، قل بلى وربي لتأتينكم﴾[4]، والثالثة هي هذه ﴿زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا قل بلى وربي لتُبعَثُنَّ﴾ الآية.

والبعث هو إحياء الله تعالى الموتى، وإخراجهم من قبورهم للجزاء والحساب في يوم الحشر، فيُعيد الله تعالى بقدرته رفات أبدان الموتى من بني آدم، بعد ما صاروا في قبورهم رِمَمًا، ويوجدهم من البِلى، ويجمع الله ما تفرَّق من أجزاء بني آدم في البحار

---

(١) سورة التغابن، آية: ٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٧٤، ٢ / ٤٢٠، ٣ / ٥٢٥.

(٣) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٤) سورة سبأ، آية: ٣.

وبطون السباع وغيرها، حتى تصير كهيئتها الأولى، ثم يجعل الله تعالى فيها الأرواح، فيقوم الناس كلهم أحياء [1].

قال تعالى ﴿وضرب لنا مثلاً ونسيَ خلقه قال من يحي العظامَ وهي رميمٌ [2]﴾[3].

والبعث والنشور كائن لا محالة، وواقع بلا شك ولا ريب، ومن أنكر ذلك، أو شكَّ فيه، فهو ملحدٌ زنديقٌ، كافرٌ بالله العظيم [4].

والمشركون ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة، مع أنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض، كما قال تعالى عنهم ﴿ولئن سألتَهم من خلقَ السَّموات والأرضَ وسخرَ الشَّمسَ والقمرَ ليَقُولُنَّ اللهُ فأنَّى يُؤفكون﴾[5].

وهذا بالنسبة لقدرة الله تعالى أهون من البداءة، كما قال تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلقَ ثمَّ يُعيده وهو أهونُ عليهِ وله المَثَلُ الأعلى في السَّموات والأرض وهو العزيزُ الحكيمُ﴾[6].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٢٠٦، ٢٠٨ ؛ والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، ٢ / ٢٠٢ ؛ والعقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن الميداني، ص ٦٥٠؛ والعقيدة الإسلامية سفينة النجاة، د/ كمال محمد عفيفي، ص ٣٨٣.

(٢) رميم: بالية أشد البلى. انظر كلمات القرآن، محمد حسنين مخلوف، ص ٣٢٤.

(٣) سورة يس، آية: ٧٨.

(٤) انظر عقيد المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ١ / ٢٢٠.

(٥) سورة العنكبوت، آية ٦١.

(٦) سورة الروم، آية: ٢٧.

وقول المشركين في البعث والمعاد ﴿إِنْ هذا إِلاَّ سحرٌ مبينٌ﴾[1].

هذا كفرٌ وعنادٌ، فهم مع تبيُّن الحق لهم يقولون للرسول ﷺ ما نُصدِّقُك على وقوع البعث، وما يذكر ذلك إلاَّ من سحَرْتَه فهو يتبعك على ما تقول.

وإذا بُيِّن لمنكري البعث والمعاد الحق، وذُكِّروا بالآيات البينات الدالة على أن الله تعالى قادرٌ على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرُّقها، فحالهم كما وصف الله تعالى ﴿ما كان حجَّتُهم إِلاَّ أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾[2]، أي أحيوهم إن كان ما تقولون حقًّا، فردَّ الله تعالى عليهم زعمهم الباطل، وحجتهم الواهية بقوله تعالى ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[3].

فأنتم أيها المنكرون للبعث والمعاد تشاهدون أن الله أخرجكم من العدم إلى الوجود فـ ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾[4].

فالذي قدر على البدء قادرٌ على الإعادة بطريق الأولى والأحرى [5].

والله تعالى يجمع الخلائق يوم القيامة كما قال تعالى ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾[6]،

---

(١) سورة هود، آية: ٧.

(٢) سورة الجاثية، آية: ٢٥.

(٣) سورة الجاثية، آية: ٢٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨.

(٥) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ٤٣٨، ٤ / ١٥١، بتصرف.

(٦) سورة التغابن، آية: ٩.

وقال سبحانه ﴿لأي يومٍ أجّلت. ليومِ الفصلِ﴾[1] ، وهذا الجمع لا شك فيه ولا ارتياب.

وقد سُمِّي يوم القيامة بذلك، لأن جميع الخلق يقومون لله رب العالمين ويقومون من قبورهم كما قال تعالى ﴿قل إنَّ الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يومٍ معلومٍ﴾[2].

وقال تعالى ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا﴾[3].

وقال تعالى ﴿ذلك يومٌ مجموعٌ له النَّاسُ وذلك يومٌ مشهودٌ﴾[4].

فيوم القيامة يومٌ عظيمٌ، تحضره الملائكة، ويجتمع فيه الرسل، وتحضره الخلائق كلها من الإنس والجن والطير والوحوش، والدوابِّ، ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها.

وقال تعالى مبينًا عظمة يوم القيامة وأهميته وشأنه ﴿وما نؤخّره إلاَّ لأجلٍ معدودٍ﴾[5]، أي ما نؤخر إقامة يوم القيامة إلاَّ لأنه قد سبقت كلمة الله في وجود أناس معدودين من ذرية آدم وضرب مدة معينة إذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة، والمدة مؤقتة لا يُزاد فيها ولا يُنقص منها، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فلهذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد، قال تعالى ﴿إنهم يرونه بعيدًا ونراه

---

(١) سورة المرسلات، الآيتان: ١٢، ١٣.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٥٩، ٦٠.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٧.

(٤) سورة هود، آية: ١٠٣.

(٥) سورة هود، آية: ١٠٤.

قريبًا﴾[1].

فالمنكرون للبعث والنشور يرون وقوع العذاب وقيام الساعة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع، والمؤمنون يعتقدون كونه سهلاً قريبًا، وإن كان له أمدٌ لا يعلمه إلاّ الله عز وجل، لكن ما هو آت فهو قريبٌ وواقع لا محالة[2].

فالداعية إلى الله تعالى يجب عليه أن يُعلِم من يدعوهم بهول يوم القيامة، وأن الله تعالى سيجمع فيه الأمم السابقة والآتية، وستحضر بين يدي الله جلَّ وعلا، فيجازيهم بجميع أعمالهم، وهو عليمٌ بها، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، خيرها وشرّها، قال تعالى ﴿وإنَّ كلاً لمَّا ليُوفِّيَنَّهم ربُّك أعمالَهم، إنه بما يعملون خبيرٌ﴾[3]، وقال تعالى ﴿وإن كلٌّ لمَّا جميعٌ لدينا مُحضَرون﴾[4]. وهذا في يوم القيامة، فلا قيامة قبله، ولا عودة إلى الدنيا بعده[5].

وفكرة العودة إلى الدنيا مرةً ثانيةً مع إنها عقيدة الكافرين الأوائل ما يزال بين المسلمين من يقول بها، ويجعلون هذا لأوليائهم عندما يستغيثون بهم لتفريج الكرب !! فيعتقدون أنهم يحضرون حالاً لنجدتهم في هيئات مختلفة، ويدَّعون أنهم يرونهم ويكلمونهم. فتأمَّل أخي المسلم كم هو أثر إبليس اللعين في نفوسهم إلى درجة تجعلهم يعتقدون عقيدة الكفار السابقين، وهم يظنون أنهم ما يزالون من أمَّة محمد ﷺ، ويقولون نشهد أن لا إله إلاّ الله، ونشهد أن محمدًا رسول الله، يقولونها بألسنتهم من

---

(١) سورة المعارج، الآيتان: ٦، ٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ٤٥٩، ٤ / ١٥١، ٣٧٥، ٤٢٠.

(٣) سورة هود، آية: ١١١.

(٤) سورة يس، آية: ٣٢.

(٥) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ٤٦١، ٣ / ٥٧٠.

غير فهمٍ، بدليل أنهم ينقضونها وهم لا يشعرون، وذلك بدعائهم واستغاثتهم بغير الله في أمور لا يكشفها عنهم إلاَّ الله تعالى. وإن ما يرونه من الخيالات ما هي إلاَّ الشيطان قد تمثل لهم بمن ينادون ليزيدهم إضلالاً وتثبيتًا في الشِّرك، نعوذ بالله من الخذلان وسوء المنقلب، اللهم ثبِّتنا [1] على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [2].. فمن كذب بالبعث أو شكَّ فيه فهو أكفر الكافرين، وجميع الأنبياء والمرسلين، والمسلمين في كل زمانٍ وفي كل مكانٍ يصدِّقون ويؤمنون بالبعث والنشور [3].

ومن الآيات الكريمة التي ساقها ابن كثير في البعث والنُّشور، والتي تصوِّر حال النَّاس عند قيامهم من قبورهم وحشرهم إلى ربهم، ينتظرون وعد الله ليحكم بينهم بالحق والعدل، وأن وعد الله حق، والساعة واقعةٌ وكائنةٌ، لا بد منها، ولا محيد عنها، وأنَّه في هذا اليوم - يوم القيامة - تُعطى كلُّ نفسٍ جزاء ما كسبت وعملت في الحياة الدنيا، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشر، فلا تُظلم نفسٌ شيئًا عند الله تعالى، ولا يَظلم ربُّك أحدًا، من هذه الآيات قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [4].

وقوله تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [5].

---

(١) انظر تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، للشيخ محمد نسيب الرفاعي، ٣ / ٥٦٨، تعليقًا على قوله تعالى ﴿وإن كلٌّ لما جميع لدينا محضرون﴾.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٣) انظر عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، ٢ / ١٧٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٥) سورة طه، الآيتان: ١٥، ١٦.

وقوله جلا وعلا ﴿وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ من في القبور﴾[1].

وقوله سبحانه ﴿ونُفخ في الصُّور فإذا هم من الأجداثِ إلى ربِّهم يَنسِلون. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمنُ وصَدَقَ المرسلون. إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميعٌ لدينا مُحْضَرُون. فاليومَ لا تظلمُ نفسٌ شيئًا ولا تجزَوْنَ إلا ما كنتم تعملون﴾[2].

وقال تعالى ﴿ونُفخ في الصُّور فصَعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون. وأشرقتِ الأرضُ بنور ربها ووُضِعَ الكتابُ وجيء بالنبيِّين والشهداء وقضِيَ بينهم بالحقِّ وهم لا يظلمون. ووُفِّيَت كلُّ نفسٍ ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾[3].

فابن كثير يذكر في الآيات السابقة ما أخبر به الله تعالى من هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الزلازل الهائلة، وأن الله تعالى يأمر إسرافيل عليه السلام - وهو أول من يُحْيِي - أن ينفخ في الصُّور نفخة البعث، فإذا الناس أحياء بعدما كانوا عِظامًا ورُفاتًا، فيُخرجهم الله من قبورهم فيصيرون أحياء، ويرد أرواحهم في أجسادهم، فينظرون إلى أهوال يوم القيامة، ويوم القيامة كائن وقائم لا محالة، ولا شك فيه ولا مرية، ولا بد منه، لكي يجزي الله كل عامل بعمله، قال سبحانه ﴿فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًا يره﴾[4].

وقد خاطب الله تعالى المكلفين بألاَّ يتَّبعوا سبيل من كذب بالساعة، أو أنكر

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧.

(٢) سورة يس، الآيات: ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤.

(٣) سورة الزمر، الآيات: ٦٨، ٦٩، ٧٠.

(٤) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

البعث، واستبعد وقوعه، وقد ردَّ الله تعالى دعوى أولئك جميعًا وبيَّن أنه على كل شيءٍ قدير، ولا يعجزه شيءٌ ﴿أولم ير الإنسانُ أنَّا خلقناه من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبينٌ، وضرب لنا مثلاً ونسيَ خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أوَّل مرةٍ وهو بكلِّ خلقٍ عليم. الذي جعل لكم من الشَّجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون. أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم. بلى وهو الخلاق العليم. إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقولَ له كن فيكون﴾[1].

فالله تعالى قد أقسم - وله وحده أن سبحانه أن يُقسم بما شاء من مخلوقات، أمَّا الإنسان فليس له أن يُقسم إلاَّ بالله أو بأسمائه وصفاته - بأنه تعالى سيجمع الأوَّلين والآخرين في صعيد واحد للجزاء والحساب، وأنه لا أحد أصدق من الله في حديثه ووعده ووعيده، فلا إله إلاَّ هو ولا ربَّ سواه.

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يذكِّر الناس بعدم الإقبال على ملاذ الدنيا وعصيان الله تعالى واتِّباع الهوى والشيطان، فمن فعل ذلك فقد خاب وخسر[2].

أمَّا الأحاديث النبوية التي ذكرها ابن كثير في البعث والنشور وقيام الساعة فكثيرة، أسوق طرفًا منها:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "خير يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم السَّاعة، وما

---

(١) سورة يس، الآيات ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ١ / ٥٣٢، ٣ / ١٤٤، ٢٠٨، ٢٤٢، ٤ / ٥٤١.

من دابَّةٍ إلاَّ وهي مُسِيخة [1] من حين تُصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلاَّ الجن والإنس، وفيها ساعةٌ لا يصادفها عبدٌ مؤمنٌ وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلاَّ أعطاه إيَّاه" [2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيِّدُ ولد آدمَ يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافعٍ، وأول مشفَّعٍ" [3].

وقال ﷺ: "أنا أول من تنشق عنه الأرضُ فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور" [4].

وقال صلى الله علي وسلم: "أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ثم أبو

---

(١) مُسِيخة: ويروى مصيخة، بالصاد لغتان أي منتظرة لقيام الساعة، قال الخطابي: قوله مسيخة معناه / مصغية مستمعة، يقال أصاخ وأساخ بمعنى واحد. انظر عون المعبود في شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ٣ / ٣٦٨.

(٢) النهاية، ١ / ١٧٢ ؛ وانظر سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الإجابة أية ساعة هي في يوم الجمعة، ١ / ٢٧٥ ؛ وسنن النسائي، كتاب الجمعة، باب ذكر الساعة التي يستجاب الدعاء يوم الجمعة، ٣ / ١١٤ ؛ وسنن الترمذي، أبواب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي ترتجى في يوم الجمعة، ٢ / ٥٦٠ ؛ وصحيح الجامع الصغير، للألباني، ٣ / ١٣٤.

(٣) النهاية، ١ / ١٧٤ ؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق، ٤ / ١٧٨٢ ؛ وسنن أبي داود، كتاب السنَّة، باب التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة السلام، ٤ / ٢١٨.

(٤) النهاية، ١ / ١٧٤ ؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر﴾الآية، ٤ / ٣٠٠ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، ٤ / ١٨٤٤.

بكر، ثم عمر، ثم يأتي أهل البقيع فيُحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة فيحشرون معي"(١).

وقال ﷺ: "**لن يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يؤمن بـا لله،وأن ا لله بعثني بـالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشرِّه**"(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول ا لله صلى قال: "**يُبعث الناس يوم القيامة حفاةً عـراةً غُرْلاً**"(٣)، فقالت عائشة: يا رسول ا لله، فكيف بالعورات ؟ فقـال رسـول ا لله ﷺ: ﴿لكلِ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه﴾(٤).

وعن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: "قام فينا رسـول ا لله ﷺ بموعظةٍ، فقـال: "يا أيُها النَّاس، إنَكم تُحشرون إلى ا لله حفاةً عراةً غرلاً ﴿كما بدأنا أوَل خلقٍ نُعيده وعـدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾(٥)، ألا وإنَّ أول الخلق يُكسى يـوم القيامة إبراهيم، وإنَّه سيجاء بأناس من أمَّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فلأقولن أصحـابي فليقـالن إنَّـك لا تـدري مـا أحدثوا بعدك، فلأقولن كما قال العبد الصالح ﴿وكنـتُ عليهم شـهيدًا ما دمتُ فيهم فلمَّا

---

(١) جامع المسانيد والسنن، ٢٨ / ٢٦١ ؛ وانظر النهاية، ١ / ١٧٥ ؛ ومستدرك الحاكم، ٣ / ٧٢، ثم قال: هو صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٢) جامع المسانيد والسنن، ٢٠، ٣٣٦ ؛ وانظر مسند الإمـام أحمـد، ١ / ١٣٣، والـترمذي، كتاب القدر، حديث ٢٠٧١، وابن ماجة، في المقدمة، حديث رقم ٨١.

(٣) النهاية ١ / ١٧٦ ؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ٨ / ١٩٧ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فنـاء الدنيـا، وبيـان الحشـر يـوم القيامة، ٤ / ٢١٩٤.

(٤) سورة عبس، آية ٣٧.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾[1] إلى قوله ﴿العزيز الحكيم﴾، فيقال إنَّ هؤلاء لم يزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتهم" [2].

وقال ﷺ: "سبعةٌ يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" [3].

## حكمة الله تعالى من البعث والنشور

لقد بيَّن ابن كثير رحمه الله أنه ورد ذكر البعث والنشور كثيرًا في كتاب الله العظيم، وسنَّة رسوله ﷺ، متضمنًا الدلالات العقلية الواقعية، والبراهين الواضحة على ما يزيل كل شكٍّ لدى أي ذي لبٍّ أو إنصافٍ حول المعاد.

قال ابن كثير: "والآيات في هذا كثيرة جدًّا -المعاد والبعث وأهوال يوم القيامة - في أكثر سور القرآن العظيم، وقد ذكرنا في كتابنا التفسير ما عند كل آيةٍ من هذه الآيات الدالة على صفة يوم القيامة من الأحاديث والآثار المفسِّرة لذلك" [4].

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنُّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجَّار. كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدَّبروا آياته وليتذكر أولو

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١١٧، ١١٨.

(٢) النهاية، ١ / ١٧٦ ؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ٨ / ١٩٦ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ٤/٢١٩٥.

(٣) النهاية، ١ / ١٨٩ ؛ انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله، ٨/١٨١ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ٢ / ٧١٥.

(٤) النهاية، ١ / ١٨٧.

الألباب﴾[1].

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثًا، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذّب الكافر، ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنُّ الذين كفروا﴾ أي الذين لا يرون بعثًا ولا معادًا، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدَّة لهم، ثم بيَّن تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين، فقال تعالى ﴿أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار﴾ أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يُثاب فيها هذا المطيع، ويُعاقَب فيها هذا الفاجر، وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معادٍ وجزاء، فإنّا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه، ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرةٍ من إنصاف هذا من هذا[2].

وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتبيَّن أن هناك دارًا أخرى لهذا الجزاء والمواساة، ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى ﴿كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدّبّروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾[3] أي ذوو العقول، وهي الألباب جمع لب وهو العقل[4].

---

(١) سورة ص، الآيات: ٢٧، ٢٨، ٢٩.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٢، ٣٣.

(٣) سورة ص، آية: ٢٩.

(٤) تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٢، ٣٣.

ومما استدل به ابن كثير رحمه الله على حكمة الله تعالى من البعث والنشور قول الله تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون. فتعالى الله الملك الحقُّ لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم﴾[1]، أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصدٍ ولا إرادةٍ ولا حكمةٍ لنا، تعبثون وتلعبون كما خلقت البهائم التي لا ثواب لها ولا عقاب عليها، إنّما خلقناكم أيها المكلفون من الجن والإنس للعبادة، ولتكونوا موضع الأمر والنهي، فالإنسان في هذه الحياة الدنيا لا يُترك مهملاً. لا يؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سدى لا يُبعث، بل هو مأمورٌ في الدنيا محشورٌ إلى الله في الدار الآخرة ﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سدى﴾[2]. فالمعاد ثابت وكائنٌ، والذي لا يؤمن به يعيش في هذه الحياة الدنيا إما معاند مكابر أو جاهل لا يدري ما الحكمة التي من أجلها خلق.

وصاحب المال والجاه والسلطان ومن عاند وتكبَّر فأنكر المعاد، لو تأمَّل أنه لا يبقى من المال شيءٌ بل لا يبقى مع الإنسان أي شيءٍ سوى ما قدَّم من العمل الصالح لما تمادى في غيِّه. فالخاسر الذي يأخذ كتابه يوم القيامة بشماله فيندم حين لا ينفع الندم، فيقول ﴿ما أغنى عني ماليه. هلك عني سلطانيه﴾[3]. لذا فالله تعالى قد قرَّر المعاد وأثبته، وردَّ على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، واستدل سبحانه على الإعادة بالبداءة فقال ﴿ألم يك نطفة من مني يُمنى. ثم كان علقة فخلق فسوَّى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحيي الموتى﴾[4].

فالذي أنشأ الخلق السوي من النطفة الضعيفة قادرٌ على أن يعيده كما بدأه[5].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥، ١١٦.

(٢) سورة القيامة، الآية ٣٦.

(٣) سورة الحاقة، الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٤) سورة القيامة، الآيات: ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠.

(٥) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٢٥٩، ٤ / ٤١٦، ٤٥٢، بتصرف.

## ب – الحوض والميزان والصراط:

الداعية إلى الله تعالى عليه أن يبيِّن للناس ما سيكون في المعاد ويوم القيامة، مما أخبر به النبي ﷺ كالحوض والميزان والصراط، لما في ذلك من تحريك القلوب إلى الله تعالى وطلب مرضاته.

فالمطيع لله تعالى ولرسوله ﷺ سينال الثواب الجزيل، وينجو من العذاب المهين، ويظفر بوروده على حوض النبي الكريم ﷺ والشرب منه، ويُثقِّل الله موازينه، فيكون في عيشةٍ راضيةٍ، ويجتاز الصراط بسلام إلى دار السلام.

وقد ساق ابن كثير رحمه الله تعالى ما ورد في ذكر الحوض والميزان والصراط ليعمِّق الإيمان بالله تعالى في نفوس المسلمين، وليتأملوا فيما أخبر به رسول الله ﷺ من الأحاديث الصحيحة في أمور الآخرة مثل الحوض والميزان والصراط، فيشمِّروا في طاعة الله، ويحقِّقوا المتابعة لرسوله ﷺ حتى يظفروا بالثواب وينجوا من العقاب.

## الحـــوض:

قال ابن كثير [1]: "ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي سقانا الله منه يوم القيامة من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثيرٍ من المبتدعة المعاندة المكابرة القائلين بجحوده المنكرين لوجوده، وأخلق بهم أن يُحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف من كذب بكرامة لم ينلها، ولو اطَّلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها.

---

(١) انظر النهاية، ٢ / د.

روي ذلك عن جماعة من الصحابة ﷺ منهم أبي بن كعب [١]، وأنس بن مالك [٢]، والحسن بن علي [٣]، وحمزة بن عبد المطلب [٤]، والبراء بن عازب [٥]، وبريدة بن الحصيب [٦]، وثوبان [٧] مولى رسول الله ﷺ، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن

---

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية الأنصاري النَّجَّاري، أبو المنذر، سيد القرَّاء، شهد بدرًا والمشاهد كلها، قال فيه النبي ﷺ "ليهنك العلم أبا المنذر"، و "أمرني الله أن أقرأ عليك"، مات سنة ٢٢ هـ. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ١ / ١٩.

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام البخاري (الأنصاري)، أبو حمزة المدني، نزيل البصرة، وهو صاحب رسول اله ﷺوخادمه، فقد خدمه عشر سنين مدة إقامة الرسول ﷺ بالمدينة، مات سنة ٩٣ هـ. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزي، ٣ / ٣٥٣.

(٣) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، أمير المؤمنين، أبو محمد، ولد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، ومات سنة إحدى وخمسين للهجرة، ودفن بالبقيع. انظر الإصابة، ١ / ٣٢٧ ؛ وتهذيب التهذيب، ٤/٢٩٥.

(٤) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف البطل الضرغام، أسد الله، وأسد رسول الله ﷺ، أبو عمارة، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، لما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد امتنع، وأن حمزة سيمنعه، استشهد ﷺ في غزوة أحد، قتله وحشي ثم أسلم. انظر سير أعلام النبلاء، ١/١٧١؛ والجرح والتعديل، ٣ / ٢١٢.

(٥) هو البراء بن عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة، شهد مع رسول الله ﷺ غزوات كثيرة، توفي سنة اثنتين وسبعين، وقيل إحدى وسبعين. انظر سير أعلام النبلاء، ٣ / ١٩٤.

(٦) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج، أبو عبد الله، وقيل أبو سهل، وقيل أبو سليمان، وأبو الحصيب الأسلمي، أسلم عام الهجرة، وشهد غزوة خيبر والفتح، وكان معه اللواء، واستعمله رسول الله ﷺ.على صدقات قومه، توفي سنة ثنتين وستين، وقيل ثلاث وستين. انظر سير أعلام النبلاء، ٢ / ٤٢٤.

(٧) هو ثوبان مولى رسول الله ﷺ، صحابي مشهور، يقال إنه من العرب من حكمي بن سعد بن حمير، وقيل من السراة، اشتراه رسول الله ﷺ ثم أعتقه، فخدم رسول الله ﷺ

عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم ﷺ أجمعين [1].

وقد ذكر ابن كثير روايات بعض الصحابة ﷺ في الحوض مع تخريجها، وأذكر منها ما يلي:

عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "ليردنَّ عليَّ أناس من أصحابي على الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا [2] دوني، فأقول أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك" [3]. رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك أيضًا ﷺ قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءةً فرفع رأسه مبتسمًا: إمَّا قال لهم، وإمَّا قالوا له: لم ضحكت يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: "أُنزلت عليَّ آنفًا سورة"، فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إنَّ شانئك هو الأبتر﴾، ثم قال: **هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هو نهر اعطانيه ربِّي عز وجلَّ في الجنة، عليه خيرٌ كثيرٌ، ترد عليه أمَّتي يوم القيامة، آنيته كعدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول يا ربِّ إنَّه من أمَّتي، فيقال لي إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك**" رواه مسلم وأبو داود والنسائي[4].

---

حتى مات، ثم تحوَّل إلى الرملة، ثم حمص، ومات بها سنة أربع وخمسين. انظر الإصابة، ١ / ٢٠٥ ؛ وتقريب التهذيب لابن حجر، ص ١٣٤.

(١) انظر النهاية، ٢ / ٥.

(٢) اختلجوا: أصل الخلج الجذب والنزع، ومنه الحديث "ليردن على الحوض أقوام ثم ليختلجن دوني" أي يجتذبون وتقطعون. انظر النهاية لابن الأثير، ٢، ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري في الرقائق، باب الحوض، ٨ / ٢١٦ ؛ ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات الحوض، ٤ / ١٨٠٠ ؛ وانظر النهاية، ٢ / ٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٩٦٤، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، حديث رقم ٤٠٠، والذي في صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ من تعقيب ابن كثير "يشخب فيه ميزابان في الجنة"، ٤ / ١٧٩٨، ١٧٩٩.

وعن ثوبان ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: "أنا عند عقر حوضي أذود عنه الناس لأهل اليمين، وإني لأضربهم بعصاي حتى ترفض، قال: وسئل ﷺ عن سعة الحوض فقال: مثل مقامي هذا إلى عمان ما بينهما أو نحو ذلك. فسئل رسول الله ﷺ عن شرابه فقال: أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، يصب فيه ميزابان، مداده أو مدادهما من الجنّة، أحدهما ورق والآخر ذهب" (١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح، وهما قريبتان من الشام، فيه أباريق عدد نجوم السماء، من ورده فشرب من لم يظمأ بعدها أبدًا" (٢).

والداعية إلى الله تعالى عليه أن يبيِّن للناس حوض النبي ﷺ وميزاته وصفاته، وحاجة الإنسان إلى الشرب منه لما يلحق الناس من شدة الظمأ في ذلك الموقف العظيم يوم القيامة. فالمسلم المتّبع لهدي النبي ﷺ سيرد هذا الحوض، ويشرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا، ومن الناس من يذادون عنه وهم الكفار والذين لم يتبعوا هدي رسول الله ﷺ، ونكصوا على أعقابهم.

والحوض يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسرٌ على جهنم ممدودٌ ويجتاز عليه، فمن جازه سلم من النار (٣).

---

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ، ٤ / ١٧٩٩ ؛ والنهاية، ٢ / ١٠.

(٢) انظر النهاية، ٢ / ١٨ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ٤ / ١٧٩٨، مع وجود اختلاف يسير في اللفظ ؛ وصحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب الحوض، ٨ / ٢١٤.

(٣) انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ١ / ٣٤٨.

قال القرطبي رحمه الله [1]: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين "فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله و لم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدِّلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر، المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال و لم يكن في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به، ثم يقال لهم سحقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُظهرون الإيمان، ويسرُّون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف عنهم الغطاء، فيقال لهم سحقًا سحقًا، ولا يخلد في النار إلاَّ كافرٌ جاحدٌ مبطلٌ ليس في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان" [2].

وقد عقّب ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق الأحاديث التي وردت في الحوض بقوله "فقد تخلص من مجموع هذه الأحاديث المتواترة صفة هذا الحوض العظيم، والمورد الكريم الممد من شراب الجنَّة من الكوثر الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاويةٍ من زواياه مسيرة شهر، وفي بعض الأحاديث المتقدمة أنَّ كل

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق، توفي في مصر ٦٧١ هـ. انظر الأعلام، ٥ / ٣٢٢، وابن كثير ينقل عنه، النهاية، ٢ / ٣١.

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ١ / ٣٥٢.

ما له في زيادةٍ واتساعٍ، وأنه ينبت في حاله من المسك والرضراض [1] من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويُثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يُعجزه شيء، لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله [2].

## والصراط:

هو ذلك الجسر المنصوب على متن جهنم، يجوزه الناس على أحوال متفاوتة بقدر كسبهم في الحياة الدنيا من الأعمال من إساءةٍ أو إحسانٍ أو تخليط، فمنهم من يجتاز على الصراط إلى الجنان وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع، ومنهم مسرف على نفسه يكب في النار، ومنهم من تلفحه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها.

وقد ذكر ابن كثير آياتٍ وأحاديث دالة على ذلك منها:

قال الله تعالى ﴿وإن منكم إلاّ واردُها كان على ربّك حتمًا مقضيًا . ثم ننجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا﴾ [3].

وقال تعالى ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم . يوم يقول المنافقون والمنافقات

---

(١) رضراض: هو في صفة الكوثر "طينه المسك ورضراضه التومم أي اللآلي"، والرضراض هو الحصى الصغار. انظر النهاية، ٢ / ٢٢٩.

(٢) النهاية، ٢ / ٢٨.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢.

للذين ءامنوا انظرونا نقتبس من نوركم. قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضُرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرَّحمة وظاهره من قِبَلِه العذاب﴾[1].

ومن الآثار التي ذكرها ابن كثير عند قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[2]، المراد بذلك: الصراط عل جهنم مثل السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرُّون والملائكة يقولون: اللهم سلِّم سلِّم، ثم قال ابن كثير: ولهذا شواهد في الصحيحين[3].

وقال ابن كثير عند قول الله تعالى ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورُهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ الآية[4]: يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورُهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود[5] في قوله تعالى ﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾ قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتّقد مرةً ويطفأ مرةً[6].

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ١٢، ١٣.

(٢) سورة مريم، آية ٧١.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ١٣٢ ؛ وصحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب الصراط جسر جهنم، ٨ / ٢١٢ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١ / ١٦٩، وتفسير الطبري، ١٦، ١١٢.

(٤) سورة الحديد، آية: ١٢.

(٥) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة، ينتهي نسبه إلى إلياس بن مضر بن نزار، إمامٌ حبرٌ، فقيه الأمّة، أبو عبد الرحمن، روى علمًا كثيرًا، هاجر الهجرتين، مات عام ٣٣ هـ. انظر سير أعلام النبلاء، ١ / ٦٤١.

(٦) تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٠٨.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده، وأمّا عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمنٍ نورًا، وكل منافقٍ نورًا فإذا استووا على الصراط، سلب الله نورَ المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾، وقال المؤمنون ﴿ربّنا أتمم لنا نورنا﴾ فلا يَذكر عند ذلك أحدٌ أحدًا" (١).

قال ابن كثير: "ولا ينجو يومئذ إلاّ من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به، وترك ما عنه زجر (٢).

الموازين:

أمَّا الموازين فإنها تُنصب لوزن أعمال العباد من الحسنات والسيئات كما يشاء الله تعالى أن يوزن. قال تعالى ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾(٣). والميزان له كفتان ولسان (٤). قال أبو إسحاق الزجّاج (٥): أجمع أهل السنّة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال (٦).

---

(١) المعجم الصغير للطبراني، ١ / ١٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٠٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٤) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، للعلامة الصديق حسن خان، ص ١٣٥.

(٥) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجّاج، عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد، من كتبه معاني القرآن، وخلق الإنسان، والأدب واللغة، وإعراب القرآن. انظر الأعلام، ١/٤٠.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣ / ٥٣٨.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري [1]: توضع الموازين العادلة ذات الدقة المتناهية، وتحصر الأعمال، فلا يُترك منها عملٌ وإن قلَّ ودقَّ، فتوضع في موازين العدل وتوزن، وبحسب نتيجة الوزن تكون السعادة أو الشقاوة [2].

ووزن أعمال العباد بالعدل، فلا ظلم على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه هو العدل الحكم، الذي حرَّم الظلم على نفسه، وجعله على عباده محرَّمًا، فلا يُهضم أحدٌ من حسناته، ولا يُؤخذ أحدٌ بسوى عمله [3]. قال تعالى ﴿فاليوم لا تُظلم نفسٌ شيئًا ولا تُجزون إلا ما كنتم تعملون﴾[4].

قال ابن كثير: "فمن رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة، قال ابن عباس ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ أي الذين فازوا فنجوا من النار وأُدخلوا الجنة، ففازوا بما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا، أمَّا من ثقلت سيئاته على حسناته ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ أي خابوا وهلكوا وباءوا بالصفقة الخاسرة [5].

قال الله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفسٌ شيئًا، وإن كان مثقال حبةٍ من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[6].

---

(١) له ترجمة سابقة.

(٢) عقيدة المؤمن، ص ٣٤٧ .

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد حكمي، ٢/٢١٧.

(٤) سورة يس، آية: ٥٤.

(٥) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٢٥٧.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

يبين ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية الكريمة أن الله تعالى وضع الموازين العدل ليوم القيامة، ثم يبيِّن أن ميزان الله تعالى واحد، وإنما جاء الوزن في عدة آيات بصيغة الجمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه، وقوله تعالى ﴿فلا تظلم نفسٌ شيئًا وإن كان مثقال حبةٍ من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ تأكيد من الله تعالى لصفة العدل وعدم الظلم كما قال تعالى في موضع آخر من كتابه العظيم ﴿إنَّ اللهَ لا يَظلمُ مثقالَ ذرةٍ وإن تكُ حسنةً يضاعفها ويُؤتِ من لدنه أجرًا عظيمًا﴾ (١). وقال لقمان ﴿يا بنيَّ إنها إن تك مثقال حبةٍ من خردل فتكن في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله إنَّ الله لطيف خبير﴾(٢). ثم ساق ابن كثير طرفًا من أحاديث النبي ﷺ في عدل الله تعالى، وأنه لا يُظلم عنده أحدٌ، بل يحصي سبحانه وتعالى كل شيءٍ حتى لو كان الحسن قليلاً فإنَّ الله تعالى يثبته للعبد ويثيبه عليه (٣).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة (٤) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" (٥).

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٠.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٦.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ١٨٠.

(٤) قيل اسمه قبل الإسلام عبد شمس، فسمِّيَ في الإسلام عبد الله، وقيل عمير بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف بن غياث، ينتهي نسبه إلى عنم بن دوس، روى كثيرًا عن رسول الله ﷺ، توفي سنة ٥٩ هـ. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ٤ / ٣٢٥.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط﴾، ٩ / ٢٨٩ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح، ٤/٢٠٧٢.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفةٍ، ويوضع ما أُحصي عليه فيما يلي به الميزان، قال فيُبعث به إلى النار، قال فإذا أُدبرَ به إذا صائحٌ من عند الرحمن عزَّ وجلَّ يقولون لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيُؤتى ببطاقة فيها لا إله إلاَّ الله، فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان" (١).

لقد أثبت ابن كثير رحمه الله في تفسيره في سورة الأعراف والأنبياء والمؤمنون عند الآيات التي فيها ذكر الموازين، وكذلك الأحاديث الشريفة في السنّة المطهرة ثبوت الميزان، وأن له كفّتين، وهو في يوم القيامة (٢)، ثم ذكر الأقوال الواردة فيما يوضع في الميزان، فقال: "والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل الأعمال، وإن كانت أعراضًا إلاَّ أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجسامًا، قال البغوي (٣): يُروى نحو هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف، ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن، وأنّه يأتي صاحبه في صورة شاب (٤) شاحب اللون فيقول من أنت ؟ فيقول

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد، ٢ / ٢٢١، ٢٢٢ ؛ وتفسير ابن كثير، ٣ / ١٨٠، والترمذي، كتاب الإيمان، حديث رقم ٢٥٦٣، وابن ماجة، كتاب الزهد، حديث رقم ٤٣٠٠.

(٢) انظر النهاية، ٢ / ٤٣ - ٥٤.

(٣) هو الإمام أبو محمد الحسن بن مسعود بن الفراء البغوي، المفسِّر، صاحب التصانيف، كان ديِّنًا عابدًا ورعًا زاهدًا صالحًا، توفي بمرو عام ٥١٦ هـ. انظر البداية والنهاية، ١٢ / ٢٠٦ ؛ وسير أعلام النبلاء، ١٩ / ٤٣٩.

(٤) انظر صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ١ / ٥٥٣.

أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك [1]. وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر "فيأتي المؤمن شابٌ حسن اللون طيب الريح فيقول من أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح" [2]. وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق.

وقيل يوزن كتاب الأعمال كما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسع وتسعون سجلاً كل سجل مدّ البصر، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلاّ الله فيقول يا ربِّ وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى إنك لا تُظلم، فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان، قال رسول الله ﷺ **"فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"** رواه الترمذي [3].

وقيل يوزن صاحب العمل كما جاء في الحديث "يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة" [4] ثم قرأ ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا**﴾ [5]. وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال "أتعجبون من دقّة ساقيه، والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحد" [6]. ثم قال ابن كثير بعد ذلك: وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارةً توزن

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد، ٥ / ٥٤٨، ٣٥٢ ؛ وابن ماجة، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، ٢/١٢٤٢.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد، ٤ / ٢٨١ ؛ ومجامع المسانيد والسنن، ٢ / ٢٦.

(٣) انظر سنن الترمذي، ٥ / ٢٥، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وابن ماجة، كتاب الزهد، حديث ٤٣٠٠.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾، ٦ / ١٧٢.

(٥) سورة الكهف، آية: ١٠٥.

(٦) مسند الإمام أحمد، ١ / ٤٢٠، ٤٢١.

الأعمال، وتارةً توزن محالُّها، وتارةً يوزن فاعلها، والله أعلم [1].

## جـ - الجنَّـة والنَّـار

الداعية إلى الله تعالى عليه أن يبيِّن لمن يدعو أن الجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقصٌ، ولا يعكر صفوه كدرٌ، وهي دار السلام، ومأوى المؤمنين المتقين، أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي مراتب ودرجات، تتلاءم مع قوة وضعف إيمان العبد بربه، والانقياد والتسليم له، والخشية والعمل الصالح من أجله، وذلك مدة بقاء الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وأن على العبد المسلم أن يدرك أن الجنة لا تُنال إلاَّ بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها، وتحقيق التقوى لله ربِّ العالمين سبب إلى الجنَّة بإذن الله تعالى.

وكذلك على الداعية إلى الله تعالى أن يبيِّن أن النَّار هي دار البوار والبؤس والحزن والهوان والخذلان، وهي الخزي الأكبر والخسران العظيم. وقد أخبر الله تعالى أن النار في الآخرة هي مثوى الكافرين بالله والمستكبرين المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب به أعداءه الخارجين عن طاعته وعبادته، وأنها دركات تتناسب مع مستوى الإجرام والمعصية في الحياة الدنيا، ولا ينجو من النار إلاَّ من ترك الشهوات والشبهات، وفطم نفسه عن ذلك وترك الشرك بالله تعالى.

قال الله تعالى ﴿لا يستوي أصحابُ النَّارِ وأصحابُ الجنَّة، أصحابُ الجنَّةِ هم

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢ / ٢٠٢.

الفائزونَ﴾[1].

قال ابن كثير: أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة، كما قال الله تعالى ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾[2]، وقال تعالى ﴿أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار﴾[3].

وكثيرة الآيات الدالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار، ويهين الفجّار، ولهذا قال تعالى ها هنا ﴿أصحابُ الجنةِ هم الفائزون﴾ أي الناجون، المسلّمون من عذاب الله عز وجل[4].

لقد أثبت ابن كثير رحمه الله ما قرره السلف - أهل السنّة والجماعة - من أن الجنّة والنّار مخلوقتان الآن، ولا تفنيان أبدًا مستدلاً على ذلك بالكتاب والسنّة وأقوال السلف رحمهم الله.

قال في النهاية، فصل: في بيان وجود الجنّة والنّار وأنهما مخلوقتان خلافًا لمن زعم ذلك من أهل البطلان[5].

وقال في موضع آخر "والجنة والنار موجودتان الآن، فالجنة معدةٌ للمتقين، والنار

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢٠.

(٢) سورة الجاثية، آية: ٢١.

(٣) سورة ص، آية: ٢٨.

(٤) تفسير ابن كثير، ٤ / ٣٤٢.

(٥) النهاية، ٢ / ٢٥٣.

معدةٌ للكافرين، كما نطق بذلك القرآن العظيم، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول رب العالمين، وهذا اعتقاد أهل السنّة والجماعة المتمسكين بالعروة الوثقى، وهي السنّة إلى يوم قيام الساعة خلافًا لمن زعم أن الجنة والنار لم تُخلقا بعد، وإنما تُخلقان يوم القيامة، وهذا القول صدر ممن لم يطّلع على الأحاديث المتفق على إخراجها في الصحيحين وغيرهما من كتب الإسلام المعتمدة المشهورة بالأسانيد الصحيحة والحسنة مما لا يمكن دفعه ولا ردُّه لتواتره واشتهاره [1].

قال الإمام الطحاوي [2] رحمه الله: والجنّة والنّار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا، ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنّة والنّار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النّار عدلاً منه [3].

وقد ساق ابن كثير الأدلة من القرآن والسنّة على وجود الجنة والنار، وأن الله تعالى جعل الجنّة لمن أطاعه وسلك سبيله، وهم أهل التقوى والإيمان به، وجعل النار لمن عصاه وأعرض عن ذكره واتّبع هواه ومات على ذلك، وفي ذلك توجيه للدعاة إلى الله تعالى لإيضاح طريق الجنّة، وأنها حُفّت بالمكاره، فلا بد من الثبات على دين الله تعالى حتى الممات لتكون العاقبة حميدةً، وهي الفوز برضا الله تعالى ودخول الجنّة.

---

(١) المصدر السابق، ٢ / ٢٤٧ ؛ وانظر تفسير ابن كثير، ١ / ٦١.

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، فقيه، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، ولد ٢٣٩ في "طحا" قرية من صعيد مصر، فنشأ بها، وتفقّه على المذهب الشافعي، ثم تحوّل إلى الحنفية، وهو ابن أخت المزني، وهو صاحب التصانيف المفيدة، وأحد الثقات الأثبات، والحفّاظ الجهابذة، له من الكتب: أحكام القرآن، ومعاني الآثار، وغير ذلك. انظر الأعلام، ١ / ٢٠٦ ؛ والبداية والنهاية، ١١ / ١٨٦.

(٣) انظر شرح الطحاوية، لعلي بن أبي العز الحنفي الدمشقي، ص ٤٨٤.

كما يجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يحذروا من طريق الغواية والانحراف عن صراط الله المستقيم، فالنار حُفّت بالشهوات، والله تعالى وصف في كتابه العظيم شدة عذابه، ودار عقابه التي أعدّها لمن عصاه ليتّقوه بصالح الأعمال.

وابن كثير رحمه الله من خلال تلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بيّن أن الله تعالى دعا عباده لتدبر آياته والعمل بها فهي تُحدث الخشية والتقوى لله ربِّ العالمين فيسارع المؤمن والمؤمنة إلى ما أمر به الله تعالى ويحبه ويرضاه، ويجتنب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه.

ومن الآيات الكريمة التي أوردها ابن كثير في الجنّة والنّار في كتبه [1]:

١ - قول الله تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّةٍ عرضُها السموات والأرض أعدّت للمتّقين. الذين يُنفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [2].

٢ - وقوله تعالى ﴿سابقوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورُسُله. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [3].

٣ - وقوله تعالى ﴿واتّقوا النّار التي أُعِدّت للكافرين﴾ [4].

٤ - وقوله تعالى ﴿النّار يُعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعونَ

---

(١) انظر النهاية، ٢ / ٢٥٣، وكتاب صفة الجنة لابن كثير، ص ٢٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٣١.

أشدَّ العذابِ﴾[1].

٥ - وقوله تعالى ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرَّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾[2]، ولذلك فالله تعالى دعا عباده إلى الجنّة والمغفرة، وذلك باتّباع شرعه وفعل ما أمر به والبعد عمَّا نهى عنه، كما حذّر من النار ومخالطة المشركين الذين يحبون الدنيا ويقدِّمونها على الآخرة[3]، قال تعالى ﴿أولئك يَدعون إلى النار، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾[4].

فمن تلك الآيات الكريمة التي ذكرها ابن كثير يتبيَّن لنا وجود الجنّة والنّار، وأنهما قد أُعِدَّتا، فالجنّة أُعِدَّت وهُيِّئت للمؤمنين، والنّار أعدَّت للكافرين.

وفي معرض الدعوة إلى الله تعالى نجد ابن كثير يبيِّن أن الله تعالى ندب عباده إلى فعل الخيرات، والمسارعة إلى فعل القربات، وأن من صفة أهل الجنة الإنفاق في سبيل الله في حال الرَّخاء والشدَّة، والمنشط والمكره، والمرض والصحة، وفي جميع الأحوال.

فلا يشغل المسلم أمرٌ عن طاعة الله تعالى والإنفاق في مراضيه والإحسان إلى خلقه من أقرباء وغيرهم بأنواع البر.

والله تعالى قد وصف الجنات بأنها تجري من تحتها الأنهار، ولا يعلم أحدٌ عظمةَ ما أخفى الله لعباده المؤمنين في الجنّات من النعيم المقيم واللذائذ التي لم يطلع على مثلها أحد، وفي ذلك تشويق للإقبال على الله تعالى بفعل ما أمر والابتعاد عمَّا نهى. فالآخرة

---

(١) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ١ / ٢٥٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢١.

إمَّا عذابٌ شديدٌ، وإمَّا مغفرةٌ ورضوانٌ من الله تعالى، كما حذَّر الله تعالى من النَّار التي سيكون وقودها يوم القيامة الناس والحجارة. فالناس الذين كفروا بالله وعصوا رُسُلَه. والحجارة: الأصنام والحجارة التي تكون في النار يُحمى عليها حتى تكون شديدةً على أهل النَّار.

وفي ذلك دفع لتفكر الإنسان في هذه النَّار وشدة عذابها وخطر شأنها، لكي يتنبَّه القلب لأحوال الآخرة، وأحوال أهل الشقاء وديارهم. فالنفس مشغولةٌ بالتفكر في لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات، وعلاج ذلك أن تقول للنفس وقبلها القلب، ما أشد غباوتك واغترارك بعدم التفكر فيما بعد الموت من عذاب جهنم وطعام أهلها الزقوم وشرابهم الحميم.

فإن ذلك التفكر يتم به حصول المقصود وهو التقوى المتمثل بفعل طاعة الله تعالى وترك معاصيه [1].

ومن السنَّة ذكر ابن كثير جملةً من الأحاديث النبوية في ذكر الجنَّة والنَّار بكل ما يتعلق بهما، وإليك طرفًا من هذه الأحاديث الشريفةً:

١ - ثبت في الصحيحين [2] عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: "يقول الله تعالى: لقد أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ١ / ٦١، ٤٠٤، ٤٠٥، ٣ / ٤٦٠، ٤٦١، ٤ / ٨٢، ٨٣، ٣١٣، بتصرف.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرَّة أعين﴾، ٦ / ٢٠٩ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنَّة، وصفة نعيمها وأهلها، ٤ / ٢١٧٤ ؛ والنهاية، ٢ / ٢٥٣.

على قلب بشر بأنه ما أطلعتكم عليه، ثم قرأ ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾[1].

٢ - وفي الصحيحين[2] عن عبد الله بن عمر[3] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال "إن أحدَكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النّار فهو من أهل النّار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة".

٣ - وفي صحيح مسلم[4] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، قالوا يا رسول الله، وما رأيت ؟ قال: رأيت الجنّة والنّار".

٤ - ما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أرواح

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يُعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ٢ / ٢٠٧؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنّة أو النّار عليه، ٤ / ٢١٩٩ ؛ والنهاية، ٢ / ٢٥٣ ؛ وتفسير ابن كثير، ٤ / ٨٢.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، ولد عام ثلاث من البعثة النبوية، وأسلم وهو صغير، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، صحابي جليل، روى عِلمًا كثيرًا عن النبي ﷺ، مات سنة أربع وثمانين، وقيل سبع وثمانين. انظر سير أعلام النبلاء، ٣ / ٢٠٣ ؛ والإصابة، ٢ / ٣٤٧.

(٤) انظر صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، ١/٣٢٠، وكتاب صفة الجنّة، لابن كثير، ص ٢٣٧، والنسائي، كتاب السهو، حديث رقم ١٣٦٣.

الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنّة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلّقة في العرش... " الحديث [1].

٥ - وما رواه الإمام أحمد بسنده إلى كعب بن مالك [2] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إنّما نسمة المؤمن طائرٌ يعلّق في شجر الجنّة يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه" [3].

٦ - وجاء في الصحيحين "إذا دخل شهر رمضان ففتحت أبواب الجنة، وأغلقت أبواب النار" [4].

٧ - وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "حُفّت الجنّة بالمكاره، وحُفّت النّار بالشهوات" [5].

---

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب أرواح الشهداء في الجنة، ٣ / ١٥٠٢ مع اختلاف يسير في الألفاظ ؛ والترمذي، كتاب التفسير، حديث رقم ٢٩٣٧، وابن ماجة، في كتاب الجهاد، حديث رقم ٢٨٠١.

(٢) هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين الأنصاري، صحابي جليل، شاعر الرسول ﷺ، وأحد الثلاثة الذي خلّفوا فتاب الله عليهم، شهد بيعة العقبة، مات بالشام وقيل أيام قتل علي بن أبي طالب ﷺ. انظر سير أعلام النبلاء، ٢ / ٥٢٣ ؛ والإصابة، ٣٠٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣ / ٤٥٥ ؛ وابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، ٢ / ١٤٢٨ ؛ الترمذي في فضائل الجهاد، حديث رقم ١٥٦٥، والنسائي، في الجنائز، حديث رقم ٢٠٧٣.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يُقال رمضان أو شهر رمضان، ٣ / ٦٠ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، وفيه زيادة "وصفدت الشياطين"، ٧٥٨/٢.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٤٨٧، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٤ / ٢١٧٤ ؛ والنهاية، ٢ / ٢٥٤.

٨ - وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "تحاجَّت الجنّة والنّار، فقالت النّار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنّة ما لي لا يدخلني إلاّ ضعفاء النّاس وسقطهم وغرثهم [١]. فقال الله للجنّة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنّار أنت عذابي أعذّب بك من أشاء من عبادي، لكل واحدةٍ منكما ملؤها، فأمّا النار فلا تمتلئ حتى يضع قدمه عليها فتقول قط قط [٢]، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأمّا الجنة فإن الله يُنشئ لها خلقًا" [٣].

لقد ذكر ابن كثير في كتاب الفتن والملاحم - وهو المسمَّى النهاية - صفة النّار وأسمائها ودركاتها، وطعام أهلها، وما فيها من العذاب والشقاء والأحزان، ثم أتبع ذلك صفة الجنّة ومنازلها وأهلها وطعامهم وغرفهم والخيام التي فيها والحور العين، وفي حديثه عن الجنة قال: ذكر الأمر بطلب الجنّة، وترغيب الله عباده فيها، وأمرهم بالمبادرة إليها [٤].

قال الله تعالى ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم﴾[٥].

---

(١) غَرثُهم: أهل الفاقة والحاجة والجوع الثابتون على الإيمان.

(٢) قط قط: حسبي ويكفيني. انظر معنى الكلمتين هامش صحيح مسلم، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ٤ / ٢١٨٧.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله ﴿إنَّ رحمةَ الله قريبٌ من المحسنين﴾، ٩ / ٢٣٩، وصحيح مسلم، كتاب الجنة، حديث رقم ٢٨٤٦.

(٤) النهاية، ٢ / ٢٣٣.

(٥) سورة يونس، آية: ٢٥.

وقال تعالى ﴿وهذا صراط ربك مستقيمًا قد فصلنا الآياتِ لقومٍ يذكرون. لهم دار السلام عند ربهم وهو وليُهم بما كانوا يعملون﴾[1].

روى الإمام أحمد [2] عن ابن مسعود ﷺ قال: خطَّ رسول الله ﷺ خطًّا بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيمًا" عليه شيطان يدعو إليه [3]، ثم قرأ ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتَّبعوا السُّبُلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيله﴾[4].

فالله تعالى بيَّن لعباده المؤمنين ألاَّ يطلبوا الدنيا وزينتها، لأن مصيرها إلى زوالٍ وفناءٍ، وقد ضرب الله في كتابه مثلاً لذلك، لكي يتأمله النَّاس، والمثل هو مُشاهدٌ في هذه الحياة الدنيا ألا وهو - النبات - فهو ينمو ويكبر حتى يكتمل ثم يصير إلى هلاك وبوار، فعلى أهل الإيمان بالله تعالى أن يطلبوا الآخرة فهي الباقية، ولها يكون العمل، فما عند الله لا يُلتمس إلاَّ بطاعته، لهذا فقد حثَّ سبحانه وتعالى عباده على العمل الصالح للآخرة، فقال سبحانه ﴿وما الحياةُ الدنيا إلاَّ لعبٌ ولهوٌ وللدارُ الآخرةُ خيرٌ للذين يتَّقون أفلا تعقلون﴾[5].

---

(١) سور الأنعام، الآيتان: ١٢٦، ١٢٧.

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حبًا، الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، شيخ الإسلام، أبو عبد الله، أحد أئمة الإسلام، ولد عام ١٦٤هـ، ومات ٢٤١ هـ. انظر سير أعلام النبلاء، ١١ / ١٧٧ ؛ والبداية والنهاية، ١٠/ ٣٤٠.

(٣) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١ / ٤٦٥؛ ومستدرك الحاكم، ٢ / ٣٤٩ ؛ وسنن ابن ماجة، ١ / ٦؛ المقدمة، باب تبليغ سنَّة رسول الله ﷺ ؛ وتفسير ابن كثير، ٢ / ١٩٠.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

(٥) سورة الأنعام، آية ٣٢.

والآخرة هي يوم القيامة، وفي ذلك الجنّة والنّار، والجنّة هي دار السلام، التي نادى الله عباده إليها.

وقد وصف الله تعالى الجنّة بدار السلام لسلامة من وصل إليها من الآفات، لأنه سلك صراط الله المستقيم، واقتفى أثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وطرائقهم، فكما سلموا في الدنيا من آفات الاعوجاج، أفضوا إلى دار السلام السالمة من النقائص والنكبات، والله تعالى ولي المؤمنين أي حافظهم وناصرهم ومؤيدهم جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم وأثابهم الجنّة بمنّه وكرمه [1].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: "**إنّي رأيتُ في المنام كأنّ جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجليّ، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً ؟ فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنّما مثلك ومثل أمّتك كمثل ملك اتخذ دارًا ثم بنى فيها بيتًا ثم جعل فيها مأدبةً، ثم بعث رسولاً يدعو النّاس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنّة، وأنت محمد الرسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنّة، ومن دخل الجنّة أكل منها**" رواه ابن جرير [2].

لقد اهتم ابن كثير رحمه الله في بيان الجنّة والنّار، وذكر الأسانيد الصحيحة إلى رسول الله ﷺ، وكذلك بعض الآثار في صفة الجنّة والنار سواء في تفسيره عند ورود

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ١٢٩، ١٧٥، ١٩٠، ٢١٤، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، حديث رقم ٧٢٨١، والترمذي، كتاب الأمثال، حديث رقم ٢٧٨٧. وصحيح الجامع الصغير، للألباني، ٢ / ٣١٩، ٣٢٠، وقال الألباني: حديث صحيح.

الآيات التي فيها ذكر الجنّة والنّار أو في كتابه "النهاية" حيث أفرد فيه الحديث لكل من الجنة والنار فقال: كتاب الجنة، كتاب النار، فذكر الآيات والأحاديث في ذلك، وقد طُبع كتاب مستقل لابن كثير يحمل اسم "صفة الجنة وما فيها من النعيم المقيم" تحقيق وتعليق أبي عبد الرحمن بن محمد بن عبد المنعم بن محمد رشاد.

وكتاب "البداية والنهاية" لابن كثير أودع في هذا الكتاب الكبير ما يتعلق بذكر الجنة والنار من خلال حديث الرسول ﷺ في خطبه وغيرها، وكذلك ما أثر عن الصحابة الكرام رضي اله عنهم.

ولخشية الإطناب في ذكر ذلك أكتفي بذكر كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمرو بن مرة رضي الله عنه فيما يتعلق بالجنّة والنّار وإيضاح ذلك للناس، لطلب الجنّة والعمل لها والحذر من النار والبعد عنها.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أيها الناس أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم، فإن الله وعد جنّته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه، إنها نارٌ لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرُّها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإنَّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل" (١).

ويذكر ابن كثير عن عمرو بن مرة لمّا قدِم على النبي ﷺ معلنًا إسلامه، فقال النبي ﷺ: "مرحبًا بك يا عمرو بن مرَّة". فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمّي، ابعث بي إلى قومي، لعل الله أن يمنَّ بي عليهم كما منَّ بك عليَّ، فبعثني إليهم وقال: "عليك

---

(١) البداية والنهاية، ٨ / ٨.

بالقول السديد، ولا تكن فظًا ولا متكبرًا، ولا حسودًا" فأتيت قومي فقلت: يا بني رفاعة، يا بني جهينة، إنّي رسولٌ من رسول الله إليكم، أدعوكم إلى الجنّة، وأحذّركم من النار، وآمركم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام رمضان، شهر من اثني عشر شهرًا. فمن أجاب فله الجنّة، ومن عصى فله النّار..." (١).

وفي ذلك أسلوبٌ عظيمٌ لعرض ما يتعلق بالجنّة والنّار من قِبل الدُّعاة إلى الله.

---

(١) المصدر السابق، ٢ / ٣٢٦. والحديث خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/٢٤٤،٢٤٦.

# المبحث السادس
# ذكر القصص

## المعنى اللغوي للقصص:

قصَّ: القاف والصَّاد المشدَّدة أصلٌ صحيح يدل على تتبع الشيء، ومن ذلك قولهم: قصصت الأثر: إذا تتبعته.

ومن الباب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر [1].

والقصص: رواية الخبر، والخبر المقصوص والأثر.

والقصةُ: التي تُكتب، والجملة من الكلام، والأمر، والخبر والشأن. وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معًا، وتُبنى على قواعد معيَّنة من الفن الكتابي [2].

والقصة أيضًا: هي الخبر عن حادثة غائبة عن المُخبَر بها، وهي من القَصَص - بالفتح - إتباع الخبر بعضه بعضًا، وأصله في اللغة المتابعة، قال تعالى ﴿وقالت لأخته قصيه﴾[3]، أي تتبَّعي أثره، وقال سبحانه وتعالى ﴿فارتدا على ءاثارهما قصصا﴾[4]،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥ / ١١.

(٢) المعجم الوسيط، ٢ / ٧٤٦.

(٣) سورة القصص، آية: ١١.

(٤) سورة الكهف، آية: ٦٤.

اتباعًا، وإنَّما سمِّيت الحكاية قصصًا، لأن الذي يقصُّ الحديث أو الخبر يذكره شيئًا فشيئًا [1].

## القصص القرآني:

الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، فإذا تخلَّلتْها مواطن العِبرة في أخبار الماضين، كان حبُّ الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عِبرتها في النفس، والموعظة الخطابية تُسرد سردًا لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يُلقى فيها، ولكنها حين تأخذ صورةً من واقع الحياة في أحداثها تتضح أهدافها، ويرتاح المرء لسماعها، ويصغي إليها بشوقٍ ولهفةٍ، ويتأثر بما فيها من عبر وعظاتٍ، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنًّا خاصًّا من فنون اللغة وآدابها، والقصص الصادق الذي يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل، ويصوِّره في أبلغ صورةٍ هو قصص القرآن الكريم.

وقصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوَّات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن العظيم على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورةً ناطقةً لما كانوا عليه [2].

ومن قواعد التعليم التي أرشد الله تعالى إليها في كتابه أن القصص المبسوطة يجعلها في كلمات يسيرة ثم يبسطها، وأن الأمور المهمَّة ينتقل في تقريرها نفيًا وإثباتًا من درجةٍ أعلى أو أدنى منها، وهذه قاعدة نافعة، فإنَّ هذا الأسلوب العجيب يصير له موقع كبير، وتتقرر فيه المطالب المهمَّة، وذلك أنَّ القصة إذا أُجملت بكلام يكون لها كالأصل

---

(١) انظر مقدمة تفسير الإمام البغوي، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، ١/ ١٣.

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، ص ٣٠٧.

والقاعدة، ثم يقع التفصيل لذلك الإجمال، يحصل به الإيضاح والبيان التام الكامل الذي لا يقع ما يقاربه لو فهمت القصة الطويلة من دون تقدُّم صورة إجمالية لها، فإنَّ الصورة المجمَلة تشوِّق إلى التفصيل.

وقد ورد هذا في مواضع من القرآن الكريم، في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى ﴿نحن نقصُّ عليك أحسن القصص﴾[1]، ثم أخذ في تفصيلها، فقال سبحانه ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين﴾[2]، ثم ساق القصة بتمامها.

وكذلك قصة أهل الكهف، قال تعالى في تصويرها الإجمالي ﴿أم حسبتَ أنَّ أصحابَ الكهفِ والرَّقيمِ كانوا من آياتِنا عجبًا . إذ أوى الفتيةُ إلى الكهفِ فقالوا ربَّنا ءاتنا من لدنكَ رحمةً وهيِّئْ لنا من أمرنا رشدًا . فضربْنا على ءاذانِهم في الكهفِ سنينَ عددًا . ثمَّ بعثناهم لنعلمَ أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا﴾[3]، ثم بسطها بقوله ﴿نحن نقصُّ عليك نبأهم بالحقِّ﴾[4] الآيات إلى آخر القصة[5].

أقسام القصص:

القصص قسمان: مذمومٌ ومحمودٌ.

والمذموم نوعان: أحدهما، الاشتغال بالقصص والحكايات عن الأمم السابقة التي يتطرق إليها الاختلاق والزيادة والنقصان، وخروجها عن القصص الوارد في القرآن

---

(١) سورة يوسف، آية: ٣.

(٢) سورة يوسف، آية ٧.

(٣) سورة الكهف، الآيات ٩ - ١٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٣.

(٥) انظر القواعد الحسان لتفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، ص ١٧٩، ١٨٠.

الكريم. وقد يُضاف عليها. فإن ذلك مما يندر صحته، خصوصًا ما يُنقل عن بني إسرائيل مِمَّا لا يُقرُّه عقلٌ ولا يؤيده نقلٌ، كما جاء في كتاب بدائع الزهور [1]، فكان ذلك مذمومًا لما فيه من الكذب، وعلى فرض خلوّه عنه، فالأسلم البعد عنه، ومن فتح الباب على نفسه اختلط عليه الصدق والكذب، والضارُّ والنافع.

ثانيهما: الاشتغال بحكاية أحوالٍ تومئ إلى هفوات أو تصرفات فيها شيءٌ من التساهل، يقصر فهم العوام عن إدراك معانيها، أو عن كونها هفوة نادرة الوقوع، ومردفة بما يكفّرها، وكتداركه بحسناتٍ تغطّي عليها، كما هو المعهود فيمن نُسب إليه شيءٌ من ذلك مِمَّن سلف، ويحتج أنه حكي كيت وكيت عن المشائخ وبعض الأكابر - وكلنا عرضةٌ للمعاصي، ومن الذي عُصم منّا، فلا غرو أن يعصي البعض الله تعالى، فقد عصاه من هو أكبر منه مقامًا وأحسن حالاً - ويفيد ذلك جراءةً على الله تعالى من حيث لا يدري، فكان هذا أيضًا مذمومًا لإفضائه إلى إفساد حال السَّامعين [2].

وقد ورد عن السلف رحمهم الله ذمُّ القصَّاص عمومًا، لأن الغالب منهم الاتساع في ذكر القصص، دون ذكر العلم المفيد، ثم غالب القصَّاص يخلط فيما يورده، وربَّما اعتمد على ما أكثره محالٌ [3].

ولَمَّا دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة جعل يُخرج القصَّاص من المسجد، ويقول: لا يقص في مسجدنا. ذلك أنه سمع من كلامهم ما لا ينطبق مع الدين، فرأى

---

(١) اسم الكتاب كاملاً، "بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمؤلفه الشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، يحوي الأدب، والتاريخ، والقصص، والحكايات، طبع عن طريق المكتبة التجارية الكبرى، توزيع دار الفكر..

(٢) انظر هداية المرشدين، للشيخ علي محفوظ، ص ٧٨، ٧٩.

(٣) انظر تلبيس إبليس، للإمام ابن الجوزي، ص ١٢٣.

أنَّ من المصلحة إخراجهم، وفي تركهم مفسدة دينية يجب اتقاؤها [١].

والقصص المحمود: هو ما رجع في مادته إلى ما اشتمل عليه القرآن الحكيم، وما صحَّ في الكتب الصحيحة ككتب السنَّة، والتفاسير الموثوق بها [٢].

وإذا كان القصص صدقًا، ويوجب وعظًا فهو ممدوح، وقد كان أحمد بن حنبل يقول: ما أحوج النَّاس إلى قاصٍّ صدوقٍ. ويقول ابن الجوزي رحمه الله في بيان القصَّاص الممدوحين: وكان الوعَّاظ والقصَّاص في قديم الزمان علماء فقهاء، وقد حضر مجلس عبيد بن عمير [٣]، عبد الله بن عمر ﷺ، وكان عمر بن عبد العزيز [٤] يحضر مجلس القاص، ثم خسَّت هذه الصناعة فتعرَّض لها الجهَّال فبعد عن الحضور عندهم المميِّزون من الناس، وتعلَّق بهم العوام والنِّساء فلم يتشاغلوا بالعلم، وأقبلوا على القصص، وما يعجب الجهَّال، وتنوعت البدع في هذا الفن [٥].

وابن كثير رحمه الله في تفسيره، وفي كتاب البداية والنهاية، سلك أسلوب

---

(١) انظر هداية المرشدين، ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٠، بتصرف.

(٣) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجُذعي المكي، الواعظ المفسِّر، ولد في حياة رسول الله ﷺ، من ثقات التابعين وأئمتهم في مكة، توفي عام ٧٤ هـ. انظر سير أعلام النبلاء، ٤ / ١٥٦.

(٤) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ، العلامة ، المجتهد، الزاهد، العابد، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشي الأموي، ولد ٦٣ هـ، كان ثقةً، له فقه وعلم وورع، وكان إمامًا عادلاً، مات سنة ١٠١ هـ. انظر سير أعلام النبلاء، ٥ / ١١٤.

(٥) انظر تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ١٢٣ بتصرف.

القصص المحمود، وجانَبَ القصص المذموم في ذكره للقصص، معتمدًا في كل ما يذكره على الكتاب والسنَّة والآثار الصحيحة، محذِّرًا من الاختلاق أو الزيادة أو إعمال الخيال، فحين يذكر قصص الأنبياء يبيِّن أن الله تعالى بعثهم بالشرع المطهَّر لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النُّور، وإيضاح صراط الله المستقيم، ثم يسرد سيرتهم العطرة، وأنَّهم قاموا وحقَّقوا مقام العبودية لله ربِّ العالمين، وصدَقوا في التعامل مع الخلق في جميع الأحوال، وفي ذلك إضاءةٌ للدعاة إلى الله تعالى في الوعظ وإيراد القصص أن يسلكوا الطريق الواضح، ويقصوا القصص الصحيحة المحمودة في الدعوة.

ولمَّا ذكر ابن كثير قصة نوحٍ عليه السلام، ومواطنها في القرآن، وما كان من قومه، وما أنزل الله بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجى الله تعالى نوحًا وأصحاب السفينة. وأن الله تعالى بعث نوحًا عليه السلام لمَّا عُبدَت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمةً للعباد، فكان أول رسولٍ بُعث إلى أهل الأرض، ثم قال بعد سياق القصة، وأمَّا مضمون ما جرى له - أي نوح عليه السلام - مأخوذ من الكتاب والسنَّة والآثار:

فقد روى البخاري عن ابن عباس عند تفسيره قوله تعالى ﴿وقالوا لا تذرنَّ ءالهتكم ولا تذرنَّ ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا﴾[1].قال هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوحٍ، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ

(١) سورة نوح، آية: ٢٣.

العلم عُبدت، ثم صارت الأوثان التي كانت في قوم نوحٍ في العرب بعد [1].

وحين يذكر أيَّ قصةٍ نجد ابن كثيرٍ يشير إلى ما تدل عليه هذه القصة، وما يؤخذ منها، ففي قصة نبي الله صالح عليه السلام، يبيِّن ابن كثير أن صالحًا دعا قومه إلى إفراد العبودية لله تعالى، وفي دعوته لقومه تلطُّف ولين جانبٍ وحُسن تأنٍّ في الدعوة، وكل ذلك يُعتبر أدبًا ينبغي ملاحظته من قِبَل الدعاة إلى الله تعالى في دعوتهم الناس إلى الخير وتحذيرهم من الشر.

قال تعالى مبيِّنًا دعوة صالح لقومه ﴿يا قومِ اعبدوا اللهَ ما لكم مِن إلهٍ غيرُه هو أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه، إنَّ ربِّي قريبٌ مجيبٌ. قالوا يا صالحُ قد كنتَ فينا مرجوًّا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد ءاباؤنا وإننا لفي شكٍّ ممَّا تدعونا إليه مُريبٍ. قال يا قومِ أرأيتم إن كنتُ على بيِّنةٍ من ربِّي وءاتاني منه رحمةً فمن ينصرني من اللهِ إنْ عصيتُهُ فما تزيدونني غيرَ تخسيرٍ﴾ [2].

قال ابن كثير في معنى الآيات "أي هو الذي خلقكم فأنشأكم من الأرض وجعلكم عمَّارَها أي أعطاكموها بما فيها من الزرع والثمار، فهو الخالق الرازق، فهو الذي يستحق العبادة وحدة لا سواه، فأقلِعوا عمَّا أنتم فيه، وأقبِلوا على عبادته، فإنَّه يقبل منكم ويتجاوز عنكم، ثم قال قوم صالح له: إنَّا كنَّا نرجو أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة، وهي دعاؤك إيَّانا إلى إفراد الله بالعبادة، وترك ما كنَّا نعبد من الأنداد، والعدول عن دين الآباء والأجداد. ثم بيَّن ابن كثير بعد قول صالح لقومه ﴿فما تزيدونني

---

(١) انظر البداية والنهاية، ١ / ٩٣ - ١١٢ ؛ وتفسير ابن كثير، ٤ / ٤٢٧ ؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة نوح، ٦ / ٢٨٠.

(٢) سورة هود، الآيات: ٦١ - ٦٣.

غير تخسير﴾، وهذا تلطف منه لهم في العبارة، ولين الجانب، وحسن تأنٍ في الدَّعوة لهم إلى الخير، أي فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه ما عُذركم عند الله، وماذا يخلصكم من بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أترك دعاءكم إلى طاعته، وأنا لا يمكنني هذا لأنه واجب عليَّ، ولو تركته لما قدر أحدٌ منكم ولا من غيركم أن يجيرني منه ولا أن ينصرني، فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له حتى يحكم الله بيني وبينكم [1].

قال ابن كثير في البداية والنهاية: "كتاب أخبار الماضين" من بني إسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم، ثم استشهد بالآيات من كتاب الله تعالى، قال تعالى ﴿كذلك نقصُّ عليكَ مِنْ أنباءِ ما قد سبقَ وقد ءاتيناك من لدُنَّا ذِكْرًا﴾[2].

وقال تعالى ﴿نحنُ نقصُّ عليك أحسنَ القصصِ بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين﴾[3].

قال ابن كثير في تفسيره لمعنى الآية الأولى "يقول تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجوده على الجلية والأمر الواقع، كذلك نقصُّ عليك الأخبار الماضية كما وقعتْ من غير زيادةٍ ولا نقصان، هذا وقد آتيناك من لدنَّا أي من عندنا ذِكرًا وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيمٍ حميدٍ، الذي لم يُعطَ نبي من الأنبياء منذ أن بُعثوا إلى أن خُتموا بمحمدٍ ﷺ كتابًا مثله ولا أكمل منه، ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائنٌ،

---

(١) انظر البداية والنهاية، ١ / ١٢٥، بتصرف.

(٢) سورة طه، آية ٩٩.

(٣) سورة يوسف، آية: ٣.

وحُكم الفصل بين الناس" [1].

ويبيِّن ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى ﴿نحن نقصُّ عليك أحسن القصص﴾ أنَّ الصحابة ﷺ أرادوا من الرسول ﷺ الحديث فدلَّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلَّهم على أحسن القصص.

ثم قال ابن كثير وممَّا يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن، وأنَّه كافٍ عن كل ما سواه من الكتب [2]، ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله، أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ، قال: فغضب وقال: "أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده قد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وسعه إلاَّ أن يتبعني" [3].

قال ابن كثير في بيانه لأخبار بني إسرائيل " وأخبار بني إسرائيل كثيرةٌ جدًّا في الكتاب والسنَّة النبوية، ولو ذهبنا نتقصَّى ذلك لطال الكتاب - يعني بذلك البداية والنهاية - ولكن ذكرنا ما ذكره أبو عبد الله البخاري [4] في هذا الكتاب، ففيه مقنعٌ

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣ / ١٦٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ٢ / ٤٦٧ ؛ والبداية والنهاية، ٢ / ٩٤.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ٢ / ٤٦٧ ؛ ومسند الإمام أحمد، ٣ / ٣٨٧ ؛ ومسند الفاروق، ٥٩٢/٢.

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب الجامع الصحيح، ولد عام ١٩٤ هـ، ومات ٢٥٦ هـ. انظر الأعلام، ٦ / ٣٤.

وكفايةٌ، وهو تذكرةٌ وأنموذجٌ لهذا البـاب، والله أعلـم، وأمـا الأخبـار الإسـرائيلية فيمـا يذكره كثيرٌ من المفسرين والمؤرخين فكثيرةٌ جدًّا، ومنها ما هو صحيح موافقٌ لما وقـع، وكثيرٌ منها بل أكثرها مما يذكره القصَّاص مكذوبٌ مفترى، وضعه زنادقتهم وضلاَّلهـم، وهي ثلاثة أقسام: منها ما هو صحيح لموافقته ما فصَّه الله في كتابه، أو أخبر به رسـول الله ﷺ، ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، ومنهـا مـا يحتمل الصدق والكذب، فهذا الذي أُمرنا بالتوقف فيه فلا نصدِّقه ولا نكذِّبه، كما ثبت في الصحيح "إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تُصدِّقوهم ولا تُكذِّبوهم، وقولوا آمنَّا بـالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم" (١). وتجوز روايته مع هذا الحديث المتقـدِّم، وحديـث "**وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**" (٢).

## أهمية القصص في الدعوة وخطر التمادي فيه على حساب الدين

الناس يشتاقون إلى سماع القصص، وضرب الأمثال، وتقريـب الحقـائق، ولكـن في قصص القـرآن الكريـم، والسـنَّة النبويـة، وقصـص الصحابـة والتـابعين، وسـير السـلف الصالح، الثابتة الصحيحة، ومواقفهم البطولية المشرِّفة في خدمة دين الله تعـالى والدعـوة إليه، في ذلك كله خيرٌ وبركةٌ، وله وقعٌ على النفوس بالغ الأثر، ويدفعها إلى قبول الحـق والثبات عليه، بل وإرشاد الغير إليه.

وليحذر الداعية إلى الله تعالى حين استخدام أسلوب القصص في دعوته من تلبيس إبليس، كقصص الحكايات الخيالية، وضرب الأمثال غير الواقعية، وقلب الحقائق بقصـد

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب مـا ذكـر عـن بـني إسـرائيل، ٤٩٩/٦.

(٢) انظـر صحيـح البخـاري، كتـاب الأنبيـاء، بـاب مـا ذكـر عـن بـني إسـرائيل، ٤ / ٣٢٨، والترمذي في كتاب العلم، حديث رقم ٢٥٩٣.

الترغيب في الطاعة والتزهيد في الدنيا لدعوة الخلق إلى الحق، فهذا من نزغات الشيطان، فإن الصدق محمودٌ والكذب مذمومٌ، وفيما ذكره الله تعالى ورسوله ﷺ غنيةٌ عن الاختراع والاختلاق في الوعظ ومن تلبيس إبليس في أسلوب القصص، وإنشاد الأشعار الزائغة الغزلية الماجنة الهابطة في العشق وأمور النساء ووصف ما حرَّم الله تعالى، بقصد الإشارة إلى محبَّة الله عز وجل، فبذلك يُضَلُّ الداعية الذي استخدم أسلوب القصص ويُضِلُّ.

ولتوقي خطر أسلوب القصص، قال بعض العلماء لا يجوز لقاصٍّ أن ينقل حديث رسول الله ﷺ من غير معرفة بالصحيح والسقيم، وإن اتفق أنه نقل حديثًا صحيحًا كان آثمًا في ذلك، لأنه ينقل ما لا علم له به، ولا يحل له النقل من كتب التفاسير لأن فيها الأقوال المنكرة والصحيحة، ومن لا يميز الغث من السمين لا يحل له الاعتماد على الكتب، وكيف يُقدم من هذه حاله على تفسير كتاب الله تعالى، فينبغي ألاَّ يستخدم أسلوب القص على الناس إلاَّ من عنده معرفة وإتقان في فنون العلم الشرعي، والمتثبت من حديث رسول الله ﷺ، العارف بصحيحه من سقيمه، المجتهد في معرفة سنده ومقطوعه، العارف بالتواريخ وسير السلف الصالح، والمجوِّد لأخبار الزهَّاد، الفقيه في دين الله تعالى، الملمّ بالعربية واللغة، والمتقي لله في كل أحواله، الراغب إليه، طارحًا حظ الدنيا وحب المدح والثناء جانبًا [1].

وإذا أمعنّا النظر في استخدام ابن كثير لأسلوب القصة من خلال الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى نجده يوصل المعلومة التي يريد ذكرها معتمدًا على الكتاب والسنّة والآثار الصحيحة وأقوال السلف المعتمدة. قال في البداية والنهاية بعد

---

(١) انظر تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ١٢٤، ١٢٥ ؛ وهداية المرشدين، ص ٨١، بتصرف.

ذكره أخبار الأنبياء "والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها إلاَّ أن الجميع آمرة بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وهو دين الإسلام الذي شرعه الله لجميع الأنبياء، وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة، كما قال تعالى ﴿ومن يبتغ غيرَ الإسلامِ دينًا فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[1]، وقال تعالى ﴿ومن يرغب عن ملةِ إبراهيمَ إلا من سفهَ نفسَهُ ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحينَ. إذ قال له ربُّهُ أسْلِمْ، قال أسلمتُ لربِّ العالمينَ. ووصَّى بها إبراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ اصطفى لكمُ الدينَ فلا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمونَ﴾[2]، وقال تعالى ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونورٌ يحكم بها النبيُّونَ الذين أسلموا للذين هادوا﴾الآية [3].

فدين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الإخلاص له وحده دون ما سواه، والإحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك الوقت المأمور به، ولهذا لا يقبل الله من أحدٍ عملاً بعد أن بعث محمدًا ﷺ إلاَّ على ما شرعه الله كما قال تعالى ﴿قل يا أيها الناسُ إني رسولُ اللهِ إليكم جميعًا﴾[4]، وقال تعالى ﴿وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأنذِرَكم به ومن بلغَ﴾[5]، وقال تعالى ﴿ومن يكفرْ به من الأحزابِ فالنار موعده﴾[6]. وقال ﷺ "بُعثتُ إلى الأحمر والأسود" [7]. قيل أراد العرب والعجم، وقيل أراد الإنس والجن، وقال ﷺ "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٤٤.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(٦) سورة هود، آية: ١٧.

(٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١ / ٢٥٠.

لضللتم" [1].

والأحاديث في هذا كثيرةٌ جدًّا. قال ﷺ "نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد" [2]، والمعنى أن شرائعهم إن اختلفت في الفروع، ونسخ بعضها بعضًا، حتى انتهى الجميع إلى شرع الله لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين، إلاّ أن كل نبي بعثه الله فإنما دينه الإسلام وهو التوحيد أن يُعبد الله وحده لا شريك له كما قال تعالى ﴿وَسْئَلْ من أرسلنا من قَبْلِكَ من رُسُلِنا أجعلنا من دونِ الرَّحمن آلهةً يُعبدون﴾ [3].

وأولاد العلات أن يكون الأب واحدًا والأمهات متفرقات، فالأب بمنزلة الدين وهو التوحيد، والأمهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها [4]، كما قال تعالى ﴿لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعَةً ومِنهاجًا﴾ [5]. والمقصود أن إخوة العلات يكونون من أبٍ واحدٍ وأمهاتٍ شتى مأخوذ من شرب العلل بعد النهل، أمّا الإخوة الأخياف فعكس هذا أن تكون أمهم واحدةً من آباء شتى، وإخوة الأعيان هم الأشقّاء من أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ، والله سبحانه وتعالى أعلم [6].

## القصة وسيلة دعوية:

---

(١) المصدر السابق، ٤ / ٢٦٦، وفي كتاب المساجد، حديث رقم ٥٢١.

(٢) تفسير ابن كثير / ١ / ١٨٦ ؛ والبداية والنهاية، ٢ / ١٤١ ؛ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ٤ / ١٨٣٧، باختلاف يسير في بعض الألفاظ ؛ ومسند الإمام أحمد، ٢ / ٤٠٦، ٤٣٧.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٤٥.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ١ / ١٨٦ ؛ والبداية والنهاية، ٢ / ١٤١، ١٤٢.

(٥) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٦) البداية والنهاية، ٢ / ١٤٢.

إن في القصة سبر من قِبل المتلقي لها، فهو يراقب تصرفات صاحبها وأحواله، وأعماله وحركاته وأفكاره واتجاهاته في جميع شئون الحياة، فإن كان صاحب القصة ذا استقامة في دينه وما يقصُّه ينبئ عن صدق ما يخبر به، فتجد نفس المتلقي تسكن إليه وتتشوق لحديثه، والصدر ينشرح له، وتضيق النفس ذرعًا بذوي النفوس المظلمة، وأصحاب الخيالات المخترعة، والوسائل الملتوية، كما أن النفس أيضًا تميل إلى سماع القصة، ففيها غريزة حب الاستطلاع، فتتعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصة إذا كانت بارعةً ومفيدةً، استشرافًا لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

والداعية إلى الله تعالى عليه أن يتحمَّس لدين الله في دعوته، ويُظهر الفرح بنصر دينه والحزن لتأخر النصر وضعف المسلمين، وينبغي أن ترتسم على محيَّاه الانفعالات التي تعبِّر عن مكنونات نفسه وما بداخله من حبٍّ للخير وكراهةٍ للشر، يوالي المسلمين، ويعادي أعداءهم.

ولقد بيَّن ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى ﴿ذلك من أنباء القُرى نقُصُّه عليكَ، منها قائمٌ وحصيدٌ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنتْ عنهم ءالهتهم التي يُدعُون من دون الله من شيء لما جاء أمرُ ربِّك وما زادوهم غيرَ تتبيبٍ﴾ (١)، أن الله تعالى أخبر نبيَّه محمدًا ﷺ خبر الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم، وكيف أهلك الله الكافرين ونجَّى المؤمنين.

فنجد نفس النبي ﷺ مطمئنةً، عنده ثقةٌ بنصر الله تعالى، دفعته تلك الأخبار عن الأنبياء السابقين قبله لمواصلة الدعوة إلى الله تعالى، متحملاً جميع المتاعب والمصاعب في سبيلها، طمعًا في نجاة المؤمنين، وهلاك الكافرين الذين اتَّبعوا الآلهة الباطلة وهي الأوثان

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٠٠، ١٠١.

التي لا تنفع ولا تدفع عن نفسها الضر، فكيف تدفعه عن غيرهـا، فبذلـك نـرى الكفـار خسروا دنياهم وأضاعوا آخرتهم.

والرسول ﷺ قصَّ لأمَّته أخبار الأمم السابقة، وبيَّـن مـا حـلَّ بهـم، ولعـل مـا في القصـص مـن دروسٍ تربويـةٍ تجعـل الدعـاة إلى الله يهتمـون بـالمفيد والحسـن، والمظهـر الطيب، وتحضير القصة الهادفة، وإبراز العواقـب الوخيمـة فيهـا، والنتـائج الطيبـة منهـا، ترغيبًا وترهيبًا للمدعوين.

والقرآن الكريم كتاب دعوةٍ، ودستور هدايةٍ، يجب أن يستمر مدادًا وزادًا للدعـاة في دعوتهم إلى الله على طول الزمن [1].

## فوائد القصص وثمراته

١ - بيان أسس الدعوة إلى الله تعالى، وإيضاح أصول الدين التي بُعث بها كـل رسـولٍ إلى أمَّته، قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كلِّ أمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[2].

٢ - تسلية وتثبيت قلب النبي ﷺ، وقلوب الأمَّة المحمدية على دين الله تعـالى، وتقويـة عزائمهم بالتمسـك بالإسلام، وأن الله تعـالى ينصـر الحـق وأهلـه ويخـذل البـاطل وجنده، قال تعالى ﴿وكلا نقصُّ عليكَ مِن أنباءِ الرُّسُلِ ما نُثبِّتُ به فؤادكَ وجاءكَ في هذه الحقُّ وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين﴾[3].

---

(١) انظر تذكرة الدعـاة، البهي الخـولي، ص ٤٤ ؛ وتفسـير ابـن كثـير، ٢ / ٤٥٩ ؛ والدعـوة الإسلامية، أحمد غلوش، ص ٣٢٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٣) سورة هود، آية ١٢٠.

قال ابن كثير "يقول الله تعالى وكل أخبارٍ نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجَّات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما نثبِّت به فؤادك أي قلبك يا محمد ليكون لك ممَّن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة، وأن قصص الأنبياء حق ونبأ صدقٍ وموعظةٌ يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون" (١).

٣ - مواجهة أهل الكتاب بالحجَّة الدامغة فيما كتموه من البينات والهدى والتحدي لهم حيث أخبر الرسول ﷺ أهل الكتاب بما في كتبهم، وجاء الحال كما أخبر به (٢)، وذلك قبل التحريف والتبديل كقوله تعالى ﴿كُلُّ الطعامِ كان حلا لبني إسرائيل إلاَّ ما حرَّم إسرائيلُ على نفسه من قبلِ أن تُنزَّلَ التوراة قلْ فأْتوا بالتوراةِ فاتلوها إن كنتم صادقينَ﴾(٣).

٤ - إظهار صدق رسول الله ﷺ في دعوته، وتحقق معجزاته فقد أخبر ﷺ عن أحوال الماضين وما جرى لهم، وأن الله مع أوليائه بالنصر والتأييد، وخاذل أعداءه(٤).

٥ - القصص القرآني لا يتعرض إلاَّ لأصحاب القصة كيف كانت حالهم، ليبرز حال العبرة من تلك القصة، فالله تعالى يكرم المؤمنين ويعلي شأنهم وينصرهم، وكذلك يخذل الكافرين، وفي ذلك تقريع وتوبيخ لهم.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢ / ٣٦٥، ٤٦٦.

(٢) المصدر السابق، ١ / ٣٨١، ٣٨٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٩٣.

(٤) انظر مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، ص ٣٠٧.

٦ - في القصص فائدة عظيمة وهي معرفة ترتيب المسببات على أسبابها من الخير والشر، والتعمير والتخريب، لتتقي الأمَّة وتحذر فتأخذ بأسباب النجاة، وتجتنب أسباب الدمار والهلاك، قال تعالى ﴿فتلكَ بُيُوتُهُمْ خاويةً بما ظلموا إنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعلمونَ﴾[1]. فالله تعالى يعاقب إمَّا عاجلاً أو آجلاً الذين يرتكبون المعصية بالتعدِّي والظلم لعباد الله، وينجي الصالحين من عباده الذين آمنوا به ولزموا تقواه[2].

٧ - في القصص عبرةٌ وعظةٌ للمؤمنين، ووعيدٌ وتهديدٌ للمشركين والمعاندين والصادِّين عن دين الله القويم، فيصيبهم ما لحق بالأمم التي عادت رسل الله وعصت أوامر الله تعالى، حتى ينزجروا عن طغيانهم، ويتعظوا بمصارع نظرائهم.

قال تعالى ﴿لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديقَ الذي بين يديه وتفصيلَ كل شيءٍ وهدى ورحمةً لقومٍ يؤمنون﴾[3].

كما في القصص تفكر وتدبر للسير على منهاج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعباد الله الصالحين، خاصةً الدعاة إلى الله تعالى لتقوية عزائمهم وجعلهم قدوة لهم في القيام بواجب الدعوة والتبليغ وفي تحمل الأذى في سبيل الله كما قال تعالى ﴿فاقصصِ القصصَ لعلهُم يتفكرونَ﴾[4].

قال ابن كثير عند تفسير الآية الأولى ﴿لقد كان في قصصهم عبرةٌ﴾: "يقول الله

---

(١) سورة النمل، آية: ٥٢.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٣٦٨، ٢ / ٢٥٧ ؛ ومقدمة تفسير البغوي، بتحقيق خالد العك ومروان سوار .

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٧٦

تعالى لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين ﴿عبرة لأولي الألباب﴾ وهي العقول ﴿وما كان حديثًا يُفترى﴾ أي ما كان لهذا القرآن أن يُفترى من دون الله، أي يُكذب ويُختلق ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ أي من الكتب المنزَّلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير ﴿وتفصيل كل شيء﴾ من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الأمور الجلية وعن الغيوب المستقبلية المجملة والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات، فلهذا كان ﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ تهتدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، ويبتغون به الرحمة من ربِّ العباد في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة، يوم يفوز بالربح المبيضة وجوههم الناضرة، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة [1]. آمين.

وقال رحمه الله عند قوله تعالى ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿فاقصص القصص﴾ أي لعلَّ بني إسرائيل مثلاً وهم العالمون بحال بلعام يعتبرون بما جرى له من إضلال الله إيَّاه وإبعاده من رحمته بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب في غير طاعة ربِّه، بل دعا به على حزب الرحمن وشعب الإيمان، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان، كليم الله موسى بن عمران عليه السلام، ولهذا قال ﴿لعلهم يتفكرون﴾ أي فيحذروا أن يكونوا مثله، فإن الله قد أعطاهم عِلمًا وميَّزهم على من عداهم من الأعراب، وجعل بأيديهم صفة محمد ﷺ يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، فهم أحق الناس وأولاهم باتِّباعه، ومناصرته، ومؤازرته، كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به، ولهذا من

---

(١) تفسير ابن كثير، ١ / ٥٨٥، ٢ / ٤٩٨، ٤ / ٨٣، ٨٨، ٨٩.

خالف منهم ما في كتابه وكتمه فلم يُعلم به العباد أحـلَّ الله بـه ذلاً في الدنيـا موصـولاً بذلِّ الآخرة [1].

ومن ثمرات القصص للدعـاة إلى الله، تعـرُّف الدعـاة على طبـائع البشـر وميولهـم وأحاسيسهم ليصلوا إلى قلوبهم فيضعوا العلاج بحكمةٍ ورأفةٍ ورحمةٍ لإخراج النـاس مـن ظلمات الجهل والانحراف والبعد عن الله إلى نـور الإيمـان وطلـب مرضـاة الله، فدعـوة الرسل عليهم السلام قد أثمرت فيمن آمن من أقوامهم، فحصل منهم ذلك الإيمان الـذي جعلهم يحنُّون للجنَّة، ويتسـابقون لنيـل الشـهادة في سـبيل الله، والمسـارعة في الخـيرات والطاعات.

---

(١) المصدر السابق، ٢ / ٢٦٧.

المبحث السابع

# إيراده الشِّعر

الشِّعر في اللغة: منظوم القول، غلب لشرفه بالوزن والقافية [1]. وجاء في المعجم الوسيط، الشِّعر: هو كلامٌ موزونٌ مُقَفًّى قصدًا.

وفي اصطلاح المنطقيين: قولٌ مؤلَّفٌ من أمورٍ تخيليةٍ، يُقصد به الترغيب أو التنفير، كقولهم، الخمرُ ياقوتة سيالة، والعسل قيء النحل.

والشعر المنثور: هو كلامٌ بليغٌ مسجوعٌ، يجري على منهج الشعر في التخييل والتأثير دون الوزن [2].

## الشِّعر والدعوة:

الإكثار منه في مجال الدعوة إلى الله تعالى مذمومٌ، لأن الله تعالى قد وصف عامَّة الشعراء بقوله تعالى ﴿**والشُّعراءُ يتبعُهُمُ الغاوونَ. ألَمْ ترَ أنَّهُم في كلِّ وادٍ يهيمون. وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون**﴾ [3].

والغاوون: جمع غاوٍ وهو الضَّال المنهمك في ضلاله، لا يردُّه شيءٌ.

والهائم: الذاهب مع كلِّ وجهةٍ، لا مقصد له. وهو تمثيلٌ لذهابهم في كل شعبٍ

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٤ / ٤١١، مادة ( شعر ).

(٢) المعجم الوسيط، ١ / ٤٨٧، مادة ( الشعرُ ).

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤ - ٢٢٦.

من القول [1].

وقد ساق ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى ﴿والشُّعراءُ يتَّبعهم الغاوون. . .﴾ الآيات، أقوال السلف رحمهم الله في معنى الشعراء، وما المراد بالغاوين، ثم ذكر حديث الإمام أحمد رحمه الله عن أبي سعيد ﷺ قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعرٌ يُنشد، فقال النبي ﷺ: "خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان - لأنْ يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خيرٌ له من أن يمتلئ شِعرًا" [2].

قال ابن كثير في معنى الحديث: "والمراد من هذا أنَّ الرسول ﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهنٍ ولا بشاعرٍ، لأن حاله منافٍ لحالهم من وجوهٍ ظاهرةٍ، كما قال تعالى ﴿إنه لقولُ رسولٍ كريمٍ. وما هو بقولِ شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهنٍ قليلاً ما تذكَّرون. تنزيلٌ من ربِّ العالمين﴾[3].

والشعراء يتبجحون بأقوالٍ وأفعالٍ لم تصدر منهم ولا عنهم، فيتكثَّرون بما ليس فيهم، ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حدًّا، هل يُقام عليه بهذا الاعتراف أم لا، لأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ على قولين [4].

قال الله تعالى ﴿وما علَّمناهُ الشِّعرَ وما ينبغي لهُ إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ وقرآنٌ مبينٌ﴾[5].

---

(١) انظر هداية المرشدين، ص ١٣٦، بتصرف.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٣٥٣ ؛ ومسند الإمام أحمد، ٣ / ٨، ٤١.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٤٠ - ٤٣.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٣٥٣، ٣٥٤.

(٥) سورة يس، آية: ٦٩.

قال ابن كثير: يقول الله عز وجل عن نبيه محمدٍ ﷺ أنه ما علَّمه الشِّعر ﴿وما ينبغي له﴾أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته، ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتًا على وزنٍ منتظمٍ بل إن أنشده زَحَّفَه [1] أو لم يتمه.

وما وقع منه ﷺ كما تمثَّل عندما ركب بغلته يقدم بها نحو العدو يوم حنين: **أنا النبي لا كذب .: أنا ابن عبد المطلب**

فإن مثل هذا وما ورد على نحوه، جاء اتفاقًا لا قصدًا، ولا له وزن في الشعر بل جرى على لسانه من غير قصدٍ إليه.

وهذا لا ينافي كونه ﷺ ما علم شعرًا وما ينبغي له، فإن الله تعالى إنَّما علَّمه القرآن الذي ﴿لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيمٍ حميدٍ﴾[2]، وليس هو بشعرٍ كما زعمه طائفة من جهلة كفَّار قريش، ولا كهانة، ولا مفتعل، ولا سحر يُؤثَر كما تنوعت فيه أقوال الضلاَّل وآراء الجهَّال، وقد كانت سجيته تأبى صناعة الشعر طبعًا وشرعًا [3].

وجاء في كتاب مناقب الإمام الشافعي [4] رحمه الله أنه كان في ابتداء أمره

---

(١) زحَّفَه: أدخل فيه الزِّحاف، والزحاف ككتاب في الشعر أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر، ( القاموس المحيط، ٣ / ١٤٧ )، والمراد أنه أخرجه عن وزن الشِّعر.

(٢) سورة فصلت، آية: ٤٢.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ٣ / ٥٧٨ - ٥٨٠، بتصرف.

(٤) سبق التعريف به في المبحث الثالث من هذا الفصل.

يطلب الشِّعر وأيام الناس والأدب، ثم أخذ في الفقه بعد [1]. ومن شعر الشافعي رحمه الله في حفظ الأصول من الكتاب والسنَّة قوله:

كلُّ العلومِ سوى القرآن مشغلة

إلاَّ الحديث وإلاَّ الفقه في الدِّين

العلمُ ما كان فيه قال حدثنا

وما سوى ذلك وسواس الشياطين [2].

فالشعر حسنه حسنٌ، وقبيحه قبيحٌ، والداعية إلى الله تعالى لا يستعمل من الشعر إلاَّ أجوده، وما له وقعٌ على نفوس المدعوين في نشر الفضيلة ودفع الرذيلة، وينتقي من الشعر ما له حكمة يتَّعظ بها المدعو.

وإذا نظم الداعية شيئًا من الشعر أخضعه لضوابط الشرع، فيحذر الفحش، والغزل، والعشق، والسبَّ، والهجاء في غير موضعه، لأن الداعية يقصد من نظمه إيضاح الحق وفي حدود الشرع لحثِّ الناس على فعل الخير، والبعد عن الشر.

وهذا الضرب من الشعر داخلٌ فيما استثناه الله تعالى حين ذكر تعالى أن الشعراء يتَّبعهم الغاوون، فقال بعد ذلك ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [3].

---

(١) مناقب الإمام الشافعي، لابن كثير، ص ٧٤.

(٢) البداية والنهاية، ١٠ / ٢٦٥ ؛ وانظر ديوان الشافعي، لمحمد عفيف الزعبي، ص ٨٨.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.

ولا شك أنه كان في عهد الرسول ﷺ شعراء من الأنصار والمهاجرين، لذلك قال ابن كثير: "هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان ملتبسًا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحًا وذكر الله كثيرًا [1] في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ، فإن الحسنات يُذهبن السيئات، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه.

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوةً للنبي ﷺ، وهو ابن عمه، وأكثرهم له هجوًا، فلمَّا أسلم لم يكن أحدٌ أحب إليه من رسول الله ﷺ، وكان يمدح رسول الله ﷺ بعدما كان يهجوه، ويتولاه بعدما كان قد عاداه. ثم ذكر ابن كثير جملةً من الأحاديث الدَّالَّة على ما يكون من الشعر حسنًا.

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن صخر بن حرب لَمَّا أسلم قال يا رسول الله ثلاثٌ أعْطِنِيهِنَّ. قال: "نعم". قال: معاوية تجعله كاتبًا بين يديك. قال: "نعم". قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنتُ أقاتل المسلمين. قال: "نعم". وذكر الثالثة [2]، ولهذا قال تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [3]، قيل معناه ذكروا الله كثيرًا في كلامهم، وقيل في شعرهم، وكلاهما صحيحٌ مكفِّرٌ لما سبق.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣ / ٣٥٤.

(٢) انظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه، والإمام مسلم ذكر الثالثة وهي قول أبي سفيان "عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها، قال: "نعم"، ٤ / ١٩٤٥ ؛ وتفسير ابن كثير، ٣ / ٣٥٥.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسَّان: "اهجُهُم - أو قال - هاجهم وجبريل معك" (١).

وعن كعب بن مالك عن أبيه ﷺ أنه قال للنبي ﷺ: إنَّ الله تعالى قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال رسول الله ﷺ "إنَّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به نضح النبل(٢)" (٣).

ومن النظم المفيد الذي أثبته ابن كثيرٍ عن الإمام الشافعي:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبٌ

ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً ... ولا أنَّ ما يُخفى عليه يغيبُ

غفلْنا لعمرُ الله حتى تداركتْ ... علينا ذنوبٌ بعدهنَّ ذنوبُ

فيا ليت أنَّ الله يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتِنا فنتوبُ (٤).

فهذا النظم يتسم بقوة العبارة، والمعاني الهادفة في الدعوة إلى الله، وإلى مراقبة الإنسان نفسه في كلِّ الأحوال، لأن الله تعالى مطَّلعٌ على العبد، ولا تخفى عليه خافيةٌ،

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم، ٤/٢٣٢ ؛ وتفسير ابن كثير، ٣ / ٣٥٥.

(٢) نبل: يقال استنبلني نبلاً فأنبلته ونبلته، إذا أعطيته إيَّاها، ثم استعمل في مناولة كل شيء. انظر الفائق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري، ٣ / ٤٠٢.

(٣) انظر مسند الإمام أحمد، ٦ / ٣٨٧ ؛ وتفسير ابن كثير، ٣ / ٣٥٥.

(٤) كتاب مناقب الإمام الشافعي، لابن كثير، تحقيق خليل ملا خاطر، ص ٢٤١.

سبحانه وتعالى. وفي النظم أيضًا تذكيرٌ للغافل الذي ركن إلى الحياة الدنيا ولذاتها وشهواتها، وترك العمل للآخرة التي هي دار القرار.

والشافعي رحمه الله كأنه استوحى تلك المعاني ممَّا فهمه من كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ، مثل قوله تعالى ﴿إنَّ الله كان عليكم رقيبًا﴾[1].

وقوله تعالى ﴿والله على كلِّ شيءٍ شهيدٌ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿وما تكونُ في شأنٍ وما تتلو منه من قرآنٍ ولا تعملون من عملٍ إلَّا كنَّا عليكم شهودًا إذ تفيضُون فيه وما يَعْزُبُ عن ربِّكَ من مثقالِ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السَّماءِ ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا في كتابٍ مبينٍ﴾[3].

وحديث رسول الله ﷺ "اتَّقِ الله حيثما كنتَ وأتْبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ النَّاس بخلق حسن"[4].

## ابن كثير والشِّعر

لمَّا ذكر ابن كثير ترجمة والده، ذكر أن والده كان يقول الشعر، ويحفظ أشعار العرب، وله شعرٌ في المدح، والمراثي، وقليل من الهجاء، وفي نهاية هذه الترجمة أثبت قصيدةً من ثلاثة وعشرين بيتًا لوالده وهي من إملاء شيخ ابن كثير - البرزالي - ثم

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

(٢) سورة البروج، آية: ٩.

(٣) سورة يونس، آية: ٦١.

(٤) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة النَّاس، ٤ / ٣٥٥، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

عقّب ابن كثير بعد هذه القصيدة بقوله: "والله يغفر له ما صنع من الشعر" [1].

لا يهدف إلى غايةٍ نبيلةٍ، ومقصدٍ حسنٍ، وذوقٍ أبي، وفائدةٍ جليلةٍ.

وقصيدة والد ابن كثير فيها غزل، ومدحٌ، وبيانٌ لأوصاف النساء، وشيء من الألغاز، والعشق، والغرام.

وهذا الشعر في الإسلام إن لم يُذم لم يُمدح، لأن الشعر الممدوح هو ما كان يدعو إلى الفضائل، ومعالي الأمور، وبيان الإسلام، والدعوة إليه، والدفاع عنه، وحثّ الناس للتمسك به، وترك الكلام المذموم الذي يدعو إلى الرذائل وإثارة كوامن الشهوة والدعوة إلى الفسوق من النظم وغيره.

ولهذا جاء في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ **"إنّ من الشّعر لحكمة"**[2].

وجاء في سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: **"إنّ من البيان لسحرًا، وإنّ من الشعر حكمًا "** [3].

هذا في الشعر الممدوح، وقد ورد عن النبي ﷺ ذمُّ الشعر الرديء الهابط، قال

---

(١) البداية والنهاية، ١٤ / ٣٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ٨ / ٦٣، وأبوداود في كتاب الأدب، حديث رقم ٤٣٥٧، وابن ماجة في الأدب، حديث رقم ٣٧٥٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، برقم ٥١٤٦، والترمذي في كتاب البر والصلة، حديث رقم ١٩٥١، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، ٤ / ٣٠٣..

ﷺ: "**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا** (١) **خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا**" (٢).

والذين ترجموا لابن كثير كابن حجر قال عن شعره إنه "ينظم نظمًا وسطًا" (٣). وأيده على رأيه آخرون (٤).

وورد عن تلميذ ابن كثير - وهو ابن حجر - في ذلك قوله "وكان ينظم الشعر" (٥). وجاء في كتاب الدارس "ويشارك في العربية، ونظم الشعر" (٦). ولم يُعثر حتى الآن على كمية مناسبة من شعره، حتى يُحكم على شعره بالجودة أو عدمها.

وابن حجر رحمه الله ذكر لابن كثير بيتين من الشعر (٧)، واكتفى ينقلهما المترجمون بعده (٨)، إلاَّ أن فؤاد أفرم البستاني أضاف إليهما بيتًا ثالثًا، نقلاً عن السخاوي الذي صرَّح بأن ابن كثير قال هذه الأبيات سنة ٧٦٨ هـ (٩)، فأصبحت عدة هذه الأبيات ثلاثة، وهي:

---

(١) القيح: المِدَّة، وقاحت القرحة تقيح، ووَرَى الداء جوفه: أفسده، وقيل: هو الصديد الذي يخرج من الدمامل والقروح، وقيل هو كل شعرٍ إذا شغل عن القرآن وذكر الله، وكان أغلب على الرجل مما هو أولى به. انظر الفائق في غريب الحديث، ٣ / ٢٣٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، ٨ / ٦٧، وصحيح مسلم، كتاب الشعر، حديث رقم ٢٢٥٧.

(٣) أنباء الغمر، ١ / ٣٩.

(٤) مفتاح السعادة، لطاشكبر زادة، ١ / ٢٠٤ ؛ وشذرات الذهب لابن العماد، ٦ / ٢٣١.

(٥) طبقات ابن قاضي شبهة، ٣ / ١١٥.

(٦) الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر محمد النعيمي، ١ / ٢٨.

(٧) أنباء الغمر، ١ / ٤٧.

(٨) طبقات المفسرين، للداودي، ١ / ١٢ ؛ وشذرات الذهب، لابن العماد، ٦ / ٢٣١.

(٩) دائرة المعارف للبستاني، ٣ / ٤٧٧.

تمرُّ بنا الأيام تترى وإنما نُساق إلى الآجال والعينُ تنظرُ

فلا عائدٌ ذاك الشباب الذي مضى ولا زائلٌ هذا المشيب المكدرُ

ومن بعد ذا فالعبد إمَّا منعَّمٌ كريمٌ، وإمَّا بالجحيم يسعَّرُ

ولاحظ ابن حجر على البيت الثاني،أنه لو قال "صفو الشباب" لكان أمتع[1].

وعثر خير الدين الزركلي على بيتٍ آخر من شعر ابن كثير بخطّه في مخطوطة ثبت النذرومي، أجاز به ابن كثير قائلاً:

أجزتهم ما قد سئلت بشرطه وكاتبه إسماعيل وابن كثير [2].

وقد روي عنه أنه "أجاز لمن أدرك حياته" [3].

ويتبيَّن لنا من الأبيات الثلاثة لابن كثير والتي مطلعها ( تمرُّ بنا الأيام تترى ) دعوة ابن كثير إخوانه المسلمين إلى استغلال الوقت بما يفيد، فالعمر قصير، والأجل محتوم، يأتي بغتةً، والسعيد من عمل صالحًا في هذه الحياةِ الدنيا، فالآخرة العبد فيها إمَّا منعَّمٌ في الجنّة وإمَّا معذَّبٌ في النار والعياذ بالله.

قال الله تعالى ﴿ولو شاءَ اللهُ لجعلكم أمَّةً واحدةً ولكن ليبلُوَكُم فيما ءاتاكم فاستَبِقُوا

---

( ١) أنباء الغمر، لابن حجر، ١ / ٤٧.

( ٢) الأعلام، للزركلي، ١ / ٣٢٠، في الحاشية.

( ٣) أنباء الغمر، ١ / ٤٦، ٤٧.

الخيراتِ إلى الله مرجعُكم جميعًا فيُنبِّئُكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[1].

وقال تعالى ﴿فأمَّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ﴾[2].

وقال تعالى ﴿وأمَّا الذين سُعِدُوا ففي الجنَّةِ خالدين فيها﴾ الآية[3]. ولابن كثير شعرٌ في المراثي ذكر منه بيتًا هو:

**فكأنك قد أعملتَ بالموت حتى  تزودتَ له من خيار الزَّاد**[4].

وهذا الضرب من الشعر فيه حث وبيان لما يقوم به الإنسان من أعمال صالحة في هذه الحياة الدنيا للدار الآخرة.

وابن كثير له أرجوزة ذكرها في كتابه "البداية والنهاية"، قالها بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد على أيدي التتار. ونقل أرجوزةً قبل أرجوزته لأحد الفضلاء - ولم يسمِّه - ذكر فيها جميع الخلفاء من الراشدين والأمويين والعباسيين[5]، ثم سجَّل ابن كثير أرجوزته التي تحتوي على قريب من أربعين بيتًا في ثلاثة فصول، وهي:

الفصل الأول: فيه ذكر الابتلاء بالتتار، وذكر من كان من خلفاء بني العباس:

**ثمَّ ابتلاء الله بالتتار  أتباع جنكز خان الجبار**

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٢) سورة هود، آية: ١٠٦.

(٣) سورة هود، آية: ١٠٨.

(٤) انظر البداية والنهاية، ١٤ / ٣٣٤.

(٥) البداية والنهاية، ١٣ / ٢١٩.

صحبتـه ابنُ ابنـه هـولاكـو ... فلم يكـن مـن أمـره فكاك

فمـزَّقـوا جنـوده وشمـلـه ... وقـتلـوه نـفسـه وأهـلـه

ودمَّـروا بـغـداد والبـلادا ... وقتلوا الأحفاد والأجدادا

وانتهبـوا المـال مـع الحـريـم ... ولم يخـافـوا سطـوة العظيم

وغـرَّهـم إنـظـارُه وحلمُـه ... وما اقتضاه عدلُه وحُكمُه

وشغرت من بعده [1] الخلافة ... ولم يُؤرخ مثلُهـا مـن آفـة [2]

ثم قام الـمَلْكُ أعني الظاهـرا [3] ... خليفـةً أعني بـه المنتصـرا [4]

ثمَّ تولى من بعد ذاك الحاكـم [5] ... مسيم بيـبرس الإمـام العـالم

ثمَّ ابنـه الخليفـة المستكـفي [6] ... وبعـض هـذا اللبيب يكفي

ثمَّ ولى مـن بعـده جمـاعـة [7] ... ما عنـدهم علـمٌ ولا بضاعـة

---

(١) إشارة إلى الخليفة المستعصم بالله ( ٦٤٠ - ٦٥٦ ) آخر خلفاء بني العباس في بغداد.

(٢) البداية والنهاية، ١٣ / ٢٢٢.

(٣) الملك الظاهر بيبرس ( ٦٥٨ - ٦٧٦ ).

(٤) الخليفة الأول أبو القاسم أحمد بن الظاهر بن العادل العباس ( ٦٥٩ - ٦٦٠ ).

(٥) الخليفة الثاني أبو العباس أحمد بن الظاهر بن العادل العباس ( ٦٦١ - ٧٠١ ).

(٦) الخليفة الثالث أبو الربيع سليمان بن أحمد ( ٧٠١ - ٧٤٠ ).

(٧) يقصد الخليفتين الرابع والخامس: أبو إسحاق إبراهيم الواثق ( ٧٤٠ - ٧٤٢ )، وأبو القاسم أحمد الحاكم بأمر الله الثاني ( ٧٤٢ - ٧٥٣ ).

ثمَّ تـولّى وقتنـاذا المعتضـــد [1] ولا يكـاد الـدهـر مثلـه يجـد

في حسن خلـق واعتقاد وحلى وكيف لا وهو من السيم الأُلى

سـادوا البـلادَ والعبـادَ فضلاً وملأوا الأقطار حكمًا وعـدلاً

أولاد عـمِّ المصطفـى محمـد وأفضـل الخلـق بـلا تـردد

صلّى عليـه الله ذو الجـلال مـا دامت الأيّـام والليـالي

الفصل الثالث: في خلفاء بني أميّة:

وهـكـذا الخلفـاء مـن أميـة عِـدَّتـهـم عـدةُ رافضيـة

ولكـن المـدة كـانت نـاقصـة عـن مائـة مـن السنين خـالصة

وكـلـهـم قـد كـان ناصبيًـا الاّ الإمـام عمـر التّقيـا [2]

معـاويّ ثـمَّ ابنـه يـزيـد وابـن ابنـه معـاويُ السـديـد

مـروانٌ ثم ابـنٌ لـه عبد الملك منـابـذٌ لابـن الـزبير مـن هلك

ثـمَّ استـقـلَّ بعـده بالمـلك في سـائـر الأرض بغـير شـك

ثـمَّ الوليـد النجـل باني الجامـع وليس مثلـه بشكلـه من جامع

---

(١) الخليفة السادس أبو الفتح بن المستكفي أخو الحاكم الثاني ( ٧٥٣ - ٧٦٣ ) وقد اجتمع به ابن كثير في دمشق سنة ٧٥٣، ولم يذكر ابن كثير الخليفة السابع أبو عبد الله محمد المتوكل على الله ( ٧٦٣ - ٧٧٩ ) لمعاصته له، لذا لم يذكره في هذه الأرجوزة.

(٢) المراد به: الخليفة الأموي، عمر بن عبد العزيز رحمه الله وخلافته ( ٩٩ - ١٠١ ).

ثـمَّ سليمـــان الجـواد وعمـر ثـمَّ يزيـد وهشـــام وغُـــدَر

أعني الوليد بـن يـزيـد الفـاسقـا ثـمَّ يـزيـد بـن الـوليـد فـائقـا

يلقَّب النَّـاقـص وهـــو كـامـل ثـمَّ إبـراهيـم وهـو أيضًا عاقل

مروان الحمـار وهـو الجعـدي آخرهم فاظفر بـذا من عنـدي

والحـمـــد لله عـلـى الـتـمـــام كـذاك نحمـده عـلـى الإنعـام

ثـمَّ الصـلاةُ مـعْ تمـــام العـــدد عـلـى النبي المصطفـى محمـــد

وآلـــه وصـحـبـه الأخـيـــار في سـائـر الأوقـات والأعصار

وهـذه الأبيـــات نظـم الكـاتب ثمـيـنـة تـتـمَّـة المنـــاقـب[1]

قال البستاني في شعر ابن كثير: "إنَّه شعرُ عالم فقيه" [2].

إذًا فابن كثير قد برز في الحديث والتفسير والفقه، ولم يشتهر بقول الشعر.

---

(١) البداية والنهاية، ١٣ / ٢٢٣.

(٢) دائرة المعارف للبستاني، ١٣ / ٤٧٧، وانظر إنباء الغمر ٣٩/١، وشذرات الذهب ٢٣١/٦، وطبقات المفسرين ١١١/١، والدارس في تاريخ المندرس ٢٢٤/١.

# الفصل الخامس

# منهجه في تصنيف المدعوين

**ويشتمل على:**

مقدمـــة: الدعوة إلى الإسلام دعوة عامـة

المدعوون - حقوقهم وواجباتهم

المبحـث الأول: دعـوة المشركين

المبحث الثـاني: دعـوة أهل الكتاب

المبحث الثالث: دعـوة المسلمين

## مقدمـــة:

### الدعوة إلى الإسلام دعوة عامة:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية: (باب) الأمر بإبلاغ الرسالة إلى الخاصّ والعام، وأمره له بالصبر والإحتمال، والإعراض عن الجاهلين المكذبين بعد قيام الحجَّة عليهم، وإرسال الرسول الأعظم إليهم، وذكر ما لقي من الأذية منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم [1].

وقد ذكر في هذا الباب ما قام به الرسول ﷺ من دعوة المشركين لدين الله وتوحيده، وترك عبادة الأوثان، كما وجَّه الدعوة إلى الله تعالى للقريب والبعيد على حَدٍّ سواء، والصحابة رضوان الله عليهم سلكوا هذا المسلك في نشر الدعوة إلى الله تعالى في آفاق المعمورة. وهذا امتثالٌ لأمر الله تعالى، فقد قال سبحانه وتعالى في شأن عمومية الدعوة: ﴿وإنَّه لذكر لك ولقومك وسوف تُسْئَلُون﴾[2]. فالمخاطَب رسول الله ﷺ، وأمَّته من بعده تبعٌ له.

فالقرآن المنزَّل على قلب الرسول ﷺ هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، والموصّل إلى جنّات النعيم، والخير الدائم المقيم، وهو - أي القرآن - شرفٌ للرسول ﷺ ولأمَّته.

---

(١) البداية والنهاية: ٣٦/٣

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٤

فعن معاوية [1] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إنَّ هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلاَّ كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين)**. رواه البخاري [2].

ومعناه: أنَّه شرف لهم من حيث أنَّه أنزله بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقومَ النَّاس به، وأعملهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من المهاجرين السابقين الأوَّلين ومن شابههم وتابعهم.

وقيل في معنى الآية: ﴿وإنَّه لذكر لك ولقومك﴾: أي لتذكير لك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي مَن سواهم، كقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾[3]، وكقوله تبارك وتعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[4]، ﴿وسوف تُسْئَلون﴾: أي عن هذا القرآن، وكيف كنتم في العمل

---

(١) هو: معاوية بن صخر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وهو معاوية بن أبي سفيان، كنيته أبو عبد الرحمن، توفي عام ٦٠ هـ.

انظر: أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير الجزري: ٢٠٩/٥

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قريش: ١٣/٥، وتفسير ابن كثير: ١٢٨/٤

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤

بسه، والإستجابة لـه[1]. وقـال تعـالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرِض عن الجاهلين﴾[2].

فا لله تعالى أمر رسوله محمَّداً ﷺ بإبلاغ ما بعثه بـه، وبإفادتـه والصـدع به، وهو مواجهة المشـركين بـه، وعـدم الالتفـات إليهـم، لأنّهـم يريـدون أن يصدوا عن آيات ا لله التي أنزلت عليك من ربك [3].

قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾[4]. ففـي هـذه الآيـة الكريمة يقول تعالى لنبيه محمَّدٍ ﷺ ﴿قل يا أيها الناس﴾، والخطاب للأحمـر والأسود، والعربي والعجمي ﴿إني رسول الله إليكم﴾ أي جميعكـم، وهـذا مـن شرفه وعظمته ﷺ وأنّه خاتم النبيين، وأنّه مبعوثٌ إلى النـاس كافّـة كمـا قـال تعالى: ﴿قل الله شهيدٌ بيني وبينكم وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومَن بلغ﴾[5]. ومعلومٌ من الدين بالضرورة أنّه ﷺ رسولٌ إلى الناس كلهم [6].

فعن جابر بن عبد ا لله رضي ا لله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ( **أعطيت خمساً لم يعطهن أحـد قبلـي: نُصِرْتُ بـالرعب مسـيرة شـهر، وجُعِلَـت لي الأرض**

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٢٨/٤ - ١٢٩

(٢) سورة الحجر، الآيـة: ٩٤

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٢

(٤) سورة الأعراف، الآيـة: ١٥٨

(٥) سورة الأنعام، الآيـة: ١٩

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٢

مسجداً وطهوراً، فأيُما رجلٍ من أُمَّتي أدركته الصلاة فليُصَلِّ، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تَحُلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعْطِيت الشفاعة، وكان النَّبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصَّة، وبُعِثْتُ إلى النَّاس عامَّة) [1].

كما أخبر الله تعالى أنَّه أرسل رسوله محمَّداً ﷺ إلى جميع الخلائق كافَّة فقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلَّا كافَّةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[2] أي: إلى جميع الخلائق من المكلفين، فيبشر مَنْ أطاعه بالجنَّة وينذر مَنْ عصاه بالنار، فالرسول ﷺ أرسله الله إلى الناس عامَّةً، إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله تعالى أطوعهم له عزَّ وجلَّ [3].

فالواجب على الدُّعاة إلى الله تعالى أن يدعوا إلى الإسلام كُلِّه، وبيان أحكامه، والسعي بجدٍّ لهداية الناس ودلالتهم على صراط الله المستقيم، وألاَّ يفرقوا بين الناس، فلا يتعصَّبوا لمذهب دون مذهب، أو لجنسٍ دون جنسٍ، أو قبيلة دون قبيلة، أو لذي جاه ومنصب دون غير ذلك، بل يكون هدفهم إثبات الحق وإيضاحه واستقامة الناس عليه، وإن خالفَ رأي فلان أو فلان. مستمدين في كُلّ ما يدعون إليه من كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ، وما أُثِرَ عن السلف الصالح العاملين بهذين المصدرين - القرآن، والسُّنَّة.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب قوله تعالى ﴿فإن لم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾: ١/١٤٩. وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، وهو عنوان الباب: ١/٣٧٠ - ٣٧١، وانفسير ابن كثير: ٢/٢٥٥، ٣/٥٣٩

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/٥٣٨

## المدعوون – حقوقهم، وواجباتهم:

المدعوون: جمع، ومفردها مدعوٌّ، وهو كُلُّ إنسانٍ وُجّهَت إليه الدعوة قريباً أو بعيداً، ذكراً أو أنثى، مِنَ المكلّفين، مهما كان جنسه ولونه ومهنته وبلده، إلى غير ذلك من الفروق بين البشر، فالدَّعوة إلى دين الله تعالى عامَّة لجميع البشر في كُلّ زمان ومكان إلى قيام الساعة [1].

ومِن حقوق المدعوين على الدعاة إلى الله تعالى أن يذهبوا إليهم، ولا يجلسوا ينتظرون مجيئهم، فلقد كان الرسول ﷺ يذهب إلى الناس ويدعوهم إلى الله تعالى، ويخرج إلى القبائل من أحياء العرب ويعرض عليهم دعوته في أماكنهم، وينتهز فرصة المواسم لملاقاة الوفود وكُلّ مَن يقدم لدعوتهم إلى دين الله تعالى وترك عبادة ما سواه. وكذلك أرسل الرسائل، وكتب الكُتُب، وبعث الأفراد إلى الأقطار للدعوة [2].

وعلى الدُّعاة إلى الله تعالى ألاّ يستهينوا بالمدعوين، ويستصغروا شأنهم لأنَّ من حقّ كُلّ إنسان أن يُدْعَى.

ومن حق المدعوين: أن يحرص الدعاة إلى الله تعالى على هدايتهم، والرحمة والشفقة بهم، ولهم قدوة برسول الله ﷺ، فكان ﷺ حريصاً ورحيماً

---

(١) انظر: أُصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان: صـ ٣٥٨ ، والحكمة في الدعوة إلى الله لسعيد القحطاني: صـ ١٢٣

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ١/٤٢٥، والبداية والنهاية: ٣/١٣٣ - ١٤٤

بمن يدعو [1]، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم﴾[2].

فالرسول ﷺ وهو قدوة الدعاة إلى الله تعالى يعز عليه الشيء الذي يعنت أُمَّته، ويشق عليها، وقد جاء في الحديث الصحيح: (**إنَّ هذا الدين يسر**) [3].

فشريعته ﷺ سهلة، سمحة، كاملة، يسيرة على مَن يسَّرها الله عليه، وهو ﷺ حريصٌ على هداية الناس ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليهم [4].

والله تعالى أمر نبيه محمَّداً ﷺ أن يلين جانبه للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾[5].

فعلى الدُّعاة إلى الله تعالى أن يتأسوا بنبيهم محمَّد ﷺ في الحرص على هداية الناس ودلالتهم على الخير، وتحذيرهم من الشَّرِّ وسائر المخالفات. وعليهم كذلك أن يختاروا الأوقات المناسبة للموعظة والذكرى، مع عدم الإطالة المُمِلَّة في الوعظ والإرشاد، بل اختيار المفيد وما يحتاجه الناس،

---

(١) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله: صـ ١٢٣، وأصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، للدكتور حمود بن أحمد الرحيلي: صـ ٨

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر: ٢٨/١، ومسند الإمام أحمد: ٦٩/٥، والنسائي في كتاب الإيمان، حديث رقم ٥٠٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٠٣/٢ - ٤٠٤ بتصرف.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٨٨

ويلاحظ عليهم لقصد الإصلاح وإيضاح الدين الصحيح للناس، فقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يذكر في كُلِّ يوم خميس مرَّة، فلمَّا قيل له: ألا تزيد ؟ قال: أما إنَّه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملِّكم، وإني أتخوَّلكم بالموعظة، كما كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بها مخافة السآمة علينا [1].

**أمَّا ما يجب على المدعوين:**

فيجب عليهم الاستجابة لدعوة الحق، والانقياد والتسليم لذلك بعد التبيُّن، وألاَّ يصرفهم أيُّ صارف عن الاستجابة للخير، سواء في شخص الداعي، أو الجهل، أو الكبر، بل الواجب تلبية نداء الحق رغبةً في الخير، وليتأمَّل هؤلاء المدعوون أنَّ الله تعالى قد أكرمهم بالعقل لكي يميِّزوا بين الخير والشر، والنفع والضر، والصالح والفاسد، فيأخذوا ما يفيدهم، وذلك باتباع صراط الله المستقيم، واجتناب ما يضرهم مِمَّا فيه مخالفة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ. فقد قامت الحُجَّة على الخلق، فالله تعالى قد أنزل الكتب، وأرسل الرسل [2].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب مَن جعل لأهل الأرض أياماً معلومة: ١/٤٦، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الإقتصاد في الموعظة: ٤/٢١٧٢

(٢) انظر: كتاب أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم: صـ ٩، والمدخل في علم الدعوة: صـ ١٧٢

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أنَّ الله يحولُ بينَ المرء وقلبه وأنَّه إليه تحشرون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قد أفلح مَن زكَّاها ۞ وقد خاب مَن دسَّاها﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رُسُلَنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إنَّ الله قويٌّ عزيزٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾[4].

يقرّر ابن كثير من خلال معنى الآيات السابقة أنَّ على المدعو أن يأخذ بأمر الله، ويجيبه فيعمل بالقرآن فهو كلامه، لأنَّ في ذلك صلاحه ونجاته وفوزه في آخرته، كما أنَّ في ذلك بقاء وسعادة في الحياة الدنيا، وبعد معرفة الحق والعمل به على المدعو أن يطلب من الله تعالى أن يثبته عليه حتى الممات، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النَّبيُّ ﷺ يكثر أن يقول: (يا

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٩ - ١٠

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥

(٤) سورة النور، الآية: ٥١

**مُقَلِّب القلوب ثبّت قلبي على دينك)** قال: قلنا: يا رسول الله ! آمنّا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا ؟ قال: **(نعم ! إنَّ القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها)** [1].

ولقد وصف الله تعالى عباده الذين قبلوا الحق، وقاموا بمقتضاه بالفلاح وهو نيل المطلوب، والسلامة من المرهوب.

فالمؤمنون حقّاً قد عملوا بالحق والعدل في جميع أحوالهم ومختلف شئونهم، واتبعوا رُسُل الله عليهم الصلاة والسلام، فيما أخبروا به، وأطاعوهم فيما أمروا به، لأنَّ الذي جاءوا به هو الحق كما قال تعالى: ﴿وتَمَّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾[2] أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوَّأوا غرف الجنّات، والمنازل العاليا ــ والسُّرُر المصفوفات ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله لقد جاءت رُسُلُ ربّنا بالحق﴾[3].

---

(١) مسند الإمام أحمد: ١١٢/٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٢، وسنن الترمذي: كتاب الدعوات، والحديث عن أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة: ٥٣٨/٥، وابن ماجة، كتاب الدعاء، حديث رقم ٣٨٣٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٥

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٣

ومعنى قوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديث فيه بأسٌ شديدٌ﴾[1] أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق، وعانده بعد قيام الحُجَّة عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكَّة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد، وبيّنات ودلالات، فلمَّا قامت الحُجَّة على مَن خالف، شرع الله الهجرة وأمر بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام [2] لمن خالف القرآن وكذَّب به وعانده.

قال ﷺ: **(بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظِلّ رمحي، وجُعِلَ الذِّلّة والصَّغَار على مَن خالف أمري، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم)** [3].

ومعنى قوله تعالى ﴿فيه بأسٌ شديدٌ﴾ يعني: السلاح، كالسيوف، والحراب، والسنان، والنصال، والدروع، ونحوها، وقوله تعالى: ﴿ومنافع للناس﴾ أي: في معايشهم، كالفأس، والقدوم، والمنشار، والآلات التي يُستعان بها في الحراثة، والحياكة، والطبخ، والخبز، وما لا قوام للناس

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥

(٢) الهام: الرؤوس، جمع هامة. المعجم الوسيط: ٢/١٠٠٠

(٣) تفسير ابن كثير: ٤/٣١٥، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح: ٤/١١٠ - ١١١، وسنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الأقبية: ٤/٤٤، ومسند أحمد: ٢/٥٠

بدونه، وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: هو قوي عزيز ينصر مَن نصره من غير احتياج منه إلى النّاس، وإنّما شرع الجهاد ليبلوا بعضكم ببعض، والموفّق للفلاح من عباد الله هو مَن أطاع الله وزكّى نفسه وطهّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل. والخائب مِن العباد من دنّس نفسه فأحملها ووضع منها بِخِذْلانِه إيّاها من الهوى حتّى ركب المعاصي وترك طاعة الله تعالى [1].

وعلى المدعو بعد معرفته للحق والعمل بموجبه أن يسأل أهل العلم ومَن عُرِفَ بالصّلاح والتُّقى والاستقامة، عمّا يشكل عليه من أمور دينه. يقول الله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلّا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[2].

ولمّا كانت دعوة الإسلام موجهة إلى البشر كافّة، وكانت بذلك عامّة لكُلّ المدعوين - كما سبق بيانه - على اختلاف أصنافهم، من مشركين، وكتابيين، ومسلمين. لزم أن يراعى في الدّعوة تصنيف المدعوين، وقد عُقِدَ هذا الفصل لدراسة منهج ابن كثير في تصنيف المدعوين، وما أورده في دعوة كُلّ صنف من هذه الأصناف، وذلك في ثلاثة مباحث:

١) دعوة المشركين.

٢) دعوة أهل الكتاب.

٣) دعوة المسلمين.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٩٧ - ٢٩٨، ٣/٢٩٩، ٤/٣١٤ - ٣١٦ بتصرف.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧

## المبحث الأول: دعوة المشركين:

### معنى الشِّرْك في اللغة:

الشَّرْك والشركة سواء: مخالطة الشريكين، يقال: شركته في الأمر أشركه شركاً وشركة.

وأشركته: جعلته شريكاً، قال تعالى: ﴿وأشركه في أمري﴾[1]، أي: في مشاوراتي، ففيه معنى التشريك.

وجمع كلمة الشرك: أشراك وشركاء، وشاركت فلاناً صرت شريكه، واشتركنا، وتشاركنا في كذا، وشركتهُ في البيع والميراث أشركهُ شركةً.

وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً. والاسم: الشّركُ، قال الله تعالى حكايةً عن عبده لقمان أنّه قال لابنه: ﴿يا بُنَيَّ لا تُشْرِك بالله إنَّ الشِّرْك لظلمٌ عظيم﴾[2].

والشَّرْكُ: أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته، تعالى الله عن الشُّركاء والأنداد، وإنّما دخلت التاء في قوله تعالى: ﴿لا تُشْرِك بالله﴾ لأنَّ معناه: لا تعدل به غيره فتجعله شريكاً له، فيعتقد فيه جلب النفع ودفع الضرر، وهذا كفرٌ بالله تعالى، قال تعالى في ذكر ما حرَّمه على عباده: ﴿وأن تُشْرِكوا بالله ما

---

(١) سورة طه، الآية: ٣٢

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣

﴿لم ينزّل به سلطاناً﴾[1] أي: تعدلوا به غيره، ومن عدل با لله شيئاً من خلقه فهو كافرٌ مشركٌ، لأنّه هو ا لله وحده لا شريك له ولا نِدَّ له ولا نديد [2].

ومن هذا الباب: تلبية المشركين. قال ابن كثير: وكانت كنانة وقريش إذا أهَلُّوا - أي في الحج - قالوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلاّ شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فيوحدونه بالتلبية ثُمَّ يُدْخِلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده، يقول ا لله تعالى لنبيه محمَّدٍ ﷺ: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾[3]، أي: ما يوحدونني لمعرفة حقي إلاّ جعلوا معي شريكاً من خلقي[4].

والشرك أيضاً يأتي بمعنى الخلط، تقول: الشَّرِكَة، والمشاركة: خلطُ الملكين [5]. قال تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[6]، يقال: شَرَكْته في الأمر أشركه شركة، والاسم الشّرك، وشاركته إذا صرت

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣

(٢) انظر: لسان العرب: ٤٤٨/١٠ مادة (شرك)، والقاموس المحيط: ٣/ ٣٠٨ مادة (الشرك)، والمغرب في ترتيب المعرب: ٤٤٠/١ مادة (شرك)، ومجمع الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، للشيخ العلاّمة اللغوي ملك المحدثين، محمَّد طاهر الصديقي الهندي: ٢١٣/٣، وتفسير ابن كثير: ١٤٧/٣

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٦

(٤) البداية والنهاية: ١٧٤/٢ - ١٧٥

(٥) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: صـ ٢٥٩

(٦) سورة الكهف، الآية: ١١٠

شريكه. وقد أشرك بالله فهو مشرك إذا جعل له شريكاً. والشِّرْك: الكفر [1].

والشِرْك: بمعنى النّصيب، وشَرَك النّعل شِراك: هو سيرها الذي على ظهر القدم [2].

والشَّرَك - محرَّكة -: حبائل الصيد وما يُنْصَب للطير [3].

فترجع مادة الشرك إلى: الخلط، والجمع، فالحصَّة من الشيء تكون لواحد، وباقيه لآخر أو آخرين، فالشريك مخالط لشريكه وحصَّته منضمة لنصيب الآخر. وإذا كان بمعنى الحبالة فإنَّ ما يقع من الحيوان فيها يختلط بها وينضم إلى ملك الصائد. وإذا كان بمعنى سير النعال - أي الشِراك - لأنَّ النعل تنضم إلى الرجل فيختلط بينهما. ويدل الشرك أيضاً على المساواة في الشيء.

## معنى الشِّرْك في الشَّرع:

مَن عبَدَ مع الله غيره فقد أشرك بالله [4].

وقد نقل ابن كثير معنى الشرك عن ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[5] أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنّه لا ربَّ لكم يرزقكم غيره،

---

(١) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: ٤٦٦/٢

(٢) المغرب في ترتيب المعرب، لناصر الدين الطرزي: ٤٤١/١

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي: ٣٠٨/٣

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٦/٢، ٤٩٤، ٢٢٦/٤

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢

وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من التوحيد هو الحق الذي لا شكَّ فيه.

والأنداد: جمع نِد، وهو الشرك: وهو أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللُّصوص البارحة، ولولا البط في الدَّار لأتى اللُّصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان - لا تجعل فيها فلاناً - هذا كله به شرك [1].

وفي معنى الشرك أيضاً قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾[2] يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا، وحالهم في الآخرة، حيث جعلوا لله أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلاَّ هو، ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه [3].

**والمراد بالشرك الخفي**: الرياء في العمل، فمن راءى في عمله كأنَّه أشرك فيه غير الله [4].

فمن دعا غير الله أو قصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها فقد أشرك بالله تعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٥٧ - ٥٨

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥

(٣) تفسير ابن كثير: ٥/٢٠٢

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/٤٦٦

ومَن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى، أو قصد غير الله بشيءٍ من أنواع العبادة، فقد اتخذ هذا الغير رباً وإلهاً من دون الله تعالى، وأشرك مع الله غيره الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وأنكره على المشركين وأخبر أنّه لا يغفره [1]، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2].

## أنواع الشرك:

قال الرَّاغب الأصفهاني: " وشرك الإنسان في الدين ضربان:

**أحدهما:** الشرك العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى، يُقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إنَّه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنَّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[4]،

---

(١) انظر: مؤلَّفات الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب، القسم الأول: صـ ٣٨١، وعقيدة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب، للدكتور صالح العبود: صـ ٤٢٣

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٢

وقال تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يُبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾[1].

**والثاني**: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق، المشار إليه بقوله تعالى ﴿فلمَّا آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عمَّا يشركون﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلاَّ وهم مشركون﴾[3] أي واقعون في شَرَك الدُّنيا أي حُبالتها[4].

فالعبد إذا صرف قصده في عبادة غير الله، صار بذلك مشركاً بالله، لالتفاته في القصد والعبادة إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب منه، وعلى العبد السعي إلى تحصيل كمال التوحيد وتحقيقه، ثُمَّ الدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿قل إنَّما أُمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب﴾[5].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٢

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٠

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٦

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن: صـ ٢٥٩ - ٢٦٠

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٦

فالرسول ﷺ بُعِثَ بعبادة الله وحده لا شريك له، وهذا هو سبيل الله يدعو الناس إليه [1].

فمَن أشرك بالله الشرك الأكبر، وهو أن يُعْبَدَ مع الله غيره من حجرٍ أو شجرٍ أو شمسٍ أو قمرٍ، أو نبيٍ، أو شيخٍ، أو نجمٍ، أو ملكٍ، أو غير ذلك، ثُمَّ مات على ذلك، فهو من أصحاب النار، كما أنَّ مَن آمن بالله ومات مؤمناً، فهو من أصحاب الجنَّة بمشيئة الله تعالى وإن عُذِّبَ بالنار [2].

والأسلم والأكمل للعبد ترك الشرك كبيره وصغيره، وأن يعمل العمل لأجل الله، طلباً لرضاه، ويجتنب الرياء، ويحذر العمل لأجل الناس، فهذا شرك.

## حَقِيقَةُ الشِّرْكِ:

لقد أبان ابن كثير رحمه الله ضرر الشرك، وكونه موبقاً للإنسان في دنياه وأُخراه، وذلك من خلال سياق الأحاديث النبوية في تفسيره عند الآيات القرآنية التي فيها ذكر الشرك. وكذلك معنى الآيات، منها قوله:

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ! أي الذَّنب أعظم عند الله ؟ قال: (**أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك..**) الحديث [3]، وكذا حديث معاذ رضي الله عنه: (**أتدري**

---

(١) انظر: قُرَّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، للشيخ عبد الرحمن بن محمَّد بن عبد الوهاب: صـ ٣٠، ٩٥، وتفسير ابن كثير: ٥١٨/٢

(٢) انظر: كتاب الكبائر، للإمام شمس الدين الذهبي: صـ ٨

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة: ٤٤/٦
وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب: ٩٠/١
وانظر: وتفسير ابن كثير: ٥٧/١

ما حق الله على عباده ؟: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً..) الحديث [1]

وفي الحديث الآخر: (لا يقولنَّ أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقل: ما شاء الله ثُمَّ شاء فلان) [2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأمَّا الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[3]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[4]، وأمَّا الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صومِ يومٍ تركه فإنَّ الله لا يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأمَّا الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص لا محالة) [5].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ مَن مات على التوحيد دَخَل الجنَّة ١/٥٨ - ٥٩. وانظر: تفسير ابن كثير: ١/٥٧

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي: ٤/٢٩٥، وأبوداود، كتاب الأدب، حديث رقم ٤٣٢٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٢

(٥) مسند الإمام أحمد: ٦/٢٤٠، وتفسير ابن كثير: ١/٥٠٨

وقال ﷺ: (**كُلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره إلاَّ الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمِّداً**)[1].

فمن أشرك بالله تعالى فقد سلك غير طريق الحق، وضلَّ عن الهدى، وبَعُدَ عن الصَّواب، وأهلك نفسه، وخَسِرَها في الدُّنيا والآخرة، وفاتته سعادة الدنيا والآخرة، وما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مِمَّا هو فيه [2].

ومِن فظاعة الشرك وعِظَم شرّه، أنَّ المتلبّس به يلحقه الذُّلَّ والهوان والخزي في الدنيا والآخرة، فالله تعالى قد أمر عباده الطيِّبين الطَّاهرين ديناً وذاتاً، بنفي المشركين الذين هم نجس ديناً، عن المسجد الحرام وأن لا يقربوه وذلك بعد نزول قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنَّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾[3]، وكان نزول هذه الآية الكريمة على رسول الله ﷺ سنة تسع من هجرة النَّبيِّ ﷺ إلى المدينة، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليّاً صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامئذٍ وأمره أن ينادي في المشركين أن لا يحُجَّ بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فأتمَّ الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً [4].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الفتن، حديث رقم ٣٧٢٤، والنسائي، كتاب تحريم الدم، حديث رقم ٣٩٨٤، ومسند الإمام أحمد: ٩٩/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٠٨/١

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٥/١، ٨١/٢

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٨

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٤٦/٢

ولذلك أمر الله تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكُفّار والمنافقين والغلظة عليهم كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتّبعه من المؤمنين، وأخبره أنَّ مصير الكفّار والمنافقين إلى النّار في الدار الآخرة [1].

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النَّبيّ جاهد الكُفَّار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنَّم وبئس المصير﴾[2].

ولقد أخبر الله تعالى عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة، والذين لا يرجون في لقائه شيئاً، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت نفوسهم إليها [3].

فقال تعالى: ﴿إنَّ الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**). رواه مسلم [5].

---

(١) المصدر السابق: ٢/٣٤٠

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٣

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٠٧

(٤) سورة يونس، الآية: ٧

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في عملٍ غير الله: ٤/٢٢٨٩. والترمذي، كتاب التفسير، حديث رقم ٣٠٧٩، وابن ماجة، كتاب الزهد، حديث رقم ٤٢٠٢، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٩٤

وقال ﷺ: (**إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين ليومٍ لا ريب فيه، ينادي منادٍ: مَن كان أشرك في عملٍ عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإنَّ الله أغنى الشركاء عن الشرك**). رواه الإمام أحمد [1].

والرسول عليه الصَّلاة والسلام وجَّه أُمَّته للتخلُّص من الشرك قليله وكثيره، بدعاءٍ يدعو به المسلم، فقال ﷺ: (**يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنَّه أخفى من دبيب النمل**) فقال له مَن شاء الله أن يقول: فكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال: (**قولوا: اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**)[2].

والله تعالى أمر نبيه محمَّداً ﷺ أن يتبرأ من الشرك والمشركين، وينزه الله تعالى بما يليق به من الإجلال والإعظام، فهو صاحب الكمال المطلق، وهذا الأمر للرسول ﷺ وأمَّته تبعٌ له في ذلك. قال تعالى: ﴿**وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾[3]، أي: وأنزه الله وأُجلّه وأُعَظّمه وأُقَدّسه مِن أن يكون له شريك أو نظير أو عديل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير، تبارك وتقدَّس وتنزَّه وتعالى عن ذلك كله علوّاً كبيرا [4] ﴿**تسبح له السموات السبع**

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٤/٢١٥ رقم (١٧٩١٩). وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٩٤

(٢) مسند الإمام أحم: ٤/٤٠٣ رقم (١٩٦٢٢). وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٩٥

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨

(٤) تفسير ابن كثير: ٢/٤٩٦

والأرض ومَن فيهنَّ وإن مِنْ شيءٍ إلاَّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنَّه كان حليماً غفوراً﴾[1].

لذلك فالله تعالى أمر بعبادته وحده لا شريك له، وأخبر تعالى أنَّ مَن أشرك به عذَّبه، وأمر تعالى رسوله ﷺ أن يُنذِر عشيرته، وأنَّه لا يخلص أحداً منهم إلاَّ إيمانه بربه عزَّ وجلَّ، وهذه النذارة الخاصّة لا تنافي العامَّة، بل هي فرد من أجزائها [2]، قال تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذَّبين ۞ وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لتنذر قوماً ما أُنذِرَ آباؤهم فهم غافلون﴾[4].

فالشرك ذنبٌ كبيرٌ، وهو أعظم الظلم، وقد أخبر تعالى عن وصيَّةِ لقمان لابنه بأن يعبد الله وحده ولا يُشرك به شيئاً، ثُمَّ قال محذّراً له: ﴿إنَّ الشِّرك لظلمٌ عظيم﴾[5] أي: هو أعظم الظلم.

ولمَّا نزلت الآية الكريمة على رسول الله ﷺ وهي قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[6]، شقَّ ذلك على

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٣

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٣ - ٢١٤

(٤) سورة يس: ٦

(٥) سورة لقمان، الآية: ١٣

أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا " أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنَّه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان[1] ﴿يا بُنَيَّ لا تُشرِك بالله إنَّ الشِّركَ لَظُلمٌ عظيم﴾.

فعلى الدُّعاة إلى الله تعالى أن يُبيِّنوا للمدعوين خطورة الشرك وبالغ أثره وضرره، وأنَّه لابُدَّ من البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، ولابُدَّ من الإخلاص لله تعالى، فالمقاطعة بين المؤمنين والكفَّار مطلوبة كما قال تعالى: ﴿قُل يا أيُّها الكافرون ۞ لا أعبد ما تعبدون ۞ ولا أنتم عابدون ما أعبد ۞ ولا أنا عابدٌ ما عبدتم ۞ ولا أنتم عابدون ما أعبد ۞ لكم دينكم ولي دين﴾[2].

وهذا الخطاب يشمل كُلّ كافر على وجه الأرض، وإن كان أساسه هُم كُفَّار قريش. فمن جهلهم أنَّهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سَنَة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأمر الله تعالى رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، لأنَّ المشركين لا يقتدون بأوامر الله تعالى ولا بشرعه، وإنَّما اختاروا في عبادتهم شيئاً من تلقاء أنفسهم، كما قال تعالى:

---

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٨٢

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة لقمان: ٦/٢٠٧، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه: ١/١١٤
وانظر: وتفسير ابن كثير: ٣/٤٤٤

(٢) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦

﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[1]، فالبراءة من جميع أعمال المشركين أمرٌ لازمٌ، ولهذا كان معنى (لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله) أي: لا معبود بحق إلاّ الله، ولا طريق إليه إلاّ بما جاء به رسوله ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادةً لم يأذن بها الله، ولهذا قال رسول الله ﷺ لكفار قريش[2]: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريءٌ مما تعملون﴾[3].

## الإسلام ودعوة المشركين:

لقد قام رسول الله ﷺ بتوجيه الدعوة إلى الإسلام للناس عامّةً، وللمشركين خاصّة، فحرص ﷺ على هدايتهم وإنقاذهم مِمَّا هم فيه من الشرك وعبادة غير الله. فأوضح أهمية توحيد الله تعالى، وإخلاص جميع الأعمال له، وثمرة ذلك ونتائجه الحميدة في الدنيا والآخرة، وأنَّ أي آلهة سوى الله تعالى فهي باطلة، ولا تستطيع أن تدفع عن متبعيها شيئاً.

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٥٦٠ - ٥٦١ بتصرف.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤١

كما أبان ﷺ الطرق التي سلكها في دعوة المشركين، فكان ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سريَّة أوصاه في خاصَّته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، ثُمَّ قال: (**اغزو باسم الله في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثُمَّ ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوا فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثُمَّ ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين**)... الحديث [1].

فالمسلمون يدعون الكفَّار إلى الإسلام قبل قتالهم، وهذا واجب إن كانت الدعوة لم تبلغهم، ويستحب إن بلغتهم الدعوة، هذا إذا كان المسلمون هم القاصدين للكُفَّار، فأمَّا إذا قصدهم الكفار في ديارهم فلهم أن يقاتلوهم من غير دعوة، لأنَّهم يدفعونهم عن أنفسهم وحريمهم [2].

والكفار والمشركون يُدعَون إلى الإسلام، وإلى إبطال كفرهم وشركهم الذي هم عليه، ولابُدَّ من استعمال الأسلوب الحسن والمجادلة بالتي هي أحسن، ثُمَّ يُبين لهم ما في الإسلام من الخير العاجل والآجل، وإيضاح سماحة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها: ١٣٥٧/٣، وأبوداود، كتاب الجهاد، حديث رقم ٢٢٤٥، والترمذي، كتاب السير، حديث ١٥٤٢، وابن ماجة، كتاب الجهاد، حديث رقم ٢٨٥٨.

(٢) انظر: أحكام أهل الذمَّة، لابن قيم الجوزية، تحقيق صبحي الصالح: ٥/١

الإسلام وشموليته لجميع نواحي الحياة، ويوضح لهم ما في الكفر با لله من البعد عنه، والهلاك والخسران والشقاء في الدنيا والآخرة.

والإسلام قد انتشر عن طريق الدعوة القولية والفعلية كما هو ظاهرٌ في انتشاره في أوَّل عهده.

فمن تلك الآيات الكريمة التي كانت لدعوة المشركين، وسبباً لهدايتهم آياتٌ تحفزهم على إعمال النظر في مخلوقات الله تعالى العظيمة الدالّة على وحدانيته، قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم مَن خلق السموات والأرض وسخَّر الشمس والقمر ليقولنَّ الله فأنَّى يؤفكون﴾[1].

يقول ابن كثير: يقول الله تعالى مقرّراً أنّه لا إله إلا هو، لأنَّ المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنَّه المستقِلّ بخلق السموات، والأرض، والشمس، والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنّه الخالق، الرازق لعباده، ومقدر آجالهم واختلافها، واختلاف أرزاقهم، فتتفاوت بينهم، وهو المستقل بخلق جميع الأشياء، متفرد بتدبيرها، وإذا كان الأمر كذلك، فلم يعبد غيره، و لم يتوكل على غيره، فكما أنّه الواحد في ملكه، فليكن الواحد في عبادته، وكثيراً ما يقرن تعالى مقام الإلهية بالإعتراف بتوحيد الربوبية.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦١

وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم: " لبيك لا شريك لك إلاّ شريكاً هو لك تملكه وما ملك ".

ومشركو العرب يشركون في الرخاء، ويوحدون في الشدة، أمَّا مشركو زماننا فهم يشركون في الرخاء والشدة. قال تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[1]

قال تعالى عنهم: ﴿ . . . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا إلى الله زلفى إنَّ الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إنَّ الله لا يهدي مَن هو كاذبٌ كفَّار﴾[2].

فالمشركون قديماً عمدوا إلى أصنامهم التي اتَّخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم للملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدُّنيا، فأمَّا المعاد فكانوا جاحدين له، كافرين به. قال تعالى: ﴿إن هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدهر وما لهم بذلك من علمٍ إن هُمَ إلاَّ يظنون﴾[4].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٣٧

(٤) سورة الجاثية، الآية: ٢٤

وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها، والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأنَّ هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه ﴿ولقد بعثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[1].

وأخبر تعالى أنَّ الملائكة التي في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم، كلهم عبيدٌ له، خاضعون لأمره، ولا يشفعون عنده إلاَّ بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبَّه الملوك وأبوه ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إنَّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[2].

ولمَّا دعا الرسول ﷺ المشركين إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، وترك عبادة الأوثان، قال المشركون عناداً واستمرارا لما ورثوه من آبائهم: ﴿أجعل الآلهة إلها واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عجاب﴾[3]. فأنكروا ذلك - قبَّحهم الله تعالى -، وتعجبوا من ترك الشرك بالله، بل إنَّ الكفار تمادوا في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن، وما أخبر به من أمر المعاد،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٥

(٣) سورة ص، الآية: ٥

ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[1].

والله تعالى هو مالك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وما تحت الثرى، وهو الحاكم فيهما في الدنيا والآخرة، لذلك فقد توعَّد من كَفَر به وأعرض عن ذكره واتّباع رسله الكرام بقوله: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون﴾[2] أي: الكافرون بالله، الجاحدون لما أنزله على رُسُلِهِ من الآيات البيّنات، والدلائل الواضحات [3].

قال الله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عمَّا يشركون ۞ خلق الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبين﴾[4].

يذكر ابن كثير - رحمه الله - عند معنى هذه الآيات الكريمات دلائل واضحة، وبراهين قوية لتعرُّض المشركين لأجل دعوتهم إلى الإسلام، فيقول: " يخبر الله تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات، والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت، وأنَّ ذلك خُلِقَ بالحق لا للعبث، بل

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٦

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٧

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢١/٣، ٤٣٩، ٢٧/٤، ٤٥، ١٥١ بتصرف.
والبداية والنهاية: ٢٨٦/٢ - ٢٨٧، ٥٩/٣ بتصرف.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ٣ - ٤

﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾[1]، ثُمَّ إنَّه نزَّه نفسه عن شرك من عبد معه غيره، وهو المستقل بالخلق سبحانه وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يُعْبَدَ وحده لا شريك له، ثُمَّ نبه تعالى على خلق الإنسان من نطفةٍ أي مهينة ضعيفة، فلمَّا استقلَّ ودرج إذا هو مخاصمٌ ربه تعالى ويكذبه ويحارب رُسُلَه، وهو إنَّما خُلِقَ ليكون عبداً لا ضداً، كقوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ۞ ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾[2].

وعن بشر بن جحاش [3] رضي الله عنه قال: بصق [4] رسول الله ﷺ

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣١

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٥٤ - ٥٥

(٣) بشر بن جحَاش، ويقال: بُسر، وهو قرشي، سكن الشام، ومات بحمص.
انظر: أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/٢١٨ - ٢١٩

(٤) بصق: البُصاق: البُزاق، وقد بصق من باب نصر، ويقال: لحجرٍ أبيض يتلألأ بُصاقُه القمر. انظر: مختار الصحاح: صـ ٥٥

يوماً في كفّه فوضع عليها أصبعه ثُـمَّ قـال: (**قـال ا لله عـزَّ وجـلَّ: ابـن آدم ! أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتّى إذا سـويتك وعدلتـك مَشَـيْت بين بردين وللأرض منك وئيـد فجمعـت ومنعـت حتّـى إذا بلغـت الـتراقي قلت: أتصدَّق ! وأنّى أوان الصدقة ؟!**)[1].

ويذكر ابن كثير رحمه ا لله من أسـاليب دعـوة المشـركين مـا أخـبر ا لله تعالى به في كتابه عن نبيـه يوسـف عليـه السـلام مـع الفتيـين حينمـا دعاهمـا إلى عبـادة ا لله تعـالى وحـده لا شـريك لـه، وتـرك الشـرك بـا لله فقـال: " لقـد أقبـل يوسـف عليـه السـلام علـى الفتيـين بالمخاطبـة والدعـاء لهمـا إلى عبـادة ا لله وحـده لا شـريك لـه وخلـع مـا سـواه مـن الأوثـان الـتي يعبدهـا قومهمـا، فـا لله تعـالى قـد ذلَّ كُـلُّ شـيء لعـزّ جلالـه وعظمـة سلطانه، أمَّا التي تُعْبَـد وتُسـمَّى آلهـة فإنّهـا سُـمّيَت بذلـك مـن عنـد عابديهـا مـن تلقـاء أنفسـهم، تلقّاهـا خَلَفَهُـم عـن سَـلَفِهِم وليـس لذلـك مسـتند مـن عنـد ا لله، فهـي باطلـة لا دليـل عليهـا ولا برهـان، ولا حُجَّـة لهـم فيهـا، والحكـم والتصـرف والمشـيئة والمُلْـك، كُـلُّ ذلـك لله تعـالى، فـا لله تعـالى قـد أمـر عبـاده قاطبـةً أن لا يعبـدوا إلاّ إيَّـاه، فذلـك الديـن القَيِّـم الـذي يحبه ا لله ويرضاه، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون، فهم مشركون [2].

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد: ٤/٢١٠ رقم (١٧٨٧٧). وسنن ابـن ماجـه، كتـاب الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت: ٢/٩٠٣

وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٥٦١ الحديث ومعنى الآيات السابقة.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٧٩

قال تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[1].

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ۞ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[2].

وابن كثير - رحمه الله - يوضّح ما ينبغي إيضاحه للمشركين الذين قبلوا الدخول في الإسلام، وهو بشرى لهم: مغفرة الله تعالى لهم لِمَا سلفَ من الذنوب.

قال الله تعالى مخاطباً نبيَّه محمَّداً ﷺ أن يقوله للكفّار: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفَر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سُنَّة الأوّلين﴾[3].

قال ابن كثير: فإن رَجَع الكُفّار عمَّا هم فيه من الشرك والكُفْرِ والمشاقة والعناد، ودخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، فلهم من الله المغفرة على ما سلف من الكُفر واقتراف الذنوب وفعل الخطايا، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومَن أساء في الإسلام**

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٣

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٣٩ - ٤٠

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٨

**أُوخِذَ بالأوَّل والآخر)**[1]، وفي الصحيح أيضاً أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(الإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تَجُبُّ ما كان قبلها)** [2]، فإن استمرَّ المشركون على شركهم، فقد مضت سنتنا في الأوَّلين أنَّهم إذا كذَّبوا واستمروا على عنادهم أننا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة [3].

يتَّضِح لنا مِمَّا سبق أنَّ الإسلام هو الدين الخالص الخالد الباقي، الذي لا يقبل الله تعالى من العبد ديناً غيره، فهو الحق والصواب، كما يتبيَّن أيضاً أنَّ القرآن الكريم دحض شبهة المشركين فيما هم عليه من الباطل والإنحراف عن صراط الله المستقيم، فأبطل حججهم، وأسقط أدلَّتهم الواهية.

فعلى الدُّعاة إلى الله تعالى أن يشمروا عن ساعد الجد في نشر الإسلام بعزَّةٍ وثباتٍ وقُوَّةٍ وإخلاص، فلا يخافون في الله لومة لائم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدين عند الله الإسلام﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ومَن يبتَغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[5].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، وإثم مَن أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وهو عنوان الباب: ٩/٢٥
وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب هل يُؤاخذ بأعمال الجاهلية: ١/١١١
وانظر: وتفسير ابن كثير: ٢/٣٠٨

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد: ٤/١٩٩، ٢٠٤، وتفسير ابن كثير: ٢/٣٠٨

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٠٨

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٥

قال ابن كثير رحمه الله: لقد أخبر الله تعالى بأنّه لا يقبل مِن أَحَدٍ ديناً سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتّى خُتِمُوا بمحمَّدٍ ﷺ، وبذلك سدَّ جميع الطُّرق إليه إلاّ من جهة محمَّدٍ ﷺ، فمَن لقي الله بعد بعثة محمَّدٍ ﷺ بدينٍ على غير شريعته، فليس بمتقبَّلٍ منه، كما أخبر تعالى عن انحصار الدين المتقبَّل من كُلّ أحدٍ عنده في الإسلام [1] بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾.

فعلى الدُّعاة إلى الله تعالى في دعوتهم للكفّار الجاحدين أن يراعوا المُخَاطَبَ حسب كفره. فيدعون إلى توحيد الله، والإيمان به وحده، وترك الشرك، والرجوع إلى الحق والصواب.

## دعوة الملحدين:

والملحدون هم الذين ينكرون وجود الله تعالى، ومنهم الدهريون في القديم، والشيوعيون بعد ذلك، هؤلاء تساق لهم الأدلة العقلية، والبراهين الحسية في دعوتهم إلى الله تعالى، وأنّه تعالى موجود، وهو خالق هذا الكون بما فيه، ومدبره، ومتصرّف فيه.

أمَّا الأدلة الشرعية من الكتاب والسُّنّة فهم لا يقتنعون بها. وفي القرآن والسُّنّة دلالات عقلية، وأدلة حسية واقعية، تبيّن وجود الله عزَّ وجلَّ، وأنّه واجب الوجود، فمن هذه الأدلة:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٣٥٤

قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبثاً وأنَّكم إلينا لا ترجعون ۞ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلاَّ هو رب العرش الكريم ۞ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنَّما حسابه عند ربه إنَّه لا يفلح الكافرون﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿أم خُلِقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون ۞ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾[2].

فأنتم أيُّها الجاحدون لم تخلقوا لتلعبوا وتعبثوا كما خُلِقَت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها، وإنَّما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عزَّ وجلَّ.

وقد توعَّد الله تعالى مَن أشرك به غيره وعبد معه سواه، لأنَّه لا برهان له ولا دليل عنده، ومع ذلك فالله تعالى أثبت لهم ربوبيته وألوهيته ليوحدوه وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿أم خُلِقوا من غير شيء﴾ أي أُوجِدُوا من غير مُوجِد ؟ أم أَوْجَدوا أنفسهم، أي لا هذا ولا هذا، بل الله تعالى هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكورا، فأنكر هو تعالى على المنكرين الجاحدين بما يرون من أدلة حسية ظاهرة أمامهم [3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١١٥ - ١١٧

(٢) سورة الطور، الآية: ٣٢

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٢٥٩ - ٢٦٠، ٤/٢٤٤ بتصرف.

## المبحث الثاني: دعوة أهل الكتاب:

### تعريف أهل الكتاب:

لفظ أهل الكتاب: يطلق على اليهود والنصارى [1].

وسُمُّوا بأهل الكتاب لانتسابهم إلى الكتب السماوية السابقة، كالتوراة، والإنجيل.

وقد خُصُّوا بهذا الوصف باعتبار الأصل. وقد وقع كثيرٌ منهم أو غالبيتهم في الشرك، و لم يؤمنوا برسالة رسول ا لله ﷺ إلاّ قليلاً منهم، قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله﴾[2].

وفي الحديث الصحيح: **(لتركبنَّ سنَن من كان قبلكم حذو القذّة بالقُذّةِ) قالوا: اليهود والنصاري ؟ قال: (فمَن) ؟** [3].

قال ابن حجر [4] - رحمه ا لله -: " فأمَّا اليهود والنصارى فهم المراد بأهل الكتاب بالاتفاق " [5].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٣٥٥، ٣٧١ - ٣٧٣، ٢/١٩٢
وأحكام القرآن للجصَّاص: ٣/٣٢٧

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسُّنّة، باب قول النّبيِّ صلى ا لله عليه وسلم : **(لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم)**: ٩/١٨٤. وصحيح مسلم، كتاب العلم، حديث ٢٦٦٩.

(٤) هو أحمد بن علي بن محمَّد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ من عسقلان (بفلسطين)، ومولده ووفاته بالقاهرة، (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، اشتهر بعلم الحديث وبرع فيه، وله مؤلّفات كثيرة.

**واليهودية:** ديانة عبرانية انحدرت من إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وعُرِفَ اليهود: بالأسباط من بني إسرائيل الذين أُرْسِلَ إليهم موسى عليه السلام مؤيدًا بالتوراة ليكون لهم نبياً [1].

**والنصرانية:** هي الديانة المسيحية التي أُنزِلَت على عيسى عليه السلام، وهي مكملة لرسالة موسى عليه السلام، متممة لما جاء في التوراة من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل [2].

## دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام كافَّة:

لقد بيَّن ابن كثير - رحمه الله - أنَّ أهل الكتاب قد دُعوا إلى الإسلام الذي هو اتباع محمَّد ﷺ، فهو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وما جاء به من ربه هو خاتم الأديان، ومهيمنٌ عليها كُلّها.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافَّة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنَّه لكم عدوٌ مبين﴾ [3].

---

انظر: الأعلام: ١/١٧٨

(٥) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٦/٢٥٩

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والفِرَق المعاصرة، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض: صـ ٥٦٥، ومقارنة الأديان اليهودية، للدكتور أحمد شلبي: صـ ٤٨

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والفِرَق المعاصرة: صـ ٤٩٧
والمسيحية للدكتور أحمد شلبي: صـ ٢٩

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨

فمن جملة ما ذكره ابن كثير في معنى هذه الآية: أنَّ المراد بها مؤمنو أهل الكتاب، فإنَّهم كانوا على الإيمان با لله، مستمسكين ببعض أمور التوراة، والشرائع التي أنزلت إليهم، فقال ا لله لهم: ﴿ادخلوا في السلم كافَّة﴾ يقول: ادخلوا في شرائع دين محمَّدٍ ﷺ، ولا تدعوا منها شيئاً، وحسبكم الإيمان بالتوراة وما فيها، واعملوا بالطاعات واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان[1].

وا لله تعالى قد أنكر على اليهود والنصارى والمتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة ا لله فيما يأمرهم به من اتباع محمَّدٍ ﷺ، تولَّوا وهم معرضون عنهما [2]، قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدْعَون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثُمَّ يتولى فريقٌ منهم وهم معرضون﴾[3].

قال ابن القَيِّم رحمه ا لله: " ومن المعلوم بالضرورة أنَّ محمَّداً بن عبد ا لله صلوات ا لله وسلامه عليه، نادى معلناً في هاتين الأمَّتين اللتين هما أعلم الأُمم في الأرض قبل مبعثه بأنَّ ذِكرَه وصِفَتَه بعينه عندهم في كتبهم، وهو يتلو ذلك عليهم ليلاً ونهاراً، وسِرًّا وجهاراً في كُلِّ مجمع، وفي كُلِّ نادٍ يدعوهم بذلك

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٤٨/١ عن ابن عباس رضي ا لله عنهما.

(٢) المصدر السابق: ٣٥٥/١

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٣

إلى تصديقه والإيمان به، فمنهم من يصَدّق ويؤمن به، ويخبر بما في كتبهم من نعتِه وصِفَتِه وذِكْره [1].

فالله تعالى جعل محمَّداً ﷺ خاتم النبيين، وأكمل له ولأُمَّته الدين، وبعثه على حين فترة من الرسل، وظهور الكفر، وانطماس السُّبُل، فأحيا به ما دُرِسَ من معالم الإيمان، وقمعَ به أهل الشرك والكفر من عبدة الأوثان والنيران والصلبان، وأذلَّ به كفّار أهل الكتاب أهل الشرك والارتياب، وأقام به منار دينه الذي ارتضاه، وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه، وأظهر به ما كان مخفياً عند أهل الكتاب، وأبان به ما عدلوا فيه عن منهاج الصواب، وحقّق به صدق التوراة والزبور والإنجيل، وأماط به ما ليس بحقها من باطل التحريف والتبديل [2].

فالرسول ﷺ قد دعا أهل الكتاب إلى دين الله تعالى، فهو ﷺ لا يأمر إلاّ بالخير، ولا ينهى إلاّ عن الشرّ وهذا من مضامين الدعوة إلى الله تعالى.

وقد كاتب ﷺ أهل الكتاب وأرسل إليهم بشأن الدعوة إلى الله، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فارعها سمعك فإنّه خيرٌ تؤمر به، أو شرٌّ تُنْهَى عنه.

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: صـ ٤٣

(٢) انظر: الجواب الصحيح لَمن بدَّل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٩/١

قال ابن كثير عقب ذكره لكلام ابن مسعود رضي الله عنه: " ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة مَن سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله " [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **(والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأُمّة يهودي أو نصراني ثُمَّ يموت ولا يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلاّ كان من أصحاب النّار)** [2].

والله تعالى أمر بني إسرائيل بالدخول في الإسلام ومتابعة محمَّد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام [3].

والله تعالى أمر نبيَّه محمَّداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب ﴿يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزِلَ إليكم من ربكم﴾ [4] الآية.

فأهل الكتاب ليسوا على شيء من الدين حتى يقيموا التوراة والإنجيل، ولا يخفى أنّهم إذا أقاموا التوراة والإنجيل أنّهم آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ، لما تقتضي

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٥٤، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمَّد حميد الله، والبداية والنهاية: ٤/٢٦٢

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٢٥٥، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملّته: ١/١٣٤، ومسند الإمام أحمد: ٢/٣٥٠

(٣) تفسير ابن كثير: ١/٨٢، وانظر: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح: ١/٥٠

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٨

إقامتهما الإيمان به، إذ كثر ما جاء فيهما من البشارات به والتنويه باسمه ودينه، فإقامتهما على وجوههما تستدعي الإسلام البتة، بل هي هو.

فالله تعالى أمر أهل الكتاب أن يؤمنوا بجميع ما بأيديهم من الكتب المنزلة منه تعالى على أنبيائه، ويعملوا بما فيها، ومِمَّا فيها الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ، والأمر باتباعه، والإيمان بمبعثه، والإقتداء بشريعته [1].

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبَيِّن لكم على فترةٍ من الرُّسُل أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كُلِّ شيءٍ قدير﴾[2]. يقول الله تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنّه قد أرسل إليهم رسوله محمَّداً ﷺ خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول، بل هو العاقب لجميعهم، ولهذا قال: ﴿على فترةٍ من الرُّسُل﴾ أي بعد مدَّة متطاولة ما بين إرساله عيسى ابن مريم.

ثُمَّ قال بعد ذلك - أي ابن كثير -: والمقصود أنَّ الله بعث محمَّداً ﷺ على فترةٍ من الرسُل، وطموسٍ من السُّبُل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمرٌ عَمَم، فإنَّ الفساد قد عمَّ جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد إلاّ قليلاً

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٨٠ بتصرف، وتفسير القاسمي: ٦/٣٠٣

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٩

من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين [1].

ويقرر ابن كثير - رحمه الله - أنَّ دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام تكون بالجدال بالتي هي أحسن، بحسن خُلُق ولِين كلام، وصِدْقٍ في دعوتهم إلى اتّباع الحق. ولا يكون القصد من الجدال مجرَّد المجادلة وحُبّ الظهور، بل المراد بيان الحق، وردّ الباطل بأقرب طريق، وأوضح عبارة، وأحسن أسلوب كما قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن إلاَّ الذين ظلموا منهم﴾[2].

وقال تعالى آمراً كليمه ونبيه موسى عليه السلام: ﴿اذهب إلى فرعون إنَّه طغى ۞ فقل هل لك إلى أن تزكَّى ۞ وأهديك إلى ربِّك فتخشى﴾[3].

وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فقولا له قولاً لَيِّناً لعلَّه يتذكر أو يخشى﴾[4].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٥، ودلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني: ٢/٤٤٦-٤٤٧

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦

(٣) سورة النازعات، الآيات: ١٧ - ١٩

(٤) سورة طه، الآية: ٤٤

وقال تعالى في الدعوة عموماً: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إلاَّ الذين ظلموا منهم﴾ أي حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح الحُجَّة، وعاندوا وكابروا، فحينئذٍ ينتقل الجدال إلى الجلاد ويقاتلون بما يمنعهم ويردعهم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لقد أرسلنا رسُلنا بالبيِّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للنَّاس وليعلم الله مَن ينصُره ورُسله بالغيب إنَّ الله قويٌّ عزيزٌ﴾[2].

فمَن احتاج من أهل الكتاب إلى مناظرة وجدال فليكن له ذلك بالوجه الحسن برفقٍ ولينٍ وحُسْنِ خطاب، والله تعالى عليمٌ بالشقي منهم والسعيد، وكتب ذلك عنده وفرغ منه، وأمر نبيَّه محمَّداً ﷺ أن يدعوهم إليه، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإنَّه ليس عليك هداهم إنَّما أنت نذير

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥

عليك البلاغ وعلينا الحساب [1] ﴿ليس عليك هداهم ولكنَّ اللهَ يهدي مَن يشاء﴾[2].

## دعوة أهل الكتاب إلى كلمةٍ سواء:

لقد بيَّن ابن كثير - رحمه الله - أنَّ القرآن الكريم دعا أهل الكتاب إلى كلمةٍ عادلةٍ بين الإسلام وأهل الكتاب ليس فيها ميل عن الحق وَوُصِفَت هذه الكلمة بأنها سواء، والسواء الوسط، فأفضل الأمور أوسطها.

قال الله تعالى: ﴿قُل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلَّا اللهَ ولا نُشرِكَ به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنَّا مسلمون﴾[3].

قال ابن كثير - رحمه الله -: هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومَن جرى مجراهم، والكلمة تُطْلَق على الجملة المفيدة، وقد وصفها الله تعالى بقوله ﴿سواء بيننا وبينكم﴾ أي: عدل ونَصَف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثُمَّ فسَّرها بقوله ﴿ألَّا نعبد إلَّا اللهَ ولا نشرك

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٥٩١، ٣/٤١٥-٤١٦، ٤/٤٦٨، ومناهج الجدل في القرآن الكريم، لزاهر عواض الألمعي: صـ ٢٣٥ - ٢٦٥

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤

بـه شـيئاً﴾، لا وثنـاً، ولا صليبـا، ولا صنمـاً، ولا طاغوتـاً، ولا نـاراً، ولا شيئاً، بـل نفـرد العبـادة لله وحـده لا شـريك لـه، وهـذه دعـوة جميـع الرُّسُـل، قـال تعـالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلاَّ نوحي إليه أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون﴾[1].

ثُمَّ ذكر بعض أقوال السلف في قوله تعالى: ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ أي: لا يطيـع بعضنـا بعضـاً في معصيـة الله، وقيـل: لا يسجد بعضنا لبعض. وقيـل في معنى الربوبيـة: أن يطيـع النـاس سـاداتهم وقادتهم في غير عبادة الله وإن لم يُصَلُّوا لهم.

وقوله تعالى: ﴿فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنَّا مسلمون﴾ أي: فإن تولَّى أهـل الكتاب عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم علـى الإسلام الذي شرعه الله لكم [2].

---

(١) سورة الأنبياء، الآيـة: ٢٥

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧١/١، وتفسير البغوي، للإمـام أبي محمَّـد الحسين بـن مسعود الفرَّاء البغوي الشافعي: ٣١١/١، وتفسير فتح القدير، للإمـام محمَّـد بـن علي الشوكاني: ٣٤٩/١

قال تعالى: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أُمَّة معدودة ليقولنَّ ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾[1].

قال ابن كثير: " والمراد من الآية هنا الذين بُعِثَ فيهم الرسول، مؤمنهم وكافرهم، كما في صحيح مسلم (**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحَدٌ من هذه الأُمَّة، يهودي ولا نصراني، ولا يؤمن بي، إلاّ دخل النار**)[2]. وأمَّا أُمَّة الإتّباع فهم المصدّقون للرسل " [3].

فالرسول ﷺ مُرْسَلٌ لأهل الكتاب، ومنعوتٌ في كتبهم المقدَّسة، ووعدت به وبشَّرت به [4].

قال ﷺ: (**مَن سمع بي من أُمَّتي، يهودي أو نصراني، فلم يؤمن بي لم يدخل الجنَّة**) [5].

فالله تعالى دعا أهل الكتاب، ووجَّه الخطاب لهم في كتابه القرآن الكريم على لسان رسوله محمَّدٍ ﷺ لتوحيده وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له.

---

(١) سورة هود، الآية: ٨

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمَّد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونَسْخ المِلَل بملّته: ١/١٣٤، و مسند الإمام أحمد: ٢/٣٥٠.
وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٣٨

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٣٨

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٥٥ - ٢٥٦

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد: ٤/٣٩٦، وتفسير ابن كثير: ٢/٢٥٥

والرسول ﷺ أيضاً دعاهم إلى إفر : الله بالعبادة وحده دون سواه، فحين بَعَثَ ﷺ معاذاً إلى اليمن قال لـ **(إنَّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشـ دوا أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله)** [1] الحديث. وقد ساق ابـ ن كثير كتاب رسول الله ﷺ في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام فجاء فيـ [2]: **(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمَّد رسول الله. إلى هرقل عظيم الرِّ م. سلامٌ على من اتَّبع الهُدى. أما بعد. فأسْلِم تَسْلَم يؤتِكَ أجرك مرَّتين، فإن تولَّيت فإنما عليك إثم الأريسيين و ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاَّ الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربا ً من دون الله فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنَّا مسلمون﴾** [3].

وهذه الآية أساس الدين وأصله الأ يل، لذلك كان النبي ﷺ يدعو بها أهل الكتاب إلى الإسلام [4].

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب المغازي، باب بَعْث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن: ٨/٦٤

(٢) تفسير ابن كثير: ١/٣٧١، وانظر: صحيـ البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإ لام... الخ: ٤/١٢٢، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صـ ى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام: ٣/١٣٩٦، والبداية والنهاية: ٤ ٢٦٠

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٤

(٤) انظر: تفسير المنار، لمحمَّد رشيد رضا: ٣/٣٢٧ - ٣٢٨

فدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام دعوة منصفة بلا شك، دعوة لا يريد بها النَّبيُّ ﷺ أن يتفضَّل عليهم هو ومَن معه من المسلمين، وكونها كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوىً واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يأباها إلاَّ مُتَعَنِّت مفسد، لا يريد أن يفيء إلى الحق المبين، إنَّها دعوة إلى عبادة الله وحده لا يُشركون به شيئاً، لا بشراً ولا حجراً، ودعوةٌ إلى ألاَّ يتخذ بعضهم بعضاً من دون الله أرباباً، لا نبياً ولا رسولاً، لا بشراً ولا حجراً، فالكل عبيد لله تعالى، إنَّما اصطفاهم لعبادته والتبليغ عنه، لا لمشاركته في الألوهية والربوبية [1].

ودعوة أهل الكتاب إلى الكتاب، وهدايتهم إليه، مِن مُهِمَّات الدُّعاة إلى الله تعالى، فيذكرون بالله تعالى وبما في كتبهم من الإشارة والتبشير بالإسلام، فالله تعالى قد أخذ الميثاق على الأنبياء، بأنَّه لو بُعث محمَّدٌ ﷺ وفيهم واحد حي لاتَّبعه.

قال ابن كثير: قال ابن عباس رضي الله عنهما: **(إلاَّ أخذ عليه الميثاق، ولئِن بُعِثَ محمَّدٌ وهو حي ليؤمِنَنَّ به ولينصرنَّه)** [2].

---

(١) انظر: تفسير ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/٤٠٦

(٢) تفسير ابن كثير: ٤/٣٦٠، وانظر: خصائص الدعوة الإسلامية لمحمَّد أمين حسين: صـ ١٥٥، وأصناف المدعوين وكيفية دعوتهم: صـ ٤١ - ٤٢

قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ ثُمَّ جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنُنَّ به ولتنصُرُنَّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[1].

وآخر أنبياء بني إسرائيل وهو عيسى عليه السلام قد بشَّر بمحمَّدٍ ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لِمَا بَيْن يديَّ من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد فلمَّا جاءهم بالبيِّنات قالوا هذا سحرٌ مبين﴾[2].

فعيسى عليه السلام قد قام في ملأ بني إسرائيل مبشِّراً بمحمَّدٍ ﷺ، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة. وقال ﷺ: **(إنَّ لي أسماء: أنا محمَّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يُحْشَر على قدمي، وأنا الغالب)** [3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١

(٢) سورة الصَّف، الآية: ٦

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٥/٢٤، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم: ٤/١٨٢٨، وتفسير ابن كثير: ٤/٣٦٠

وقد مدح الله تعالى الذين يتبعون الرسول النَّبِيَّ الأُمّي العربي المكي، قال تعالى: ﴿الذين يتَّبعون الرَّسول النبي الأُمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾[1].

وفي البداية والنهاية يذكر ابن كثير - رحمه الله - قصة إسلام عبد الله ابن سلام [2] رضي الله عنه، وهو أحد أحبار اليهود الكبار.

وفي هذه القصة فائدة من أحد علماء أهل الكتاب، وهو عبد الله بن سلام، على أنَّ الإسلام هو الحق، وأنَّ على أهل الكتاب إجابة دعوة الرسول ﷺ في الدخول في الإسلام والإلتزام به.

لَما قدم الرسول ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنَّك رسول الله، وأنَّك جئت بالحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنَّهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فِيَّ ما ليس فِيَّ، فأرسل نبيُّ الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه فقال لهم: (**يا معشر اليهود، ويلكم، اتَّقوا الله، فوالله الذي لا إله إلاَّ هو إنَّكم لتعلمون أني رسول الله حقّاً، وأني جئتكم بحقٍّ فأسلموا!** قالوا: ما نعلمه؟ قالوا ذلك للنَّبيِّ ﷺ - قالها ثلاث مرار - قال: **فأي رجُلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟** قالوا: **ذاك سيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧

(٢) هو عبد الله بن سلام بن الحارث، الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النَّبيّ صلى الله عليه وسلم.
انظر: سير أعلام النبلاء: ٤١٣/٢

**وابن أعلمنا. قال: أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا: حاش لله، ما كان ليسلم. قال: يا ابن سلام، اخرج عليهم، فخرج فقال: يا معشر يهود، اتّقوا الله، فوالذي لا إله إلاّ هو إنّكم لتعلمون أنّه رسول الله، وأنّه جاء بالحق. فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ**[1].

يتّضح لنا من خلال سرد ابن كثير لقصة ابن سلام أنَّ دين الأنبياء واحد ودعوتهم واحدة، فهي دعوة إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، لذا عاتب الله تعالى أهل الكتاب في كثيرٍ من آيات القرآن على عدم الدخول في دينه وقبوله، وكذلك رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام مع معرفتهم له بما عندهم من العلم من الأنبياء السابقين من الأدلّة والبراهين الدّالة على صدق رسول الله ﷺ وما جاء به من عند ربه [2].

## إقامةُ الحُجَّة على أهل الكتاب بأنَّ الإسلام هو الدين الحق، وإعراضهم عن ذلك:

لقد أبان ابن كثير في تفسيره أنَّ الحُجَّة قائمة على أهل الكتاب بأنَّ الدين الخالد والباقي هو الإسلام، والذي لا يقبل الله ديناً سواه، فالله تعالى

---

(١) ٣/٢٠٨ - ٢١١. وانظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب إتيان اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : ٥/١٧٥

(٢) انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، لشيخي حمود بن أحمد الرحيلي: صـ ٣٤٨ وما بعدها (رسالة ماجستير) مقدّمة إلى قسم الدعوة بالجامعة الإسلامية.

أخبر بأنّه لا دين عنده يقبله من أحَدٍ سوى الإسلام، وهو اتباع الرُّسُل عليهم السلام فيما بعثهم الله به في كُلّ حين، حتّى خُتِمُوا بمحمَّدٍ ﷺ، وبذلك سد جميع الطرق إليه إلاّ من جهة محمَّدٍ ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة محمَّدٍ ﷺ بدينٍ على غير شريعته فليس بمتقبَّل، كما قال تعالى: ﴿ومَنْ يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبَل منه﴾[1].

وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبَّل منه عنده في الإسلام ﴿إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾[2].

وبيَّن تعالى أنَّ الحُجَّة قامت على أهل الكتاب بإنزال الكُتُب وإرسال الرُّسُل، وأنّهم اختلفوا بعد العلم، فكان منهم أن بغى بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومَن يكفر بآيات الله فإنَّ الله سريعُ الحساب﴾[3]، فوقع بينهم الحسد والتباغض التدابر، وحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقّاً، فكان وعيد الله تعالى بأنَّ مَن جحد ما أنزل الله فإنّه سيجازيه على ذلك ويحاسبه علىٰ تكذيبه، ويعاقبه على مخالفته كتابه [4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٣٥٤ بتصرف.

فعلى مَن يدعو أهل الكتاب أن يبيّن هم عناية الإسلام بهم وحفاوته بحسن الخطاب، فناداهم بـ (يا أهل الكتاب)، طمعاً في إذعانهم للحق الذي جاء به للبشرية كلها، عربها وعجمها، وأبيضها وأسودها، الرسول الخاتم محمَّد ﷺ.

ومن ضمن النداءات الإلهية لأهل الكتاب في دعوتهم إلى اتباع الحق، وبيان نتائجه الطيبة التي تعود عليهم في الدنيا والآخرة، قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مِمَّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ ۞ يهدي به الله مَن اتَّبع رضوانه سُبُلَ السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم﴾[1].

قال ابن كثير: " يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنَّه قد أرسل رسوله محمَّداً ﷺ بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض، عربهم وعجمهم أُمِّيّهم وكتابيهم، وأنَّه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل، ولقد بيَّن ﷺ ما بدَّله أهل الكتاب وحرَّفوه وأوَّلوه وافتروا فيه على الله تعالى "[2].

وقد عنَّف الله تعالى أهل الكتاب على كفرهم وعنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصدِّهم عن سبيل الله مَن أراده من أهل الإيمان، مع علمهم بصدق ما جاء به الرسول ﷺ، لما يعلمون ذلك عن أنبياء الله الأقدمين، وما بشَّروا به ونوَّهوا من ذكر النَّبيِّ الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، خاتم النبيين، ورسول رب العالمين، ومع ذلك

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٣٣، ٤/٥٣٧

جحدوا وعاندوا، فأخبر الله تعالى أنّه ليس غافلاً عن أعمالهم، وسيجزيهم على ذلك يوم الدين [1].

قال تعالى: ﴿قُل يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعملون ۞ قُل يا أهل الكتاب لِمَ تصدُّون عن سبيل الله مَن آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافلٍ عمَّا تعملون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إنَّ الله يفصل بينهم يوم القيامة إنَّ الله على كُلِّ شيءٍ شهيدٍ﴾[3].

فالله تعالى يحكم بين هؤلاء يوم القيامة بالعدل، فمن آمن فله الجنّة، ومَن كفر فله النار، وهو شهيدٌ على أعمالهم، حفيظٌ لأقوالهم، عليمٌ بسرائرهم وما تكن ضمائرهم [4].

وقد نهى الله تعالى أهل الكتاب عن تعمُّد تلبيس الحق بالباطل، وتمويهه به، وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل، وذلك بما يؤكد قيام الحُجَّة عليهم. قال تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحقَّ بالباطلِ وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون﴾[5] فنهاهم عن الشيئين معاً، وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به، ففي ذلك دعوة لأهل

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٨٧/١ بتصرف.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٨ - ٩٩

(٣) سورة الحج، الآية: ١٧

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢١٠/٣

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٢

الكتاب بعدم خلط الحق بالباطل، والصدق بالكذب، وعدم كتم ما عندهم من المعرفة برسول الله ﷺ وبما جاءهم به، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في الكتب التي بين أيديهم [1].

وإذا كانت الحُجَّة قامت عليهم وأعرضوا عن قبول الحق، فإنَّ طائفة منهم قد قبلت الحق ودخلوا في دين الإسلام، والله تعالى نوه بذكرهم وأثنى عليهم.

قال تعالى: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أُمَّة قائمةٌ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ۞ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾[2].

قال ابن كثير: إنَّ من أهل الكتاب أمَّة قائمة بأمر الله تعالى، مطيعةٌ لشرعه، متبعة نبي الله، فهي قائمة يعني مستقيمة. يقومون بالليل، ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم، وقد حقّقوا الإيمان في قلوبهم كما قال تعالى عنهم: ﴿وإنَّ من أهل الكتاب لَمَن يؤمن بالله وما أُنزِلَ إليكم وما أُنزِلَ إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إنَّ الله سريع الحساب﴾[3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٧/١

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١١٣ - ١١٥

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩

وقال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ۞ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ۞ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾[1].

وثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين... فذكر منهم رجلاً من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي) [2]. فالله تعالى لا يضيع إيمان مَن آمن من أهل الكتاب وقد استجابوا لربهم، فهو يجزيهم أوفر الجزاء، ولا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر مَن أحسن عملاً [3].

## أهل الكتاب وموقفهم من الإسلام وأهله:

لقد بيَّن الله تعالى في القرآن الكريم، والرسول ﷺ في سُنَّته المطهَّرة، أنَّ اليهود والنصارى يقفون من الإسلام وأهله موقف العداء، والكبر، والحسد، إلاَّ مَن آمن منهم فاتَّبع رسول الله ﷺ وصدَّقه، فهؤلاء أصبحوا من جملة المسلمين.

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٥٢ - ٥٤

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمَتَه وأهله: ١/٥٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمَّد صلى الله عليه وسلم: ١/١٣٤، وتفسير ابن كثير: ١/٤٤٤

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٤٤٣ - ٤٤٤ بتصرف.

وابن كثير أوضح هذا الموقف العدواني من أهل الكتاب للمسلمين، قال تعالى: ﴿ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفَّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيَّن لهم الحق﴾ الآية [1].

فيوضح ابن كثير أنَّ الله تعالى أعلم عباده المؤمنين بعداوة أهل الكتاب لهم في الباطن والظاهر، وما هم عليه من الحسد لهم، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم محمَّدٍ ﷺ [2].

قال الله تعالى: ﴿ودَّت طائفةٌ من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلاَّ أنفسهم وما يشعرون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وقالت طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلَّهم يرجعون﴾[4].

فالله تعالى أخبر عن أهل الكتاب، وحسدهم للمؤمنين، وبغيتهم إيَّاهم الإضلال، لكنَّ الله تعالى بيَّن أنَّ وبال ذلك راجعٌ إليهم.

ومن مكائد أهل الكتاب للمسلمين أنَّهم يلبسون على الناس أمر دينهم فيتظاهرون بالإيمان، وقد يُصلُّون مع المسلمين أوقاتاً كما كانوا يُصلُّون

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩

(٢) تفسير ابن كثير: ١/١٥٣

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٩

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٢

مع النبي ﷺ صلاة الصبح، فما يلبثون أن يرتدوا ويعودوا إلى دينهم، ليقول الناس إنّما ردَّهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصةٍ أو عيب في دين المسلمين [1].

وا لله تعالى يوضّح أكثر عداوة أهل الكتاب في كتابه العظيم، فيقول تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خيرٍ من ربّكم والله يختصُّ برحمته مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[2].

قال ابن كثير: " يبين ا لله تعالى بذلك شِدَّة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذّر ا لله تعالى من مشابهة المؤمنين لهم ليقطع المودَّة بينهم وبينهم، ونبَّه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيهم محمَّد ﷺ حيث يقول تعالى: ﴿والله يختصُّ برحمته مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[3].

ويواصل ابن كثير كشف عداوة اليهود للإسلام وأهله، والتحذير منهم، فيذكر قوله تعالى: ﴿لتجدن أشدَّ النَّاس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٣/١ بتصرف، والبداية والنهاية: ٢٢٢/٣-٢٢٤، وتاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول صلى ا لله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، للدكتور جميل عبد ا لله المصري: صـ ١٤٦ - ١٤٩

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٥

(٣) تفسير ابن كثير: ١٤٩/١

أشركوا﴾[1]، وما ذاك إلاّ لأنَّ كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهتة للحق، وغمط للناس، وتنقُّص لحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتّى همُّوا بقتل رسول الله ﷺ غير مرَّة، وسمُّوه وألّبوا عليه أشباههم من المشركين - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة [2].

ولقد ذمَّ الله تعالى أهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديماً وحديثاً التي بلّغتهم إيَّاها الرُّسُل عليهم السلام، استكباراً، عليهم وعناداً لهم، وتعاظُماً على الحَقّ، واستنكافاً عن اتباعه، ومع هذا قتلوا مَن قتلوا من النبيين حين بلّغوهم من الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم إلاّ لكونهم دعوهم إلى الحق، وهذا هو غاية الكِبر، ونهاية في الحقد، لذلك يسعون كل حين لإفساد الدين الإسلامي، وإذا فسد الدين تحطّمت قوى المسلمين [3].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٨٥

(٣) انظر: المصدر السابق: ١/٣٥٥، والخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) لمحمَّد خليفة التونسي. ومخاطر الوجود اليهودي على الأُمَّة الإسلامية، للدكتور محمد عثمان بشير. وقادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، لجلال العالم. والمفسدون في الأرض: إعداد قسم المخطوطات بوزارة الدفاع في المملكة العربية السعودية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذابٍ أليمٍ ۞ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾[1].

## النهي عن التشبه بأهل الكتاب والأمر بمخالفتهم والتحذير من أفعالهم المذمومة:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذابٌ أليم﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: " نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أنَّ اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص - عليهم لعائن الله -، فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولوا راعنا، ويوارون بالرعونة كما قال تعالى: ﴿مِنَ الذين هادوا يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليّاً

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩١

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٤

بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنَّهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلاَّ قليلاً﴾[1].

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنَّهم كانوا إذا سَلّموا إنَّما يقولون السام عليكم، والسام هو الموت. ولهذا أمرنا أن نرُدَّ عليهم: وعليكم، وإنَّما يُستجاب لنا فيهم ولا يُستجاب لهم فينا [2].

وقال ﷺ : (**مَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم**) [3]، وفي ذلك دليلٌ على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكُفَّار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تُشْرَع لنا ولا نُقرّ عليها [4].

وأغلب ما يتحدَّث به أهل الكتاب كَذِبٌ وبُهتانٌ، لأنَّه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقلَّ الصّدْق فيه، ثُمَّ ما أقلَّ فائدة كثير منه لو كان صحيحاً [5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦

(٢) تفسير ابن كثير: ١٤٨/١، وانظر: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم: ١٧٠٥/٤

(٣) تفسير ابن كثير: ١٤٨/١، وانظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني: ٢٧٠/٥، وعقّب بقوله: صحيح.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٤٨/١

(٥) المصدر السابق: ٤١٦/٣

رسول الله ﷺ: (لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم[1] ﴿وقولوا آمنا بالذي أُنزِلَ إلينا وأُنزِلَ إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾[2]).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيءٍ فإنّهم لن يهدوكم وقد ضَلُّوا، إمَّا أن تُكَذّبوا بحق أو تُصَدّقوا بباطل، فإنّه ليس أَحَدٌ من أهل الكتاب إلاّ وفي قلبه تاليةٌ تدعوه إلى دينه كتالية المال)[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيءٍ من كتابكم الذي أُنزل إليكم على رسول الله ﷺ، أحدثُ تقرأونه محضاً [4] لم يُشَب [5] وقد حدّثكم [6] أنّ أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤١٦/٣، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الإعتصام، باب قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء): ١٩٨/٩، وكتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة: ٢٨٠/٩

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦

(٣) تفسير ابن كثير: ٤١٦/٣، وعزاه ابن كثير إلى تفسير الطبري: ٣/٢١ (من قبل إدارة الطباعة المنيرية ببيروت).

(٤) محضاً: أي صرفاً خالصاً كاللبن المحض.

(٥) لم يُشَب: أي لم يُخلَط بغيره. انظر: التعليق على صحيح البخاري: ١٩٩/٩

(٦) أي القرآن. انظر: التعليق على صحيح البخاري: ١٩٩/٩

**به ثمناً قليلاً. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ألا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أُنزِلَ عليكم)**[1].

وكان معاوية رضي الله عنه يحدِّث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: **(إنْ كان مِن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدِّثون عن أهل الكتاب، وإن كنّا مع ذلك لنبلو** [2] **عليه الكذب)**[3].

ثُمَّ عقَّب ابن كثير بقوله: " معناه أنّه يقع منه الكذب لغةً من غير قصد، لأنّه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظّن وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة، لأنّهم لم يكن في مِلّتهم حُفّاظ متقنون كهذه الأُمَّة العظيمة، ومع ذلك وقرب العهد وُضِعَت أحاديث كثيرة في هذه الأُمَّة لا يعلمها إلاّ الله عزَّ وجلَّ، ومَن منحه الله علماً بذلك كُلٌّ بحسبه و لله الحمد والمنّة " [4].

قال ابن كثير : " فإنَّ علم الحديث - على قائله أفضل الصلاة والسلام قد اعتنى بالكلام فيه جماعة من الحُفّاظ قديماً وحديثاً، كالحاكم [5]، والخطيب [6]، ومن قبلهما من الأئمة، ومن بعدهما من حُفّاظ الأُمَّة " [7].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤١٦/٣، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الإعتصام، باب قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم **(لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)**: ١٩٩/٩

(٢) أي: لنختبر. انظر: التعليق على صحيح البخاري: ١٩٨/٩

(٣) تفسير ابن كثير: ٤١٦/٣، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الإعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم **(لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)**: ١٩٨/٩

(٤) تفسير ابن كثير: ٤١٦/٣

(٥) هو: محمَّد بن عبد الله بن حمدويه، نعيم الضبي الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، أبو عبد الله، من أكبر حُفّاظ الحديث والمصنّفين فيه، وُلِدَ في نيسابور سنة

فالله تعالى قد هيأ جهابذة من العلماء الذين بذلوا جهوداً جبارةً في الحديث وعلومه لتمحيص الأحاديث ونقدها، وتمييز الصحيح من الموضوع من الضعيف.

ومسألة الوضع في الحديث هذه، دفعت العلماء لاتخاذ ما يلزم في حفظ الحديث، وتنقيته، ومنع التلاعب فيه، فظهرت قواعد نقد الحديث، ثُمَّ بعد ذلك كتب المصطلح، وكتب الرجال، والطبقات [1].

بذلك ندرك أنَّ الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم قد حذَّروا من تقليد اليهود والنصارى والتشبه بهم واتِّباع سنَّتهم، والركون إليهم، وفي ذلك تركٌ للميراث الأصيل، وهو ما جاء به النَّبِيُّ الكريم محمَّد ﷺ.

وقد نبَّه أُمَّته ﷺ إلى خطر الاتباع لهم في الدنيا والآخرة، فقال ﷺ: **(لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم)** قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى ؟ قال: **(فَمَنْ ؟)**[2].

---

٣٢١ هـ، وتوفي فيها عام ٤٠٥ هـ، له مؤلَّفات كثيرة، منها: تاريخ نيسابور، والمستدرك على الصحيحين، والإكليل. انظر: الأعلام للزركلي: ٦/٢٢٧

(٦) تقدَّمت ترجمته.

(٧) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث: صـ ٥

(١) انظر: بحوث في تاريخ السُّنَّة المشرَّفة، للدكتور أكرم ضياء العمري: صـ ١٩، ٤٧

(٢) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى: ٤/٢٠٥٤

والله تعالى بيَّن ما عليه أهل الكتاب من الاختلاف فيما بينهم بعدما عرفوا الحق وبمجيء النبي ﷺ، وحذَّر من اتباع أهوائهم، فهم ضالُّون ويريدون إضلال غيرهم، فشريعة نبينا محمَّد ﷺ هي الحق.

قال تعالى: ﴿وآتيناهم بيناتٍ من الأمر فما اختلفوا إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إنَّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ۞ ثُمَّ جعلناك على شريعةٍ من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملَّتهم قل إنَّ هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليٍ ولا نصير﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكلِ آيةٍ ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابعٍ قبلتهم وما بعضهم بتابعٍ قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم إنَّك إذاً لمن الظالمين﴾[3].

---

(١) سورة الجاثية، الآيتان: ١٨ - ١٩

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠

فالله تعالى بيَّن في كتابه ما أنعم به على اهل الكتاب من نعم الدين والدنيا، وأنَّهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً بينهم، ثُمَّ جعل محمَّداً ﷺ على شريعةٍ من الأمر شرعها له وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع الذين لا يعلمون، ويدخل في الذين لا يعلمون كُلّ مَن خالف شريعة محمَّدٍ ﷺ. ولهذا الكُفَّار يفرحون ويُسَرُّون بموافقة المسلمين لهم في بعض أمورهم.

فالآيات السابقة تضمنت تهديداً ووعيداً شديداً من الله تعالى لأمَّة محمَّدٍ ﷺ من اتباع طريق وسبيل اليهود والنصارى -عياذاً بالله- بعدما علموا من القرآن الكريم والسُّنَّة، والخطاب للرسول ﷺ والأمر لأُمَّته، فالواجب على كُلِّ مسلمٍ طلب رضا الله تعالى في كُلِّ شيءٍ باتّباع أمره، واجتناب نهيه، ومتابعة رسوله ﷺ، أمَّا الكفار فأولياؤهم الطواغيت الذين يخرجونهم من النور إلى الظلمات [1].

---

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٥

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/١٦٣، ١٩٤، ٤/١٤٩، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب أصحاب الجحيم، لابن تيمية: صـ ١٤ - ١٥

## المبحث الثالث: دعوة المسلمين:

المقصود من دعوة المسلمين وكونهم صنفاً من أصناف المدعوين: تذكيرهم بالإسلام وأحكامه، وما يجب على المسلم في دينه والمحافظة عليه، والثبات على ذلك حتى الممات.

فيذكر الغافل، ويرد الشارد، ويرشد الضَّالّ، ويوعظ من حاد عن صراط الله المستقيم بأهمية الثبات على دين الإسلام.

ولا يعني كون المسلمين عُدُّوا من جملة المدعوين أنَّهم بذلك خرجوا عن الدين، وإنَّما المراد حثهم على الاعتناء بالإسلام والتواصي به في الحق والصبر على الأذى فيه والدعوة إليه والاحتساب فيه، ودوام الطاعة لله تعالى، فالدعوة إلى الله تعالى عامَّة، والمسلمون من جملة المدعوين.

وبالدعوة إلى الله تعالى، والقيام بواجب التبليغ بين الناس تكون السعادة والشقاوة، والثواب والعقاب، عند الله تبارك وتعالى.

ورُسُل الله صلوات الله وسلامه عليهم قد قاموا بواجب التبليغ والدعوة فأدوا الأمانة، ونصحوا للأُمَّة، ومضوا إلى ربهم، ولم يبلّغوا هذه الدعوة إلى الله باللسان فقط، بل باللسان، والقدرة، واتباع العمل الصالح، والتشمير في الطاعة، والجد في العبادة، والتفاني في ميادين الخير. وانتقلت المسئولية والأمانة والتبعية في التبليغ والدعوة إلى مَن بعدهم من المسلمين لإظهار دعوة الله وهداية الناس إلى صراط الله، والواجب على المسلمين وخاصّةً الدعاة إلى دينه منهم الاهتمام بأمر الدين والعناية به، وتقويم الأخلاق، فذلك أهم بكثير من الاهتمام بتحسين المعاش وتنمية الأجسام، فلا

خير في جسمٍ صحيحٍ لا تستعمل قوته في طاعة الله، ولا خير في مالٍ كثيرٍ لا يتقيد في تنميته بأحكام الله، ويشغل صاحبه عن ذكر الله وعن طاعة الله. ولا خير في حضارة تخرج المسلمين عن الصراط المستقيم. ولا خير في منافسة الكفّار في متاع الدنيا الزائل، فالآخرة خيرٌ وأبقى، وثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً. قال تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلاّ من آمن وعمل صالحاً﴾[1].

فالذي يقرب عند الله تعالى الإيمان والعمل الصالح، كما جاء في الحديث: (**إنّ الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنّما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**) [2].

فرعاية صحة العقيدة والأخلاق والدعوة إلى ذلك، وحمل المسلمين عليه وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، خيرٌ من رعاية صحة أجسامهم، وتوفير الأموال لهم [3].

وابن كثير رحمه الله اهتمَّ بدعوة المسلمين للإسلام، واستخدام كافّة الرسائل المفيدة في تبليغ دعوة الله تعالى ونشرها بين المسلمين، وتعميق مفهوم

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٧

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤١/٣، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم: ١٩٨٧/٤، ومسند الإمام أحمد: ٥٣٩/٢

(٣) انظر: رسالة في التشريع والتعليم والدعوة، للشيخ محمّد الأمين الشنقيطي: صـ ٥٤ - ٥٥

الدين الإسلامي في النفوس، والثبات على ذلك، فبيَّن أنَّ دين الله تعالى الذي بُعِثَ به الأنبياء جميعاً، وخُتِمَ بخليله وسيّد رسله نبيه محمَّدٍ ﷺ هو الدين الكامل والوافي بجميع متطلبات ومصالح الدين والدنيا.

فأوضح ما يناسب في دعوة الملأ وهم أصحاب الشرف والرئاسة وموقفهم من الدعوة إلى الله تعالى، ثُمَّ بيَّن ما ينبغي سلوكه في دعوة العصاة وردهم إلى دين الله، وتخويفهم من عقابه. وبيَّن كذلك الأسلوب الأمثل في دعوة عامَّة المسلمين، ومعرفة مَن يقبل دعوة الله تعالى مِن أوَّل مرة، ومَن يحتاج إلى إعادة الكرَّة أكثر من مرَّة، وعدم اليأس أو التحامل، بل يكون الدافع في ذلك الحرص على هداية الناس وتصيرهم بدين الله تعالى، واحتمال الأذى في سبيل الدعوة إلى الله، وبيَّن أيضاً الأسلوب الذي فيه تلطُّف ولين في دعوة الأتباع من النساء والأولاد ومَن في حُكْمِهِم.

وقد يقابل الداعية إلى الله تعالى من يعارض دعوة الله تعالى، أو يورد الشبه، فعلى الداعية أن يستعد لذلك بالعلم النافع، واستعمال الأسلوب الأمثل في مواجهة عامَّة الناس أو أفرادهم، فإذا كان الخطاب العام أنفع أخذ به، وإذا كان الأصلح الذهاب إلى الشخص وما يعرف بالدعوة الفردية أنفع أخذ به أيضاً.

## ما المراد بالملأ ؟:

بيَّن ابن كثير أنَّ المراد بالملأ هم: السادة، والقادة، والرؤساء، والكبراء، والجمهور [1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٢٢٣ - ٢٢٤، ٣/٢٤٣، ٤/٢٧

وهؤلاء هم الذين يشكلون الطبقة البارزة في المجتمع، وأصحاب النفوذ فيه، وغالباً ما يتصفون بسمة الكبر، والحقد، والحسد، والشر، وحب السيطرة، والاستعلاء على الناس، وخاصّةً الضعفاء منهم، ويستغلون ضعفهم في إنفاذ ما يريدون. فالناس يعتبرون الملأ: ذوي الشرف والمكانة، ولهم الصدارة في المجالس، والعيون لا تنظر إلاّ إليهم، وإن لم تكن لهم هذه المكانة حقيقة لما يصدر عنهم من أفعال سيئة واحتقار لغيرهم.

## موقف الملأ من الدعوة إلى الله تعالى:

لقد بيَّن القرآن العظيم، والسُّنّة المطهرة أنَّ الملأ هم الذين يصدون النّاس عن دين الله.

فالله تعالى أرسل رسله لهداية الناس ودعوتهم إلى عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه.

والملأ وقفوا ضد هذه الدعوة معارضين لها ومكذبين بها، وصارفين المدعوين عنها، بل ويسخرون ويستهزئون برسل الله ومَن آمن معهم، واستعملوا شتّى الوسائل الظاهرة والباطنة في الكيد لمن يقوم بالدعوة إلى الله تعالى، ولكن يأبى الله إلاّ أن يتمَّ نوره ويُظْهِرَ دينه.

قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا في كُلِّ قريةٍ أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلاَّ بأنفسهم وما يشعرون * وإذا جاءتهم آيةٌ قالوا لن نؤمن حتَّى نُؤتَى مثل ما أُوتي رُسُل الله الله أعلم حيث يجعل

رسالته سيصيب الذين أجرموا صَغَار عند الله وعذابٌ شديدٌ بما كانوا يمكرون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ إلاَّ قال مترفوها إنَّا بما أُرْسِلْتُم به كافرون * وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذَّبين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم﴾[3].

بيَّن ابن كثير - رحمه الله - في معنى الآيات الكريمة السابقة أنَّ الله تعالى أخبر بأنَّ الملأ من قريش عارضوا رسول الله ﷺ في دعوته، والرسول ﷺ استمرَّ يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم كالحج، يدعو من لقيه من حُرٍّ وعبدٍ، وضعيفٍ وقوي، وغنيٍ وفقيرٍ، جميع الخلق في ذلك عنده سواء.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٢٣ - ١٢٤

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٣٤ - ٣٥

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣١

وتسلّط عليه، وعلى من اتبعه آحاد الناس من ضعفائهم هؤلاء الملأ من قريش، رؤساء الضلال وأعوان الشيطان، فألحقوا الأذى بهم بالقول والفعل حتّى ظهرت آثار هذا الأذى عليه وعلى أصحابه، دفعهم إلى ذلك الحقد والحسد والكبر، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

والله تعالى سلّى رسوله ﷺ بأنَّ هذا الطريق الذي سرت عليه يا محمَّد لابُدَّ فيه من الابتلاء، وقد حصل لإخوانك من الأنبياء والرسل الكرام الشيء الكثير من الأذى والامتحان والمعارضة، فلا تضجر من قول قومك لك ﴿لولا أُنزل هذا القرآن﴾ الذي جئت به من ربك ﴿على رجلٍ من القريتين﴾ يقصدون مكة والطائف ﴿عظيم﴾ كبير مبجل في أعينهم ومحترمٌ لديهم وله مكانة، علماً بأنّهم كانوا لا يلقبونك قبل البعثة إلاّ بالأمين، وعرفوا عنك الصدق، والوفاء، وحسن المعاشرة، ولين الجانب، والكرم، والشجاعة. ولكن مَن كان عنده شر فلا يقر له قرار حتى يقضي على هذا الخير أو يضعفه، فهم لا يريدون أن يتخلّوا عن الاستغلال والاستكبار والانحلال واقتراف الشهوات.

والرسول ﷺ وقف صابراً محتسباً لإحقاق الحق، ورد الباطل، وأبلغ دعوة الله تعالى للناس، وحين اشتدَّ به الأذى ﷺ وطلبوا منه أن يلين، قال ﷺ كلمته العظيمة: **(والله لو وضعوا الشمس في**

يميني، والقمر في يساري على أن أترُكَ هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه) [1].

ومن مواقف الملأ في مواجهة الدعوة إلى الله تعالى، ما ذكر الله تعالى عنهم في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم * قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلالٍ مبين * قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين * أبلِّغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾[2].

يقول ابن كثير عقب هذه الآيات: " شرع الله تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام الأوَّل فالأوَّل، فابتدأ بذكر نوح عليه السلام، فإنَّه أوَّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام، وقد لقي أذىً كثيراً. ﴿قال الملأ من قومه﴾ وهم الجمهور والسادة والقادة والكبراء

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/١٧٢ - ١٧٣، ٣/٥٤٠، والسيرة النبوية لابن كثير: تحقيق مصطفى عبد الواحد: ١/٤٦٠ - ٤٦١، وطريق الدعوة، لأحمد فائز: ١/١٩٩، وسيرة ابن هشام: ١/٢٦٦

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٥٨ - ٦٢

منهم: ﴿إنّا لنراك في ضلال مبين﴾ أي: في دعوتك إيانا لترك عبادة الأصنام التي وجدنا عليها آباءنا، وهكذا حال الفجار إنّما يرون الأبرار في ضلالة. كقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفكٌ قديم﴾، قال الكفّار لمن آمن بالقرآن: لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء، يعنون: بلالاً [1]، وعمّاراً [2]، وصهيباً [3]، وأشباههم وأضرابهم رضي الله عنهم، من المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذاك إلاّ لأنّهم عند أنفسهم - أي الملأ - يعتقدون أنّ لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية، وقد غلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً، وأخطأوا خطئاً بيناً، كما قال تعالى: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا﴾[4] فالملأ يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دونهم، ولهذا قالوا: ﴿لو كان

---

(١) هو: بلال بن رباح القرشي التيمي، أبو عبد الله، المؤذّن، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قديم الإسلام والهجرة، شهد المشاهد كلها، وسكن الشام.
انظر: تهذيب الكمال: ٤/٢٨٨

(٢) هو: عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس، الإمام الكبير، أبو اليقظان مولى بني مخزوم. أحَد السابقين الأولين.انظر: سير أعلام النبلاء: ١/٤٠٦

(٣) هو: صهيب بن سنان، أبو يحيى النمري، ويُعرف بالرومي، وهو من أهل الجزيرة، سبي من قرية نينوى من أعمال الموصل. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢/١٧

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٣

خيراً ما سبقونا إليه﴾. متعالين على غيرهم مِمَّن آمن بالرسول ﷺ ومحتقرين لهم [1].

وهكذا كُل رسول ونبي بُعِثَ في أُمَّةٍ يجد من الملأ معارضة للحق، ووقوفاً في وجه الدعوة إلى الله تعالى لصد من يرغب ويتبع الأنبياء فيما يدعون إليه من عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أُمَّة رسولها كذَّبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿يا حسرةً على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلَّا كانوا به يستهزئون﴾[3].

فالجمهور هم الأكثر، وهم ذوو المكانة في قومهم، هم الذين حملوا لواء تكذيب رُسُل الله والاستهزاء بهم، ويجحدون ما أُرْسِلُوا به من الحق. وسوف يندمون حين لا ينفع الندم، فقد فرَّطوا في أمر الله، ففي يوم القيامة وحين يعاينون العذاب كيف يكون حالهم وقد كذَّبوا رُسُل الله وخالفوا أمر الله، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى [4].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٤

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤

(٣) سورة يس، الآية: ٣١

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٣، ٥٧٠، بتصرُّف يسير.

استحقوا هذا العذاب لِمَا قاموا به من محاربة رُسُل الله وأذاهم وتعذيبهم بل وقتل بعضهم، وصد الناس عن صراط الله المستقيم.

حتّى ختم رُسُل الله برسولنا محمَّد ﷺ ولمّا دعا رسول الله ﷺ قريشاً إلى عبادة الله تعالى، تعجَّب الملأ منهم ومن الدعوة إلى عبادة إله واحد، فقالوا ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1] فأنكروا كون المعبود واحداً وهو الله وحده لا شريك له، وأصروا على عبادة ما تلقوه عن آبائهم من عبادة الأوثان المُشْرَبَة قلوبهم حبها، فلمَّا دعاهم رسول الله ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك، وقال بعضهم لبعض: لا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمَّد من التوحيد [2].

ولقد لقي رسول الله ﷺ وأصحابه كثيراً من الأذى ومع ذلك استمر رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الإسلام، وكان يتألّف أشراف قريش بما يعطيهم من المال لتلافي أحقادهم، وإلاّ فالحجة قائمة عليهم.

## كيفية دعوة الملأ:

---

(١) سورة ص، الآية: ٥

(٢) تفسير ابن كثير: ٤/٢٧ بتصرُّف.

على الداعية إلى الله تعالى أن يسلك في دعوته مع هذا الصنف من النّاس ما يسلكه أنبياء الله ورسله الكرام عليهم السلام، فكانت دعوتهم على الآية البينة والحُجَّة المحكمة في إثبات ألوهية الله تعالى وأنّه المستحق للعبادة وحده دون غيره، فلابُدَّ من الإخلاص والخضوع له وحده، وترك عبادة الأوثان وسائر أنواع الشرك، ويأخذون الناس بالرفق واللين والحلم، وكانوا يواجهون الأذى ويتحملون ألواناً من الصَّدّ عن دين الله بالثبات والصبر، قال تعالى منوها عن دور الأنبياء وخاتمهم نبينا محمَّد ﷺ ﴿**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرُّسُل ولا تستعجل لهم**﴾ الآية [1].

فالرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء كلهم، يأمره ربه تعالى بأن يصبر على تكذيب قومه كما صبر إخوانه الأنبياء قبله مع أقوامهم، وحين دعا رسول الله ﷺ كبار قريش في مجلس عمّه أبي طالب، تلطّف معهم فقال: (**يا عم أفلا أدعوهم أن يتكلّموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم، يقولون: لا إله إلاّ الله**) فقاموا وتفرّقوا وقالوا: والله لنشتمنّك وإلهك الذي أمرك بهذا [2].

والرُّسُل الكرام من لدن أوّلهم نوح، إلى خاتمهم محمَّد ﷺ اتّصفوا بصفاتٍ عظيمة تؤهلهم لحمل دعوة الله إلى الناس، وهذه الصفات هي:

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥

(٢) الترمذي، كتاب التفسير، حديث رقم ٣١٥٦.

البلاغ، والنُّصح، والأمانة، والفصاحة، والعلم با لله تعالى، الذي لا يدركهم به أحد من خلق ا لله في هذه الصفات.

ورسول ا لله ﷺ قال للصحابة يوم عرفة في حجَّة الوداع: (**وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنَّك قد بلَّغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد. اللهم اشهد**) [1].

فالداعية عليه أن يقتدي بهؤلاء الرُّسُل عليهم السلام، وأتباعهم المصلحين مع أمثال هؤلاء المدعوين، فالملأ هم الملأ في كل زمانٍ ومكان [2].

## دعوة أولي الأمر وبيان ما لهم وما عليهم:

يوجد تقارب وترابط بين أولي الأمر والملأ، لذلك أحببت أن أبيّن كيفية دعوة أولي الأمر وما لهم وما عليهم في الإسلام.

لقد نوَّه ا لله تعالى في كتابه العظيم بأولي الأمر، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيءٍ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، حديث رقم ١٥١٦، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجَّة النَّبيّ صلى ا لله عليه وسلم: ٢/٨٩٠

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٤/١٧٢

فـردوه إلى الله والرسـول إن كنتـم تؤمنـون بـالله واليـوم الآخـر ذلـك خـيرٌ وأحسـن تأويلاً﴾[1].

## ما المراد بأولي الأمر ؟:

قال ابن كثير: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ يعني العلماء، والظاهر - والله أعلم - أنَّهـا عامَّـة في كُـلّ أولي الأمـر مـن الأمـراء والعلمـاء، قـال الله تعـالى: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السُّحْت﴾[2] فالربَّانيون هم العلماء، والعمال، وأرباب الولايـات، والأحبـار هـم العلمـاء فقـط، قـال الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[3].

ولفظ أولي الأمر يُطلق على العالم الرباني، والمِلك، والسلطان، والأمـير، والوالي، والحاكم، والرئيس [4].

فالمراد بالعلماء: العلماء بشرع الله تعالى.

وبالأمراء: أولوا الأمر، المنفذون له، وطاعة الله تعـالى مسـتقلة، وطاعـة رسـوله ﷺ مستقلة، وطاعـة أولي الأمـر تابعـة، ولهـذا مـا جـيء بـالفعل (وأطيعوا) مع أولي الأمر، فلا طاعة لمخلوق في معصيـة الخـالق، وأولـوا الأمـر هم أولو الشأن، وهم العلماء، لأنَّه يسند إليهم أمر الشرع والعلم له، والأمـراء

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٣

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٨/١، ٧٤/٢، والأحكام السلطانية للماوردي: صـ ٥

لأنّه يستند إليهم في تنفيذ الشرع وإمضائه، وإذا استقام العلماء والأمراء استقامت الأمور، وبفسادهم تفسد الأمور، لأنَّ العلماء أهل الإرشاد والدلالة، والأمراء أهل الإلزام والولاية [1].

## حقُّ أُولي الأمرِ على رعيَّتهم:

بذل النصيحة لهم، وكونها سِرّاً، والطاعة بالمعروف، والتعاون معهم على البر والتقوى، والدعاء لهم بالصلاح والسداد والتوفيق والإعانة على أمور الدين والدنيا. ولا يجوز الخروج عليهم عند ظهور بعض المعاصي، بل المطلوب الصبر، وحمل النفس عليه لدفع ما هو أشد ضرراً وأعظم فتنة، محافظةً على كيان الأُمَّة وسيادة الجماعة ما دامت تلك المعاصي لا تخرج من دين الإسلام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فإذا كان إمام المسلمين: ملكهم، أو رئيسهم، مسلماً، عاملاً بأركان الإسلام الخمسة، فطاعته واجبة، ومعصيته محرَّمة، والخروج عليه محرَّم، وجريمة كبرى، وذنبٌ عظيمٌ، لِمَا يترتّب على ذلك من الفتن والشرور، وتشتيت الكلمة والفوضى، وشق عصا المسلمين، فطاعة ولي الأمر واجبة ولو كان جائراً أو ظالماً [2].

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين: ٢/٢٥٥

(٢) انظر: عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين: ٢/٤٠٨ - ٤٠٩

وقد ورد في السُّنّة الحث على طاعة ولي الأمر، والنصح له، والإسرار بذلك دون العلانية، والتودُّد إليه لا المداهنة، وعدم الحقد عليه، وحمل الضغائن، وإضمار الشَّر.

عن تميم الداري رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الدين النصيحة. قُلْنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامَّتهم)** [1].

وقال عياض بن غنم لهشام بن حكيم: أَوَ لَمْ تسمع رسول الله ﷺ يقول: **(مَن أراد أن ينصح لذي سلطان في أمرٍ فلايُبْدِه علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فَذَاكَ، وإلاَّ كان أدَّى الذي عليه له)** [2].

قال الشيخ السعدي [3] رحمه الله: " وأمَّا النصيحة لأئمة المسلمين، وهم ولاتهم من السلطان الأعظم إلى الأمير إلى القاضي إلى جميع مَن لهم

---

(١) انظر: جامع المسانيد والسنن: ٣٨٦/٢ بلفظ: (إنَّما الدين النصيحة). وقد أثبت ما في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدين النصيحة: ٧٤/١، وكتاب السُّنّة لابن أبي عاصم الضحاك الشيباني: ٥١٩/٢.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد: ٤٠٣/٣ - ٤٠٤، ٣٨٢/٤ - ٣٨٣، ومستدرك الحاكم ٣٢٩/٣، وكتاب السُّنّة لابن أبي عاصم: ٥٢٢/٢، وقال الألباني: حديثٌ صحيحٌ

(٣) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن حمد آل سعدي التميمي، وُلد في عنيزة (بالقصيم) عام ١٣٠٧ هـ، وتوفي بها عام ١٣٧٦ هـ، مفسّر محدّث فقيه أصولي، ⇐⇐

ولاية صغيرة أو كبيرة، فهؤلاء لَمّا كانت مهمَّاتهم وواجباتهم أعظم من غيرهم، وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم والاعتراف بولايتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، وحث الرعية على طاعتهم ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله ﷺ وبذل ما يستطيع الإنسان من نصيحتهم وتوضيح ما خفي عليهم مِمَّا يحتاجون إليه في رعايتهم، كُلٌّ بحسب حاله، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، فإنَّ صلاحهم صلاح لرعيتهم، واجتناب سبهم، والقدح فيهم، وإشاعة مثالبهم، فإنَّ في ذلك شرّاً وضرراً وفساداً كبيراً، فمن نصيحتهم الحذر والتحذير من ذلك، وعلى مَن رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سِرّاً لا علناً، بلُطْفٍ، وعبارةٍ تليق بالمقام، ويحصل بها المقصود، فإنَّ هذا مطلوبٌ في حقّ كُلّ أحَد، وبالأخص ولاة الأمور، فإنَّ تنبيههم على هذا الوجه فيها خيرٌ كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص، واحذر أيُّها النّاصِح لهم على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدُّح عند الناس، فتقول لهم: إني نصحتهم، وقلت، وقلت. فإنَّ هذا عنوان الرياء، وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أُخَر معروفة " [1].

---

=

من علماء الحنابلة، حفظ القرآن في صغره، واشتغل بالعلم حتى ذاع صيته في فنونه، وله عِدَّة مؤلّفات.

انظر: الأعلام: ٣/٣٤٠، وعلماء نجد خلال ستة قرون، لسعيد بن عبد الرحمن البسام: ٢/٤٢٢، وروضة الناظرين، لمحمَّد عثمان القاضي: ١/٢٢٠

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة: صـ ٣٨ - ٣٩

فالخلق عباد الله، والولاة نواب الله على عباده، وهم وكلاء العباد على نفوسهم، بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الولاية، والوكالة، ثُمَّ الولي والوكيل متى استناب في أموره رجلاً، وترك مَن هو أصلح للتجارة، أو العقار منه، وباع السلعة بثمنٍ، وهو يجد مَن يشتريها بخيرٍ من ذلك الثمن، فقد خان صاحبه، لا سيما إن كان بَيْن من حاباه وبينه مودَّة أو قرابة، فإنَّ صاحبه يبغضه ويذمه، ويرى أنَّه قد خانه وداهن قريبه أو صديقه [1].

قال ﷺ: **(ثلاثٌ لا يَغِلُ [2] عليهنَّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنَّ الدعوة تحيط من ورائهم)** [3].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٥١/٢١ - ٢٥٢

(٢) لا يَغِلُ: غلَّ صدره يَغِلُّ غِلاًّ، والغِلُّ: الحقد الكامن في الصدر، والإغلال: الخيانة، والوغول: الدخول في الشر، والمعنى إنَّ هذه الخِلال يستصلح بها القلوب، فمن تمسَّك بها طهر قلبه من الدغل والفساد.

انظر: الفائق في غريب الحديث: ٧٢/٣

(٣) انظر: سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحثّ على تبليغ السماع: ٣٤/٥ - ٣٥، ومسند الإمام أحمد: ٨٢/٤، وابن ماجة، في المقدمة، حديث رقم ٢٣٢، وكتاب السُّنة لابن أبي عاصم: ٥١٨/٢، قال الألباني: إسناده صحيح.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: **(السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.)** [1].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **(بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: إلاّ أن تَرَوْا كفراً بواحاً [2] عندكم من الله فيه برهان)** [3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٧/١، وصحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية: ١١٣/٩، وصحيح مسلم، كتاب الأحكام، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية: ١٤٦٩/٣

(٢) بواحاً: أي جهاراً، من أباح بالشيء يبوح إذا أعلنه.
انظر: النهاية في غريب الحديث: ١٦١/١

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٧/١، وصحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النّبي صلى الله عليه وسلم (**سترون بعدي أموراً تنكرونها**): ٨٥/٩، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية: ١٤٧٠/٣

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنّه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلاّ مات ميتةً جاهلية)** [1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّر عليكم عبدٌ حبشي كأنَّ رأسه زبيبة)** [2].

عن علي رضي الله عنه قال: بَعَثَ رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطباً، ثُمَّ دعا بنارٍ فأضرمها فيه، ثُمَّ قال: عزمت عليكم لتدخُلُنَّها. قال: فقال لهم شاب منهم: إنَّما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار، فلا تعجلوا حتَّى تلقوا رسول الله ﷺ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها. قال: فرجعوا إلى

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٧/١، وصحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية: ١١٣/٩، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن: ١٤٧٧/٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٧/١، وصحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة ما لم تكن معصية: ١١٣/٩

رسول الله ﷺ فأخبروه فقال لهم: (**لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنّما الطاعة في المعروف**) [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (**مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصا الله، ومَن أطاع أميري فقد أطاعني، ومَن عصا أميري فقد عصاني**) [2].

قال ابن كثير: والأحاديث في هذا كثيرة - يقصد في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وأولي الأمر - وهي كذلك أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى: ﴿وأطيعوا الله﴾ أي: اتبعوا كتابه، ﴿وأطيعوا الرسول﴾ أي: خذوا بسنته، ﴿وأولي الأمر منكم﴾: أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنّه لا طاعة لمخلوق

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٧/١، وصحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية: ١١٣/٩، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن: ١٤٦٩/٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٨/١، وصحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾: ١١١/١، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية: ١٤٦٦/٣

في معصيـة الله [1]، كمـا تقـدَّم في الحديـث الصحيـح (**إنّمـا الطاعـة في المعروف**). وقال ﷺ: (**لا طاعة في معصية**) [2].

فيتبين مِمَّا سبق أنَّ الله تعالى رتَّب على طاعة ولاة الأمور الشرعيين مصلحة كبيرة في الدنيا، وأجراً مضاعفاً في الآخرة، وهذا يدعو الإنسان العاقل المسلم إلى الاهتمام والعناية بهذا الأمر، والتقرُّب به إلى الله تعالى، فما نُزِعَت يدٌ من طاعة إلاَّ صافحها الشيطان، وعرَّضها لفتنةٍ عمياء، وموتٍ جاهلية جهلاء، وأدَّى ذلك إلى شرٍّ عظيمٍ، ومفاسد كثيرة لا يعلمها إلاَّ الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجبٌ على الإنسان، وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف الأيمان المؤكدة، كما يجب عليه الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، وحج البيت، وغير ذلك مِمَّا أمر الله به ورسوله من الطاعة، فإذا حلف على ذلك توكيداً وتثبيتاً لما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم، فالحالف على هذه الأمور لا يحل له أن يفعل خلاف المحلوف عليه سواء حلف بالله أم غير ذلك من الأيمان التي يحلف بها المسلمون، فإنَّ ما

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٥١٨، ودراسة حديث (**نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي**) للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: صـ ١٧٩

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٥١٨، ومسند الإمام أحمد: ٤/٤٢٦ - ٤٢٧، ٤٣٦، وسلسلة الأحاديث الصحيح للألباني: ١/٣٠٠

أوجبه الله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجبٌ وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه ؟! وما نهى الله ورسوله عن معصيتهم وغشهم مُحَرَّم، وإن لم يحلف على ذلك " [1].

وقال أيضاً: " طاعة الله ورسوله واجبةٌ على كُلّ أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبةٌ لأمر الله بطاعتهم، فمَن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومَن كان لا يطيعهم إلاّ لِمَا يأخذه من الولاية فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق " [2].

## الحق الذي على ولاة الأمور لرعيتهم:

يجب على ولاة الأمور أن يتقوا الله تعالى، ويبذلوا جهدهم في نصح رعيتهم، والنظر في مصالحهم لِمَا فيه الخير والصلاح، والرفق بالرعية، والشفقة عليهم، ولين الجانب معهم، وحماية حوزة الإسلام والدفاع عنها، ومِن أعظم

---

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية: ٩/٣٥ - ١١، ١٦ - ١٧ ضمن قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور، وقد أفردها وحقّقها وطُبِعَت مستقلّة: الدكتور عبد الرزّاق بن عبد المحسن العباد، عن طريق مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية.

(٢) انظر: قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور: صـ ٤٨، وبحث بعنوان (من قواعد النظام السياسي في الإسلام طاعة أولي الأمر) للدكتور عبد الله بن إبراهيم الطريقي، نشر في مجلّة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، العدد السابع، عام ١٤١٣ هـ ص ١٩.

الحقوق: إقامة العدل والإحسان بين الرعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

قال ابن كثير: وقوله تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أمرٌ منه تعالى بالحكم العدل بين النَّاس، ونقل عن بعض السلف أنَّ هذه الآية إنَّما نزلت في الأمراء يعني الحُكَّام بين الناس.

وفي الحديث: **(إنَّ الله مع الحاكم ما لم يجر، فإذا جار وكَّله إلى نفسه)**[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ أي: يأمركم به من أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٥١٦، وسنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة: ٢/٧٧٥، والحاكم، باب الأحكام: ٤/١٠٥ بلفظ (القاضي) وقال الألباني: حديث حسن. صحيح الجامع الصغير: ٢/١٣٠

والعدل الذي أمر الله به وأخبر بـه عبـاده هـو القسـط والموازنـة، كمـا ندب سبحانه وتعالى مع العدل إلى الإحسان [1].

وقد ورد في السنة المطهرة أحاديث عن الرسول ﷺ يحث فيها الولاة على العدل واستشعار عِظَم المسئولية تجاه متبوعيهم كقوله ﷺ: (**كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسئولٌ عن رعيَّته، فالإمام الذي على النَّاس راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته...**) الحديث [2].

وقال ﷺ: (**اللهم مَن وَلِيَ من أمر أُمَّتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشْقُق عليه، ومَن وَلِيَ من أمر أُمَّتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**) [3].

وقال ﷺ: (**ما مِن إمامٍ يموتُ يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلاَّ لم يرح رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**) [4].

وقال ﷺ: (**ما مِن أمير يلي أمر المسلمين ثُمَّ لا يجهد لهم وينصح إلاَّ لم يدخل معهم الجنَّة**) [5].

---

⇐⇐

(٥) تفسير ابن كثير: ٥١٦/١

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٨٢/٢

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٠١/٢، وصحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾: ١١١/٩، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل: ١٤٥٩/٣

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل: ١٤٥٨/٣

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، حديث رقم ٧١٥٠، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل: ١٤٦٠/٣

والرسول ﷺ في مكاتباته للأمراء والملوك بيَّن فيها ما يجب عليهم نحو رعاياهم من الدعوة إلى الله تعالى وإقامة العدل بينهم، وفض المنازعات، وأداء الحقوق لأصحابها بعضهم من بعض، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[1].

## دعوة العصاة:

العصاة: هم الذين اقترفوا ذنوباً وخطايا مِمَّا نهى الشرع عنه، فهم مسلمون، ولم يخرجوا من الدين بسبب المعاصي.

والمسلم ليس معصوماً، فالعصمة لأنبياء الله ورسله فيما يبلغون عن الله، قال تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنَّ الله غفورٌ رحيم﴾[2].

وقال ﷺ: (كُلُّ ابن آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوَّابون)[3].

---

⇐⇐

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، حديث رقم ٧١٥، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار: ١/١٢٦

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٤/١٨٨ - ٢١٠، وسنن النسائي، كتاب القسامة ذكر حديث عمرو بن حزم: ٨/٥٧، ونظام الحكومة النبوية - التراتيب الإدارية - لعبد الحي الكتاني: ١/١٦٨ - ١٧١

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٢

(٣) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوبة: ٢/١٤٢٠، ومسند أحمد: ٣/١٩٨، والترمذي، كتاب صفة القيامة، حديث رقم ٢٤٢٣.

قال ابن كثير في الآية الكريمة: " وهذه الآية وإن كانت نزلت في أُناسٍ معينين إلاّ أنّها عامّة في كُلّ المذنبين الخطّائين المخلطين المتلوثين " [1].

وا لله تعالى ذم المعاصي وقضى أنَّ العبد العاصي يُؤاخذ على عصيانه سواء في الدنيا أم في الآخرة، فهو داخل تحت مشيئة ا لله تعالى إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه بقدر عصيانه. قال تعالى: ﴿ومَن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يُدْخِلْهُ ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ولكنَّ الله حبَّب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكُفْرَ والفُسُوقَ والعصيان أولئك هم الراشدون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ومَن يعص الله ورسوله فإنَّ له نار جهنَّم خالدين فيها أبدا﴾[4].

يقرّر ابن كثير رحمه ا لله أنَّ ا لله تعالى حبَّب إلى نفوس عباده المؤمنين الإيمان وزَيَّنهُ في قلوبهم، وبغّض إليهم الكفر والفسوق، وهي الذنوب

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٣٨٥

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٧

(٤) سورة الجن، الآية: ٢٣

الكبار، والعصيان وهي الذنوب والمعاصي جميعاً، وفي هذا تدريج لكمال النعمة، فهذا فضل من الله ونعمة على عباده كما قال تعالى ﴿ونفسٍ وما سوَّاها * فألهمها فجورها وتقواها﴾[1] فهو تعالى خلق النفوس سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، ثُمَّ أرشدها إلى فجورها وتقواها، فبيَّن طريق الخير لاتباعه، وطريق الشر لاجتنابه، ورسل الله الكرام قاموا بالبلاغ ووضَّحوا صراط الله المستقيم بأقوالهم وأفعالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [2]. ﴿مَن عمل صالحاً فلنفسه ومَن أساء فعليها وما ربُّك بظلاَّمٍ للعبيد﴾[3].

## كيفية دعوة العصاة:

يلزم الداعية إلى الله تعالى في دعوته لهذا الصنف من المدعوين أن يبيّن للعاصي خطر المعصية، وأنَّ الفواحش قد حرَّمها الله تعالى ما ظهر منها وما بطن.

وأنَّ الواجب على صاحب المعصية أن يتركها ويعود إلى الله تعالى، ويندم على ما فعل، ويتوب إلى الله توبةً نصوحاً، ويلزم الستغفار. وعلى

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧ - ٨

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٤١٠، ٤٣٢ بتصرُّف.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٦

الدُّعاة إلى الله تعالى أن يحذروا من أسباب الوقوع في المعاصي، فيذكروا تلك الأسباب والدوافع التي يرتكب العاصي المعصية بتأثيرها.

والداعي يذكر في دعوته لأصحاب المعاصي، آثار المعصية على نفس العاصي ومجتمعه الذي يعيش فيه، كما على الداعي أن ينظر إلى صاحب المعصية نظرة شفقة ورحمة، فهو كالطبيب المعالج للأدواء، يسعى لإنقاذ الناس وانتشالهم من أوحال الذنوب والمعاصي.

ولقد بيَّن ابن كثير - رحمه الله - هذه المعاني من خلال الآيات الكريمة في القرآن الكريم، التي تحث على التوبة والاستقامة والاستغفار، وكذلك الأحاديث الشريفة التي لها هذا المضمون.

ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[1].

فالعبد إذا صدر منه ذنب أو اقترف معصية بادر بالتوبة والاستغفار، فيتوضأ ويصلي ركعتين ويتضرَّع إلى الله تعالى بالدعاء وطلب العفو والمغفرة من الله تعالى، وأن يعصمه في المستقبل، والاستغفار ينفع العاصين [2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٤٠٦ - ٤٠٧ بتصرُّف.

جاء في الحديث عن علي بن أبي طالب، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**ما مِن رجلٍ يذنب ذنباً فيتوضأ ويحسن الوضوء ثُمَّ يصلي ركعتين فيستغفر الله عزَّ وجلَّ إلاَّ غفر له**) [1].

قال الله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلَّكم تفلحون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ومَن تاب وعمل صالحاً فإنَّه يتوب إلى الله متاباً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنَّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنَّه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثُمَّ لا تنصرون * واتَّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾[4].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الصلاة، حديث رقم ٣٧١، وابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، حديث ١٢٩٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧١

(٤) سورة الزمر، الآيات: ٥٣- ٥٥

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾[1].

يقرر ابن كثير رحمه الله أنَّ على العبد المسلم أن يفعل ما أمره الله به من الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، ويترك ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإنَّ الفلاح كُل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله.

ومِن عموم رحمة الله تعالى ولطفه بعباده، أنّه من تاب إليه منهم تابَ عليه من أي ذنبٍ كان، جليله وحقيره، وصغيره وكبيره، إلاّ الشرك إذا مات عليه.

فالله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أو تطلع الشمس من مغربها، قال ﷺ: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغِر) [2].

وقال ﷺ: (مَن تابَ قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه) [3].

وقال الله تعالى: ﴿ألم يعلموا أنَّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأنَّ الله هو التواب الرحيم﴾[4].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨

(٢) تفسير ابن كثير: ١/٤٦٣، وانظر: مسند الإمام أحمد: ٢/١٣٢، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة: ٢/١٤٢٠

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب استحباب الاستغفار، حديث (٢٠٧٦).

وفي ذلك تهييجٌ إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما تحط الذنوب وتمحقها، وأخبر تعالى أنَّ كُلَّ مَن تاب إليه تابَ عليه، ومَن تَصَدَّق بصدقةٍ من كسبٍ حلالٍ فإنَّ الله يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها حتى تصير الثمرة مثل أُحُد [1].

يقول ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾[2]: " هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبارٌ بأنَّ الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة، لأنَّ الشرك لا يُغْفَر لمن لم يتب منه.

والتوبة لابُدَّ أن تكون صادقةً نصوحا، جازمةً خالصةً لله رب العالمين، وأن يقلع العبد عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثُمَّ إن كان الحق لآدمي ردَّه

---

⇐⇐

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٤

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٨٦، ٣/٢٨٦، ٣٢٨

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣

إليه بطريقةٍ ما. بذلك تكون التوبة ماحيةً لما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عمَّا كان يتعاطاه من الدناءات [1].

وا لله تعالى حذَّر عباده من ارتكاب الفواحش والآثام صيانةً لهم وتزكيةً لنفوسهم وسلامةً لهم من العقاب سواء في الدنيا أم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه إنَّ الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾[2].

فالمعصية تضر بالعبد المسلم، فعليه أن يترك المعاصي وسائر الذنوب في السر والعلن، القليل منها والكثير بطريق الأولى، وعليه أن يتذكَّر قوله تعالى: ﴿قُل إنَّما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[3].

لذلك فإنَّ ا لله تعالى يحاسب العبد على كُلّ فعلٍ فعَلَه وهو محرَّمٌ عليه، فينال جزاءه عاجلاً أو آجلاً سواء كان هذا الفعل ظاهراً أم خفياً، فإنَّ ا لله سيجزيه عليه [4]، وقد جاء في الحديث عن عبد ا لله بن مسعود رضي

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٥٨، ٣٩٢

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٠

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/١٦٨

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا أَحَد أغير من الله من أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)** [1].

## دعـوة عامـة النَّاس:

المراد بعامَّة الناس غالبية المسلمين، وغالباً ما يكونون تحت سلطان الملأ، فالملأ بما لديهم من القوة وكثرة المال، كانت لديهم السيطرة والاستعلاء على مَن هم أقلّ منهم.

وعادةً ما يتكون عامَّة الناس من الفقراء والضعفاء، وهم يعملون في أنواع الحرف، وسائر المهن، وهم أسرع الناس استجابةً لدعوة الخير، وقبول الحق، فنفوسهم سليمة من الأحقاد، ولديهم تهيئة ورغبة في الاتباع لما يُلْقَى إليهم، بخلاف الملأ والعُصَاة، وقد تقدَّم ذكر الكلام عليهم.

كما أنَّ عامَّة المسلمين لديهم الفطرة الطيبة السليمة القابلة لدعوة الله تعالى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾[2].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٨٨/٢، وانظر: صحيح البخاري، باب النكاح، باب الغيرة: ٦٢/٧، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله وتحريم الفواحش: ٢١١٤/٤

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(ما من مولودٍ يولد إلاّ على الفطرة، فأبواه يُهَوّدانه أو يُنَصّرانه أو يُمَجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء [1] هل تحسُّون فيها من جدعاء [2])** [3].

وفي الحديث: **(إني خلقت عبادي حُنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم)** [4].

فالله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنّه لا إله غيره. والفطرة هي الإسلام، وهي التي ساوى تعالى بها خلقه على الجبلّة السليمة، لا يولد أَحَد إلاّ على ذلك، ولا تفاوت بين الناس [5].

وهؤلاء الذين على الفطرة هم من عامّة الناس ومن ضعفتهم، وهم أتباع الرسُل، ولديهم استعدادٌ قويٌّ لقبول ما يُقال لهم، فإذا آمنوا به وعرفوا أنّه الحق تمسّكوا به، وبذلوا في سبيله كل ما يملكون لأجل الدفاع عنه. وقد

---

(١) الجمعاء: هي البهيمة التي تولد مجتمعة الخَلْق، سوية الأطراف.
انظر: غريب الحديث لابن الأثير: ٢٤٧/١

(٢) جدعاء: أي مقطوعة الأطراف. المصدر السابق.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الروم: ٢٠٧/٦، وصحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم ٢٦٥٨.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٣، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار: ٢١٩٧/٤

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٣

أجاب المؤمنون من قوم نبي الله صالح عليه السلام، وهم من الضعفة، قومهم حين استهزءوا بهم وقالوا: ﴿أتعلمون أنَّ صالحاً مُرْسَلٌ من ربه﴾[1] فقال المؤمنون: ﴿إنَّا بما أُرْسِلَ به مؤمنون﴾ فأعلنوا بصراحة عن إيمانهم بما جاء به رسول الله صالح عليه السلام، غير خائفين مِمَّا يحدث لهم بعد ذلك.

وقد أخبر الله تعالى بأنَّه أرسل نبيه محمَّداً ﷺ رحمةً، فقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين﴾[2]، والدعاة إلى منهج الله تعالى السائرون على هدي نبيه محمَّدٍ ﷺ رحمة لأنَّهم يقومون بدعوة الناس إلى الإيمان بالله، وطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، وإقامة العدل، ونشر الفضيلة، وفي ذلك سعادةٌ في الدنيا، وفي الآخرة نجاةٌ من النار، وفوزٌ بالجنة بإذن الله تعالى.

ولَمَّا اجتمع أبو سفيان مع هرقل عظيم الروم في الشام، وسأل هرقل أبا سفيان عن أخبار محمَّد في مكَّة، فقال لأبي سفيان: أأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم. قال هرقل: هم أتباع الرسل[3].

ورسول الله ﷺ في أوَّل بعثته وهو في مكَّة حين بدأ يدعو الناس، كان الذين دخلوا في الإسلام على خوفٍ من كفَّار قريش وبطشهم هم الضعفاء،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٥

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧

(٣) انظر: البداية والنهاية: ٤/٢٦٢

حتى تتابع الناس وظهر دين الله، ودخل كثيرٌ من الناس في الإسلام من الفقراء والضعفاء، وذوي المكانة والشرف وعامَّة الناس، وأصبح الجميع عباداً لله إخواناً، وصار المسلمون أُمَّة واحدةً على اختلاف بلدانهم وتنوع أجناسهم وتعدُّد لغاتهم، يقوم أعلاهم بأمر أدناهم، فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، ومهما تناءت الديار وتباعدت الأقطار والأقاليم، فالإسلام يجمعهم، فهم يدٌ واحدة يسودهم الإخاء ويتعاونون على البرّ والتقوى، وينصر بعضهم بعضاً، ويحث بعضهم بعضاً على تحقيق الإيمان وعمل الصالحات والتواصي بالحق والتواصي على الصبر.

## كيفية دعوة عامَّة المسلمين:

على الدعاة إلى الله تعالى أن يراعوا أحوال المدعوين، فيعطوا كل مدعو ما يناسبه، وأيضاً يراعى الأسلوب والوسيلة في الدعوة ؛ فمِن المسلمين مَن لديه محبة للخير، لكنَّه جاهل بالحق، ولو بُيّن له لاتبعه وأخذ به، فهذا فيه غفلة، فيحتاج في دعوته إلى الحكمة واللين واللطف والرفق، وتفهيمه الحق وإرشاده إليه.

ومن المسلمين مَن يكون عنده إعراض أو تردد في قبول الحق والعمل به، أو لديه تثاقل وكسل، فهذا يحتاج مع البيان إلى الموعظة الحسنة، فيخوَّف بالله تعالى ويُنبَّه إلى أهمية التمسُّك بالكتاب والسُّنّة وما فيهما من المصالح العاجلة والآجلة، ولما في تركهما من الشقاء والخسارة في الدنيا والآخرة، كما يُبيَّن له ثواب الطيبين وعقاب العاصين.

مِنّ المسلمين مَن إذا بُيّن له الحق لم يقبله أو يرده أو يورد الشبهة تكون سبباً في عدم فهم الحق، فهذا يناقَش ويُجَادَل بالتي هي أحسن لكشف وإظهار بطلان تلك الشبهة، وبيان خطئه، فتُعْرَض عليه الأدلة الدالة على الحق مع شرحها وإظهار مضمونها.

وقد ذكر ابن كثير ذلك عند قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنَّ ربَّك هو أعلمُ بمَن ضَلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾[2].

فالله تعالى أمر نبيَّه محمَّداً ﷺ أن يدعو الخلق إليه بالحكمة التي فيها اللين، والرفق، وحسن التأتي لمَن يدعوه، والموعظة الحسنة التي فيها زواجر لكي يحذر الناس بأس الله وغضبه وبطشه، ومَن احتاج مِنَ الناس إلى مناظرة

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢

وجدال فليكن له ذلك بالوجه الحسن وحسن الخطاب، والله تعالى عليمٌ بالشقي والسعيد، وقد كتب ذلك عنده وفرغ منه [1].

فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على مَن ضلَّ منهم حسرات فإنّه ليس عليك هداهم إنّما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب [2].

والله تعالى أورث أُمَّة محمَّدٍ ﷺ القرآن العظيم، وهو مصدّقٌ لما بين يديه من الكتب ومهيمنٌ عليها، وآخر الكتب السماوية. والناس فيه قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

أ) **سابقٌ بالخيرات**: وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرَّمات والمكروهات.

ب) **ظالمٌ لنفسه**: وهو المفرّط في بعض الواجبات المرتَكِب لبعض المحرَّمات.

ج) **مقتصد**: وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرَّمات.

وتكون دعوة كُل صنف على حسب حاله وموقعه من الاستجابة للحق والالتزام به، فالسابق بالخيرات يُرَغَّب في الازدياد في سائر وجوه الخير والطاعة. والظالم لنفسه يُحَذَّر من ظلمه وعاقبة ذلك الظلم ويُبَيَّن له طريق التوبة والرجوع إلى الله تعالى. والمقتصد يوجه إلى الثبات على الحق وتجنُّب المعصية ويُرَغَّب في الترقي في الخير وزيادته. كما يُدْعَى مَن ضلَّ من المسلمين سواء الضلال في العقيدة، أو الخرافات، فيُبَيَّن له صحَّة العقيدة وأهميتها،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٥٩١

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٥٩١

ويُدْعَى إلى الرجوع عن الضلال إلى الهُدى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين اتَّقَوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكَّروا فإذا هم مُبْصِرون﴾[1].

فالمسلم الذي أطاع الله وفعل أمره، وترك ما نهى عنه وزجر، إذا وقع في الإثم، بادر بالتضرُّع إلى الله تعالى فندم وتذكر عقاب الله وعظيم ثوابه ووعده ووعيده، فتاب وأناب واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، ورجع إلى الله تعالى من فوره، ولزم الاستقامة [2].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: إنَّ العبد إذا عرف الحق وتبيَّن له، اتَّبعه وعمل به، وهذا هو الذي يُدْعى بالحكمة، وهو الذي يتذكَّر، وهو الذي يحدث القرآن له ذكراً، وإذا كان عنده هوى ويعارض فهذا يحتاج إلى الخوف الذي ينهى النفس عن الهوى، فهذا يُدْعَى بالموعظة الحسنة [3].

## دعوة الأتباع من النساء والأولاد ومَن في حكمهم، وكيفيتها:

هؤلاء يحتاجون إلى النُّصْح، والتذكير، والتنبيه، والتحذير، وغالباً ما يكونون في تبعية غيرهم.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٧٩، ٣/٥٥٤ - ٥٥٦

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٥/٢٤٥

فعلى الدعـاة إلى الله تعـالى أن يجعلـوا لهـم حظّـاً مـن الدعـوة إلى الله، ويتأكد ذلك على مَـن يـلزمهم وهـم أقـرب النـاس إليهـم إذا تـأهلوا وعلمـوا دين الله تعالى، فلهم حقوق أكثر من التي عليهم، قال تعالى: ﴿وقضى ربُّكَ ألاَّ تعبـدوا إلاَّ إيَّـاه وبـالوالدين إحسـاناً إمَّـا يبلغَـنَّ عنـدك الكِـبَر أحدهمـا أو كلاهمـا فـلا تقُـل لهمـا أُفٍّ ولا تنهرهمـا وقُـل لهمـا قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذُّلِّ من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربَّياني صغيراً﴾[1].

وقـال تعـالى عـن وصايـا لقمـان لابنـه: ﴿يـا بُنَـيَّ أقـم الصَّـلاة وأمُـر بالمعروف وانـه عـن المنكر واصبر على مـا أصـابك إنَّ ذلـك مـن عـزم الأمور * ولا تُصَعِّر خدَّك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنَّ الله لا يحب كُلَّ مختالٍ فخـور * واقصـد في مشـيك واغضـض مـن صوتـك إنَّ أنكر الأصـوات لصـوت الحمير﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ - ٢٤

(٢) سورة لقمان، الآيات: ١٧ - ١٩

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[1].

فيقرر ابن كثير - رحمه الله - عند بيان معنى هذه الآيات الكريمة أنَّ الله تعالى أمر عباده بطاعته وعبادته وحده، وقرن بعبادته حق الوالدين في العناية بهما، والإحسان إليهما، والتلطف معهما في القول والفعل، وعدم إسماعهما القول السيئ، وفي ذلك تربيةٌ للأبناء، وتعريفٌ للآباء بحق الوالدين في الكبر وبعد الممات، وهذا من سماحة الإسلام ومدى تكريم الله تعالى للإنسان لكي يؤدي الوظيفة التي خلقه لأجلها، وفي وصايا لقمان النافعة التي يحث النّاس على الأخذ بها، والإنتفاع بها، فوائد جمَّة لمن يأخذ بها ويعمل بما جاءت به ودلّت عليه.

فلابُدَّ من القيام على النفس، والأهل من زوجة، وولد، وقرابة، وإخوان، وعبيد، وإماء، فيؤمرون بطاعة الله، وامتثال أمره، ظاهراً وباطناً، والابتعاد عن معصية ومخالفة أمره، وفي ذلك تعليم وتأديب وتوجيه لهؤلاء ليفوزوا بالسعادة في الدارين [2].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٤ - ٣٥، ٤٤٥ - ٤٤٦، ٤/٣٩٠ - ٣٩١

# الباب الثاني

## جهود الإمام ابن كثير في الدعوة

وتحته ثلاثة فصول

الفصل الأول: جهوده وآثاره العلمية.

الفصل الثاني :جهوده وآثاره الدَّعوية.

الفصل الثالث: نماذج من مواعظه.

# الفصل الأول

# جهوده وآثاره العلمية

**وفيه أربعة مباحث**

المبحث الأوَّل: مؤلَّفاتـه.

المبحث الثاني: مراسلاتـه ومكاتباته.

المبحث الثالث: مناظراتـه.

المبحث الرابع: ثناء العلماء على جهوده.

# تمهيد

## جهوده وآثاره العلمية:

إنَّ ابن كثير قد بذل وسعه في خدمة الشريعة الإسلامية، فقام بجهودٍ يستحق عليها الشكر والدُّعاء والإشادة. وهذه الجهود كانت في ميادين مختلفة في فنون العلم الشرعي، وأذاعها بين النَّاس حُبّاً في الخير، ورغبةً في نشره.

وهو عالِمٌ واسعُ الإدراك، بارعٌ في العلم، متقنٌ فيه، ضابطٌ، محدِّثٌ مؤرِّخٌ، مُفَسِّرٌ، لُغَوِيٌّ، عالِمٌ بأحوال الرجال والعِلَل. يُعْطِي ما أعطاه الله بكلِّ سخاءٍ حتى شاعت وتوزَّعت مؤلَّفاته في عصره، لأجل نشر وإحياء دين الله تعالى، والدَّعوة إليه، ودحض مزاعم المضللين أصحاب النفوس المريضة من أهل الجهل والهوى والعصبية والانحراف، ومقاومة ما حلَّ بالمسلمين من الذُّلِّ من جرَّاء الاستعمار من قِبَلِ أعداء الإسلام من التَّتار وغيرهم.

فكان قويَّ البأس، شديداً في الحَقِّ والثَّبات عليه، معتصماً بالله، واثقاً به، فواجه خصومه من أعداء الإسلام، وقاوم مع المسلمين، وحارب بالسنان واللسان، وكُلِّ ما من شأنه إعزاز دين الله تعالى، فعمله قد تميَّز بالدِّقة والتحرِّي والتأصيل، فيورد النصوص والآثار في أماكنها، مِمَّا يدُلُّ على قوَّة حفظه وسعة اطِّلاعه، وذاكرته الوقَّادة، تجلَّى ذلك في استكمال الموضوعات والحوادث والوقائع، فالموضوع عنده يستوفي حقَّه غالباً من غير نقصٍ أو خللٍ أو ملل، كالإطالة والحشو والزيادات والإضافات التي قد

لا تفيد. ومِمَّا يوضِّح دقَّته: نقله عن الرواة المعتمدين والثِّقات الذين تلقَّت الأُمَّة مصنَّفاتهم بالقبول والاحترام والتقدير والإطمئنان.

ولقد كان زمن ابن كثير مليئاً بالمنغِّصات، فالأُمَّة الإسلامية في وقته تعاني معاناةً عظيمةً من داخلها وخارجها. فأعداء الإسلام من الخارج يحاولون القضاء عليها.. من التتار، والحملات الصليبية الحاقدة، يعدُّ كُلُّ ذلك تهديداً للإسلام وأهله.

ومِن الداخل أهل الأهواء وأصحاب الخرافات والدجل من الصوفية ومَن مَرَد من المسلمين ومَن على شاكلتهم، يسعون لإفساد أحوال المسلمين وتخريب عقائدهم. مِمَّا جعل العلماء في ذاك الوقت، كابن تيمية، والمزيِّ، وابن القيِّم، وغيرهم. يقفون في وجه هذا الجيش الجرَّار والسيل الجارف، والتيَّار الهائل الزَّاحف لأجل تخريب بلاد المسلمين والقضاء على الإسلام وأهله.

فكشف العلماء في مؤلَّفاتهم خُطَط أعداء الإسلام، وحثُّوا النَّاس على الجهاد والتَّصدِّي بكُلِّ قُوَّةٍ وعزيمةٍ وشجاعةٍ وثباتٍ في وجه أعداء الله، فالله تعالى وَعَدَ عباده الصَّادقين بالظَّفر والنَّصر، قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة محمَّد، الآية: ٧

فأعزَّ الله الإسلام ونصر أهله كما حصل في (**عين جالوت**) [1].

ومِنَ العُلماء الذين ظهر أثرهم، وبرز دورهم ضدَّ التّتار بعد ذلك: شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وهو شيخ ابن كثير، فاستطاع بثباته وقوة إيمانه بالله تعالى، وعبقريته الفذّة، أن يوحِّد بين الجيش المصري، والجيش بالشام، لمحاربة التتار الذين كانوا يهددون العالم الإسلامي، بل العالم بأكمله.

وقد اشترك الإمام ابن تيمية ومَن تبعه وباشروا القتال وأبلوا فيه بلاءً حسناً، حتى تحقّق النصر والعِزَّة للإسلام والمسلمين بتوفيق الله تعالى وإعانته - والحمد لله رب العالمين.

---

(١) اسم أعجمي لا ينصرف، وهي بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس، من أعمال فلسطين. وقعت فيها معركة بين المسلمين والتّتار، المسلمون بقيادة الملك المظفّر قطز حاكم مصر، حين بلغه أنَّ أمير التّتار بالشام عازمٌ على الدخول إلى الدِّيار المصرية، فبادر المظفّر بالخروج إليه بعسكره، وجيشٍ كبيرٍ، وقد اجتمعت له الكلمة واتّحدت تحت قيادته. واستعدَّ عسكر المغول والتتار بقيادة كتبغانوين، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨ هـ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فكانت النُصرة - و لله الحمد - للإسلام وأهله، فهزم المسلمون التتار في تلك الموقعة هزيمةً هائلةً، وقُتِلَ أمير المغول كتبغانوين وجماعة من بيته. وتتبَّع المسلمون فُلُول التّتار يقتلون فيهم ويفكون الأسُارى من أيديهم، وجاءت بذلك البشارة - و لله الحمد - على جبره إياهم بلطفه، فجاوبتها دق البشائر من القلعة، وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً، وأيّد الله الإسلام وأهله تأييداً عظيماً، وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين، وظهر دين الله تعالى وهم كارهون.

انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: ٤/٢٠٠، والبداية والنهاية: ١٣/٢٣٣ - ٢٣٥ بتصرُّفٍ.

إنَّ ابن كثير قد سمت مكانته العلمية في مجتمعه، حتَّى تجاوزت تلك المكانة محيط المجتمع إلى عِدَّة أقطار من بلاد الله. وجهوده أينعت في خدمة دين الله تعالى والدَّعوة إليه، فكثر طُلاَّبه، وأقبلوا على كتبه لاكتتابها ونشرها وهذه المكانة، وهذا الجهد، ظهرا في حياته وبعد مماته.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - عن جهود ابن كثير العلمية، ومؤلَّفاته: " سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها النَّاس بعد وفاته " [1].

وذكر ابن كثير قِصَّة شاب عجمي قدم من تبريز لديه ملكة في الحفظ فيحفظ كتباً في الصحاح، واجتمع الناس حوله ومعهم بعض العلماء، فيقرأ عليهم مِمَّا يحفظه، وقد تعجَّب النَّاس مِمَّا وهبه الله. قال ابن كثير: " وفرح - أي الشاب - بكتابتي له بالسماع على الإجازة، وقال: - أي الشاب -: أنا ما خرجت مِن بلادي إلاَّ إلى القصد إليك وأن تجيزني، وذكرك في بلادنا مشهور [2].

وقد تأثَّر بشيخه ابن تيمية في جانب العقيدة، والفكر، والاجتهاد، والتفسير، وبشيخه المزيِّ في الحديث والتاريخ، وكذلك البرزالي، وقد أجازه من مصر من العلماء والأعلام عددٌ كبيرٌ.

---

(١) الدرر الكامنة: ٣٩٩/١

(٢) انظر: البداية والنهاية: ٣٠٩/١٤

فابن كثير يُعَدُّ عالماً كبيراً من العلماء الثّقات المشهود لهم بسعة الاطّلاع وقوّة التحصيل، وجودة الفهم، وكثرة الاستحضار والبيان.

ولقد تأثّر ابن كثير بما حدث في زمنه من الأحداث الكبيرة، وكذلك بما أدركه من العلماء الكبار، حيث التقى بعددٍ كبيرٍ منهم، وكان لهم نشاطٌ وحماسٌ في تبصير الناس بدينهم وتحميسهم له، وتصحيح العقائد، ومحاربة الفساد والخرافات، فكثرت مؤلّفاتهم ؛ وعاد ذلك على ابن كثير بالبحث والجمع والنّظر في كُتُب الأقدمين، فكان هو ومَن في طبقته يعملون على اختصار بعض الكتب المبسوطة، أو يشرحونها، أو يعلّقون على تلك الكتب التي وضعها أسلافهم.

فكان ابن كثير قويَّ الحُجَّة، لديه أصالة في التفكير، ماهراً في الجمع والإحاطة، أميناً في نقله، عنده القدرة على نقد الأسانيد وتَتَبُّع الطُّرُق وتصحيحها وبيان الضعيف منها، والرد عليها. ينتصر للكتاب والسُّنّة ويذبُّ عنهما، ويتحمَّل العَنَت والاضطهاد في سبيل نشر السُّنّة وردِّ البدعة.

ولا شكَّ أنَّ غزارة المادَّة العلمية عنده، وقدرته الفائقة على حشد الأدلة، وكثرة إيراد الأحاديث والآثار وأقوال العلماء، وذكر الأدلة الخلافية، وتعيينها، لا يكون ذلك إلاّ نتيجة القراءة المستوعبة للكتب والمصنّفات والاطّلاع على أُمَّهات المراجع في مختلف فنون الشريعة.

كما تبرز جهوده وآثاره العلمية فيما ألّفه من المؤلّفات والمصنّفات الكثيرة المفيدة في فنونٍ شتّى، وما تولاّه من التدريس في أكبر مدارس دمشق، والقيام على رعايتها، والسعي في شئونها ؛ والدروس التي يلقيها في المساجد، والخطابة في أكبر مساجد الشام، ومجيء العلماء وطُلاّب العلم من مختلف البقاع الذين كانوا يقصدونه طلباً للعلم، وزيادة في تحصيلهم للعلوم النافعة. وقد انتهت إليه رئاسة العلم والحديث والتفسير [1].

(١) انظر: طبقات المفسرين، للداودي: ١/١١١

## المبحث الأوَّل: مؤلَّفات ابن كثير:

لقد صنَّف ابن كثير عدداً كبيراً من المُصَنَّفات، وألَّف كثيراً من المؤلَّفات في أنواع العلوم وإن كان الأغلب على مؤلَّفاته الحديث وعلومه ؛ فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلَّفاتٍ علميةٍ، حيث كان مولعاً منذ صغره بالتأليف، فألَّف كتاب أحكام التنبيه، ورآه شيخه الفزاري فأعجب به وأثنى عليه [١].

قال الإمام الذهبي - وهو شيخ ابن كثير - عن كتب ابن كثير: " له تصانيف عِدَّة مفيدة " [٢].

قال ابن كثير - رحمه الله - لتلميذه ابن الجزري، مبيناً له أنَّه مشتغلٌ بالتأليف حتّى آخر حياته حين ذكر له كتابه الكبير جامع المسانيد: " لا زلت أكتب في الليل والسراج ينوص [٣] حتّى ذهب بصري معه، ولعلَّ الله يقيِّض له من يكمله مع أنَّه سهل " [٤].

وبعد أن كُفَّ بصره كان أيضاً يُكتب له، فقد ذكر ابنه زين الدين عبد الرحمن قوله: " لَمَّا أُضِرَّ الوالد كان يُورِّخ له " [٥].

---

(١) انظر: طبقات ابن قاضي شهبة ١١٤/٣، وشذرات الذهب ٢٣١/٦

(٢) طبقات ابن قاضي شهبة ١١٥/٣

(٣) النوص: التأخُّر. انظر: مختار الصحاح صـ ٦٨٥

(٤) المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد، لابن الجزري صـ ٢٣

(٥) تاريخ ابن قاضي شهبة ٣٥٧/١، بحي سلطان العكايلة ٩١

وتدور مؤلّفات ابن كثير حول التفسير، وإبراز فضائل القرآن الكريم، والحديث وعلومه، والفقه، والتراجم، والتاريخ، وقد قال الإمام ابن حجر عن تلك المصنّفات لابن كثير: " وقد صنّف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام " [1].

وفي ذلك دلالة على كثرة تلك المؤلّفات التي ألّفها ابن كثير، وقد تلقّت الأمّة مؤلّفات ابن كثير بالقبول، ونالت منهم الإعجاب، وحازت على استحسانهم، وانتفعوا بها، وسارت في أنحاء الدُّنيا في حياته وبعد مماته درساً وشرحاً وقراءةً وإقراءً وتعليقاً. يذكر ابن كثير في حوادث سنة ٧٦٣هـ أنَّ الشيخ عماد الدين بن السراج اجتمع عنده خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفير لكي يحدِّثهم، وقد قرأ عليهم السيرة النبوية من خط ابن كثير [2].

وامتازت مؤلّفات ابن كثير بوضوح العبارة، وسهولة الأُسلوب، ودقة في التمحيص ونقد الرجال، والبعد عن التعصب المذهبي، وسلامة المنهج، وذلك لاعتماده على الكتاب والسُّنّة في تفسير الوحيين، وتحري الأحكام الفقهية والعقائدية، وإخراجها للناس صافية نقية عن زيغ الأهواء، فهو يدافع عن أهل السُّنّة والجماعة، ويتمسك بالحق، كما اتّسم منهج ابن كثير بكونه فريداً، يأخذ التجديد طابعاً، وقد استفاد من شيخه ابن تيمية - رحمه الله - كثيراً في ذلك.

---

(١) إنباء الغمر ٤٦/١

(٢) البداية والنهاية ٣٠٨/١٤

وتعتبر تصانيف ابن كثير مصادر رئيسة ومراجع موثوقة هامَّة لا يستغني عنها طلبة العلم، ويعولون عليها فيما يكتبون أو يبحثون، وخاصَّة في تفسير كتاب الله تعالى، والحديث، والتاريخ. ومؤلَّفات ابن كثير منها ما هو مطوَّل، ومنها ما هو مختصر، ومنها ما هو وسط.

ومَن ترجم لابن كثير من القدامى لم يذكر جميع مؤلَّفاته في ترجمته له، بل اكتفى بذكر أهمها في نظره.

فذكر ابن قاضي شهبة في ترجمته لابن كثير أنَّ مصنَّفاته أحَدَ عشر مصنَّفا [1].

وذكر الداودي في ترجمته لابن كثير أنَّ مصنَّفاته أربعة عشر مصنَّفاً [2].

والأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر أوضح في ترجمته لابن كثير أنَّ مؤلَّفاته ستة عشر مؤلَّفاً [3].

والأستاذ الدكتور مسعود الرحمن خان الندوي حين ذكر مؤلَّفات ابن كثير قال: " ألَّف ابن كثير تصانيف مفيدة نافعة من كُتُبٍ مطوَّلة، ومتوسطة الحجم، إلى رسائل مختصرة صغيرة في التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ وما إلى ذلك، طُبِعَ بعضها، وما زال بعضها الآخر مخطوطاً محفوظاً في مكتبات العالم، ولا نعرف من بعضها للآن إلاَّ

---

(١) انظر: طبقات الشافعية ٣/١١٤

(٢) انظر: طبقات المفسرين ١/١١٠

(٣) انظر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ١/٣٤ - ٣٦، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، صـ ١٤ - ١٥

أسماءها، وقد بلغ مجموع مؤلّفاته عندنا في هذا الكتاب أربعةً وثلاثين كتاباً ورسالة، وأنَّ هذه الثروة العلمية الضخمة لَتَدُلَّ على جَلَد ابن كثير وصبره في التّصنيف والتأليف، واجتهاده في هذا الميدان " [1].

والباحثون المعاصرون الذين كتبوا عن ابن كثير اجتهدوا في استخراج أسماء مؤلّفاته وحصرها - قدر المستطاع - من بطون كتبه حين أشاروا إليهاوذكروا أسماءها. فالباحث الأخ/ محمَّد أحمد مطر الزهراني عدَّ مؤلّفات ابن كثير بأنّها واحدٌ وخمسون مصنّفاً [2].

والباحث الأخ / إسماعيل سالم عبد العال ذكر أنَّ مصنّفات ابن كثير بلغت تسعةً وخمسين مؤلّفاً [3].

وأوصلها الأستذ عبد المعطي قلعجي تارةً إلى ثمانية وأربعين مؤلّفاً [4]، وتارة أُخرى جعلها خمسةً وأربعين مؤلّفاً [5].

---

(١) انظر: ابن كثير - حياته ومؤلّفاته - صـ ٨٢ - ٨٣

(٢) انظر: رسالة الإمام ابن كثير المفسِّر، صـ ٥٨ وما بعدها.

(٣) انظر: رسالة عن ابن كثير ومنهجه في التفسير صـ ١٢٣ - ١٥٩

(٤) انظر: مسند الفاروق ١/٧٠ - ٧٤

(٥) انظر: مقدمة جامع المسانيد والسنن صـ ١٩٩ - ٢١٦

وأوصلها الأخ الباحث / صالح أحمد مصلح الوعيل إلى تسعةٍ وسبعين مؤلَّفاً [1].

وهناك باحثون آخرون ذكروا مؤلَّفات ابن كثير وحاولوا إحصاءها وعدَّها - قدر استطاعتهم - وما توصَّلوا إليه من بيان مزايا تلك المصنَّفات وأنواع فنونها [2].

وقد حاولت جهدي، وبذلت وسعي في ذكر مصنَّفات ابن كثير مستفيداً مِمَّا ذكره المترجمون لابن كثير، الذين حقَّقوا بعض كتبه وأظهروها للنَّاس، مع بيان أهمية المؤلَّف غالباً، وسرت على النحو التالي: أذكر المطبوع من تلك المصنَّفات، ثُمَّ المخطوط، ثُمَّ المفقود الذي لم يتبيَّن إلاَّ اسمه.

---

(١) انظر: جامع المسانيد والسُّنن صـ ٧١ - ١١٦

(٢) انظر: منهج الإمام ابن كثير في تقرير عقيدة السلف، إعداد: علي بن حسين بن يحي موسى ١/٢٧ - ٣٦، وتحفة الطلب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب: لعبد الغني ابن حميد الكبيسي صـ ٣٤ -٣٨، والمسائل الفقهية التي انفرد بها الإمام الشافعي من دون إخوانه من الأئمة، للدكتور إبراهيم بن علي صندقجي صـ ٣١ - ٤١، ومنهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسير والراشدين من كتابه البداية والنهاية، لشمس الله محمَّد صديق زال بيك جلالي صـ ٥٦ - ٦٠

## أولاً: المطبوع من مؤلَّفات ابن كثير:

### ١) تفسير القرآن العظيم: [١]

هو تفسير عظيم المنفعة، جليل القدر، تفسيرٌ علميٌّ، معروفٌ ومشهورٌ لدى المسلمين، وقد طُبِعَ في أربعة مجلّدات، وهو من التفاسير المعتبرة القيِّمة.

اعتمد ابن كثير فيه على الرواية، وتمحيص الآثار والأخبار، كما تعرَّض لبعض القضايا الفقهية، ويُرَجِّح بعض الأقوال التي تتّضِح فيها الأدلة. ويذكر الأسانيد ويحكم عليها، وغالباً يذكر الصحاح.

قال الشيخ أحمد محمَّد شاكر: " فإنَّ تفسير الحافظ ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا، وأجودها، وأدقها، بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري، وقد حرص الحافظ ابن كثير على أن يفسِّر القرآن بالقرآن أولاً ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ثُمَّ بالسُّنَّة الصحيحة التي هي بيان لكتاب الله، ثُمَّ يذكر كثيراً من أقوال السلف " [٢].

---

(١) قد اختصر تفسير ابن كثير عِدَّة اختصارات، فاختصره الشيخ أحمد محمَّد شاكر باسم (عمدة التفسير)، والشيخ محمَّد نسيب الرفاعي باسم (تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير)، والشيخ محمَّد علي الصابوني باسم (مختصر تفسير ابن كثير)، والدكتور عبد الله بن محمَّد آل الشيخ تحت عنوان (التيسير لتفسير ابن كثير).

ومن ضمن طبعات هذا الكتاب: طبعة الشعب، بتحقيق د / محمَّد البنا، و محمَّد عاشور، وعبد العزيز غنيم، وقد اجتهدوا في تخريج الأحاديث وذِكْرِ مصادرها في ثمان مجلّدات.

(٢) انظر: عمدة التفسير ١/٥

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - عن تفسير ابن كثير: " جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلّم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير، إن لم يكن أحسنها " [1].

**٢) فضائل القرآن:** [2]

وقد ألحق في آخر كتاب التفسير لابن كثير، وذكر فيه ابن كثير تاريخ تدوين القرآن، وجمعه، والأحاديث الواردة في فضل القرآن وتلاوته والعناية به، ومعنى الأحرف السبعة، والتلاوة بالأصوات، إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلّق بالقرآن.

**٣) جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سُنَن:** [3]

جمع ابن كثير في هذا الكتاب مسند أحمد، والبزار، وأبي يعلى، وابن أبي شيبة، مع الكتب الستة، وهي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسُنن الترمذي، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، ورتّبه على أبواب الفقه، والحديث.

---

(١) انظر: البدر الطالع ١/١٥٣

(٢) طَبَعَته دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

(٣) قام بتحقيقه والتعليق عليه: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، وطبعته دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٥ هـ في سبعةٍ وثلاثين مجلّداً، وطُبِعَ منه ثلاثة أجزاء بتحقيق وتعليق الشيخ عبد الملك بن دهيش، طبعته مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرَّمة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ، كما حقّقه صالح أحمد مصلح الوعيل لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٥ هـ وقد أحسن في عمله.

قال الحسيني عن الكتاب: " كتاب الهدى والسُّنَن: المعروف بجامع المسانيد، رتّبه على الأبواب، وهو من أنفع كتبه " [1].

وقال حاجي خليفة: " جامع المسانيد والسُّنَن: كتابٌ عظيم، فيه أحاديث الكتب العشرة في أصول الإسلام " [2].

**٤) مختصر علوم الحديث، المعروف بالباعث الحثيث:**

وعلوم الحديث كتاب لابن الصَّلاح، اختصره ابن كثير، وقال ابن حجر: له فيه فوائد [3].

طُبِعَ هذا الكتاب بمطبعة الماجدية بمكّة المكرَّمة عام ١٣٥٣ هـ، وقام الشيخ عبد الرَّزَّاق حمزة بتصحيح هذا المختصر والتعليق عليه وسمَّاه الباحث الحثيث في اختصار علوم الحديث.

ثُمَّ تناوله الشيخ أحمد محمَّد شاكر بالشرح والتعليق، وسمَّاه (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث) وطُبِعَ بمصر سنة ١٣٥٥ هـ.

**٥) مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب:** [4]

ذكر المؤلِّف فيه كتاب الطهارة، فالصَّلاة، والجنائز، والزكاة، والصيام، والحج، والبيوع، والفرائض، والنكاح، والجنايات، والجهاد، والحدود،

---

(١) انظر: ذيل تذكرة الحُفَّاظ صـ ٥٧

(٢) انظر: كشف الظنون ١/٥٧٣

(٣) انظر: الدرر الكامنة ١/٤٠٠

(٤) حقّقه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، وطبعته مطبعة الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى عام ١٤١١ هـ، وحقّقه الدكتور مطر الزهراني لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أُمّ القرى بمكّة المكرَّمة.

والإمارة، والأقضيـة، والتفسير، والإيمـان - وهـو كتـاب جـامع - والأدب، والملاحم، والمعجزات، والمناقب، والفضائل، والقبائل، والبقاع.

**٦) تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب:** [١]

قال عنه ابن كثير: " ومختصره في أصول الفقه استوعب فيه عامَّة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي، وقد منَّ الله عليَّ بحفظه، وجمعت كراريس في الكلام على ما أودعه فيه من الأحاديث النبوية، و لله الحمد. [٢]

وقـد ذاع مختصـر ابـن الحـاجب في المالكيـة، فحفظـوه، وعلّقـوا عليـه، وشرحوه [٣].

وليتأمَّل القـارئ اهتمـام العلمـاء بـالعلم وعـدم التعصـب لأي مذهـب، فالمقصود طلب الحق واتّباعه، فابن كثير شافعي، ومختصر ابن الحاجب مـالكي ومع ذلك حفظه ابن كثير رحمه الله.

---

(١) تحقيق ودراسة الأستاذ عبد الغني بن محمود الكبيسي، لنيل درجة الماجستير مـن جامعـة أُمّ القرى بمكّة المكرَّمة. ونشرته دار حراء للنشر والتوزيع بمكّة المكرَّمـة، الطبعـة الأولى عام ١٤٠٦ هـ.

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٣/١٨٨

(٣) انظر: ابن كثير - حياته ومؤلّفاته - صـ ١٣٨

### ٧) طبقات الشافعية: [١]

ويعتبر من أهم كتب ابن كثير، وقد أشار إلى ذكره عند ترجمة الشافعي [٢]، وقد ترجم لأكثر من ألف شخص على حسب الطبقات، ابتداءً من عصر الإمام محمَّد بن إدريس الشافعي رحمه الله، إلى سنة ٧٦٧ هـ، وقسَّم فيه الطبقات إلى عشر طبقات، وكُل طبقة إلى عِدَّة مراتب، وترجم لأعلام الشافعية حتى أوائل القرن الثامن الهجري، وذلك من كل مصدر ومرجع عثر عليه. وهذا المؤلّف يضمُّ كتب التراجم التي أوَّلها كتاب الطَّبقات لابن سعد.

### ٨) البداية والنهاية: [٣]

---

(١) حقَّق هذا الكتاب وعلَّق عليه وقدَّم له كُل من الدكتور / أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الأزهر، والدكتور محمَّد زينهم محمَّد عزب، في مجلَّدين، وذيَّلاه بمجلَّد للعبادي، وهو تكملة لكتاب ابن كثير طبقات الشافعية، فيصبح الجميع ثلاث مجلَّدات، وقد نشرته مكتبة الثقافة الدينية بمصر، طبعة عام ١٤١٣ هـ.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢٦٢/١٠

(٣) طُبع عِدَّة مرَّات، ومنها طبعة المكتبة السلفية في أربعة عشر مجلَّداً دون النهاية بالقاهرة عام ١٩٣٥ م، ثُمَّ قامت مكتبة المعارف ببيروت، ومكتبة النصر بالرياض بتصويره، وطبعته دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٥ هـ بتحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم وزملائه، وعملت له فهارس في مجلَّد عملها محمَّد السعيد زغلول، ولا تسلم هذه الطبعة من التصحيف. وقد أفاد محقّقا كتاب مولد الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير أنَّهم يعملون على تحقيق البداية والنهاية تحقيقاً علمياً مع تخريج الأحاديث والمراجعة من قبل الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

قال ابن كثير عن هذا الكتاب، وذلك في مقدمته: " فهذا كتابٌ أذكر فيه بعون الله وحسن توفيقه ما يسَّره الله تعالى بحوله وقوَّته مِن ذكر مبدأ المخلوقات، مِن خَلْقِ العرش والكرسي والأرضين وما فيهنَّ وما بينهُنَّ من الملائكة والجان والشياطين، وكيفية خَلْق آدم عليه السلام، وقصص النبيين، وما جرى مجرى ذلك إلى أيَّام بني إسرائل وأيَّام الجاهلية، حتى تنتهي النبوة، إلى أيام نبينا محمَّد صلوات الله وسلامه عليه، فنذكر سيرته كما ينبغي، فتشفى الصدور والغليل، وتزيح الداء عن العليل، ثُمَّ ذِكْر ما بعد ذلك إلى زماننا، ثُمَّ يقول بعد ذلك: وما ورد في ذلك من الكتاب والسُّنَّة والآثار والأخبار المنقولة عن العلماء وأنَّهم ورثة الأنبياء، الآخذون من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية، على مَن جاء بها أفضل الصلاة والسلام ؛ ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلاَّ ما أذن الشارع في نقله مِمَّا لا يخالف كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يُصَدَّق ولا يُكَذَّب، مِمَّا فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مِمَّا لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلِّي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنَّما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، مِمَّا صحَّ نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نُبَيِّنه، وبالله المستعان، وعليه التكلان " [1].

قال ابن تغري بردي عن كتاب البداية والنهاية: " وهو في غاية الجودة " [2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١/ ٥ - ٦

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١/ ٢٣٢

فهذا الكتاب عظيم القدر في تاريخ الإسلام، رَتَّبَ فيه ابن كثير حوادثه، ووفيات الأعيان فيه على حسب السنين الهجرية حتّى نهاية سنة ٧٦٧ هـ، وجمع فيه ما عمله المسلمون قبله خلال سبعة قرون، وقد أفاد من كتب التفسير، والحديث، والسيرة، والتاريخ، والتراجم ؛ فانتفع العلماء وطلاّب العلم منه على مَرِّ الأيّام في كافّة أنحاء العالم الإسلامي، فهو يعتبر مصدراً أساسياً يعتمد عليه في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، لما فيه من الدِّقّة، والتّمحيص، والنقد، والترجيح، والتعديل في الأخبار، وبيان الصحيح من السقيم، وذكر كثير من التراجم.

وهناك كُتُب استُخْرِجَت من كتاب البداية والنهاية، ونُسِبَت لابن كثير، منها:

**٩) بداية الخلق:** [١]

فيه ذكر بدء الخلق كما ورد من خلال آيات الكتاب الكريم والسُّنّة النبوية.

وفيه ذكر الكرسي، واللوح المحفوظ، وخلق السموات والأرض، وخَلْق البحار والأنهار، وخَلْق الملائكة، وخَلْق الجان، وقصة الشيطان.

**١٠) السيرة النبوية:** [٢]

---

(١) حقّقه وقام بدراسته: إبراهيم محمّد الجمل، ونُشِرَ عن طريق دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٠٨ هـ.

فيها أخبار العرب في الجاهلية، وسيرة الرسول ﷺ، وقيامه ﷺ، وجهاده ودعوته إلى الإسلام حتى وفاته.

وقد ذكر ابن كثير السيرة النبوية في تفسيره في سورة الأحزاب في قصة غزوة الأحزاب [1].

## ١١) الفصول في سيرة الرسول ﷺ: [2]

وهذا يبيِّن سيرة النَّبيِّ ﷺ، ويوضِّح غزواته، ثُمَّ يذكر أحواله ومعجزاته، وخصائصه.

وقد أشار ابن كثير إليه في تفسيره عند سورة الأحزاب [3].

## ١٢) شمائل الرسول ﷺ: [4]

---

⇐⇐

(٢) حقَّقها الدكتور مصطفى عبد الواحد في أربعة مجلَّدات، وطبعته دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان عام ١٣٩٦ هـ.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤٧٨/٣ حيث يقول: " وهذا كله مقرَّر مفصَّل بأدلته وأحاديثه، وبسطه في كتاب السير، الذي أفردناه موجزاً وبسيطاً، و لله الحمد والمنّة " والبداية والنهاية ٣٠٨/١٤

(٢) حقَّقه وعلَّق عليه كُل من الدكتور محمَّد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، وطُبِعَ في دمشق عام ١٣٩٩ هـ بمؤسسة علوم القرآن في مجلَّدٍ واحد.

وقبل ذلك نشر عن طريق دار الكتب العلمية، ببيروت، لبنان عام ١٤٠٥ هـ بمطبعة يوسف بيضون، لبنان.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٧٨/٣

ويذكر ابن كثير في هذا الكتاب أحوال الرسول ﷺ العمليـة في عبادتـه وخُلُقه، وهديه، ومعاملته، باعتباره الأُسوة والقدوة الحسنة لأمَّته ﷺ.

ثُمَّ يذكر شيئاً من دلائل نبوته ﷺ، وطرفاً من معجزاته ﷺ.

**١٣) ذكر مولد الرسول ﷺ وإرضاعه:** [١]

في هذه الرسالة ذِكْر نَسَب الرسول ﷺ، وزواج عبد الله والد الرسـول ﷺ بآمنـة أُمِّه ﷺ، وصفـة مولـده ﷺ، وذِكْـر رضاعـه ﷺ، وذكـر صفاتـه وشمائله وأخلاقه الطاهرة ﷺ.

**١٤) سيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله:** [٢]

ذكر ابن كثير ترجمة عمـر بـن عبـد العزيـز، وبعضـاً مـن خطبـه، وردِّه للمظالم، وسبب وفاتـه.

**١٥) قصص الأنبياء:** [٣]

---

⇐⇐

(٤) حقَّقه الدكتور مصطفى عبد الواحد، نشـر دار القبلـة للثقافـة الإسـلامية بجـده، طبعـة عـام ١٤٠٩ هـ.

(١) حقَّقه محمود الأرناؤوط، وياسين محمَّـد السـواس، وطبعتـه دار ابـن كثير للطباعـة والنشـر والتوزيـع، دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ.

(٢) قدَّم وعلَّق على الكتاب أحمد الشرباصي، بدون ذكر المطبعة وتاريخ الطبع والمكان.

(٣) حُقِّقَ وروجع من قِبَل لجنة مـن العلمـاء بإشـراف الناشـر، دار القلـم للطباعـة والنشـر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٠٨ هـ.

⇐⇐

سرد فيه سير الأنبياء والمرسلين وما جرى لهم مع أُمَمِهم، ثُمَّ صدَّر الكتاب بآياتٍ من كتاب الله تعالى توضِّح الغرض من قَصّ القصص في القرآن، قال تعالى: ﴿وكُلًّا نَقُصُّ عليك من أنباء الرُّسُل ما نُثَبِّت به فؤادك وجاءك في هذه الحقّ وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين﴾[1].

ففي القصص تقوية لعزيمة الرسول ﷺ وشد عضده للقيام بتبليغ رسالة الله عزَّ وجلَّ وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى والتحذير من الشرك. وفي القصص عبرة للمسلمين من بعده ﷺ.

**١٦) استشهاد الحسين، ومعه رأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية:** [2]

تعرَّض ابن كثير في ذلك إلى مولد الحسين، وصفته، وموقفه مع يزيد بن معاوية، وما جرى في إمارة يزيد من الحوادث والفتن، ثُمَّ ذِكْر استشهاد الحسين.

**١٧) الإسراء والمعراج، وهل رأى النَّبيُّ ﷺ ربَّه:** [3]

---

=

وحقّقه أيضاً محمَّد أحمد عبد العزيز، عن طريق دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ.

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠

(٢) قدَّم لهما: دكتور محمَّد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة، عام ١٣٩٧ هـ.

(٣) حقّقه وعلّق عليه: محمَّد عبد العزيز الهلاوي، دار الطلائع، القاهرة.

ذكر في هذا الكتاب، آية الإسراء، والأحاديث الواردة في الإسراء، ومتى وقع، وهل كان الإسراء في اليقظة أم في المنام ؟ وكيف كان معراجه ؟ وماذا رأى ﷺ ؟ وفرضية الصلاة، ثُمَّ العودة إلى مكة. (١)

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣

## كتب مفردة، عن البداية والنهاية أو قبلها:

**١٨) مناقب الإمام الشافعي:** [١]

جاء في هذا الكتاب ذِكْر اسم الشافعي، ومولده، ونشأته، ورحلته في طلب العلم، وذِكْر مشايخه، وفضائله، وثناء العلماء عليه، ومعرفته بالكتاب والسُّنَّة، وكلامه في أُصول العقائد، وذِكْر شمائله، وأوصافه، وأخلاقه، ورحلته إلى مصر، ووفاته. وابن كثير قد ذكره أيضاً في كتاب طبقات الشافعية.

**١٩) كتاب الفتن والملاحم.** [٢]

**٢٠) علامات يوم القيامة.** [٣]

**٢١) المسائل الفقهية التي انفرد بها الإمام الشافعي من دون إخوانه من الأئمة.** [٤]

---

(١) حقّقه وعلّق عليه: خليل إبراهيم ملاّ خاطر، نشر مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ.

(٢) صحّحه وعلّق عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر مؤسسة النور ومكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣ هـ.

(٣) تحقيق وتعليق: عبد اللطيف عاشور، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

(٤) دراسة وتحقيق الدكتور إبراهيم علي صندقجي، نشر وطباعة دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ هـ.

**٢٢) كتاب الاجتهاد في طلب الجهاد:** [١]

يرغب ابن كثير المسلمين في الجهاد في سبيل الله، لمحاربة الصليبيين، كما ذكر الآيات والأحاديث التي تتعلّق بالجهاد، ووجوبه، وفضله، ليحثّ النّاس على مقاومة الأعداء، دفاعاً عن أرض الإسلام، ثُمَّ ذكر هجوم الإفرنج على الإسكندرية.

**٢٣) أحاديث التوحيد والرد على الشرك.** [٢]

**٢٤) صفة الجنة وما فيها من النعيم المقيم.** [٣]

**٢٥) كتاب الدلائل:** معجزات النَّبيِّ ﷺ. [٤]

---

(١) حقّقه وعلّق عليه الدكتور / عبد الله عبد الرحيم عسيلان، نشر وتوزيع دار اللواء، الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٢ هـ.
كما حقّق الكتاب أيضاً الدكتور محمّد زينهم، عن طريق دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى عام ١٤١٣ هـ.

(٢) ذكره بروكلمان في الملحق (٤٨/٢) وأشار إلى أنّه مطبوع في الهند، دهلي، عام ١٢٩٧ هـ، وبشك في نسبته إليه.
انظر: ابن كثير - حياته ومؤلفاته - صـ ١٤٨

(٣) حقّقه وعلّق عليه: أبو عبد الرحمن محمّد عبد المنعم بن محمّد رشاد، صدر عن الدار البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ.

(٤) دراسة وتحقيق: محمّد عبد العزيز الهلاوي، طبع مكتبة دار الريان، القاهرة.

## ثانياً: المخطوط:

### ١) التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل: [١]

بيَّن ابن كثير أنَّه اختصر فيه (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) لشيخه جمال الدين يوسف المزيِّ. [٢]

وقد أشار إلى اسم الكتاب في اختصار علوم الحديث وقال: " وهو من أنفع شيء للفقيه البارع، وكذلك للمحدِّث ".[٣]

ذكر ابن حجر أنَّه يقع في خمسة مجلَّدات.[٤]

وقال ابن كثير في مقدمة جامع المسانيد: " وقد جمعت في ذلك كتاباً حافلاً كافياً كاملاً جامعاً لأشتات ما تفرَّق في غيره، وسميته: التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهل " [٥].

وقال ابن كثير - أيضاً -: " كاتب هذا الكتاب إسماعيل بن كثير عفا الله عنه، وكنت بدأت في جمع هذا الديوان من قبل سنة ٧٣٧ هـ في تسع مجلَّدات آخرها ليلة في النصف من شعبان سنة ٧٤١ هـ، والحمد لله

---

(١) انظر: شذرات الذهب ٦/٢٣١، وكشف الظنون ١/٤٧١، وهداية العارفين ١/٢٥١، ونسخته موجودة بدار الكتب المصرية برقم (٢٤٢٢٧).

(٢) انظر: ابن كثير - مؤلفاته وحياته - صـ ١٢١

(٣) انظر: اختصار علوم الحديث لابن كثير، تحقيق صلاح محمَّد عويضة، صـ ١٨٨

(٤) انظر: الدرر الكامنة ١/٣٩٩

(٥) انظر: جامع المسانيد، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ١/١٠

ظاهراً وباطناً، وكان الفراغ من هذا الكتاب في سابع ذي القعدة سنة ٧٤٤ هـ [١].

وقد أشار إليه ابن كثير في البداية والنهاية [٢].

**٢) الأحكام الكبير: [٣]**

وفي هذا الكتاب يعرض ابن كثير لذكر أبواب الفقه، مثل: كتاب الجنائز، المناسك، البيوع، المزارعة، اللباس، الحِيَل، الأذان [٤]. وقد أحال إليه في البداية والنهاية [٥]، والتفسير [٦].

**٣) إرشاد الفقيه إلى أدلة التنبيه: [٧]**

---

(١) انظر: رسالة الإمام ابن كثير المفسر صـ ٧٧

(٢) جاء ذكره في البداية والنهاية أكثر من مرّة.
انظر على سبيل المثال ٢٣٣/٣، ٣١/١٠ - ٣٦.

(٣) انظر: تذكرة الحفّاظ للسيوطي صـ ٣٦١، وطبقات المفسرين ١١١/١
يوجد هذا الكتاب بدار الكتب الوطنية بتونس برقم ١٦٨، وصورة منه في الجامعة الإسلامية، المكتبة المركزية، برقم ٦١٦. وانظر: تفسير ابن كثير ١٧٢/١

(٤) انظر: ابن كثير - حياته ومؤلفاته - صـ ١٣٣

(٥) ٢١٨/٣، ٢٥٢

(٦) ٢٨٢/١

(٧) توجد منه نسخة في مكتبة فيض الله أفندي بتركيا تحت رقم ٢/٧٨٢، وتوجد صورة مصورة بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية تحت رقم ٩٩٧ حديث، ويقوم الأستاذ إبراهيم السامرائي على تحقيقه بالجامعة الإسلامية.
وقد ورد ذكر الكتاب ونسبته لابن كثير في: هداية العارفين ٢١٥/٦، وأنباء الغمر ٣٩/١ - ٤٠، والدرر الكامنة ٣٧٤/١

⇐

يسوق فيه أدلة الأحكام المتعلقة بأبواب الفقه تبدأ بالسواك، إلى الشهادة.

**٤) شعب الإيمان:** [١]

يذكر فيه أحاديث وآثار تتعلّق بالإيمان، والصلاة، والزكاة.

**٥) آداب الحمامات** [٢].

**٦) كتاب العقائد:** [٣]

ألّف ابن كثير هذا الكتاب على أُصول أهل السُّنّة والجماعة في الاعتقاد وقسَّمه على فصول بأُسلوب سهل ميسَّر. وبهامشه علامات المهدي المنتظر لابن حجر.

**٧) قاعدة ابن كثير في القراءات** [٤].

---

⇐

وتوجد أيضاً منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية برقم ٣٧٣ حديث / مجموع.

(١) توجد نسخة مصوَّرة في مكتبة الشيخ / صبحي البدري السامرائي الخاصّة ببغداد، وتوجد منه نسخة مصورة في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية برقم ٩٧٧، عدد أوراقه أربعة أوراق، ولديَّ منه نسخة.

(٢) لدى الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل نسخة، وهو في الرياض ويعمل على تحقيقها.

(٣) توجد منه نسخة ضمن مخطوطات جامعة الملك عبد العزيز لدى المكتبة المركزية في جده تحت رقم ١٦/٢٣٩/مجموع، ولديَّ نسخة منه.

ويشك في نسبة كتاب العقائد لابن كثير لأمورٍ منها: المراجع القديمة لم تُشِر إليه حسب اطلاعي. وانظر: رسالة في منهج الإمام ابن كثير في تقرير عقيدة السلف، لعلي بن حسين يحي موسى، صـ ٣٥

٨) مقدمة في قراءة ابن كثير [١].

## ثالثاً: المفقود من مؤلّفات ابن كثير:

### ١) شرح صحيح البخاري: [٢]

شرح ابن كثير في ذلك لكنه لم يكمله، وقد أشار إليه في مؤلفاته، فقال عند ترجمة الإمام البخاري: وقد ذكرنا له ترجمة حافلة في أوّل شرحنا لصحيحه [٣].

وقد أحال إلى هذا الكتاب في تفسيره [٤].

ويذكر ابن كثير في هذا الكتاب طرق الحديث، واختلاف الرواة فيه، وفوائد مفيدة في الإسناد والمتن وغيرها.

### ٢) أحكام التنبيه: [٥]

---

⇐⇐

(٤) توجد نسخة منه في مكتبة الجامع الأزهر بمصر تحت رقم ٥٤٤، نقلاً عن مقدمة جامع المسانيد للدكتور قلعجي.

(١) توجد منه نسخة ضمن مخطوطات جامعة الأزهر بمصر تحت رقم ٥٦٤ نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) انظر: طبقات المفسرين ١/١١٠، وكشف الظنون ١/٥٥٠، وشذرات الذهب ٦/٢٣١، والدرر الكامنة ١/٣٣٩

(٣) انظر: البداية والنهاية ١١/٢٧، ٣/٤

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٥٤، ٤/١٠٦

(٥) انظر: البداية والنهاية ١٢/١٣٣

قال ابن العماد الحنبلي عن ابن كثير: " وألّف في صغره أحكام التنبيه " [1].

**٣) الكواكب الدراري: استخلصه من كتابه البداية والنهاية [2].**

**٤) مختصر المدخل إلى سنن البيهقي [3].**

**٥) رسالة في السماع [4]:**

ذكر فيها حكم الغناء في الإسلام.

**٦) كتاب الأذكار وفضائل الأعمال [5].**

**٧) كتاب أحاديث الأصول [6]:**

أشار إليه في تفسيره بقوله: " وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك، وقد ذكرنا طرفاً منها صالحاً في كتاب أحاديث الأصول ".

---

(١) شذرات الذهب ٦/٢٣١، وانظر: هداية العارفين ١/٢١٥

(٢) انظر: كشف الظنون ٢/١٥٢١

(٣) انظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث صـ ١٧

(٤) انظر: كشف الظنون ٢/١٠٠٢

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٤

(٦) انظر: تفسير ابن كثير ١/٥٥٥

٨) الأحكام الصغرى [١].

٩) المقدمات [٢].

١٠) سيرة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه [٣].

١١) سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [١].

١٢) مسند الشيخين رحمهما الله [٢].

١٣) كتاب الصيام [٣].

١٤) كتاب صفة النار [٤].

١٥) كتاب مقدمة في الأنساب [٥].

١٦) الصلاة الوسطى [٦].

١٧) الحواشي على زيادات مسلم ورواياته [٧].

---

(١) انظر: كشف الظنون ١/١٩

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٣٨، ومختصر علوم الحديث صـ ٣٩

(٣) انظر: البداية والنهاية ٧/١٨، وتفسير ابن كثير ٤/٢٢٥، والباعث الحثيث صـ ١٧٨

(١) انظر: البداية والنهاية ٧/١٨، وتفسير ابن كثير ٤/١٦٧، ٤١٧

(٢) انظر: ذيل تذكرة الحفّاظ للسيوطي صـ ٣٦١، وتفسير ابن كثير ١/٤٠٧، ٤٠٩

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/٢١٥، ٣/٥١٢

(٤) المصدر السابق ٤/٥٤٣

(٥) المصدر السابق: ٤/١٣٩

(٦) المصدر السابق ١/٢٩٤

(٧) انظر: البداية والنهاية ٣/٤

١٨) كتاب بطلان الجزية عن يهود خيبر [١].

١٩) كتاب بيع أمهات الأولاد [٢].

٢٠) كتاب في زواج أُمِّ سلمة من الرسول ﷺ [٣].

٢١) ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى [٤].

## رابعاً: الأجزاء من مؤلّفات ابن كثير:

١) جزء في ذكر الأحاديث الواردة في المهدي [٥].

٢) جزء في إنكاره ﷺ الزواج من عزة بنت أبي سفيان، وسبب اعتذاره ﷺ لأبي سفيان (الجمع بين الأُختين حرام) [٦].

٣) جزء في بناء المساجد وتطهير حماماتها وتطييبها وصيانتها من الأذى والنجاسات [٧].

٤) جزء في مسألة دخول مؤمني الجن الجنّة [٨].

---

(١) المصدر السابق ٤/٢٢٠

(٢) المصدر السابق ٥/٢٦٤

(٣) المصدر السابق ٤/٩٢

(٤) المصدر السابق ١٤/١٤٦

(٥) انظر البداية والنهاية ٦/٢٤٧ - ٢٤٨، والنهاية ١/٣٣

(٦) المصدر السابق ٨/٢٢، ١٢٢

(٧) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٧٢، ٣/٢٩٢

٥) جزء في فضل يوم عرفة [١].

٦) جزء في كفّارة المجلس [٢].

٧) جزء في الأحاديث الواردة في قتل الكلاب [٣].

٨) بطلان وضع الجزية عن يهود خيبر [٤].

٩) جزء في فتح القسطنطينية [٥].

١٠) جزء في الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها [٦].

١١) جزء في الأحاديث الواردة في فضل أيام العشر من ذي الحجة [٧].

---

⇐⇐

(٨) انظر: المصدر السابق ١٧١/٤

(١) انظر: المصدر السابق ٢٤٣/١

(٢) انظر: البداية والنهاية ٣٧/١١

(٣) انظر: المصدر السابق ٢٣٨/١٤

(٤) انظر: البداية والنهاية ٣٧/١١

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٣٦٧/١

(٦) انظر: المصدر السابق ١٧٠/٢

(٧) انظر: المصدر السابق ٢١٦/٣

١٢) فضائل الشيخين [١].

١٣) جزء مفرد في حديث الصور بطوله [٢].

١٤) جزء في مسألة الإخوان هل تسمَّى أُخُوَّة ؟ [٣].

## المبحث الثاني: مراسلاته ومكاتباته:

لقد أدرك علماء الإسلام ما للرسائل والكتابة من أهمية في نشر دعوة الإسلام، وتبليغها للنَّاس في كُلِّ مكان.

ولقد كان رسول الله ﷺ يكتب الرسائل ويبعث بها إلى الملوك والأمراء وغيرهم بقصد دعوتهم إلى الإسلام أو تذكيرهم به، فقد كتب إلى كسرى في بلاد فارس، وهرقل في بلاد الروم، والمقوقس بمصر، وكاتب أهل اليمن وملوكهم [٤].

---

(١) انظر: النهاية ١/١٢

(٢) انظر: النهاية ١/١٥٣، وتفسير ابن كثير ٢/١٤٩

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/٤٥٩

وزيادة في التفصيل لمؤلفات ابن كثير، انظر: ابن كثير - حياته ومؤلفاته صـ ٨٢، ورسالة الإمام ابن كثير المفسر صـ ٥٨، وجامع المسانيد: تحقيق صالح أحمد مصلح الوعيل ١/٦٧.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠٧، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/٤٩٤-٥١٤ ومجموعة الوثائق السياسية لمحمَّد حميد الله صفحة ١٠٠

وكانت هناك رسائل ومكاتبات لحكّام المسلمين وأمرائهم، بل أحياناً لغير المسلمين، كُلُّ ذلك بقصد الدَّعوة إلى الله تعالى، وبذل النّصيحة. ومِن هؤلاء العلماء: شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، وهو شيخ ابن كثير، فله رسائل ومكاتبات في الدَّعوة إلى الله تعالى، وبيان أُمور الدِين، حتّى وهو في السجن يحرِّر تلك الرسائل الدَّعوية في العقيدة والتفسير وسائر علوم الدين الإسلامي، رغم قِلّة توفر وسائل الكتابة، بل وصل الأمر إلى أن مُنِعَت عنه تلك الوسائل كالأقلام، والورق [1].

وابن كثير رحمه الله استفاد من جهاد وتضحية شيخه في العناية بالتأليف والكتابة والرسائل والمطالعة، فما زال على تلك الحال حتّى كُفَّ بصره، وضعفت قوته، أمَّا مآثره العلمية فقد انتشرت في حياته في البلاد، وانتفع بها المسلمون، وكانت سبباً لهداية غير المسلمين إلى الدين الإسلامي.

والكتابة تعتبر نوعاً من القول في الدَّعوة إلى الله تعالى، فالكاتب يكتب رسالة أو كتاباً، ويبعث بها إلى المدعوِّ الذي يراد دعوته إلى الإسلام.

وقد تكون طريق مؤلّفات وكتابات أحَد علماء الإسلام، فترسل إلى بلادٍ يقصد إيصال الخير إليهم، فتكون سبباً لهدايتهم ودخولهم الإسلام. والمسلمون الذين تصل إليهم هذه المؤلّفات والكتب يستفيدون منها.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٤/٤٥، ورسائل من السجن لابن تيمية، جمعها وقدَّم لها: محمَّد العبدة، نشر دار الأرقم، الكويت.

والله تعالى قد مدح المبلّغين دينه إلى خلقه بكافّة الطُّرُق المباحة المفيدة لإيصال الخير للغير، قال تعالى: ﴿الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله وكفى بالله حسيباً﴾[1].

قال ابن كثير: "يمدح تبارك وتعالى ﴿الذين يبلّغون رسالات الله﴾ أي إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ﴿ويخشونه﴾ أي يخافونه ولا يخافون أحداً سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ أي وكفى بالله ناصراً ومعيناً، وسيِّد النّاس في هذا المقام، بل وفي كُلِّ مقام محمَّد رسول الله ﷺ وقد امتثل أمر ربه في إبلاغ جميع ما أرسله الله تعالى به وقام به أتمَّ القيام، قال تعالى: ﴿يا أيها الرَّسُول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧

وعن مسروق [1] رحمه الله، عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَن حدَّثك أنَّ محمَّداً ﷺ كتم شيئاً مِمَّا أُنزل عليه، فقد كذب والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزِلَ إليك﴾ الآية [2].

فالرسول ﷺ بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح للأُمَّة في مشارق الأرض ومغاربها إلى جميع الأديان والشرائع، فإنَّه قد كان النَّبيُّ يبعثُ إلى قومه خاصَّة، وإنَّما بُعِثَ ﷺ إلى جميع الخلق، عربهم وعجمهم، قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾[3]، ثُمَّ ورث مقام البلاغ عنه أمَّته مِن بعده، فكان أعلى مَن قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلَّغوا عنه كُلَّ ما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ثُمَّ ورثه كُلُّ خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفَّقون، فنسأل الله الكريم المنَّان أن يجعلنا من خلفهم [4].

---

(١) هو: عبد الرحمن بن مالك بن أُمَيَّة بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى همدان، عالِم، قُدوة، ثقة، إمام، شاعر. مات عام ٦٣ هـ.
انظر: طبقات ابن سعد ٧٦/٦، وسير أعلام النبلاء ٦٣/٤

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك.. ١٠٣/٦ ، وتفسير ابن كثير ٧٧/٢

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٧٧/٢، ٤٩٢/٣ بتصرُّف.

ومِن مكاتبات ابن كثير وإجازاته، لقد ذكر في كتابه البداية والنهاية قصة شاب عجمي قدم من بلاد تبريز من أرض خراسان يزعم أنّه يحفظ صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وجامع المسانيد، وبعد أن ساق تفاصيل هذه القصة ذكر في آخرها قوله: " وفرح بكتابتي له بالسماع على الإجازة وقال: أنا ما خرجت من بلادي إلاّ إلى القصد إليك، وأن تجيزني، وذكرك في بلادنا مشهور " [1].

وفي ذلك دلالة واضحة على أنَّ كتابات ابن كثير انتفع بها أُناسٌ بعيدون عن موطن ابن كثير، لِمَا احتوت عليه تلك المكاتبات من الفوائد القيِّمة المُبيِّنة لأُمور الدين، والدَّاعيةِ لقبوله، والأخذ به، والتأثير فيه.

كانت مكاتبات ابن كثير تحمل في طيَّاتها الخير، والدَّعوة إليه. ذكر ابن كثير أنّه عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي، اجتمع فيه ثلاثة قضاة، وجمع كثير من النّاس على اختلاف مراتبهم ومكاناتهم، وحضر هذا الاجتماع نائب الشام سيف الدين منكلي بغا، وقد أحضر النائب محضران متعاكسان، أحدهما يثني على القاضي، والآخر يذمه، وقد عمل نائب الشام ذلك ليرى النّاس والحضور ذلك، فيسألهم عن القاضي، وابن كثير قد حضر هذا اللقاء، فقد دعى إلى هذا الاجتماع وقال: " وفيه خطي بأني ما رأيت فيه إلاّ خيراً " [2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣٠٩/١٤

(٢) البداية والنهاية ٣٣١/١٤

فهذا ثناء من ابن كثير لهذا القاضي فيما يعلمه عنه، وقد غلّب جانب الإحسان على غيره، وفي ذلك صيانة لمكانة القضاة، وأيضاً في ذلك إنصاف، وهذا يبيّن لنا ما يتمتّع به ابن كثير من التروي في إصدار الأحكام وتدوين المفيد في المكاتبات.

وقد بقيت تلك المآثر عن ابن كثير صالحة ومستنيرة ومحل تقدير وموضع قبول من النّاس، فانتفعوا بها، وفرحوا بها. فهذا يعتبر من ابن كثير موقف معتدل إصلاحي، وفيه دعوة إلى التزام الشرع، والتمسك بالدين، وفي ذلك الخير كله.

## المبحث الثالث: المناظرة والخطابة:

### المناظـــرة:

**المناظرة لغة:** من النظير، أو من النّظر بالبصيرة.

**واصطلاحاً:** هي النظرة بالبصيرة من الجـانبين في النسـبة بـين الشـيئين إظهـاراً للصواب [1].

لقد كان ابـن كثـير رحمـه الله علـى درجـةٍ كبـيرةٍ مـن العلـم والخُلُـق، ذو فكرٍ ثاقبٍ، ونقد بنّـاء، ورحابـة في الصـدر، واسـتقلال في الـرأي، ولديـه قدرة على الاحتمال في مقابلة الخصـم ومعرفـة مـا لديـه لإقامـة الحُجَّـة عليـه، وبيان الحق له، فإن كان يريد اتباع الحق أخذ بـه، وإن كـان غـير ذلـك فقـد ظهر أمره وعُـرِفَ حالـه. فـابن كثـير يسـعى لـرأب الصَّـدع، ومحبَّـة النُّصـح، ونصرة الحق وإحقاقه، والحكم بالعدل مع الخصم وغيره، فهدفـه الدِّفـاع عـن دين الإسلام والدَّعوة إليه، فلا يثأر لنفسه، ولا يتعصَّـب لرأيـه، حريصـاً علـى التمسك بالكتاب والسُّنّة، والدَّعوة إلى اتّباع السـلف الصـالح، ملتزمـاً بـالقيم والفضائل العليا في إرشـاده وتوجيهـه، ودلالتـه إلى الخـير في كُـلِّ لقاءاتـه مـع الناس.

لهذا كان من العلماء الأجلاّء، والدعاة المخلصـين المصلحين المجـاهدين، فأكسـبه ذلـك محبَّـةً وتقديـراً واحترامـاً في قلـوب الخَلْـق، فتجدهـم يـأتلفون إليـه، وينهلـون منـه، ويسـمعون لكلامـه، ويحرصـون علـى لقائـه، الموافقـون

---

(١) كتاب التعريفات للجرجاني، ص ٢٣١-٢٣٢

له والمخالفون له، ولقد شهد له شيخه الذّهبي رحمه الله بأنّه كان يناظر الخصوم، فقال عنه: " هو الإمام الفقيه المفتي المحدِّث الأوحد البارع ذو الفضائل " [1]. وقال أيضاً: " له عناية بالرجال والمتون والفقه، خرَّج، وناظر، وصنّف، وفسَّر، وتقدَّم " [2].

وترجمة الأستاذ لتلميذه، لهي من أعظم الدلائل على ما كان عليه التلميذ من النجابة، وبلوغه مرتبة عالية في العلم، ومقدرة كافية لإلزام الخصم الحُجَّة بعد قيام البيِّنة عليه، وإيضاح الحق له، لاتباعه وقبوله، وعدم الإعراض عنه وتركه.

وبيَّن أحد تلامذة ابن كثير، وهو أبو المحاسن الحسيني أنّه كان يناظر فقال عنه: " أفتى، ودرَّس، وناظر، وبرع في الفقه، والتفسير، والنحو، وأمعن النَّظر في الرجال والعلل " [3].

وقد جرت محاورة بين ابن كثير وأحَد كبار النصارى، تبيَّن من تلك المحاورة أنَّ ابن كثير أعلم بعقائد أهل الكتاب وأقوال أهل المِلَل والنِّحَل، وخاصّةً النّصارى حتّى من عامَّتهم.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: " وحضر عندي في يوم الثلاثاء تاسع شوَّال البطرك بشارة الملقّب بميخائيل، وأخبرني أنَّ المطارنة بالشام بايعوه على

---

(١) تذكرة الحُفّاظ ١٥٠٨/٤

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذيل تذكرة الحُفّاظ، صـ ٥٨

أن جعلوه بطركا بدمشق عِوَضاً عن البطرك بأنطاكية، فذكرت له أنَّ هذا أمرٌ مبتدعٌ في دينهم، فإنّه لا تكون البطاركة إلاّ أربعة بالإسكندرية، والقدس، وبأنطاكية، وبرومية، فنُقِل بترك رومية إلى اسطنبول وهي القسطنطينية، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك، فهذا الذي ابتدعوه في هذا الوقت أعظم من ذلك، لكن اعتذر بأنه في الحقيقة عن أنطاكية، وإنّما أذن له في المقام بالشام الشريف لأجل أنّه أمر نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملّتهم إلى صاحب قبرص، يذكر له ما حلَّ بهم من الخزي والنكال بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الإسكندرية. وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك اسطنبول، وقرأها عليَّ، من لفظه لعنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضاً، وقد تكلّمت معه في دينهم، ونصوص كُلّ ما يعتقده كُلٌّ من الطوائف الثلاث وهم: الملكية، واليعقوبية - ومنهم الإفرنج والقبط - والنسورية، فإذا هو يفهم بعض الشيء، ولكن حاصله أنّه حمار من أكفر الكُفّار لعنه الله "[1].

مِن خلال هذه الحادثة التي ساقها ابن كثير يتّضح لنا سعة إطّلاع ابن كثير على خفايا أهل الدِّيانات وأصحاب الفِرَق والأهواء وغيرهم، وأنّه قد جادلهم وناظرهم فأفحمهم.

ولا شكَّ أنّه قد أفاد من شيخه ابن تيمية رحمه الله تعالى الشيء الكثير، خاصّةً في كتابيه:

١) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح.

٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

---

(١) ١٤/٣٣٤-٣٣٥. وانظر: هداية الحيارى، صـ ١٧

لقد كان ابن كثير رحمه الله في مناظراته ينصف خصمه فلا يظلمه، بل إنَّ مَن يخالفه في الرأي والفكر، ويعارضه في مواقفه، يصفه بالحق والعدل، ولا يتجنّى عليه، ولا ينقصه صفة من صفاته، فيذكر محاسنه، ويتغاضى عن مثالبه، خصوصاً من أهل العلم والديانة، وتاريخه البداية والنهاية شاهدٌ على ذلك.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، حين ترجم للشيخ كمال الدين ابن الزملكاني، ترجم له ترجمة وافية منصفة، مع أنّه كان خصماً لشيخه ابن تيمية [1].

وكان بين ابن كثير وقاضي القضاة تقي الدين السبكي خصومة وخلاف، وحين وُجِّهَت التُّهم للسبكي، وطُلِبَ من المفتين أن يثبتوا دعواهم عليه، وطُلِبَ من ابن كثير الكتابة فيه أبى، وسُئِلَ عن الإفتاء فيه فامتنع [2].

وابن كثير يعتبر العدل من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو واجبٌ العمل به، لإعطاء الحق لصاحبه سواء كان قريباً أم بعيداً، عدوّاً أم صديقاً.

والعدل مطلوبٌ من الحُكّام والقضاة، ومِن كُلِّ صاحب ولاية، بل مرادٌ من المسلمين بعضهم مع بعض على اختلاف رتبهم وتنوع أعمالهم [3].

---

(١) البداية والنهاية ١٤/١٣٦ - ١٣٧

(٢) المصدر السابق ١٤/٢١٥ - ٢١٦

ويوضّح ابن كثير تلك المعاني في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قومٍ على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾[1].

فالله تعالى يأمر عباده المؤمنين أن يكونوا قوّامين بالحق لله عزّ وجلّ، لا لأجل الناس والسمعة، ويكونوا شهداء بالقسط، أي بالعدل لا بالجور، ولا يحملكم أيُّها المؤمنون بغضكم لقومٍ على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كُلِّ اَحَدٍ صديقاً كان أو عدوّاً، فعدلكم وقيامكم به أقرب للتقوى من تركه [2].

وقد صرّح ابن كثير بأنّه ناظر أحَد الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق [3].

---

(٣) انظر: ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسِّر المؤرِّخ الفقيه: للدكتور محمّد وهبة الزحيلي صـ ١٣٢ بتصرف.

(١) سورة المائدة، الآية: ٨

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٠ بتصرُّف.

(٣) البداية والنهاية ١٤/٢٦٢

## الخطابـــــة:

هي مصدر خَطَبَ يَخْطُبُ، أي صار خطيباً، وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلِّم، يقتدر بها على التَّصَرُّف في فنون القول، لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يرى منهم بترغيبهم، وإقناعهم[1].

فالخطابة لها منزلة كبيرة، وأهمية عظيمة في الإسلام، فالخطيب يُبَيِّنُ أحكام الدين، ويعالج ما يحدث في المجتمع من مشكلاتٍ، إلى غير ذلك مِمَّا ينبغي أن يعرفه الفرد والجماعة من قِبَل الخطيب في مجتمعه.

لذا نجد الإسلام شرع في كُلِّ أسبوعٍ خُطْبَة في يوم الجمعة، وفي الأعياد وفي المواسم كالحَجِّ.

والخطيبُ يستمدُّ خُطبته من الكتاب، والسُّنَّة، وأقوال السلف الصالح المعوّلة على تلكم المصدرين السابقين.

---

(١) الخطابة: اصولها، وتاريخها في أزهى عصورها عند لعرب، لنشيخ محمَّد أبي زهرة صـ ١٩

ولقد برع ابن كثير - رحمه الله - في هذا الجانب، فكان يخطب في مساجد دمشق.

قال ابن كثير: " وفي يوم الجمعة سادس عشر محرَّم، كملت عمارة الجامع الذي بالمزة الفوقانية، الذي جدَّده وأنشأه الأمير بهاء الدين المرجاني... إلى أن قال: وكنت أنا الخطيب و لله الحمد والمنّة " [1].

وقال ابن كثير أيضاً " وفي يوم الجمعة ثاني عشر رمضان، خطبتُ الحنابلة بجامع القبيبات " [2].

لقد ادَّى ابن كثير واجبه في مجال الخطابة، كما أدَّاه في غيرها، فكان يدعو إلى الإسلام والالتزام بمبادئه ظاهراً وباطناً، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتطهير النفوس من الأحقاد، والحثّ على الأُخوَّة في الله و لله، والتعاونِ على البرِّ والتقوى، وأن يقصد الإنسان بأعماله الله تعالى وحده، فيحرص على طلب مرضاته، لينال الثواب، ويحوز على الأجر من الله تعالى.

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/٢٢٧

(٢) المصدر السابق ١٤/٢٨٦

## المبحث الرابع: ثناء العلماء على جهوده:

إنَّ ابن كثير - رحمه الله تعالى - نال منزلةً علميةً رفيعة في عصره، فاعترف بفضله وعلمه شيوخه، كما أثنى عليه زملاؤه وأقرانه، وأشاد به تلاميذه ومَن جاء بعدهم.

وأكثر مَن ترجم له وصفه بقوَّة الذَّاكرة، وحِدَّة الذَّكاء، وكثرة الحفظ للمتون، وغيرها، ودِقَّة الضبط، والتحرِّي، والاستقصاء، والتحرير في مختلف فنون العلم والمعرفة، وخاصَّة في علم الحديث، والرجال، والتراجم، والتفسير، والتاريخ. وقد انتهت إليه رئاسة هذه الفنون ؛ ولم يحصل له ذلك إلاَّ بعد جُهْدٍ جهيدٍ، وعملٍ متواصلٍ دؤوب بلا ملل أو كلل، في الليل والنهار، حتى أضرَّ ذلك بصحته، كُلُّ ذلك في سبيل خدمة دين الله تعالى، والدَّعوة إليه، ونشره للخاصِّ والعام.

وقد خلَّف ثروة علمية هائلة، تتمثَّل في تصانيفه العديدة، ومؤلَّفاته الكثيرة، وكتبه القيِّمة المفيدة، التي انتفع بها النَّاس مِن بعده، ولا عجب في بلوغه هذه المرتبة من العلم، فقد عاصر ولازم وتتلمذ على أربعة علماء كبار، هم: ابن تيمية، والمزيّ، والذهبي، والبرزالي.

وكان ابن كثير صادق اللهجة، معتدلاً في الرأي، كسب ثقة الناس والحُكَّام لِمَا كان يتميَّز به من سلامة المنهج، وسرعة الخاطر، وخلقه الجم، وخفة الروح، والمروءة، والتواضع، وإظهار الحق، وحسن الفكاهة، والأمانة،

والأدب الرفيع، والقول السديد ؛ فهو يعتبر من أئمة الصَّلاح والتُّقى والإرشاد والهُدى. فكان جديراً بأن يُطْلَق عليه العالِمُ الفَذّ،والإمامُ الجليلُ، والمحدِّثُ الكبيرُ، والفقيهُ المتفَنِّنُ، والحافظُ الواعي، والمفسِّر القدير، والمؤرِّخ المشهور، والمفتي البارع، والواعظ المؤثِّر، والخطيب المفوَّه، والمدرِّس الواسع الاطلاع، والمؤلِّف الموفَّق، والقدوة الرَّاشد.

لهذا نجد عبارات العلماء في الثناء على علمه، وتقدير جهده، متنوعة. قال عنه شيخه الإمام شمس الدين الذهبي: " الإمام، المفتي، البارع، ثقة متفنِّن، ومحدِّث متقن، ومفسِّر نقّاد " (١).

وقال الحافظ الذهبي عنه أيضاً: " وسمعت مع الفقيه، المفتي، المحدِّث، ذي الفضائل، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي،... وله عناية بالرجال والمتون والتفقُّه، خرَّج، وألَّف، وناظر، وصنَّف، وفسَّر، وتقدَّم " (٢).

وقال تلميذه الحافظ شهاب الدين ابن حجي: " كان أحفظ مَن ادركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها، ورجالها، وصحيحها، وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من الفقه، والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيهاً، جيِّد الفهم، صحيح

---

(١) انظر: طبقات المفسرين ١/١١١، شذرات الذهب ٦/٢٣١، الدرر الكامنة ١/٤٠٠

(٢) تذكرة الحُفّاظ ٤/١٥٠٨

الذهن، ويحفظ (التنبيه) إلى آخر وقت، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، وينظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة تردُّدي إليه إلاَّ واستفدت منه " [1].

وقال تلميذه أبو المحاسن الحسيني الدمشقي، عن شيخه ابن كثير: " هو الشيخ، الإمام، العالِم، الحافظ، المفيد، البارع، عماد الدين، أبو الفداء... أفتى، ودرَّس، وناظر، وبرع في الفقه، والتفسير. والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل... " [2].

ووصفه تلميذه ابن الجوزي بقوله: " الشيخ، الإمام، مؤرِّخ الإسلام وحافظ الشام " [3].

وقال ابن حجر العسقلاني عن ابن كثير: " كان كثير الاستحضار، حسن الفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته " [4].

---

(١) إنباء الغمر ٣٩/١، وانظر: طبقات الشافعية ٢٣٨/٢، ومفتاح السعادة ٢٥٢/١، وطبقات المفسرين ١١١/١، وشذرات الذهب ٢٣١/٦

(٢) ذيل تذكرة الحُفَّاظ: ٥٨

(٣) المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد: ٣٠

(٤) الدرر الكامنة: ٤٠٠/١

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي عن ابن كثير: " الإمام، العلاّمة، الحافظ، عماد الدين، ثقة المحدّثين، عمدة المؤرّخين، علم المفسّرين، أبو الفداء... له مصنّفات " [1].

كما قال ابن حجرالعسقلاني عن ابن كثير: " ولم يكن على طريقة المحدّثين في تحصيل العوالي، وتمييز العالي من النازل، ونحو ذلك من فنونهم، وإنّما هو من محدّثي الفقهاء، وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصّلاح، وله فيه فوائد " [2].

وقد عقّب الإمام السيوطي على كلام ابن حجر بقوله: " العمدة في علم الحديث، معرفة صحيح الحديث، وسقيمه، وعلله، واختلاف طرقه، ورجاله جرحاً وتعديلاً، وأمّا العالي والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات لا من الأمور المهمّة " [3].

علماً بأنّ ابن حجر قد أثنى على ابن كثير في غير هذا الموضع، فقال: " وكان كثير الإستحضاء، قليل النسيان، جيّد الفهم، وكان يشارك في العربية، ويستحضر التنبيه، ويكرر عليه إلى آخر الوقت " [4].

---

(١) الرد الوافر: ٩٢

(٢) الدرر الكامنة: ١/٣٧٤

(٣) ذيل تذكرة الحُفّاظ للسيوطي : ٣٦٢

(٤) إنباء الغمر: ١/٤٥ - ٤٦

قال ابن تغري بردي عن الإمام ابن كثير: " هو الإمام العلاّمة، عماد الدين أبو الفداء، الحافظ، المفسِّر، المؤرِّخ، المعروف بابن كثير...، جمع، وصنّف، ودرَّس، وحدَّث، وألّف، وكان له اطّلاع عظيم في الحديث، والتفسير، والفقه، والعربية، وغير ذلك، وأفتى ودرَّس إلى أن توفِّيَ " [1].

وقال أبو طاهر [2] ابن حبيب الحلبي عن ابن كثير: " إمامُ ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنَّف، وأطرب الأسماع بأقواله وشنَّف، وحدَّث، وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير " [3].

ونقل ابن تغري بردي عن الإمام العيني، حين ترجم لابن كثير، والذي كان يعتمد عليه: " كان قدوة العلماء والحُفّاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع، وجمع، ودرس، وحدَّث، وألّف، وكان له اطّلاعٌ عظيمٌ في الحديث، والتفسير، والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم الحديث والتاريخ، وله مصنّفات عديدة مفيدة " [4].

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: ٢/٤١٥

(٢) هو: طاهر بن الحسن بن حبيب الحلبي الحنفي، أديب، ناظم، ناثر، مؤرِّخ، وُلِدَ سنة ٧٤٠ هـ، ومات سنة ٨٠٨ هـ. له تصانيف مفيدة.

انظر: شذرات الذهب: ٧/٧٥، الضوء اللامع: ٤/٣

(٣) انظر: شذرات الذهب: ٦/٢٣١، وإنباء الغمر: ١/٣٩

(٤) النجوم الزاهرة: ١١/١٢٤

ولَمّا سُئِلَ الحافظ العراقي عن أربعة تعاصروا أيُّهم أحفظ ؟ فأجاب: أوسعهم اطّلاعاً، وأعلمهم بالأنساب مغلطاي - على أغلاطٍ تقع منه في تصانيفه، ولعلّه من سوء الفهم - وأحفظهم للمتون والتواريخ ابن كثير، وأقعدهم لطلب الحديث، وأعلمهم بالمؤتلف والمختلف ابن رافع، وأعرفهم بالشيوخ المعاصرين، وبالتخريج الحسيني، وهو دونهم في الحفظ [1].

وقال ابن العماد يصف ابن كثير: " كان كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيِّد الفهم، يشارك في العربية وينظم نظماً وسطاً " [2].

وقال جلال الدين السيوطي عن ابن كثير: " الإمام، المحدِّث، الحافظ، ذو الفضائل... " [3].

وقال ابن قاضي شهبة - وهو من شيوخ ابن كثير - عن ابن كثير: " وأقبل على علم الحديث... وسمع الكثير، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد، والعلل، والرجال، والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب، وصنّف في صغره " [4].

---

(١) طبقات الحُفّاظ للسيوطي : ٥٣٣

(٢) شذرات الذهب: ٦/٢٣١

(٣) ذيل طبقات الحُفّاظ: ٣٦١

(٤) طبقات الشافعية: ٢/٢٣٧

وقال الداودي عن ابن كثير: " كان قدوة العلماء والحُفَّاظ... وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد، والعلل، والرجال، والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب " [٥].

وقال طاش كبرى زادة عن ابن كثير: " الفقيه، الشافعيُّ، الحافظ، عماد الدين... كان كثير الاستحضار، وقليل النسيان، جيِّد الفهم، صنَّف التَّصانيف الكثيرة في التفسير، والتاريخ، والأحكام " [١].

و لم يقتصر الثَّناء والإكبار والاعتراف بالفضل لابن كثير فقط من العلماء السابقين المتقدمين، بل شمل أيضاً العلماء والباحثين المتأخرين.

قال الإمام الشوكاني في ترجمة ابن كثير: " وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل... وأفتى ودرَّس، وله تصانيف مفيدة، منها: التفسير المشهور، وهو في مجلَّدات، وقد جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلَّم بأحسن كلامٍ وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير، إن لم يكن أحسنها، وله التاريخ المشهور، وقد انتفع الناس بمصنَّفاته، ولا سيما التفسير " [٢].

---

(٥) طبقات المفسرين: ١/١١٠

(١) مفتاح السعادة: ١/٢٥١ - ٢٥٢

(٢) البدر الطالع: ١/١٥٣

وقال الكتاني يصف ابن كثير: " الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر المعروف بابن كثير، المحدِّث، المتقن، البارع، ذو الفضائل والتصانيف التي سارت في البلاد في حياته " [٣].

وقال الشيخ أحمد شاكر يصف ابن كثير: " الإمام، الحافظ، الحُجَّة، المحدِّث، المؤرِّخ، الثقة، ذو الفضائل... وكان من أفذاذ العلماء في عصره، أثنى عليه معاصروه، وتلاميذه، ومن بعدهم الثناء الجمّ... فهو مستقل الرأي يدور مع الدليل حيث دار، لا يتعصَّب لمذهب ولا لغيره " [١].

وقال أيضاً في موضعٍ آخر: " ابن كثير، إمامٌ عظيمٌ من الأئمة الثِّقات المحقِّقين " [٢].

وقد وصَفَ ابن كثير كُلّ من الزركلي، وعمر رضا كحالة، والدكتور مصطفى عبد الواحد: بأنّه حافظٌ، مؤرّخٌ، فقيهٌ، محَدِّثٌ، مفسِّرٌ، واشتهر بالضبط والاستقصاء والتحرِّي، وانتهت إليه في عصره الرئاسة في التاريخ، والحديث، والتفسير [٣].

---

(٣) الرسالة المستطرفة: ١٧٥

(١) عمدة التفسير: ٢٥/١

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: ٦

(٣) انظر: الأعلام: ٣١٨/١ ، ومعجم المؤلِّفين: ٢٨٣/٢

ووصف ابن كثير أيضاً كُلٌّ من الدكتور مسعود بن عبد الرحمن الندوي والدكتور محمَّد الزحيلي: بأنّه عالمٌ غزيرٌ في العلم والمعرفة، عميقٌ في التَّفكير، مستقلُّ الرأي، مؤرِّخ، محدِّث، مفسِّر، فقيهٌ، داعيةٌ، مصلحٌ، مجاهدٌ، تقيٌّ، ورعٌ، مخلصٌ، طيِّبُ الذِّكر، غائبٌ بجسمه حيٌّ حاضرٌ بعلمه، ففضله عام، أجزل الله له المثوبة، ونفع الله المسلمين بعلمه [٤].

(٤) انظر: ابن كثير - حياته ومؤلَّفاته -: ٥٥، و ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسِّر المؤرِّخ الفقيه: ١٩٨

# الفصل الثاني

# جهوده وآثاره العملية

**وفيه خمسة مباحث**

المبحث الأول : جهوده في التدريس.

المبحث الثاني : الإفتـــاء.

المبحث الثالث : رحلاتـــه وأسفـــاره.

المبحث الرابع : محـــاربتـــه البـــدع.

المبحث الخامس: حثّه على الجهاد في سبيل الله تعالى.

## تمهيـــد..

لم يكن ابن كثير يتطلّع إلى المناصب أو الجـاه، مـع توفُّـر دواعيهمـا لـو أراد ذلك، وقد عُرِضَت عليـه وظـائف عُليـا عِـدَّة، فلـم يقبـل بهـا كالقضـاء وغيره، لأنّه آثر طلب العلم والتّعَمُّق فيه والبحث في مسائله، فحصل على علمٍ غزيرٍ، حيث لازم العلماء وحرص على مجالستهم. وقد عُدَّ من أفذاذ العلمـاء، فأقبل عليه طُلاّب العلم للأخذ مِمَّا تعلّمه.

وبرزت جهوده وآثاره العملية من خلال دروسه في المـدارس المختلفـة، وحلقات الوعظ والإرشاد والدعوة في عددٍ مـن جوامـع دمشـق. وأيضـاً مـن خلال الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر، وإسـداء النُّصح، فيتّصِل بالحُكّام والأمـراء، وحصـل علـى ثقتهـم بـه وقبولهـم لنصائحـه، وإصغـائهم لحديثـه وتذكيره، لأنّـه يطلـب ثـواب الله، فـلا يحـابي ولا يسـعى لطلـب المنزلـة، ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يخشى إلاّ الله تعالى فيما يقوم بـه مـن دعـوة لدين الله الخاصِّ والعامِّ ، فأفاد منه الناس وانتفعوا بعلومه، وكانت لـه مكانـة في التعليم وقبولاً لأقواله، وقد دُعِيَ لامتحانِ صَبِيٍّ قـوي الحفـظ فـأثنى عليـه، وشارك شيوخاً لامتحان شابٍّ متبحرٍ.

قال في حوادث سنة سـبعٍ وأربعـين وسـبعمائة: " وقـد صلّـى في شـهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانية صبيٌّ عمـره سـت سـنين، وقـد رأيتـه وامتحنته فإذا هو يجيد الحفظ والأداء، وهذا من أغربِ ما يكون " [1].

---

(١) البدايـة النهايـة: ٢٣٢/١٤

وقال أيضاً في حوادي سنة ثلاثٍ وستين وسبعمائة: " لمّا كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دُعِيت إلى بستان الشيخ العلاّمة كمال الدين ابن الشريشي شيخ الشافعية، وحضر جماعة من الأعيان، منهم الشيخ العلاّمة شمس الدين بن الموصلي الشافعي، والشيخ الإمام العلاّمة صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال، والشيح الإمام العلاّمة شمس الدين الموصلي الشافعي، والشيخ الإمام العلاّمة مجد الدين محمّد بن يعقوب الشيرازي من ذُرِّيَة الشيخ أبي إسحاق الفيروزآبادي، من أئمة اللغويين، والخطيب الإمام العلاّمة صدر الدين بن العز الحنفي، أحد البُلَغاء الفضلاء، والشيخ الإمام العلاّمة نور الدين علي بن الصارم، أحد القُرَّاء المحدِّثين البُلغاء، وأحضروا نيِّفاً وأربعين مجلّداً من كتاب المنتهى في اللغة للتميمي البرمكي، وقف الناصرية، وحضر ولد الشيخ كمال الدين ابن الشريشي، وهو العلاّمة بدر الدين محمّد، واجتمعنا كلُّنا عليه، وأخذ كُلٌّ منّا مجلّداً بيده من تلك المجلّدات، ثُمَّ أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد بها عليها، فينشر كُلاً منها ويتكلّم عليه بكلامٍ مبينٍ مفيدٍ، فجزم الحاضرون والسامعون أنّه يحفظ جميع شواهد اللغة ولا يشذ عنه منها إلاّ القليل الشاذ، وهذا من أعجب العجايب وأبلغ الأغراب " [1].

وقال في حوادث سنة سبعٍ وأربعين وسبعمائة: " وفي يوم الإثنين الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى، رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد، وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد، وربما ضرَّت الناس وقطعت عليهم

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/٣١٠

الطرقات في أثناء الليل، أمَّا تنجيسها الأماكن فكثيرٌ قد عمَّ الابتلاء بـه، وشـقَّ الاحتراز منه، وقد جمعت جـزءاً في الأحـاديث الـواردة في قتلهـا، واختـلاف الأئمة في نسخ ذلك، وقد كـان عمـر رضـي الله عنـه يـأمر في خطبتـه بذبـح الحمام وقتل الكلاب، ونصَّ مالك في روايـة ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بعينها، إذا أذِنَ الإمام في ذلك للمصلحة " [1].

وفي حوادث سنة إحدى وستين وسبعمائة قال ابن كثـير: " وفي أواخـر الشهر - يعني شهر ربيع الآخر - تكلَّم الشيخ شهاب الدين المقدسي الواعـظ قدم من الديار المصرية تجاه محراب الصحابة، واجتمع الناس إليه، وحضـر مـن القضاة الشـافعي، والمـالكي، فتكلَّـم على تفسـير آيـاتٍ مـن القـرآن، وأشـار إلى أشياء مـن إشـارات الصُّوفيَّـة بعبـاراتٍ طلقـةٍ معربـة حلـوة، صادعـة للقلوب، فأفاد وأجاد....وقد اجتمعت به بالمجلس فرأيته حسن الهيئة والكـلام والتأدُّبِ، فالله يصلحه وإيَّانا آمين " [2].

فكان ابن كثير - رحمه الله - في مشاركاته العملية، يسـعى للإصـلاح ونشر الإسلام والدَّعوة إليه على ضوء الكتاب والسُّنَّة ومنهج السلف الصـالح، فتعلَّم العلم النافع، وعلَّمـه للنـاس رغبـةً منـه في إخراجهـم مـن الظلمـات إلى النـور، فكان داعياً إلى الحَقِّ متحرياً لـه في دعوتـه، مقنعـاً مَـن يدعـو لقبولـه، مُحَذِّراً مَن خالفَ وحادَ عن صراط الله المستقيم.

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/٢٣٨

(٢) البداية والنهاية: ١٤/٢٨٤

## المبحث الأول: جهوده في التدريس:

من الأعمال التي اهتمَّ بها ابن كثير - رحمه الله، وحازت على جُلِّ وقته، التدريس، حتى أصبح من أعماله الأساسية..

حصل له عن طريق ثقة الحُكّام والأمراء، واتّصل بالناس، واجتمع لديه الطلاب والتلاميذ، فكانت الفائدة، وانتفع المسلمون بتلك الدروس، فكانت لقاءاته وحلقاته طيبة محبوبة.

قال ابن كثير في حوادث سنة ست وستين وسبعمائة: " وفي صبيحة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان، قدم الأمير سيف الدين بيدمر، الذي كان نائب الشام، فنزل بداره، عند مئذنة فيروز، وذهب النّاس للسلام عليه بعدما سلّم على نائب السلطنة بدار السعادة، وقد رسم له بطبلخانتين، وتقدمة ألف، وولاية الولاة من غزة إلى أقصى بلاد الشام، وأكرمه ملك الأمراء إكراماً زائداً، وفرحت العامة بذلك فرحاً شديداً بعوده إلى الولاية، وختمت البخاريات بالجامع الأموي، وغيره في عِدَّة أماكن، من ذلك ستّة مواعيد تقرأ على الشيخ عماد الدين بن كثير في اليوم، أولها بمسجد ابن هشام بكرة، قبل طلوع الشمس، ثُمَّ تحت النسر، ثُمَّ بالمدرسة النورية، وبعد الظهر بجامع تنكز، ثُمَّ بالمدرسة العزية، ثُمَّ بالكوشك لأم الزوجة الست أسماء بنت الوزير ابن السلعوس إلى أذان العصر، ثُمَّ من بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير علي، بمحلة القصاعين إلى قريب الغروب، ويقرأ صحيح مسلم بمحراب الحنابلة داخل باب الزيارة، بعد قبة النسر، وقبل النورية، والله المسئول وهو

المعين الميسر المسهِّل، وقد قرئ في هـذه الهيئـة في عِـدَّة أمـاكن أُخـر مـن دور الأمراء وغيرهم، و لم يعهد مثل هذا في السنين الماضية، فلله الحمد والمنَّة " [1].

فهذه المواعيد الستّة التي كان ابن كثير يؤديه في اليوم الواحد تدل على قوتـه وتحمله وعزيمته الوثابة، وهمته الكبيرة، وإخلاصه وصدقه في خدمة العلم وأهله، بقصد التقرُّبِ إلى الله تعالى، وطلب المثوبة منه تعالى، فهو يقضي يومه صابراً محتسباً بـاذلاً قصارى جهـده في إيضـاح أمـور الديـن، وأن ينتفـع بهـا الناس، يهونُ عليه التنقُّل في دمشق بين المساجد فيها والمدارس لغـرض التعليـم والتدريس والإصلاح والتربية والدَّعوة والإرشاد.

وفي مجال الإقراء وتدريـس القـرآن، عـدَّ الـداودي ابـنَ كثـير مـن جملـة القُرَّاء، وترجم له في طبقاتهم التي ألَّفها، ولكـن ابـن الجـزري لم يـترجم لابـن كثير في طبقات القُـرَّاء، ثُـمَّ تولّـى ابـن كثـير عمليـاً مشـيخة الإقـراء بمدرسـة أُمِّ الصَّالح [2].

وفي تدريس الحديث كانت لابن كثير عناية فائقة فيه، وحفظ كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ، وسمع من كبار المحدِّثين في مصر والشام، وأُطلِقَ عليه لفظ " الحافظ المحدِّث ".

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/٣٢٦ - ٣٢٧

(٢) انظر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق الشيخ / أحمد محمَّد شـاكر : ١/٢٤، وابن كثير الدمشقي: صـ ٩٨.

وقال ابن تغري بردي عن ابن كثير: " وجمع وصنّف، ودرَّس، وحدَّث، وألّف " [1].

وقال ابن حجر عن ابن كثير: " واشتغل بالحديث مطالعةً في متونه ورجاله " [2].

وقد وَلِيَ ابن كثير مشيخة دار الحديث [3]، وقال تلميذه ابن حجي: " كان ابن كثير أحفظ مَن أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان شيوخه وأقرانه يعترفون له بذلك " [4].

وقال تلميذه الحسيني: " أفتى ودرَّس وناظر، وبرع في الفقه والتفسير..." [5] الخ.

فكان ابن كثير يولي التدريس سواء في الحديث أم التفسير، عناية في الإعداد وإلقائه أمام الناس، إضافةً إلى ما يكون من دروسٍ وتذكيرٍ وتوجيهٍ في غيرهما.

قال ابن كثير في حوادث سنة ستٍ وثلاثين وسبعمائة: " وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى درَّس بالناصرية الجوانية بدر الدين الأردبيلي

---

(١) الدرر الكامنة: ٣٧٤/١

(٢) المنهل الصافي: ٤١٥/٢

(٣) الدارس في تاريخ المدارس: ٣٨/١

(٤) انظر: طبقات المفسرين: ١١/١، وطبقات ابن قاضي شهبة: ١١٤/٣

(٥) ذيل تذكرة الحُفّاظ للحسيني: صـ ٥٧

عوضاً عن كمال الدين بن الشيرازي، توفى، وحضر عنده القضاة، وفيه درَّس بالظاهرية البرانية الشيخ الإمام المقرئ سيف الدين أبو بكر الحريري عوضاً عن بدر الدين الأردبيلي، تركها لمَّا حصلت له الناصرية الجوانية، وبعده بيوم درَّس بالنجيبية كاتبه إسماعيل بن كثير عوضاً عن الشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني، تركها حين تعيَّن له تدريس الظاهرية الجوانية وحضر عنده القضاة والأعيان، وكان درساً حافلاً، أثنى عليه الحاضرون، وتعجَّبوا من جمعه وترتيبه، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[1] وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل " [2].

وقال ابن كثير في حوادث سنة ثمان وأربعين وسبعمائة: " وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أُم الصَّالح رحم الله واقفها، عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء، وبعض القضاة، وكان درساً مشهوداً و لله الحمد والمنَّة، أوردت فيه حديث أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إنَّما نسمة المؤمن طائر معلَّق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه**) [3].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨

(٢) البداية والنهاية: ١٤/١٨٣

(٣) المصدر السابق: ١٤/٢٣٦

وقال ابن كثير في حوادث سنة سبعٍ وستين وسبعمائة: درس التفسير بالجامع الأموي: " وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبعٍ وستين وسبعمائة حضر الشيخ العلاّمة الشيخ عماد الدين بن كثير درس التفسير، الذي أنشأه ملك الأمراء، نائب السلطنة، الأمير سيف الدين منكلي بغا رحمه الله تعالى، من أوقاف الجامع، الذي جددها في حال نظره عليه أثابه الله، وجعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسة عشر طالباً، لكلٍّ طالبٍ في الشهر عشرة دراهم، وللمعيد عشرون، ولكاتب الغيبة عشرون، وللمدرِّس ثمانون، وتصدق حين دعوته لحضور الدرس، فحضر، واجتمع القضاة والأعيان، وأخذ في أول تفسير الفاتحة، وكان يوماً مشهوداً، و لله الحمد والمنّة، وبه التوفيق والعفة " [1].

وهذا يدل على ممارسة ابن كثير للتدريس، وأنّه استفاد منه الجم الغفير من الطُلاّب والعلماء، ولذلك يقول الأستاذ / محمود رزق سليم: " وقَعَدَ للتدريس فأخذ عنه كثيرون " [2].

---

(١) البداية والنهاية: ٣٣٦/١٤ (وقد يكون هذا الكلام كلام تلميذه وليس كلامه هو).

(٢) انظر: ابن كثير الدمشقي: صـ ١٠١، وعصر سلاطين المماليك: ١٤٤/٤

## المدارس والمشيخات التي تولاَّها ابن كثير للتعليم والتدريس:

### ١ – المدرسة النجيبية:

تقع في دمشق، ملاصقة للمدرسة النورية من الغرب، أوقفها جمال الدين أغوش بن عبد الله الصالحي، وجعلها للشافعية.

وبدأ ابن كثير التدريس فيها في يوم الخميس سنة سبعمائة وستٍّ وثلاثين، والغالب أنَّه كان يسكنها ويُدَرِّس فيها إلى آخر عمره [١].

### ٢ – مشيخة أُمِّ الصَّالح:

وتُسَمَّى أيضاً (تربة أُمِّ الصالح)، وتعرف بالمدرسة الصالحية، وهي بدمشق. صرَّح ابن كثير بالتدريس فيها فقال: " وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ حضرت تربة أُمِّ الصَّالح – رحم الله واقفها – عوضاً عن الشيخ الذهبي، وحضر جماعة من الفقهاء وبعض القضاة، وكان درساً مشهوداً، و لله الحمد والمنّة " [٢].

### ٣ – دار الحديث الأشرفية:

---

(١) انظر: البداية والنهاية: ١٨٣/١٤ ، ٢٩٦/١٤، ٣٢١، والدارس في تاريخ المدارس: ٣٥٨/١، وابن كثير الدمشقي: صـ ١٠٨

(٢) انظر: البداية والنهاية: ٢٣٦/١٤، والدارس في تاريخ المدارس: ٢٨/١، ٢٤١، وطبقات الشافعية: ٢٣٧/٢، و طبقات المفسرين: ١١١/١

كانت مجاورة للحلقة بدمشق، بناها الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي في عامين، وبنى بجانبها مسكناً للشيخ الذي يُدَرِّس فيها، وأنشأ لها خزانة كتب أوقفها عليها، وأوقف عليها أوقافاً تكفيها، وقد درَّس ابن كثير فيها مدة يسيرة، ثُمَّ أُخِذَت منه [1].

**٤ – المدرسة الفاضلية:**

صرَّح ابن حجر أنَّ ابن كثير تولّى تدريس الفاضلية، وقال بعد ترجمته لشمس الدين محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الموصلي: " وتصدَّر بالجامع الأموي، وولي تدريس الفاضلية بعد ابن كثير " [2].

**٥ – المدرسة العزية:**

كان لابن كثير درس بهذه المدرسة بعد صلاة الظهر [3].

**٦ – المدرسة النورية الكبرى:**

أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر رحمه الله تعالى في سنة ثلاثٍ وستين وخمسمائة. وقيل: إنَّما أنشأها ولده الملك الصالح إسماعيل. وقد درَّس ابن كثير في هذه المدرسة، وكان موعدهم قبل صلاة الظهر من كُلِّ يوم [4].

**٧ – جامع تكنز:**

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/١٤٦ – ١٤٧، والدارس في تاريخ المدارس: ١/٢٧

(٢) أنباء الغمر: ١/٥٣

(٣) البداية والنهاية: ١٤/٣٢٧

(٤) البداية والنهاية: ١٤/٣٢١، وانظر: الدارس في تاريخ المدارس: ١/٤٦٦

درَّس ابن كثير في هذا الجامع الذي بناه سيف الدين تكنز عام ٧١٧ هـ في دمشق [١].

**٨ – مسجد ابن هشام:**

درَّس ابن كثير في هذا المسجد، وكان لقاؤهم قبل طلوع الشمس [٢].

**٩ – دار القرآن والحديث التنكزية:**

تولَّى ابن كثير مشيخة الحديث بالتكنزية بعد شيخه الذهبي، تقع بقرب الزورين والجوزية، وهي شرقيها، وقد كان سوق البزورية اليوم يسمَّى سوق القمح، وقد اشترى تكنز هذه الدار وجعلها داراً للقرآن والحديث بعد تعميرها وتحسينها [٣].

وابن كثير لم يقتصر أثناء التدريس والتحديث على كونهما عمله فحسب، بل تعدى ذلك إلى إعطاء الإجازة إلى مَن رغب فيها من طُلاَّب العلم، قال ابن حجر عن ابن كثير: " وقد أجاز لمن أدرك حياته " [٤].

وهذا يدل على سعة علم ابن كثير ومحبته لأهل العلم، فلا يحسد أَحَداً لسمو خلقه، ورحابة صدره، وسماحة نفسه، واهتمامه بطلاَّبه، وغالباً ما يستعمل في دروسه الترويح حتَّى لا يمل المستمعون، ويأخذ بالفضائل، متَّصِفاً بالحلم والأناة، والصدق، والأمانة، وهذا عامٌّ في كافَّة مشاركاته

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ: صـ ٥٨

(٢) البداية والنهاية: ١٤/٣٢١

(٣) البداية والنهاية: ١٤/١٣٨، وانظر: الدارس في تاريخ المدارس: ١/٩١

(٤) إنباء الغمر: ١/٤٠

العملية من النصح، والتذكير، والوعظ، والدعوة،والصدع بأمر الله تعالى، وبيان الحق، وإظهار دين الله تعالى، وهذا شأن العلماء المخلصين، والدعاة الناصحين الصادقين، العاملين بما تعلموا من العلم النافع والعمل الصالح، رغبة في الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

وإذا كان الله تعالى قد أمر الجُهَّال أن يتعلّموا ويسألوا أهل العلم عمَّا خفي عليهم، فقد أمر تعالى أهل العلم أن يُعَلِّموا النّاس على اختلاف طبقاتهم، ويحنوا عليهم، ويعلّموهم مِمَّا علّمهم الله، وقد أوضح ذلك ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ الآية [1]، قال ابن كثير بعد هذه الآية: " وفي هذا تحذيرٌ للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدالِّ على العمل الصَّالح، ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طُرُقٍ متعدِّدة عن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال: (مَن سُئِلَ عن علمٍ فكتمه أُلجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار) " [2].

ولقد سلك ابن كثير في تعليمه وتدريسه في المدارس وغيرها، طُرُق التعليم على اختلاف أنواعها وتعدُّدِ أشكالها مع المستمعين له من الطُلاَّب وغيرهم، فكان يسير على مواعيد مرتبة، وأوقات معينة مناسبة، وأسلوب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧

(٢) مسند الإمام أحمد: ٢/٢٩٦، ٤٩٩، وسنن ابن ماجه: ١/٨ في المقدمة، باب مَن سُئِلَ عن علمٍ فكتمه، وأبو داود، كتاب العلم، حديث ٣١٧٣، والترمذي، كتاب العلم، حديث رقم ٢٥٧٣.

واضح سهل، متسماً بالجودة والإحاطة بالمسألة، مبيناً للمستمع، محبوب الشارع أو مكروهه، وما الطريق إلى تحصيل المحبوب وإلى دفع المكروه أو تخفيفه، وتطبيق الأمور الواقعية على القواعد الشرعية ليتم فهمها، لأنَّ أكثر الشرائع الظاهرة والباطنة لا يمكن قيامها ولا العمل بها إلاَّ بتعليم أهل العلم وتذكيرهم بكُلِّ وسيلة وبكلِّ طريقٍ ومناسبة، لأنَّ المقصود من استخدام الوسائل والطُرُق المفيدة من قبل أهل العلم، هو إيصال العلم للناس، ورفع الجهل عنهم بقدر الإمكان [1].

## المبحث الثاني: جهوده في الإفتاء:

قال في القاموس: أفتاهُ في الأمر أبانَ له، وافْتَيا، والفتوى، وتُفتح، ما أفتى به الفقيه [2].

فالمُفْتِي هو: مَن يتصدَّى للفتوى بين الناس، وفقيه تعيِّنه الدولة ليجيب عمَّا يشكل من المسائل الشرعية [3].

وأفتى الفقيه في المسألة إذا بيَّن حكمها، واستفتيت إذا سألت عن الحكم، قال الله تعالى: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾[4]، ويقال منه: فتوى، وفُتْيا [5].

---

(١) انظر: الرياض الناظرة، والحدائق النيِّرة الزاهرة، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي صـ ١٠٠ - ١٠١

(٢) الفيروزآبادي: ٣٧٣/٤

(٣) المعجم الوسيط: ٦٨٠/٢

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٦

(٥) معجم مقاييس اللغة: ٤٧٤/٤

ويُطلق لفظ المفتي على المُخْبِرِ بالحق على غير جهة الإلزام به. ويطلق عند الأصوليين على المجتهد، وهو - أي المجتهد -: الباذل وسعه في النظر في الأدلة ليحصل على العلم أو الظّنّ بحكمٍ شرعيٍّ.

والمستفتي هو: طالب الفتوى، وهو مَن طلب الحكم الشرعيّ من المجتهد، فيدخل في ذلك العامّي والمتعلم الذي لم يبلغ درجة الاجتهاد [1].

والإفتاء أيضاً: هو إبلاغ عن الله تعالى، وإخبار عمَّا شرعه لعباده من أحكام [2].

إذاً فالإفتاء: درجة رفيعة، ومنزلة عالية، وواجبٌ كبير، ومسئوليةٌ عظيمة، وأمانةٌ جسيمةٌ، يتحمَّل ذلك أهل العلم ومَن يتأهَّل لذلك من طُلاَّبه، فيقومون بإبلاغ النّاس أمر الله ونهيه، طاعةً لله تعالى، طلباً للثواب وخوفاً من العقاب.

والإفتاء من مهمات الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، فقد بلّغوا شرع الله، وأخبروا أُمَمَهم بدين الله وأحكامه.

والإفتاء واجبٌ من واجبات العلماء والفقهاء، فهم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهما، وإنّما ورَّثوا العلم.

---

(١) انظر: تسهيل الوصول إلى فهم علم الأصول، تأليف: عطية محمَّد سالم، وعبد المحسن بن حمد العبَّاد، و حمود بن عقلا، ومراجعة عبد الرزّاق عفيفي صـ ٨٨ من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) انظر: أصول الدعوة: صـ ١٥

ولكون الإفتاء له مكانة رفيعة في الدين، فقد ذكر العلماء رحمهم الله شروطاً في المفتي، وبيَّنوا أنَّه لا يحل لأحَد أن يفتي في دين الله إلاَّ رجلٌ عارفٌ بكتاب الله، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيِّه ومدنيِّه، وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر، وما يحتاج إليه للسُّنَّة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد ذلك، فإذا كان هكذا فله أن يتكلَّم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي [1].

ولقد كان ابن كثير رحمه الله مِمَّن توفَّرت فيه هذه الشروط، كما اتصف بالعدل، والإنصاف، وسعة الاطلاع، وغزارة العلم، والصدق، والأمانة، لذلك تأهل للإفتاء، فاختير مفتياً، بل اعتبر من المفتين الرسميين للدولة في زمنه.

وقد أشاد به شيخه الذهبي رحمه الله، ووصفه بقوله: " الفقيه، المفتي"[2]، وقال أيضاً: " الإمام، المفتي، البارع " [3]، وبقوله كذلك: " الفقيه المتفنن " [4].

---

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم: ٤٦/١

(٢) انظر / تذكرة الحفّاظ: صـ ١٥٠٨

(٣) إنباء الغمر: ٣٩/١

(٤) طبقات ابن قاضي شهبة: ١١٤/٣

وقد أشار ابن حبيب - وهو من معاصريه - إلى انتشار فتاواه في البلاد فقال: وطارت أوراق فتاواه في البلاد " [1].

وقد أذن الشيخ جمال الدين أحمد بن محمَّد المعروف بابن القلانسي لابن كثير في الإفتاء [2].

وقد أذن ابن كثير في الإفتاء لبعض تلاميذه كابن سند، وسعد الدين النواوي [3]. وهذا الإذن من ابن كثير للطلاّب بعد معرفته لهم بالعلم وتأهلهم للفتوى.

قال الإمام الشوكاني عن ابن كثير: "وأفتى ودرَّس " [4].

وقال تلميذ ابن كثير الحسيني عن شيخه: " وأفتى، ودرَّس، وناظر " [5].

وقال ابن حبيب عن ابن كثير: " وأطرب الأسماع بالفتوى، وشنَّف " [6].

ووصف الدكتور / مسعود خان الندوي، ابن كثير بقوله: " كان ابن كثير من المفتين الكبار في عصره " [7].

---

(١) ذيل طبقات الحُفّاظ للحسيني: صـ ٥٨

(٢) الدرر الكامنة: ١/٣٠١

(٣) شذرات الذهب: ٦/٣٢٦، ذيل تذكرة الحفّاظ: صـ ٣٦٩

(٤) البدر الطالع: ١/١٥٣

(٥) ذيل تذكرة الفاظ: صـ ٥٨

(٦) شذرات الذهب: ٦/٢٣١

(٧) ابن كثير: حياته، ومؤلفاته : صـ ١٥٠

وقال الدكتور: محمَّد الزحيلي - بعد أن ذكر أقوال العلماء في تولي ابن كثير الإفتاء -: " وهذا يدل على تمكن ابن كثير رحمه الله تعالى بالفقه ومعرفة الأحكام الشرعية، وإخلاصه في علمه وعمله، وثقة الناس به، وأَخْذِ الطلاب عنه الفقه والإذن بالفتوى، وتوجيه القضاة والحكام الفتوى له في القضايا المهمة والخطيرة " [1].

وقال أبو الحسن الندوي عن ابن كثير: " واشتغل بالفتاوى... الخ " [2].

وقد بيَّن أهل العلم من خلال أقوالهم، وتدوينهم تراجم الأعلام، أنَّ ابن كثير تولَّى مناصب الإفتاء، وعرف الناس عنه الفتوى، وكان يحضر لقاءات الناس بناءً على طلبهم له، ويُدعى إلى مجالس التحكيم لفض المنازعات، والنظر في الخلافات المذهبية، صغيرة كانت أو كبيرة، وأيضاً له نظر في المسائل الفقهية الدقيقة، وكان يشهد ويشرف على المصالحات الكبيرة بين القضاة والعلماء، وحتَّى مجلس الأمراء قد دُعِيَ إليه وشارك فيه لأجل المصالحة والمناصحة، وكانت له مواقف مشهورة، وأقوال وآراء محمودة، أثمرت النجاح، فجمعت القلوب على المحبة والإخاء والصفاء والمودة.

وكان ابن كثير يفرح بنصرة الحق، وعلو الدين، وعزة المسلمين، وقد صدع بالحق بكل شجاعة وحزم، عن علمٍ وحكمة وفق منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

---

(١) ابن كثير الدمشقي، الحافظ، المفسر، المؤرِّخ، الفقيه: صـ ١٠٩

(٢) انظر: الحافظ أحمد بن تيمية، تأليف أبي الحسن علي الحسيني الندوي: صـ ٢٧٩

من المواقف التي أبان ابن كثير - رحمه الله - حكم الشرع، حميةً للدين، وانطلاقاً من دوافع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحساساً بروح الدعوة إلى الله تعالى، حين اطّلع على حادثة في المجتمع الذي عاش فيه، فيقول: " ركب على الكعبة باب حديد أرسله السلطان، مرصّعاً من السبط الأحمر، كأنّه ابنوس، مركّب عليه صفائح من فضّة زنتها خمسةٌ وثلاثون ألفاً وثلاثمائة وكسر، وقلع الباب العتيق، وهو من خشب الساج، وعليه صفائح تسلمها بنو شيبة، وكان زنتها ستين رطلاً، فباعوها كل درهم بدرهمين، لأجل التبرُّك، وهذا خطأ وهو ربا، وكان ينبغي أن يبيعوها بالذهب لئلاّ يحصل ربا بذلك " [1].

ومن مواقفه في إبانة الحكم في الفتوى قوله: " اجتمع القضاة بمشهد عثمان، وكان الفاضل الحنبلي قد حكم في دار المعتضد الملاصقة لمدرسة الشيخ أبي عمر يلبغا، وكانت وقفاً، لتُضَاف إلى دار القرآن، ووقف عليها أوقافاً للفقراء، فمنعه الشافعي من ذلك، من أجل أنّه يؤول أمرها أن تكون دار حديث، ثُمَّ فتحوا باباً آخر وقالوا: هذه الدار لم يستهدم جميعها، وما صادف الحكم محلاً، لأنَّ مذهب الإمام أحمد أنَّ الوقف يُباع إذا استهدم بالكليَّة، ولم يبق ما ينتفع به، فحكم القاضي الحنفي بإثباتها وقفاً كما كانت، ونفّذه الشافعي والمالكي، وانفصل الحال على ذلك " [2].

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/١٧٠

(٢) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٦

وكان ابن كثير رحمه الله تُوجَّهُ له الدَّعوة لحضور مجالس القضاء للنظر والإفتاء في القضايا العامَّة والخلافات الفقهية والمذهبية.

يقول ابن كثير: " عُقِدَ بدار السعادة مجلس حافل اجتمع فيه القضاة الأربعة، وجماعة من المفتين، وطُلِبْتُ فحضرت معهم بسبب المدرسة التدمرية، وقرابة الواقف، ودعواهم: أنّه وقف عليهم الثلث، فوقف الحنبلي في أمرهم عن ذلك أشد الدفاع " [1].

قال ابن كثير في حوادث سنة إحدى وأربعين وسبعمائة: " وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر شوال، عُقِدَ مجلس في دار العدل بدار السعادة، وحضرته يومئذٍ، واجتمع القضاة والأعيان على العادة، وأُحْضِرَ يومئذٍ عثمان الدكاكي - قبَّحه الله تعالى - وادَّعى عليه بعظامٍ من القول لم يؤثر مثلها عن الحلاّج ولا عن ابن أبي الغدافر السلقماني، وقامت عليه البيِّنة بدعوى الإلهية - لعنه الله - وأشياء أخرى من التنقيص بالأنبياء، ومخالطة أرباب الريب من الباجريقية، وغيرهم من الاتحادية - عليهم لعائن الله - ووقع منه في المجلس من إساءة على القاضي الحنبلي، وتضمَّن ذلك تكفيره من المالكية أيضاً، وادَّعى أنَّ له دوافع وقوادح في بعض الشهود، فرُدَّ إلى السجن مُقَيَّداً مغلولاً مقبوحاً، أمكن الله منه بقوته وتأييده، ثُمَّ لَمَّا كان يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي القعدة، أُحْضِرَ عثمان الدكاكي المذكور إلى دار السعادة وأُقيم بين يدي الأُمراء والقضاة، وسُئِلَ عن القوادح في الشهود فعجز فلم يقدر، وعجز عن ذلك، فتوجَّه عليه الحكم، فسُئِلَ القاضي المالكي

---

(١) المصدر السابق: ١٤/٣٢٢

الحُكْمَ عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله ﷺ، ثُمَّ حكم بإراقة دمه وإن تاب. فأُخِذ المذكور فضُرِبَت رقبته بدمشق بسوق الخيل، ونودي عليه هذا جزاء من يكون على مذهب الإتحادية، وكان يوماً مشهوداً بدار السعادة، حضر خلق من الأعيان والمشايخ، وحضر شيخنا جمال الدين المزي الحافظ، وشيخنا الحافظ شمس الدين الذهبي، وتكلّما وحرَّضا في القضية جداً، وشهدا بزندقة المذكور بالاستفاضة، وكذا الشيخ زين الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية، وخرج القضاة الثلاثة المالكي والحنفي والحنبلي، وهم نفذوا حكمه في المجلس، فحضروا قتل المذكور، وكنت مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره "[1].

وابن كثير في موقفٍ آخر نجده يقف مع الحق، ويبيِّن حكم الله تعالى، فقد ورد مرسوم سلطاني من الديار المصرية، مبنيٌّ على فتوى أفتى بها بعض فقهاء مصر وقضاتها بشأن مسك نصارى الشام الذميين وأخذ أموالهم، لعمارة ما خرَّبه نصارى قبرص في مدينة الإسكندرية بمصر، ولأجل إصلاح المراكب وتهيئتها لغزو الإفرنج انتقاماً منهم لما فعلوا بالمسلمين بالإسكندرية من اعتداءٍ وقتلٍ وسلبٍ وأسرٍ لأهلها، بالتضييق على النصارى، وطلبهم من بيوتهم بالقوَّة، وخافوا أن يقتلوا فهربوا كُلَّ مهرب، ففي ذلك يقول الإمام ابن كثير: " ولم تكن هذه الحركة شرعية، ولا يجوز اعتمادها شرعاً، وقد طُلِبْتُ يوم السبت السادس والعشرين من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة... فذكرت له أنَّ هذا لا يجوز في النصارى. فقال: إنَّ بعض

---

(١) البداية والنهاية: ٢٠١/١٤

فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك. فقلت له: هذا مِمَّا لا يسوغ شرعاً، ولا يجوز لأحدٍ أن يفتي بهذا، ومتى كانوا باقين على الذِّمَّة يؤدون إلينا الجزية، ملتزمين بالذلة والصغار، وأحكام المِلَّة قائمة لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد، الفرد، فوق ما يبذلونه من الجزية، ومثل هذا لا يخفى على الأمير. فقال: كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ولا يمكنني أن أخالفه ؟ وذكرت له أشياء كثيرة مِمَّا ينبغي اعتماده وإن لم يفعل ما يتوعدهم به. فكتب نائب السلطنة بالشام إلى الأمير الكبير في الديار المصرية، وجاء الجواب مرسوم سلطاني بردِّ ما أُخِذَ من نساء النصارى، وإبقاء ما كان يؤخذ عليهم وهو أداء ربع أموالهم [1].

إنَّ هذا الموقف لابن كثير مع نائب السلطنة في دمشق ومحاورته لإيضاح حكم الله تعالى وبيان الحق الذي يجب اتباعه، لهو موقف مشرف عظيم، يعطي الدعاة إلى الله تعالى الطريق الصحيح في مخاطبة أولي الأمر.

فابن كثير تلطَّف وتأدَّب وتحيَّن الوقت المناسب لمخاطبة الأمير بالأمر الشرعي الذي يريد بيانه من باب النصيحة لله، لا نفاقاً ولا رياءً، ولا مداهنةً لهذا الأمير أو كسب ودّ السلطان، فالمقصود بيان الحق لإعطاء العدل والإنصاف حتّى مع غير المسلمين، وهم النصارى أهل الذمة مع المسلمين.

فابن كثير أراد نصرة الحق، ضحَّى بكل شيء صابراً محتسباً مخلصاً لأجل إقامة العدل، وقد حصل ما أراد، فرُدَّ على النصارى ما أُخِذَ منهم، وهذا يدلُّ على نزاهة هذا العالِم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم.

---

(١) انظر: البداية والنهاية: ١٤/٣٢٨ - ٣٣٢

ومِمَّا يدل على بُعد نظر ابن كثير في أمر الفتوى ، ومقصود المستفتي، وما يريد بفتواه، لدى ابن كثير ملكة ومقدرة علمية وبصيرة نافذة، وفراسة واعية لما يريد أن يفتى به، فقد أراد أمير الشام سيف الدين بيدمر بسبب نزاعه مع الأمير يلبغا مدير الدولة في مصر أن يقوي جانبه بفتاوى العلماء، فأرسل استفتاء إلى أبرز علماء دمشق، ومن بين هؤلاء العلماء: أبو الفداء ابن كثير، فكان جواب ابن كثير وفتواه اتسم بالحكمة والشمول الذي لا يخرج عن حدود الشرع مع عدم التعرض للأذى بهذه الفتوى.

ونص الفتوى التي أرسل بها الأمير إلى ابن كثير: " ما تقول السادة العلماء في ملكٍ اشترى غلاماً فأحسن إليه، وأعطاه، وقدَّمه، ثُمَّ إنَّه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله، ومنع ورثته منه، وتصرَّف في المملكة، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقتله، فهل له الامتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يُقتل يكون شهيداً أم لا ؟ وهل يُثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفتونا مأجورين ".

فقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير: إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنيته في الذي يقصده، ولا يسعى في تحصيل حقٍّ معيَّنٍ إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة على ذلك، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقة، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها

في جمع الدولة والأُمراء عليه، فلابُدَّ أن يكتب عليها كبار القُضاة والمشايخ أولاً، ثُمَّ بعد ذلك بقية المفتين بطريقة، والله الموفق للصواب [1].

فعلى مَن طلب منه فتوى أن يدرك ما يقوله ويفتي به، فلا تصدر الفتوى إلاَّ عن علم وفهم، مبنية على كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، مراقباً لله تعالى، موقناً بأنَّ الله تعالى سيحاسبه حين الوقوف بين يديه.

ومن فتاوى ابن كثير ما ذكر هو عن نفسه في حوادث سنة ثلاثٍ وأربعين وسبعمائة فيقول: " وفي يوم الجمعة السادس عشر من صفر قبل العصر، ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة تقي الدين السبكي إليها حاكمها بها، فذهب الناس للسلام عليه ولتوديعه، وذلك بعدما أرجف الناس به كثيراً، واشتهر أنّه سيعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى الطنبغا، وإلى الفخري، وكتبت فتوى عليه بذلك في تغريمه، وداوروا بها على المفتين فلم يكتب أحد لهم فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفي رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة. وسُئِلت في الإفتاء عليها فامتنعت، لما فيها من التشويش على الحكام، وفي أوَّل مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويفتوا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف، وكانوا له في نية عجيبة، ففرَّج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية،

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/٢٩٥

فسار إليها صحبة البريد ليلة الأحـد، وخـرج الكـبراء والأعيـان لتوديعـه، وفي خدمته " [1].

وكذلك في معرض حضور مجالس القضاة والإفتاء ومساهمة ابـن كثـير في ذلك، قال في حوادث سنة سبعٍ وسـتين وسـبعمائة: " عقـد مجلـس بسـبب قـاضي القضـاة تـاج الديـن السـبكي: ولّمـا كـان يـوم الإثنـين العشـرين مـن ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب ما رمـى بـه قـاضي القضـاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وكنت مِمَّن طُلِـبَ إليه فحضرته فيمن حضر، وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة، وخلقٌ مـن المذاهـب الأربعة، وآخرون من غيرهم بحضرة نـائب الشـام سـيف الديـن منكلـي بغـا، وكان قد سافر هو إلى الديار المصرية إلى الأبواب الشريفة، واستنجز كتاباً إلى نائب السلطنة لجمع هذا المجلس ليسأل عنه الناس، وكان قد كتب فيه محضران متعاكسان، أحدهما له، والآخر عليه، وفي الذي عليه خط القـاضيين المـالكي والحنبلي وجماعة آخرين، وفيه عظـائم وأشـياء منكـرة جـداً ينبـو السـمع عـن استماعه، وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالثنـاء عليـه، وفيـه خطـي بأني ما رأيت فيه إلاّ خيراً، ولّما اجتمعوا أمر نائب السـلطنة بـأن يمتـاز هـؤلاء عن هؤلاء في المجلس، فصارت كل طائفة وحدها، وتحاذوا فيما بينهم، وتأصل عنه نائبه القاضي شمس الديـن الغـزي، والنـائب الآخـر بـدر الديـن بـن وهبـة وغيرهما، وصرح قاضي القضاة جمال الدين الحنبلـي بأنّـه قـد ثبـت عنـده مـا كتب به خطه فيه، وأجابه بعض الحاضرين منهم بدائم النفوذ، فبـادر القـاضي

(١) البداية والنهاية: ٢١٦/١٤

الغزي فقال للحنبلي: أنت قد أثبتت عداوتك لقاضي القضاة تاج الدين، فكثر القول، وارتفعت الأصوات، وكثر الجدال والمقال، وتكلّم قاضي القضاة جمال الدين المالكي أيضاً بنحو ما قال الحنبلي، فأجيب بمثل ذلك أيضاً، وطال المجلس فانفصلوا على مثل ذلك، ولمّا بلغت الباب أمر نائب السلطنة برجوعي إليه، فإذا بقية الناس من الطرفين والقضاة الثلاثة جلوس، فأشار نائب السلطنة بالصلح بينهم وبين قاضي القضاة تاج الدين - يعني وأن يرجع القاضيان عمّا قالا - فأشار الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل، وأشرت أنا أيضاً بذلك فلان المالكي وامتنع الحنبلي، فقمنا والأمر باقٍ على ما تقدّم، ثُمَّ اجتمعنا يوم الجمعة بعد العصر عند نائب السلطنة عن طلبه، فتراضوا كيف يكون جواب الكتابات مع مطالعة نائب السلطنة ففعل ذلك وسار البريد بذلك إلى الديار المصرية، ثُمَّ اجتمعنا أيضاً يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الآخر بعد الصلاة بدار السعادة، وحضر القضاة الثلاثة وجماعة آخرون، واجتهد نائب السلطنة على الصلح بين القضاة وقاضي الشافعية وهم بمصر، فحصل خلف وكلام طويل، ثُمَّ كان الأمر أن سكنت أنفس جماعة منهم إلى ذلك [1].

ومن أقوال ابن كثير في إيضاح حكم الله تعالى في المسائل أنّه اعتبر الوقيد بالجامع الأموي بدمشق احتفالاً بليلة النصف من شعبان بدعة، يتولّد منها شرور كثيرة في البلد، وقد استمرت هذه البدعة من عام ٤٥٠ هـ إلى حين أبطلها الملك الناصر حسن في سلطنته الأولى ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ، سنة

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/٣٣٠ - ٣٣١

٧٥١ هـ بعد ثلاثمائة سنة، فعبَّر ابن كثير عن فرحه وسروره بذلك ودعا لإطالة عمر السلطان دعاءً حارّاً [١].

(١) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٧

## المبحث الثالث: رحلاته وأسفاره:

لقد بدأ المسلمون العناية بالرحلات في سبيل طلب العلم منذ زمنٍ بعيدٍ، فقد رحل أَحَد الصحابة رضي الله عنهم إلى الشام، ورحل صحابي آخر إلى مصر لسماع حديث من أحاديث رسول الله ﷺ لم يسمعه ولم يبلغه أو للتثبت من ذلك [1]، ثُمَّ استمرَّ علماء الإسلام في الاهتمام بالرحلة لطلب العلم وسماع حديث رسول الله ﷺ، فيتركون ديارهم، ويفارقون أولادهم وأهليهم وأحبتهم لأجل ذلك، وطلباً لمرضاة الله ونيل ثوابه، وحُبّاً في نشر دين الله تعالى، وتبليغ الدعوة للناس.

وكان علماء الإسلام الذين رحلوا لطلب العلم، يتحمَّلون المشاق وتهون عليهم الصِّعاب، ويقطعون الفيافي والقفار لأجل سماع حديث من أحاديث رسول الله ﷺ لم يسمعوه، أو البحث في مسألة، أو التثبت من واقعة أو حادثة، أو تحقق من حال الرواة، كما كانوا يحرصون على التتلمذ على أيدي العلماء والمشايخ الذين يذهبون إليهم، ويلتقون بهم، ويبقون عندهم للمذاكرة معهم، وأخذ علومهم، والإجازة منهم، خصوصاً العلماء الحفَّاظ الذين تعمَّقوا في أكثر علوم الشريعة.

ومَن لم يرتحل في طلب العلم للبحث عن الشيوخ، والسياحة في الأخذ عنهم، فيبعُد تأهله لـيُرْحَل إليه، لأنَّ هؤلاء العلماء الذين مضى وقت

---

(١) انظر: بحوث في تاريخ السُّنّة المشرَّفة، للدكتور أكرم ضياء العمري: صـ ٢١٣

في تعلُّمِهم وتعليمهم، والتلقي عنهم لديهم من التحريرات، والضبط، والنكات العلمية، والتجارب ما يعز الوقوف عليه، أو على نظائره في بطون الأسفار [1].

لهذا اعتبر كثيرٌ من العلماء الرحلة في طلب العلم أمراً ضرورياً، وسماع حديث الرسول ﷺ، فكانوا يحرصون على معرفته والعلم به. وكان هذا الاهتمام من لدن الصحابة رضي الله عنهم، ثُمَّ من بعدهم، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " لو أعلم أحداً بكتاب الله مني لم تبلغه الإبل لأتيته " [2].

وقال سعيد بن المسيب - وهو أحَد كبار التابعين -: " إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام " [3].

ولَّما سُئِلَ الإمام أحمد بن حنبل عن طالب العلم هل يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه، أو يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم ؟ فأجاب: يرحل ويكتب عن الكوفيين والبصريين وأهل المدينة ومكّة وبالشام الناس يسْمَع منهم [4].

---

(١) حلية طالب العلم، لبكر بن عبد الله أبو زيد: صـ ٣٦

(٢) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي: صـ ٤٠٢

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ٩٤/١

(٤) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للحافظ العراقي: ٨٦/٣

وقال يحي بن معين: " أربعة لا تؤنس منهم رشداً، منهم رجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث " [1].

وقال إبراهيم بن أدهم: " إنَّ الله يدفع البلاء عن هذه الأُمَّة برحلة أصحاب الحديث " [2].

وابن كثير أثناء ترجمته للأعلام غالباً يذكر رحلات ذلك العالِم في طلبه العلم، والبلدان التي رحل إليها، مِمَّا يدل على اهتمامه برحلة طلب العلم والتفقُّه في دين الله تعالى.

قال ابن كثير في ترجمته لابن ماجه رحمه الله: " ارتحل إلى العراقيين، ومصر، والشام " [3].

وقال أيضاً في ترجمة لابن داود السجستاني: " أحد أئمة الحديث الرحالين إلى الآفاق في طلبه، جمع وصنَّف وخرَّج وألَّف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام، ومصر، والجزيرة، والعراق، وخراسان، وغير ذلك"[4].

---

(١) الرحلة في طلب الحديث، للبغدادي: صـ ٤٧

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: ٢/٨٧

(٣) البداية والنهاية: ١١/٥٦

(٤) المصدر السابق: ١١/٥٨

وقال كذلك في ترجمة لبقي بن مخلد: " وقد رحل بقي إلى العراق، فسمع من الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرها، يزيدون على المائتين بأربعة وثلاثين شيخاً " [1].

وقال ابن كثير عن أبي حاتم الرازي: " سمع الكثير وطاف الأقطار والأمصار " [2].

وقال أيضاً عن يعقوب بن سفيان بن حران: " وقد رحل في طلب الحديث إلى البلدان النائية، وتغرَّب عن وطنه نحو ثلاثين سنة " [3].

وقال الشعبي: لو أنَّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أنَّ سفره ضاع [4].

وقد انتقل ابن كثير في طلب الحديث النبوي الشريف، وسمع الحديث من كثيرٍ من أئمة الحديث الحفَّاظ وغيرهم في عصره، وله عناية بالسماع والإكثار منه [5].

---

(١) المصدر السابق: ٦٠/١١

(٢) البداية والنهاية: ٦٣/١١

(٣) المصدر السابق: ٦٣/١١ - ٦٤

(٤) جامع بيان العلم وفضله: ٩٥/١

(٥) مقدمة مسند الفاروق، لابن كثير، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي: ٤٢/١

ولكن يبدو أنَّ ظهور المدارس الإسلامية، ودور القرآن والحديث في البلاد الإسلامية وكثرتها منذ القرن السادس الهجري، وتعيين أشهر العلماء الحفّاظ البارزين في مختلف العلوم الإسلامية في تلك المدارس، أضعف وقلّل من أهمية الرحلة في طلب العلم وضرورتها القصوى التي كانت موجودة قديماً، وقد كانت القاهرة ودمشق في عصر المماليك مركزين رئيسين في العالم الإسلامي للعلم والمعرفة والثقافة والتربية والتعليم، وكانتا عامرتين بوجود مئات من العلماء الكبار الذين وقفوا حياتهم لنشر العلم، وتثقيف الأجيال الناشئة وإلقاء الدروس والمواعظ النافعة لعامَّة الناس، وكان العلماء والطلاب يقصدونهما في جميع أنحاء العالم الإسلامي لطلب العلم وزيادة المعرفة [1].

وجُلّ المترجمين الذين ترجموا للأعلام أثناء ترجمتهم لابن كثير لم يذكروا شيئاً عن أخبار رحلاته. والذي يظهر - والله أعلم - لكون ابن كثير كان يعيش في مدينة دمشق، والذي سبق كونها أحد المركزين الهامَّين في العالم الإسلامي.

وقد ذكر خير الدين الزركلي عبارة يسيرة، فقال عند ذكره ترجمة ابن كثير: " ورحل في طلب العلم "، ولم يذكر البلاد التي رحل إليها [2].

---

(١) انظر: ابن كثير، حياته ومؤلّفاته: صـ ٥١

(٢) الأعلام: ١/٣٢٠

والرحلات التي قام بها ابن كثير على قلّتها لم تكن بعيدة، فهي في الشام وما جاورها، وقد صرَّح ابن كثير في بعضها أنّها زيارة سواء للعلماء في البلاد التي رحل إليها مِمَّا لديهم من العلوم، أو لرؤية تلك الأماكن نفسها.

قال ابن كثير في ترجمته للشيخ المقرئ أبو عبد الله: " اجتمعت به وبحثت معه في هذه السنة حين زرت القدس الشريف، وهي أول زيارة زرته "[1].

وقال في حوادث سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة، وفي خامس وعشرين رجب درَّس بالبادرائية القاضي علاء الدين علي بن شريف ويُعرف بابن الوحيد، عوضاً عن ابن جهبل، توفي في الشهر الماضي، وحضر عنده القضاة والأعيان، وكنت إذ ذاك بالقدس أنا والشيخ شمس الدين بن عبد الهادي وآخرون "[2].

وعندما ترجم ابن كثير لشيخه الإمام العالم العابد شمس الدين أبو محمَّد عبد الله العفيف قال: قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعنا من القدس، كثيراً من الأجزاء والفوائد [3].

وفي رجوعه من القدس زار نابلس بطرابلس الشام، فهي في طريقه، كما وصل ابن كثير إلى الكرك [4].

---

(١) البداية والنهاية: ١٤/١١٣

(٢) المصدر السابق: ١٤/١٦٩

(٣) المصدر السابق: ١٤/١٩٠

(٤) المصدر السابق: ١٤/٢٢٤ - ٢٢٥

وقد زار ابن كثير مدينة بعلبك، وذكر ما شاهده من آثار السيول الكثيرة جداً حيث أتلفت كثيراً من الأشجار وغيرها [1].

## رحلته إلى الحَجِّ:

حين ذهب لأداء فريضة الحَجِّ، يذكر ابن كثير أنه كان في هذه الرحلة جمعٌ كبيرٌ من العلماء والمشايخ من دمشق، ويقول: اجتمع في ركبنا هذا أربعمائة فقيه، وأربع مدارس، ودار حديث، وكان معنا من المفتين ثلاثة عشر نفساً. وقد شهد ابن كثير تجديد عين باذان، وإصلاح عين تبوك. ووصف هذه الرحلة بأنَّ فيها رفقٌ عظيمٌ للحجَّاج، ووفر أمن، وتحسن الحال لأهل مكة وتبوك من توفير المياه لهم [2].

وقد استعاض ابن كثير عن السفر والرحلة إلى بلادٍ بعيدة بحصول الإجازة من علماء تلك الديار كمصر، وبغداد، وغيرهما، فأجازه الدواليبي من بغداد [3]، ومن مصر كل من المشايخ التاليةِ أسماؤهم: أبو الفتح الدبوسي، والقرافي، وعلي الواني، والختني [4].

---

(١) المصدر السابق: ١٤/٢٨٧

(٢) البداية والنهاية: ١٤/١٦١

(٣) المصدر السابق: ١٤/١٤٧

(٤) انظر: الدرر الكامنة ١/٣٩٩، ومحمد حمران في تحقيق الباعث الحثيث: صـ ١٥ والمنهل الصافي: ٢/٤١٥

## المبحث الرابع: محاربته البدع:

### البدعــة في اللغة:

بدع الشيء يبدعه بدعاً، وابتدع: أنشأه وبدأه، والبـدعُ: الشـيء الـذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾[1]، أي: مـا كنـت أول من أرسل. فقد أُرسِل قبـلي رُسُلٌ كثـيرٌ. والبدعةُ: الحـدث ومـا ابتـدع من الديـن بعـد الإكمـال، وأبـدع، وابتـدع، وتبـدَّع: أتـى ببدعـة، قـال تعـالى: ﴿ورهبانيةابتدعوها﴾[2].

والبديع: المبدع، وأبدعتُ الشيء: اخترعته لا على مثـال. والبديـع مـن أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهـو البديـع الأول قبـل كـل شيء، كما قال سبحانه: ﴿بديع السموات والأرض﴾[3] أي: خالقها ومُبْدِعهـا، فهو سبحانه الخالق المخترع لا على مثالٍ سابقٍ[4].

ولا يصح أن يسمى بالبديع غير الله تعالى[5]، لكونه اسماً من أسماء الله تعالى.

أمَّـا البدعـة في الاصطـلاح: فهـي مـا أحـدث في الديـن مـن طريقـة تضـاهي الشريعة بقصد التعبُّـد والتقـرُّب إلى الله تعـالى، ولـذا فالبدعـة تقـابل السُّـنَّة،

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٩

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٧

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠١

(٤) انظر: لسان العرب: ٦/٨

(٥) انظر: حرمة الإبتداع في الدين، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري: صـ ٨

غير أنَّ السُّنَّة هديٌ، والبدعة ضلالة، إذ السُّنَّة طريقة شرعية ثابتة بالوحي الإلهي، والبدعة طريقة مخترعة لم يشهد لها كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع [1].

ومن معاني البدعة في الاصطلاح أيضاً: أنها حدث في دين الإسلام، مِمَّا لا يلائم أصول الإسلام، ولا تقبلها قواعده من غير التفات إلى التفسير [2].

فكل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن، فإنَّ بدعته هذه مع كونها ضلالة تعتبر طعناً في دين الله عزَّ وجلَّ، وتعدّ تكذيباً لله تعالى[3] في قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[4].

والبدعة كذلك هي: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية [5].

---

(١) انظر: حرمة الإبتداع في الدين: صـ ٩

(٢) انظر: كتاب الحوادث والبدع، لأبي بكر محمَّد الطرطوشي، تحقيق محمَّد الطالبي: صـ ٣٤

(٣) انظر: الإبداع في كمال الشريعة وخطر الإبتداع، للشيخ محمَّد بن صالح العثيمين: صـ ٩

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣

(٥) انظر: الإعتصام: ٣٧/١ ، والإبداع في مضارّ الإبتداع، للشيخ علي محفوظ: صـ ٢٦

لذلك فإنَّ الرسول ﷺ وصحابته الكرام ومن بعدهم من أئمة الهدى السلف الصالح قد حذَّروا كلهم من البدع ومحدثات الأمور، وأمروا بالاتباع اتباع هدي رسول الله ﷺ وما جاء به من عند ربه، ففي ذلك النجاة من كل محذور والسلامة من كل فتنة.

والقرآن الكريم فيه آيات صريحة تحث على الاتباع، وعدم الابتداع، من ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[2].

قال ابن كثير عند تفسيره للآية الأولى: " هذه الآية الكريمة حاكمة على حال مَن ادَّعى محبَّة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنَّه كاذبٌ في دعواه في نفس الأمر حتَّى يتَّبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: (**مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**) [3]، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبَّتكم إياه، وهو محبته إياكم،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور: ١٣٤٤/٣، وتفسير ابن كثير: ٣٥٨/١

وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: " ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنّما الشأن أن تُحَبَّ "، ثُمَّ قال الله تعالى: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيم﴾ أي باتباعكم الرسول ﷺ يحصل لكم هذا من بركة سفارته، ثُمَّ قال تعالى آمراً لِكُلِّ أَحَد من خاصٍّ وعامٍّ: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولّوا﴾ أي تخالفوا عن أمره ﴿فإنَّ الله لا يحبُّ الكافرين﴾ فدلَّ على أنَّ مخالفته في الطريقة كُفْرٌ، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادَّعى وزعم في نفسه أنَّه محبٌّ لله ويتقرَّب إليه حتى يتابع الرسول النَّبيَّ الأُمِّي، خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، الذي لو كان الأنبياء، بل المرسلون، بل أولوا العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلاَّ اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته [1].

ويؤكد ابن كثير على أمر اتباع رسول الله ﷺ في كل شيء، وهو عام لكلِّ أَحَد، وأنَّ الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق من لدن الأنبياء والمرسلين على اتباع محمَّدٍ ﷺ وأممهم كذلك، وأيضاً حذَّر من البدع والابتداع في الدين، وأنَّ ذلك خسرانٌ في الدنيا والآخرة.

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٣٥٨

قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ ثُمَّ جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ۞ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[1].

يقول ابن كثير: " يخبر تعالى أنّه أخذ ميثاق كل نبيّ بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، لمهما أتى الله أحدهم من كتابٍ وحكمة وبلغ أي مبلغ، ثُمَّ جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع مَن بعث بعده ونصرته، ولهذا قال تعالى وتقدَّس ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمةٍ ثُمَّ جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني عهدي ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ۞ فمن تولى بعد ذلك﴾ أي عن هذا العهد والميثاق ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ قال علي ابن عمة العباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلاّ أخذ عليه الميثاق لئن بُعِثَ محمَّدٌ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه [2]. فرسول الله ﷺ هو الإمام الأعظم الواجب الطاعة، المقدَّم على الأنبياء جميعاً، وهو

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٨١ - ٨٢

(٢) تفسير الطبري: ٣/٣٣٢، وانظر: تفسير ابن كثير: ١/٣٧٨

إمامهم ليلة الإسراء ببيت المقدس، وصاحب الشفاعة العظمى، والمقام المحمود، صلوات الله وسلامه عليه [1].

## بداية ظهور البدع:

يتحدَّث ابن كثير عن بداية ظهور البدع في الإسلام، ويوضح أنَّ الخروج عن الحق وترك العمل به ضلال وجهل وباطل، وصاحبه قد خسر الدنيا والآخرة، وذلك عند قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فأمَّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنَّا به كُلٌّ من عند ربنا وما يذَّكر إلاَّ أولوا الألباب﴾[2].

فأهل الزيغ هم أهل الضلال الذين خرجوا عن الحق إلى الباطل، فيأخذون المتشابه في القرآن والسُّنَّة، ويتركون المحكم المبين، لأنَّ المتشابه يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه، أمَّا المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنَّه دامغ لهم وحجّة عليهم، وقصدهم من أخذ المتشابه لطلب الفتنة وإضلال أتباعهم إيهاماً لهم أنَّهم محتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجَّة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأنَّ القرآن قد نطق بأنَّ عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وتركوا

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٧٨/١

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧

الاحتجاج بقوله ﴿إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه﴾[1]، وبقوله تعالى: ﴿إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثمَّ قال له كُن فيكون﴾[2]، وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرِّحة بأنّه خلق من مخلوقات الله تعالى وعبدٌ ورسولٌ من رسل الله تعالى، وأهل الزيغ يحرفون النصوص من القرآن على ما يريدون.

وأخرج الإمام أحمد حديثاً عن النَّبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿فأمَّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتَّبعون ما تشابه منه﴾ قال: " هم الخوارج ". وفي قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ قال: " هم الخوارج "[3].

قال ابن كثير معلّقاً على هذا الحديث، وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفاً من كلام الصحابي، ومعناه صحيح، فإنَّ أوَّل بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسَّم النَّبيُّ ﷺ غنائم حنين فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنّه لم يَعْدِل في القسمة، فلمَّا جاءوه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة - بقر الله خاصرته - اعدل فإنّك لم تعدل، فقال رسول الله ﷺ: (**لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني**)، فلمَّا قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب - وفي رواية خالد بن الوليد - في قتله، فقال: (**دعه فإنّه يخرج من**

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٩

(٢) سورة آل عمران: ٥٩

(٣) مسند الإمام أحمد: ٢٦٢/٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٤٦/١

**ضئ ضئ [1] هذا – أي من جنسه – قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم)** [2].

ثُمَّ كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وقتلهم بالنهروان، ثُمَّ تشعَّبت منهم شعوب، وقبائل، وآراء، وأهواء، ومقالات، ونحل كثيرة منتشرة، ثُمَّ انبعثت القدرية، ثُمَّ المعتزلة، ثُمَّ الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ في قوله: **(وستفترق هذه الأُمَّة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النَّار إلاَّ واحدة)** قالوا: وما هي يا رسول الله ؟ قال: **(مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي)** [3].

قال الله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً﴾ [4].

---

(١) الضئيضئ: الأصل، يقال: ضئيضئ صدق، وضُؤْضُؤ صدق، وحكى بعضهم ضئيضيء بوزن قنديل، يريد أن يخرج من نسله وعقبه. انظر: النهاية: ٦٩/٣

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٣٤٤، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث رقم ١٠٦٤. وانظر: صحيح الجامع الصغير للألباني: ٣٣٢/٦ وقال: صحيح.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، حديث رقم ٣٩٨٠، والترمذي، كتاب الإيمان، حديث رقم ٢٥٦٥، وابن ماجة، كتاب الفتن، حديث رقم ٣٩٩١. وانظر: مستدرك الحاكم: ٢١٨/١ – ٢١٩، كتاب العلم.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩

يؤكد ابن كثير أهمية وضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة، والاعتماد عليهما في حال الخصومات، وبيان أمور الدين، وهذا اتباعٌ مأمورٌ به، مخالفٌ للابتداع المذموم، فيقول ابن كثير حول هذه الآية: " وهذا أمرٌ من الله تعالى بأنَّ كُلَّ شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه، أن يردّ التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيءٍ فحكمه إلى الله﴾[1]، فما حكم به الكتاب والسُّنّة، وشهدا له بالصحة، فهو الحق، وماذا بعد الحق إلاّ الضلالُ، ولهذا قال سبحانه: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي: رُدُّوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله، وسُنّة رسوله ﷺ، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾. فدلَّ على أنَّ مَن لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسُّنّة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر، وقوله ﴿ذلك خير﴾ أي التحاكم إلى كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ، والرجوع إليهما في فصل النزاع خيرٌ ﴿وأحسنُ تأويلاً﴾ أي وأحسن عاقبة ومآلاً وجزاءً[2].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٠

(٢) تفسير ابن كثير: ٥١٨/١

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيءٍ إنَّما أمرهم إلى الله ثُمَّ ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾[1].

فبعد أن ذكر ابن كثير رحمه الله أقوال السلف في الآية السالفة الذكر قال: " والظاهر أنَّ الآية عامَّة في كُلِّ من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإنَّ الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه، ولا افتراق، فمن افترق فيه ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي فرقاً، كأهل المِلَل والنِّحَل والأهواء والضلالات، فإنَّ الله تعالى قد برَّأ رسوله ﷺ مِمَّا هم فيه، وهذه الآية كقوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾[2] الآية.

وفي الحديث: (**نحن معاشر الأنبياء أولاد عِلاَّت ديننا واحد**) [3]، فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسُل من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، والرُّسُل بُرآء منها كما قال تعالى: ﴿لست منهم في شيء﴾، وقوله تعالى: ﴿إنَّما

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٤٤٣، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل عيسى عليه السلام: ١٨٣٧/٤،

أمرهم إلى الله ثُمَّ ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾، وكقوله تعالى: ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إنَّ الله يفصل بينهم يوم القيامة إنَّ الله على كُلِّ شيءٍ شهيد﴾[1]، فالله تعالى أخبر عن أهل الأديان المختلفة مِن المؤمنين ومَن سواهم وأنّه تعالى يحكم بينهم يوم القيامة بالعدل فَيُدْخِلُ مَن آمن به الجنّة، ومَن كَفَر به فله النّار، فإنّه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم عليهم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم [2].

## موقف ابن كثير من محاربة البدع:

لقد حذّر ابن كثير من جميع البدع، وبيَّن خطرها وآثارها السيئة على الفرد والجماعة. وحثّ على الاتباع والتأسي برسول الله ﷺ، وقد بيَّن ذلك في مؤلّفاته، ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم﴾[3]، فقال عند تفسيره لهذه الآية: ﴿فليحذر الذين يخالفون

(١) سورة الحج، الآية: ١٧

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٢، ٢١٠/٣ بتصرُّف.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣

عن أمره﴾ أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله، ومنهاجه، وطريقته، وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِلَ، وما خافه فهو مردودٌ على قائله وفاعله، كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **(مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)** [1]، أي فليحذر وليخش مَن خالف شريعة رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أي في قلوبهم من كُفْرٍ أو نفاقٍ أو بدعةٍ ﴿أو يصيبهم عذابٌ أليم﴾ أي في الدنيا بقتلٍ أو حَدٍّ أو حبسٍ أو نحو ذلك كما روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ استوقد ناراً فلمَّا أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فاقتحمن فيها – قال – فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذٌ بحجزكم من النار، هلُمَّ عن النار، فتغلبوني وتقتحمون فيها)** [2].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود: ٢١/٤، بلفظ: (من أحدث...) الحديث، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردٌ محدثات الأمور: ١٣٤٤/٤، سنن أبي داود، كتاب السُّنّة، باب لزوم السُّنّة: ٢٠٠/٤، سنن ابن ماجه، المقدمة: ٧/١، ومسند الإمام أحمد:١٤٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٠٧/٣

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٤٢٧، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أُمّته: ١٧٨٩/٤.

ويقول ابن كثير أيضاً مبيِّناً منهج السلف الصالح في محاربة البدع: " وأما أهل السُّنّة والجماعة فيقولون في كل فعلٍ وقولٍ لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة، لأنّه لو كان خيراً لسبقونا إليه، لأنّهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلاّ وقد بادروا إليها " [1].

ومن مواقف ابن كثير في محاربة البدع: الدفاع عن بعض أناسٍ لهم مواقف جليلة في إظهار الإسلام، وقد نسبت إليهم أمور لا تليق بهم، أو عكس ذلك، فذكر كلام الإصمعي عن أبيه أنَّ خالد القسري - وقد ترجم له - قد حفر بئراً بمكّة ادَّعى فضلها على زمزم، وله في رواية عنه تفضيل الخليفة على الرسول ﷺ، وهذا كفر، إلاّ أنّه يريد بكلامه غير ما يبدو منه، ثُمَّ قال ابن كثير: ".. والذي يظهر أنَّ هذا لا يصح عنه، فإنّه كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع، فقد قتل الجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد " [2].

ولمّا ذكر ابن كثير ترجمة ابن الراوندي قال عنه: " هو أحَد مشاهير الزنادقة، كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام، وقد وضع كتباً تبين خروجه عن الإسلام... "، ثُمَّ قال في آخر كلامه عنه [3]: " وهو مَن قال الله تعالى

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٤

(٢) انظر: البداية والنهاية: ٢٢/١٠

(٣) انظر: المصدر السابق: ١٢٠/١١

فيه: ﴿ولئن سألتهم ليقولنَّ إنَّما كنَّا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾" [1].

وفي حوادث سنة أربعٍ وستين وأربعمائة قال ابن كثير عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي: " لقد قام الشيخ مع الحنابلة في الإنكار على المفسدين والذين يبيعون الخمور، وفي إبطال المواجرات وهي البغايا " [2].

وحين يذكر ابن كثير بعض أهل الزيغ والضلال يوضِّح أفعالهم وبعدهم عن الإسلام، وفي ذلك عبرة للمسلمين للحذر من أفعالهم والتحذير منها والوقوع فيها [3].

ومِمَّا يدلّ على غيرة ابن كثير ومحبَّته للإسلام والدفاع عنه وفرحه وثنائه لما يقوم به الأمراء والحكام من إزالة المنكرات، فقال في حوادث سنة ثلاثٍ وثمانين وخمسمائة: " وأمَّا الصخرة المعظَّمة: فإنَّ السلطان - صلاح الدين الأيوبي - أزال ما حولها من المنكرات والصور والصلبان... " الخ [4].

وحين ترجم ابن كثير للسيدة نفيسة التي قد اشتهرت بكثرة عمل الخير والصلاح، قال في آخر ترجمتها: " وإلى الآن قد بالغ العامَّة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جداً، ولا سيما عوام مصر - وقد دُفِنَت هذه المرأة بمصر - فإنَّهم يطلقون فيها عبارات بشعة مجازفة تؤدي

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٥

(٢) البداية والنهاية: ١١٢/١٢

(٣) انظر على سبيل المثال: البداية النهاية: ٨٦/١١ - ٨٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٤١، ١٥٤، ١٦٢، ١٧١، ١٧٥، ٣٠٢، ٢٩٢/٨

(٤) المصدر السابق: ٣٤٨/١٢

إلى الكفر والشرك، وألفاظاً كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنّها لا تجوز، وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين، وليست من سلالته، والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات،وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النّبيُّ ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام، ومَن زعم أنّها تفك من الخشب، أو أنّها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك، رحمها الله وأكرمها " [1].

ونقل ابن كثير قول الإمام أحمد بن حنبل في أهل البدع: " قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز حين تمر ". ثُمَّ عقّب ابن كثير بقوله: " وقد صدَّق الله قول أحمد في هذا، فإنّه كان إمام السُّنّة في زمانه، وعيون مخالفيه أحمد ابن أبي دؤد، وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ولم يلتفت إليه، ولمّا مات ما شيَّعه إلاّ قليلٌ من أعوان السلطان.

وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زهده وورعه وتنقيده ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته، لم يُصَلِّ عليه إلاّ ثلاثة أو أربعة من الناس، وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يُصَلِّ عليه إلاّ طائفة يسيرة جداً، فللّه الأمر من قبل ومن بعد " [2].

وقال ابن كثير في ترجمته للخليفة المتوكل على الله: " وكان المتوكل محبَّباً إلى رعيته، قائماً في نصرة أهل السُّنّة، وقد شبَّهه بعضهم بالصِّدِّيق في قتله أهل الردَّة، لأنّه نصر الحق وردَّه عليهم حتى رجعوا إلى الدين، وبعمر

---

(١) انظر: البداية والنهاية: ٢٧٤/١٠

(٢) انظر: المصدر السابق: ٣٥٦/١٠

ابن عبد العزيز حين ردَّ مظالم بني أُمَيَّة، وقد أظهر السُّنّة بعد البدعة، وأخمد أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها، فرحمه الله عليه" [1].

وحين بيَّن ابن كثير - رحمه الله - ذم الله تعالى لمن أنكر قدرته على إحياء الموتى وأعرض عمَّا أنزل الله تعالى على أنبيائه، واتبع في إنكاره وكفره كُلّ شيطانٍ مريدٍ من الجن والإنس، قال بعد ذلك: " وهذا حال أهل البدع والضلال، المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزله الله على رسوله ﷺ من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال تعالى في شأنهم وأتباعهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2] أي علم صحيح [3]، ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾.

## ما ذكر ابن كثير عن شيخه ابن تيمية في محاربة البدع:

قال ابن كثير في حوادث سنة أربعٍ وسبعمائة: " وفي رجب أُحْضِرَ إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسعاً جداً، يسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق، فتناهبه الناس من كل جانب وقطّعوه حتّى لم يدعوا فيه شيئاً، وأمر بحلق رأسه وكان ذا شعر، وقلّم أظفاره، وكانت طويلة جداً، وحفَّ شاربه المسبل على

---

(١) انظر: المصدر السابق: ١٠/٣٦٥ - ٣٦٦

(٢) سورة الحَجّ، الآية: ٣

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٢٠٦

فمه المخالِف للسُّنَّة، واستتابه من كلام الفحش وأكل ما يغيِّر العقل من الحشيشة، وما لا يجوز من المحرَّمات وغيرها، وبعده استحضر الشيخ محمَّد الخباز البلاسي فاستتابه أيضاً عن أكل المحرَّمات ومخالطة أهل الذمَّة، وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلَّم في تعبير المنامات ولا في غيرها بما لا علم له به، وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد التاريخ، وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت بنهر قلوط تزار وينذر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً، وبهذا وأمثاله جسدوه وأبرزوا له العداوة، وكذلك بكلامه في ابن عربي وأتباعه، فحُسِدَ على ذلك وعُودِي، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم، ولا بالى، ولم يصلوا إليه بمكروه، وأكثر ما نالوا منه الحبس مع أنَّه لم ينقطع في بحثه لا بمصر ولا بالشام، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين، وإنَّما أخذوه وحبسوه بالجاه - كما سيأتي - يقصد في ترجمته - وإلى الله إياب الخلق وعليه حسابهم "[1].

قال ابن كثير في حوادث سنة ستٍ وعشرين وسبعمائة: " وفي يوم الثلاثاء حادي عشرين ربيع الأول بكرة، ضُرِبَت عُنُق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهبشي بسوق الخيل على كُفره واستهانته واستهتاره بآيات الله، وصحبته الزنادقة كالنجم بن خلكان، والشمس محمَّد الباجريقي، وابن المعمار البغدادي، وكُلٌّ فيهم انحلال وزندقة، مشهورٌ بها بين الناس ".. ثُمَّ قال ابن كثير عن المقتول: " وكان قتله عِزّاً للإسلام، وذُلاً للزنادقة وأهل البدع، وقد شهدت قتله، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية

(١) انظر: البداية والنهاية: ٣٦/١٤

حاضراً يومئذٍ، وقد أتاه وقرعه على ما كان يصدر منه قبل قتله، ثُمَّ ضُرِبَت عُنُقه وأنا شاهد ذلك " [1].

يتبيَّن لنا مِمَّا سبق أنَّ ابن كثير رحمه الله يحث على اتِّباع سُنَّة الرسول ﷺ، وسلوك طريق السلف الصالح، بذلك يكون المسلم متّبعاً للهدي النبوي سالماً من الابتداع، عنده خشية وخوف وذُلّ لله تعالى، وعبادة صحيحة، ويحصل على الإخلاص، ويسلم من الشرك، ويتحقّق له الفلاح والخير وإصابة السُّنَّة، والبعد عن البدعة، وراحة القلب وطمأنينته.

ولقد حذَّر ابن كثير من البدعة والابتداع، فالبدعة بريد الكفر، وهي زيادة في الدين الإسلامي لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ﷺ.

وبيَّن أيضاً أنَّ البدعة شرٌّ وجرمٌ عظيمٌ أكبر من المعصية. والشيطان يفرح بذلك أكثر من فرحه بالمعاصي الكثيرة الكبيرة، فالعاصي يفعل المعصية ويعلم أنَّها معصية فيتركها ويتوب إلى الله تعالى منها.

والمبتدع يفعل البدعة يعتقدها ديناً ويتقرَّب إلى الله تعالى بها، فلا يتوب منها.. والبدع تقضي على السُّنَن، وتكره إلى أصحابها فعل السنن وأهل السُّنَّة.. والبدعة تباعد عن الله تعالى، وتوجب غضبه ومقته، وتسبب زيغ القلوب وفسادها.. لذلك فالعلماء حذَّروا من البدع وبدعهم لما يترتب على ذلك من الأضرار في الدنيا والآخرة، كما بيَّن العلماء أنَّه يجب على ولاة

---

(١) المصدر السابق: ١٢٧/١٤، وأيضاً: ١٠١/١٤ - ١٠٢، ٢٢٢، ٢٦٢، ٣٢٥

الأمور الأخذ على أيدي المبتدعة، وردعهم عن شرهم، لأنَّ خطرهم يهدِّد الأُمَّة الإسلامية ويسعى لتفكيكها [1].

(١) انظر: القول المبين في ردِّ بدع المبتدعين، تأليف الشيخ عبد الله بن محمَّد الخليفي، إمام وخطيب المسجد الحرام.

## المبحث الخامس: حثه على الجهاد في سبيل الله تعالى:

**الجهاد لغةً:**

قتال العدو [1].

وجاهد في سبيل الله مجاهدةً وجهاداً. والاجتهاد، والتجاهد: بذل الوسع والمجهود [2].

وقال ابن الأثير: الجهاد: محاربةُ الكُفّار، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قولٍ أو فعلٍ، يقال: جهد الرجل في الشيء: أي جَدَّ فيه وبالغ، وجاهد في الحرب مجاهدةً وجهاداً [3].

ولفظ الجهاد يكون بكسر الجيم، يطلق أيضاً في اللغة على المشقة، يقال: جهدت جهاداً، بلغت المشقة [4].

**والجهاد شرعاً:**

هو بذل الجهد في قتال الكفّار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفُسّاق، فأمّا مجاهدة النفس فعلى تعلُّم أمور الدين، ثُمَّ على العمل بها، ثُمَّ على تعليمها. وأمّا مجاهدة الشيطان فعلى ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات. وأمّا مجاهدة الكفّار فتقع باليد والمال واللسان والقلب. وأمّا مجاهدة الفُسّاق فباليد ثُمَّ اللسان، ثُمَّ القلب [5].

---

(١) انظر: القاموس المحيط: ٢٨٦/١

(٢) مختار الصحاح: صـ ١١٤

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٣١٩/١

(٤) فتح الباري، شرح صحيح البخاري: ٣/٦

(٥) المصدر السابق: ٣/٦

**والجهاد شرعاً أيضاً:**

يطلق على قتال الكفار خاصّة بخلاف المسلمين من البغاة وقُطّاع الطريق وغيرهم [1].

ويراد بالجهاد كذلك: امتثال تكليف الله تعالى بما أمر ونهى، من قبل عباده. والرسول ﷺ قد جاهد قريشاً وقتل أشدهم بطشاً، وأحدَّهم نفساً حتى ظهر أمر الله وانقادوا له، فصاروا بعد ذلك من أهل الإحسان، واستقامت أمورهم [2].

**والجهاد شرعاً أيضاً:**

قتال الكفار ونحوه من ضربهم، ونهب أموالهم، وهدم معابدهم، وكسر أصنامهم، وغيرها، ويدخل في قتال الكفار دعوتهم إلى الدين الحق، وقتالهم إن لم يقبلوا [3].

## الجهاد ومكانته في الإسلام:

لقد واجه الإسلام منذ بداية ظهوره عبر القرون تحديات كبيرة، ومصادمات عنيفة، حيث قضى على الضلال والكفر والجهل، ودعا

---

(١) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس البهوتي: ٣/٢٨

(٢) انظر: حُجَّة الله البالغة، للشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي: ٢/١٧٠

(٣) انظر: كشّاف اصطلاحات الفنون، لمحمّد التهانوي: ١/١٩٧

إلى التحلّي بالأخلاق الكريمة والشريعة السمحة من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، إذ لا تصلح العبادة إلاّ له [1].

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبد الله مخلصاً له الدين ۞ ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار﴾ [2].

ولما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى عبادة الله تعالى، وترك عبادة من سواه، برز أرباب الكفر، فَسَخِروا من دعوته، ومِمَّن آمن به، بل أظهروا العداء، فحصل منهم الإيذاء ظلماً وعدواناً، وسعوا إلى إخماد هذا النور، وطمس هذه الدعوة، والقضاء عليها بكلّ ما يملكون من ألوان العنف، والاضطهاد، والتعذيب، والتشريد، وسلب الأموال، وانتهاك الحرمات، فلم يزد ذلك الرسولَ ﷺ ومن معه من المؤمنين، الصحابة الكرام الصادقين الصَّابرين إلاّ ثباتاً وقوةً وتمسُّكاً بدين الله تعالى، والإيمان به، والتوكل عليه، حتى ظهر أمر الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٤٥

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢ - ٣

والمؤمنون المخلصون، والدعاة الصادقون يبذلون أرواحهم رخيصة لله تعالى، وفي سبيله، لا يرجون إلاّ ثوابه ورضوانه، بعيداً عن أي عَرَضٍ من أعراض الدُّنيا ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[1].

فأهل الإيمان بالله تعالى هم الذين يستمرون على العهد والميثاق، فلا يغيِّرون عهد الله ولا ينقضونه ولا يبدلون، بل سمتهم الوفاء والصدق [2].

والجهاد في سبيل الله تعالى له منزلةٌ عاليةٌ في دين الله تعالى، فهو ذروة سنام الإسلام.

ولقد رغّب الله تعالى عباده المؤمنين في الجهاد في سبيله لإعلاء كلمته، وحثّهم على ذلك، ووعد المجاهدين في سبيله جنّات عرضها السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: " فهذا إخبار من الله تعالى بمحبَّته عباده المؤمنين إذا صُفُّوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله مَن كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان [4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٤٧٥

(٣) سورة الصَّف، الآية: ٤

(٤) تفسير ابن كثير: ٤/٣٥٨

والمسلمون إذا جاهدوا في سبيل الله تعالى، ونصروا دينه، فإنَّ الله تعالى بمنه وكرمه تكفَّل بنصر من ينصره، كما قال تعالى: ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره إنَّ الله لقويٌّ عزيزٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبِّت أقدامكم والذين كفروا فتعساً لهم وأضلَّ أعمالهم﴾[2].

قال ابن كثير: " ﴿إنَّ الله لقويٌّ عزيزٌ﴾ وصف نفسه بالقوة والعزة، فبقوته خلق كل شيء فقدَّره تقديراً، وبعزَّته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كُلّ شيء ذليلٌ لديه، فقيرٌ إليه، ومَن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور [3]، قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ۞ إنَّهم لهم المنصورون ۞ وإنَّ جندنا لهم الغالبون﴾[4].

وقد بيَّن ابن كثير أنَّ الله تعالى أخبر أنَّه عاوض من عباده المؤمنين من أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنَّة، وهذا من فضله

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠

(٢) سورة محمَّد، الآيتان: ٧ - ٨

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٣

(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣

وكرمه وإحسانه، فإنّه قبل العوض عمّا يملكه بما تفضّل به على عبيده والمطيعين له [1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [2].

وجاء في الصحيحين: (**وتكفّل الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلاّ جهادٌ في سبيلي، وتصديقٌ برُسُلي، بأن توفّاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمة**) [3].

وقال ﷺ: (**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**) [4].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٣٩١

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم: (**أُحِلّت لكم الغنائم**): ٤/١٨٩، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله: ٣/١٤٩٦، وتفسير ابن كثير: ٢/٣٩١

وقال ﷺ: (لروحةٌ في سبيل ا لله أو غدوة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع فيه - يعني سوطه - خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو أنَّ امرأة من أهل الجنّة اطلعت إلى أهل الدنيا لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها) [1].

وقال ﷺ: (القتل في سبيل ا لله يكفّر كُل خطيئة. فقال جبريل: إلاَّ الدَّيْن، فقال النَّبيُّ ﷺ: إلاَّ الدَّيْن) [2].

وعن عثمان، وأبي هريرة رضي ا لله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: (مَن مات مرابطاً في سبيل ا لله أُجْرِيَ عليه أجر عمل الصائم، وأُجْرِيَ عليه رزقه، وأُومِنَ من الفتّان، ويبعثه ا لله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر)[3].

## ابتداء مشروعية الجهاد في سبيل ا لله تعالى:

---

⇐⇐

(٤) انظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو: ٣/١٠، وجامع المسانيد والسنن: ٢٢/٣٨، وسنن النسائي، كتاب الجهاد، حديث رقم ٣٠٩٦.

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل ا لله: ٤/٧٠ - ٧١، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث ١٨٨٠.

(٢) انظر: سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء: ٤/١٧٥، وجامع المسانيد والسنن: ٢٢/٢٦٨

(٣) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الرباط في سبيل ا لله ٢/٩٢٤، والنسائي، في كتاب الجهاد، حديث رقم ٣١٦٧.

لمّا اشتد أذى المشركين على المسلمين في مكّة، وتمادوا في غيِّهم، واستمروا على عنادهم، وتطاولوا على الرسول ﷺ ومَن معه من المسلمين، وعمدوا على إخراجهم من مكّة، بل هَمُّوا في إخراج الرسول ﷺ بالفئة المؤمنة من الأنصار حين هاجر ﷺ إلى المدينة، وزاد عدد المسلمين، وأصبحت لهم قوة ومكانة، أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[1]. الآية.

فهذا إذن من الله تعالى لرسوله ﷺ برفع راية الجهاد في سبيل الله، والتّصدي لأعداء الله، ونشر دعوة الله تعالى وإبلاغها لكافّة الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

قال ابن كثير رحمه الله: " وإنّما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به لأنّهم لمّا كانوا بمكّة، كان المشركون أكثر عدداً، فلو أُمِرَ المسلمون وهُم أقلّ من العشر بقتالِ الباقين لشقَّ عليهم، ولهذا لمّا بايع أهلُ يثربَ ليلة العقبة رسولَ الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين قالوا: يا رسول الله ! ألا نميل على أهل الوادي - يعنون أهل منى - فنقتلهم ؟ فقال رسول الله ﷺ: (إني لم أُؤمر بهذا)، فلمّا بغى المشركون وأخرجوا النّبيَّ ﷺ من بين أظهرهم، وهمُّوا بقتله، وشرَّدوا أصحابه شذر مذر، فذهب طائفة

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩ - ٤٠

منهم إلى الحبشة، وآخرون إلى المدينة، فلمَّا استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله ﷺ واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره، وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجأون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أوَّل ما نزل في ذلك "[1]، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

وقال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحب المعتدين﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: " ﴿الذين يقاتلونكم﴾: إنَّما هو تهييجٌ وإغراءٌ بالأعداء الذين همَّتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم - أيُّها المسلمون - كما قال تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافَّة كما يقاتلوكم كافَّة﴾[3]، ولهذا قال سبحانه: ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾[4]، أي: لتكون همتكم منبعثة على قتالهم كما همَّتهم منبعثةٌ على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصاً.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٢٢٥

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٠

(٣) سورة التوبة: الآية: ٣٦

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩١

وقولـــه: ﴿ولا تعتـــدوا إنَّ اللهَ لا يُحِـــبُّ المعتدِيـــن﴾ أي قـــاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي كما قاله الحسن البصري من المُثْلَة، والغُلُول، وقتلِ النساءِ والصِّبيان والشيوخِ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان، وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة، كما قال ذلك ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، ومقاتل بن حيان، وغيرهم [1]. ولهذا جاء في صحيح مسلم عن بريدة أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: (**اغزوا في سبيل الله، قاتلوا مَن كَفَر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا الوليد، ولا أصحاب الصَّوامع**) [2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: (**اغزوا بسم الله، قاتلوا في سبيل الله مَن كفرَ بالله، لا تعتدوا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصَّوامع**) [3].

## حكم القتال في الإسلام:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٦/١

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الأمراء على البعوث: ١٣٥٧/٣، وتفسير ابن كثير: ٢٢٦/١

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ٥٠٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٢٦/١

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال ابن كثير عقب هذه الآية: " هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شَرّ الأعداء عن حوزة الإسلام. وقال الزهري: الجهاد واجب على كُلِّ أَحَد غزا أو قعد، فالقاعد عليه إذا استعين أن يعين، وإذا استغيث أن يغيث، وإذا استنفر أن ينفر، وإن لم يحتج إليه قعد [2].

ثُمَّ قال ابن كثير بعد ذلك: ولهذا ثبت في الصحَّيح: (**مَن مات ولم يغزُ ولم يُحَدِّث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية**) [3]. وقال عليه الصَّلاة السَّلام يوم الفتح: (**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإن استنفرتم فانفروا**) [4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/١

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم مَن مات ولم يغزْ: ١٥١٧/٣، لكن آخر الحديث: (**مات على شعبة من نفاق**)، وأبو داود، كتاب الجهاد، حديث رقم ٢١٤١، والنسائي، كتاب الجهاد، حديث رقم ٣٠٩٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/١. وانظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب وجوب النفير: ٨١/٤، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم رجوع المهاجرين إلى استيطان وطنه: ١٤٨٧/٣

وقوله تعالى: ﴿وهو كرهٌ لكم﴾ أي شديد عليكم ومشقة، وهو كذلك، فإنّه إمَّا أن يُقتَل أو يخرج مع مشقة السَّفر ومجالدة الأعداء، ثُمَّ قال تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾ أي لأنَّ القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداء، والإستيلاء على بلادهم وأموالهم وذراريهم وأولادهم ﴿وعسى أن تحبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم﴾ وهذا عامٌّ في الأمور كلها قد يحب المرء شيئاً وليس فيه خيره ولا مصلحته، ومن ذلك القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحُكْم، ثُمَّ قال تعالى: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ أي هو أعلم بعواقب الأمور منكم، وأخبَرَ بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم، فاستجيبوا له وانقادوا لأمره لعلّكم ترشدون " [1].

وقال ﷺ: **(أُمرت أن أقاتلَ النّاس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها وحسابهم على الله)** [2].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٢/١

(٢) انظر: مسند الفاروق، لابن كثير: ٤٦١/٢، وانظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة﴾: ٢٢/١، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله: ٥١/١

## الجهاد حماية للمسلمين، ودعوة لغيرهم إلى الإسلام:

لقد بيَّن ابن كثير - رحمه الله - أنَّ المسلمين حازوا على انتصارات عظيمة في جهادهم الكفَّار في عهد الرسول ﷺ والصحابة الكرام حتى تكونت دولة الإسلام، وعمَّت الدعوة إلى الله تعالى أرجاء المعمورة، وأصبحت لدى دولة الإسلام هيبة في الشرق والغرب.

والإسلام يُهَذّب النفس الإنسانية ويرتقي بها إلى الأفضل إلى الفطرة السوية التي فيها الخير والصلاح، كما أنَّ الإسلام يلفت الأنظار إلى التطلُّع إلى النعيم المقيم، والخلود في جنّات النعيم في الدار الآخرة، ويصرف النظر عن الدنيا الفانية المليئة بالمنغصات، ولا يظن الإنسان أنَّ القتل في سبيل الله تعالى ينتهي بالموت ولا عاقبة بعد ذلك حميدة، بل الجهاد في سبيل الله والموت فيه نقله من حياة ضيقة ليبدأ حياة أبدية فيها النعيم والخلود، قال الله تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩

فـا لله تعـالى يخـبر عـن الشـهداء، وأنّهـم إن قُتلـوا في هـذه الـدار، فـإنَّ أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار [1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[2] فالشهداء حياتهم في البرزخ قائمة، والله تعالى يرزقهم [3]، كما في الحديـــث: (**إنَّ أرواح المؤمنـــين في حواصـــل طيـــور خُضْر تسرح في الجنّة حيث شاءت، ثُمَّ تأوي إلى قناديل معلّقة تحت العرش**) [4].

والإسلام أعطى النفس الإنسانية دفعة قوية في الجهاد في سبيل الله، فلا خوف ولا هلع ولا جبن في ساحات الوغى ورؤية الموت، فالمؤمن موقن بحقيقة الموت، وأنَّ الله تعالى استأثر بعلمه، وأنَّ كُلَّ كائن حي صائر إلى الموت، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/١

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٤

(٣) تفسير ابن كثير: ١٩٧/١

(٤) المصدر السابق، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني: ٧٢٩/٢

ساعة ولا يستقدمون﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلاَّ بإذن الله﴾[2].

والجهاد كلمة عامَّة جامعة تشمل جميع الوسائل المشروعة التي توضِّح صراط الله المستقيم، وتخلص الناس من الضلالات والخرافات والكفر والإلحاد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - شيخ ابن كثير - رحمهما الله: " الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان "[3].

لذلك أصبح الجهاد وسيلةً وسبيلاً وسبباً لنشر دعوة الله تعالى، وإيضاح أحكام الدين، وإعلاء كلمة التوحيد، والعبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له، ونبذ التعلُّق بغير الله تعالى من الطواغيت وعبودية البشر وغيرهم ما تكون عبودية للبشر وهي في غير طاعة الله تعالى.

فالجهاد دعامة أساسية وركيزة قوية يأخذ بها المسلمون للحفاظ على هويتهم الإسلامية وممتلكاتهم، وحماية لأوطانهم، ودرعاً للدفاع عن أعراضهم، وقبل ذلك كله الدفاع عن عقيدتهم ودينهم الإسلام، والجهاد يبعث الرعب في قلوب أعداء الإسلام.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦١

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥

(٣) العبودية: صـ ١٠٤

ولقد تناول علماء الإسلام الجهاد وأحكامه، فأوضحوها للناس، ومِن بين هؤلاء العلماء والفقهاء، ابن كثير الدمشقي، فقد ألّف كتابه (الاجتهاد في طلب الجهاد) [1].

وقد حقّق هذا الكتاب كُلٌّ من الدكتور / عبد الله عبد الرحيم عسيلان، ونشرته مؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٤٠١ هـ.

وحققه أيضاً الدكتور محمَّد زينهم ونشرته دار الرشاد، القاهرة، عام ١٤١٢ هـ، وقد ألّف ابن كثير هذا الكتاب تلبية لطلبه ورغبة نائب السلطة بالشام الأمير منجك بن عبد الله سيف الدين اليوسفي [2] (ت٧٧٦هـ)، والذي طلب إليه أن يكتب ما تيسر من الكتاب والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور، ليرغّب الناس في ثواب المرابطة، ولأجل مقاومة الخطر الإفرنجي الذي استجدَّ تهديده منذ هجومهم على مدينة الإسكندرية سنة ٧٦٧ هـ، ولِمَا في المرابطة من حفظ حوزة الإسلام وأمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار في سائر الليالي والأيام، وقد بيَّن ذلك ابن كثير في مقدمة الكتاب.

---

(١) وانظر: البداية والنهاية: ٢٣٥/٣، ٦١/٦ حيث بيَّن ابن كثير مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم، وشجاعته وحبه للجهاد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة الله.

(٢) هو الأمير منجك بن عبد الله سيف الدين اليوسفي، يعرف بمنجك الكبير، كان في خدمة الناصر محمَّد بن قلاوون، واستقرَّ حاجباً بدمشق، وولي الوزارة بمصر، وتولّى السلطنة بالشام، وولي حلب.

انظر: الدرر الكامنة: ٢٣٠/٤، النجوم الزاهرة: ١٣٣/١١، خلاصة الأثر: ٢٣٠/٤.

فقام ابن كثير بتلبية الطلب، وكتب في أهمية الجهاد، وأورد الآيات القرآنية الدالة على فضل الجهاد وشرفه، والأحاديث النبوية الشريفة في فضل وبيان وجوبه لأجل حَثّ النّاس على مقاومة الأعداء، والدفاع عن أرض المسلمين.

ثُمَّ شرع في بيان الصراع الذي كان بين المسلمين والصليبيين، فكان من هجوم الإفرنج عن بعض الثغور الإسلامية، وتصدِّي المسلمين لهم، ويشيد بجهود الأمير منجك في تقوية المسلمين وتزويدهم بما يحتاجون لمقاومة الأعداء.

ثُمَّ عرض ابن كثير باختصار جهود المسلمين في الجهاد في سبيل الله في بلاد الشام على عهد رسول الله ﷺ والخلافة الراشدة، ومَن جاء بعدهم من الخلفاء، إلى أن دانت البلاد شرقاً وغرباً للمسلمين.

كما ذكر ابن كثير ما أحدثه الصليبيون من الاستيلاء على بيت المقدس وكيف تصدَّى لهم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، وانتزعه من أيديهم، واسترجع البلاد المجاورة، مثل غزة، وبلاد الكرك، وغيرها من بلاد الشام.

ثُمَّ أشار ابن كثير إلى ما كان من الصراع بين المسلمين والنصارى حول مدينة عكا.

ثُمَّ بيَّن ابن كثير عظمة الإسلام وعزته، وقوة الأُمَّة المسلمة إذا تمسَّكت بدينها وتأييد الله تعالى لها [1].

---

(١) انظر: كتاب الإجتهاد في طلب الجهاد، لابن كثير، وهو مطبوع.

# الفصل الثالث

# نماذج من مواعظه

**وفيه خمسة مباحث**

المبحث الأوّل: في الحثّ على إخلاص التوحيد.

المبحث الثاني: في الحثّ على طلب العلم والتفَقُّه فيه.

المبحث الثالث: في الحثّ على التوبة.

المبحث الرابع: في النّهي عن السماع.

المبحث الخامس: في ذمّه لعلم الكلام.

## مدخل لنماذج مواعظ ابن كثير:

اتّسمت مواعظ ابن كثير رحمه الله بمنهج السلف الصالح رحمهم الله، من محبّة الخير للناس والدلالة عليه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فنجد ابن كثير في تفسيره لآيات القرآن الكريم خاصّة، وفي ثنايا كتبه عامّة، يحث على لزوم طريق الحق، صراط الله المستقيم، ففيه الهدى والخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

والمسلم الصادق هو الذي تظهر عليه آثار التقوى من الخوف من عقاب الله تعالى، والطمع في ثوابه، والسداد في حياته، فيجتنب المحارم والمآثم، ويفعل الطاعة، ويعمل العمل الصالح، لأنّه موقن بأنّ الله تعالى مطلع ورقيب ومحاسب، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وسيجازي كُلاً بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

والله تعالى أبان الحق وأوضحه في كتابه العزيز، وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قد أفلح مَن تزكّى ۞ وذكر اسم ربه فصلّى﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾[2]، وقال عزّ وجلّ: ﴿قد أفلح من زكّاها ۞ وقد خاب من دسّاها﴾[3].

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤ - ١٥

وجاء في الحديث الصحيح: (كُلُّ النَّاس يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقها، أو موبقها)[1].

وقال ﷺ: (كُلُّ نسمة تولد على الفطرة حتّى يعرب عنها لسانها، فأبواه يهودانها أو ينصرانها)[2].

فالمواعظ والحكم متى صدرت من مسلمٍ غيورٍ على أُمَّته المسلمة، يكون لها وقع على النفوس ومؤثر فيها، وابن كثير جمع بين العلم في فنون الشريعة، وكونه برز في الحديث، والفقه، والتفسير، والتاريخ، إضافة لما اتصف به من الورع والتقى والتواضع، وبذل الجهد والوقت لخدمة دين الله، وإفادة المسلمين، بذلك أصبحت أقواله ونصائحه وإرشاداته مقبولة ولها وقع في النفوس، واشتملت مواعظه على ما في القرآن والسُّنّة من التحذير والترغيب والإنذار والترهيب والبشارة، وعاقبة المتقين الحميدة بأنَّ لهم النجاة من كل

---

=<

(٢) سورة البلد، الآية: ١٠

(٣) سورة الشمس، الآيتان: ٩ - ١٠

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء: ١/٢٠٣

وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٠

(٢) صحيح البخاري، كتاب القدر، حديث رقم ٦٥٩٩، وصحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم ٢٦٥٨.

مخوف، والظفر بكل محبوب، وهلاك الظالمين ومن سكت عن رد الظالم، وإبانة الحق بعد معرفته، وإيصال الأمر لمن يقدر على منعه [1].

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٥٥٧، ٢/٧٥، ١٩٧، ٤٠٦

## المبحث الأوّل: في الحثّ على إخلاص التوحيد:

لقد أبان ابن كثير حقيقة التوحيد، وأنَّ المرء لا يكون مسلماً إلاّ بعد أن يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، ويشهد أنَّ محمَّداً عبد ورسوله، مستدلاً على ذلك بالكتاب والسنة [1].

وفي هذا المبحث أسوق بعض الأمثلة لما قاله ابن كثير في الحثّ على إخلاص التوحيد.

أوضح ابن كثير أنَّ الله تعالى أرسل الرسل لدعوة الناس إلى توحيده والإقرار بألوهيته، وأنَّ الله تعالى خالق كُلِّ شيء، ورب كل شيء ومليكه، ولا أحد يستحق العبادة غيره تعالى. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[2].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: " شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانيته وألوهيته بأنّه تعالى المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة،... ثُمَّ قال: ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله

---

(١) انظر المبحث الأوّل من الفصل الأوّل من الباب الأوّل من هذه الرسالة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١

رب العالمين﴾[1]، ومضمونه أنّه الخالق الرازق، مالك الدار وساكنها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يُعبَد وحده ولا يشرك به غيره [2]، ولهذا قال: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[3].

وفي الصحيحين: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: **(يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)**. الحديث [4].

ومن النماذج التي ذكرها ابن كثير - رحمه الله - تقرير وحدانية الله وفي وجوده، وهذا محتم في إخلاص التوحيد والعبادة لله وحده لا شريك له.

فذكر ابن كثير ما حكى عن الإمام مالك [5] أنَّ الرشيد [6] سأله عن وجود الله تعالى، فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.

---

(١) سورة غافر: الآية: ٦٤

(٢) تفسير ابن كثير: ١/٥٧

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أُمّته إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ: ٩/٢٠٤، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ مَن مات على التوحيد دخل الجنّة مطلقاً. وتفسير ابن كثير: ١/٥٧

وبعض الزنادقة سأل أبا حنيفة [1] رحمه الله عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مُفَكِّر في أمرٍ قد أُخبرت عنه، ذكروا لي أنَّ سفينة في البحر موقرة فيها أنواعٌ من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أَحَد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل. فقال: وَيْحَكُم ! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة، ليس لها صانع ؟! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي [2] رحمه الله تعالى أنَّه سُئِلَ عن وجود الصانع فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبرسيم، وتأكله النحل

---

(٥) هو: مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان، أَحَد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، أبو عبد الله المدني، إمام دار الهجرة في زمانه. انظر: البداية والنهاية: ١٠/١٨٠

(٦) هو: أبو محمَّد، وقيل: أبو جعفر، هارون بن محمَّد المهدي، ابن أبي جعفر المنصور، أَحَد خلفاء بني العباس، توفي عام ١٩٣ هـ. انظر: الأعلام: ٨/٦٢

(١) هو: النعمان بن ثابت، أبو حنيفة، إمامُ الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وُلِدَ ونشأ بالكوفة، كان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثُمَّ انقطع للتدريس والإفتاء، كان قوي الحُجَّة، من أحسن الناس منطقاً، كُلِّف بالإفتاء فامتنع ورعاً فسُجِنَ إلى أن مات رحمه الله في سنة ١٥٠ هـ.
انظر: وفيات الأعيان: ٥/٤١٥، الأعلام: ٩/٤ - ٥

(٢) هو: الإمام محمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب، وينتهي نسبه بعبد مناف القرشي، أَحَد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وإليه نُسِبَت

فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعراً أو روثاً، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيءٌ واحد.

وعن الإمام أحمد [1] بن حنبل أنّه سُئِلَ عن وجود الله تعالى فقال: ها هنا حصنٌ حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، قال: يعني بذلك البيضة إذا خرجت منها الدجاجة.

ثُمَّ قال بعد ذلك: استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة، وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبره بهم، لا إله غيره، ولا رب سواه عليه توكلت وإليه أنيب. والآيات الدالة على هذا المقام في القرآن كثيرة جداً [2].

---

⇐⇐

الشافعية، كان رحمه الله كثير المناقب، وهو أوّل من دوّن علم الأصول، وإليه يرجع الفضل في ذلك. له كتب كثيرة منها: الأم، وأحكام القرآن، والرسالة. توفي سنة ٢٠٤ هـ. انظر: وفيات الأعيان: ١٦٣/٤، الأعلام ٢٤٩/٦

(١) أحمد بن حنبل، مشهودٌ له بالفضل والعلم، فهو إمام المحدثين والمفسرين، وفقيه من فقهاء عصره الذين يشار إليهم بالبنان. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحي بن معين، وأبي بكر بن أبي شيبة، وكان أحمد أفقههم. كان رحمه الله زاهداً مقبلاً على ربه، أتت إليه الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها. انظر: طبقات الحنابلة: رقم (١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٧/١ - ٥٩

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾[1]: شهد تعالى وكفى به شهيداً، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين ﴿أنه لا إله إلا هو﴾ أي: المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأنَّ الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه، وهو الغني عمَّا سواه، كما قال تعالى: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾[2]، ثُمَّ قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام [3].

فهذه النماذج والأمثلة تبين مدى عناية ابن كثير في بيان التوحيد الخالص لله رب العالمين، وحثّ العباد على إفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وأنّه هو الإله الحق، وما سواه باطل.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٥٣/١، ٨١/٢

وقد تعرَّض ابن كثير إلى بيان ثمرة التوحيد والإخلاص فيه، وعقوبة تركه، والإعراض عنه، حيث الذُّلّ والخزي في الدنيا والآخرة [1].

وقد بيَّن ابن كثير رحمه الله أنَّ من مستلزمات التوحيد المتحتمة، عبادة الله وحده لا شريك له، وبعد ذلك يقوم من عرف التوحيد وعمل به دعوة غيره إليه وإعلامه به، فالعبادة كلها لا تصلح إلاَّ لله وحده لا شريك له، وأنَّ الله تعالى لا عديل له ولا نديد، والله تعالى لا يقبل من العمل إلاَّ ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له [2]، كما قال تعالى: ﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ۞ ألا لله الدين الخالص . . .﴾[3].

والله تعالى قد أخبر عن نفسه تبارك وتعالى أنَّه الغني عمَّا سواه من المخلوقات، كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إن تكفروا أنتم ومَن في الأرض جميعاً فإنَّ الله لغنيٌّ حميد﴾[4].

---

(١) البداية والنهاية: ١/٩١ وما بعدها، ممَّا يتعلَّق بمحاولات الأنبياء مع أقوامهم، وكذلك في الجزء الثاني من البداية والنهاية.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/د٤ بتصرف.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٢ - ٣

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٨

وفي صحيح مسلم: (يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً)[1].

وا لله تعالى لا يحب الكفر، وهو ضد التوحيد، ولا يأمر به، بل يؤاخذ عليه، ويحب من عباده أن يشكروه على نعمه التي أنعم بها عليهم، وأنَّ ذلك سببٌ للزيادة منه تعالى بتتابع إفضاله عليهم [2]، قال ا لله تعالى: ﴿إن تكفروا فإنَّ الله غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾[3].

ويتّضح مِمَّا قاله ابن كثير في إخلاص التوحيد أيضاً من خلال ما يسوقه من أمثلة، وما يعلق عليه أثناء تراجم الأعلام من الكلام على أهل الأهواء والإنحراف عن دين ا لله [4].

وفي إخلاص التوحيد والحثّ عليه ذكر ابن كثير كذلك ما أمتن ا لله تعالى به على خلقه من النعم الكثيرة التي تستوجب شكر المنعم بها، وهو ا لله تعالى، ومن تلك النعم أنَّ ا لله تعالى جعل الليل للسكون والراحة من عناء السعي في طلب العيش، والنهار جعله مضيئاً ليستفيد الناس منه في الأسفار وقطع الأقطار، والتمكن من الصناعات، ومع ذلك لم يقم الخلق بشكر

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم: ١٩٩٤/٤، وتفسير ابن كثير: ٤٦/٤، والنسائي، كتاب صفة القيامة، حديث رقم ٢٤١٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٦/٤ بتصرف.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧

(٤) انظر: البداية والنهاية: الجزء الثالث عشر، والجزء الرابع عشر.

نعم الله تعالى عليهم كما يجب، ولذلك قال تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم خالق كلّ شيء لا إله إلاّ هو فأنّى تؤفكون﴾[1]، فالذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد خالق الأشياء الذي لا إله غيره ولا رب سواه، فكيف يُعبد غيره من أصنام لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة منحوتة، قال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ۞ هو الحي لا إله إلاّ هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾[2]، فالله تعالى هو الحي أزلاً وأبداً، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴿لا إله إلاّ هو﴾ أي: لا نظير له ولا عديل ﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾ أي: موحدين له مقرين بأنّه لا إله إلاّ هو، الحمد لله رب العالمين. ثُمَّ قال تعالى آمراً نبيه محمَّداً ﷺ بإخلاص التوجه إليه وحده دون سواه: ﴿قل إني نُهيت أن أعبُدَ الذين تدعون من دون الله لمّا جاءني البينات من ربي وأُمرت أن أُسلِمَ لرب العالمين﴾[3]، وفي الآية الكريمة تأكيدٌ للنبيّ محمَّدٍ ﷺ وأمّتُهُ تبعٌ له بأن يُسْلِم لرب العالمين في كُلّ

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٢

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٤

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٦

شيء، لأنّه هو المنعم بجميع النعم الحسية كالماء، والهواء، والغذاء، والكساء، والضوء، والظلمة، وغير ذلك مِمَّا يحتاجه الإنسان، والنعم المعنوية، فالله تعالى أنزل إليهم من الهداية في كتبه وعلى لسان رسوله ﷺ ما فيه الخير والصلاح والنجاح. والإسلام لرب العالمين لا يكون إلاّ بالبراءة من كُلّ شرك في العبادة والدعاء، وإخلاص التوحيد لله تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ [1].

ومِمَّا قال ابن كثير في بيان التوحيد والتوجيه إليه شأن الفطرة، فالله تعالى قد فطر الناس كلهم على التوحيد والدين الصحيح، وأنَّ الله لا إله إلاّ هو، ولا رب سواه، ولا معبود غيره، وهو الإله الحق، وما عداه فهو باطل.

قال الله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾[2]. قال عند تفسيره هذه الآية: " فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه لك الله من الحنيفية ملّة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنّه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره [3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٨٦ - ٨٧، ٢٦٠

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٩٧، ٤٣٢

وقد بيَّن ابن كثير المهمة التي كلَّف الله تعالى بها نبيه محمَّداً عليه الصلاة والسلام، وهي أمر الله تعالى لنبيه محمَّد ﷺ بأن يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى، وعدم الإشراك به شيئاً، وأنّه هو الإله المعبود لا إله غيره، وجميع الخلق قد أقرُّوا بذلك اضطراراً، وإن لم يفعلوه اختياراً فلله يسجد مَن في العالمين طوعاً وإجباراً [1].

قال الله تعالى: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتابٍ وأُمِرت لأعدِل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حُجَّة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾[2].

والله تعالى أثبت لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى، ونزَّه نفسه عن العيوب والنقائص، وأنّه الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وليس له ولي من الذل، فيحتاج أن يكون ذليلاً له، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له، ومدبرها، ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[3]. وقال تعالى: ﴿قل هو الله أحد ۞ الله الصمد ۞ لم يلد ولم يولد ۞

---

(١) المصدر السابق: ١٠٩/٤

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٥

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١٠

ولم يكن له كفواً أحد﴾[1]. ولما قالت اليهود نحن نعبد عزير ابن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقال المشركون نحن نعبد الأوثان، فأنزل الله تعالى هذه السورة على رسوله ﷺ ﴿قل هو الله أحد﴾ أي: الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلاّ على الله عزَّ وجلَّ، لأنّه الكامل في جميع صفاته وأفعاله [2].

---

(١) سورة الإخلاص، الآيات: ١ - ٤

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٦٨ - ٧٠، ٤/٣٤٢ - ٣٤٤، ٥٧٠

## المبحث الثاني: في الحثِّ على طلب العلم والتفقُّه فيه:

لقد بين ابن كثير رحمه الله فيما سبق [1] ضرورة العلم وأهميته للمسلم عموماً والداعية إلى الله تعالى آكد وأخص، وأنه لابد من اتباع العلم والعمل مع إخلاص النية لله تعالى في الطلب، وكون العلم مُتلقى من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عملا بقوله تعالى ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾[2].

وفي هذا المبحث أعرض بعض الأمثلة التى ذكرها ابن كثير في الحثّ على طلب العلم الشرعي والتفقه فيه، لأنه طريق النجاح وسبيل السعادة وهو هدى للعالمين ورحمة بهم، وإحساناً وبشرى، تميل إليه القلوب وتطمئن له النفوس، وتشرح له الصدور، فيه إيضاح الحقائق، وبيان للحق، وإرشاد في كل ما يحتاج إليه العباد في ذكر ربهم والتوجه إلى ما يرضيه ويحبه، والبعد عن كل مساخطه ويؤاخذ عليه.

قال تعالى ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[3].

---

(١) انظر: المبحث الرابع من الفصل الأول في الباب الأول من هذه الرسالة.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٣

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧

وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً﴾[1].

ومما ورد من حثّ ابن كثير على طلب العلم، ايضاحه للعلم المفيد النافع وصفة طالبه، ونتائجه الحميدة الطيبة في الدنيا والآخرة، فالعلم النافع قد ذكره الله تعالى في مقام المدح، وصفة طالبه كونه متقياً لله تعالى في طلبه العلم مع الخشية له، فالعالم الرباني هو من عرف الله تعالى وخشيه حق الخشية فيما يتعبد به له، وكلما كانت معرفته للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالاسماء الحسنى كلما، كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر [2].

قال تعالى ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[3].

وقال تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٣

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨

وما قصه الله تعالى من قصة موسى عليه السلام وقوله للخضر: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾[1].

وقد وجه الله تعالى نبيه محمداً ﷺ لأن يطلب الزيادة من العلم النافع ﴿وقل رب زدني علماً﴾[2]، وكان ﷺ يقول في دعائه: **(اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال)**[3].

فهذا هو العلم النافع الذي امتلأ قلب صاحبه من معرفة الله تعالى، ومحبته، والإنابة إليه، والصدق معه، وإخلاص الدين له، وعمل بمقتضى ذلك من القيام بحقوق الله تعالى وحقوق عباده [4].

وأما العلم غير النافع الذي لم ينتفع منه صاحبه فأصبح حجة عليه ولحقه ضرر بسببه، وقد ذكره الله تعالى في مقام الذم. فقد ذكر ابن كثير مثال ذلك عند قول الله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ۞ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٦

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤

(٣) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٢٦٠/٢، وتفسير ابن كثير: ١٦٧/٣

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٩٦/٣، ٥٥٣، ٥٥٤، ٤٧/٤ بتصرف.

إلى الأرض واتَّبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ۞ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾[1].

فذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية أن أمية بن أبي الصلت، كان قد حصل على علم كثير من علم الشرائع المتقدمة، ولكنه لم ينتفع بعلمه، فإنه أدرك زمن رسول الله ﷺ وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته، وظهرت لكل من له بصيرة، ومع هذا اجتمع به و لم يتبعه وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة قبَّحه الله.

وقد جاء في بعض الأحاديث أنه ممَّن آمن لسانه و لم يؤمن قلبه، فإن له أشعاراً ربانية وحكماً وفصاحةً، ولكن لم يشرح الله صدره للإسلام [2].

فليحذر من أعطاه الله علماً وكتمه فلم يعلمه العباد فينتفعوا به وينال ثوابه، أن يحل الله به ذلاً في الدنيا موصولا بذل الآخرة، فالله تعالى يقول: ﴿ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: ساء مثلهم أن شبهوا بالكلاب التي

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٥ - ١٧٧

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٦٥

لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن خير العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه واتّبع هواه صار، شبيها بالكلب وبئس المثل مثله [1].

قال تعالى ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون﴾[2].

قال ابن كثير: " أى أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا واكتسابها وشئونها وما فيها، فهم حذّاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة " [3].

يقول الله تعالى ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾[4].

وقال تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾[5].

---

(١) المصدر السابق: ٢٦٧/٢

(٢) سورة الروم، الآية ٧

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٣

(٤) سورة غافر، الآية: ٨٣

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٢٣

فالأخذ بالكتاب والسنة واجب متحتم لكل امرئ، والداعية إلى الله تعالى آكد، فهو مبلّغ عن الله تعالى ورسوله ﷺ، والحذر كل الحذر من اتباع الهوى والاعتماد على ما لدى الإنسان من علم، فصاحب الهوى إنما يأتمر بهواه، فما رآه حسنا فعله وما رآه قبيحا تركه فهذا على خطر عظيم لأنه بلغ درجة عالية في العلم فقامت الحجة عليه [1].

## أهمية الفقه في الدين:

ومما ذكره ابن كثير في حثّه على طلب العلم، التفقه في الدين، وهو العلم بأحكام الله تعالى، الذي هو من العلامات الدالّة على إرادة الله عزَّ وجلَّ الخير للإنسان، قال تعالى ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[2].

قال ابن كثير: " أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة " [3].

وقال تعالى ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[4].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٨٩/٤، ١٥٠ بتصرف.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/١

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٢

قال ابن كثير: " وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي ﷺ فيسألونه عمَّا يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم، ويقولون للنبي ﷺ: ما تأمرنا أن نفعله ؟ وأخبرنا بما تأمر به عشائرنا إذا قدمنا عليهم. قال: فيأمرهم نبي الله ﷺ بطاعة الله وطاعة رسوله، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة، والزكاة، وكانوا إذا أتوا قومهم قالوا: إنَّ من أسلم فهو مِنَّا، وينذرونهم حتى إنَّ الرجل ليفارق أباه وأمَّه. وكان النبي صلى ﷺ يخبرهم وينذرهم قومهم فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم الجنة"[1].

وذكر ابن كثير ما قاله المشركون من قريش من أن القرآن ما أنزل على رسول الله تعالى ومن معه إلا ليشقوا فأنزل الله تعالى ﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ۞ إلا تذكرة لمن يخشى**﴾[2].

قال ابن كثير: " فليس الأمر كما زعمه المبطلون بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا، قال ﷺ: (**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**)[3]، فالله تعالى أنزل كتابه وبعث رسوله رحمة رحم بها عباده ليتذكر

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٤٠١

(٢) سورة طه، الآيتان: ٢ - ٣

(٣) [متفق عليه] انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم ٧١، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة: ٢/٧١٨.

ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه "[1].

وقد دعاء رسول الله ﷺ لابن عباس فقال: (**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**)[2].

فالفقه في الدين ضروري للإنسان لأنه يُبَصّر صاحبه وينير له الطريق وتهون عليه الدنيا، ويهتم بأمر الآخرة، ويكون في هذه الحياة الدنيا بين الخوف والرجاء، وهذا مطلوب من كل مسلم، والداعية إلى الله تعالى ألزم، بهذا قال تعالى ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله: " لما أمر الله تعالى بالزاد للسفر في الدنيا أرشد سبحانه إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى، كما قال تعالى: ﴿**وريشا ولباس التقوى ذلك خير**﴾[4] لما ذكر اللباس الحسي، نبه مرشدا إلى اللباس

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٤١/٣

(٢) [متفق عليه] انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم ٧٥، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ١٧٢٧/٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٦

المعنوي، وهو الخشوع والطاعة والتقوى. وذكر أنه خير من هـذا وأنفع لأنه زاد الآخرة " [1].

قال الله تعالى ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾[2].

فالله تعالى أقام البينات والحجج الواضحات التي اشتمل عليها القرآن الكريم وما جاء به الرسول ﷺ ولهذا قال تعالى: ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾[3]، فمن لم ينتفع بهذا الخير ويفيد منه فإنما يعود وبال ذلك وضرره على صاحبه ولا يضر الله شيئا، كما قال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[4]، ورسول الله ﷺ بلّغ البلاغ المبين، وليس هو بحفيظ ولا رقيب، فالله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء [5].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٩/١ بتصرف.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٨

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٦

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٢/٢ بتصرف.

وقال تعالى ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾[1]، ففي هذا مدح الكتاب الذي هو القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله، كما في ذلك دعوى إلى اتباع القرآن والتفقه فيه، وأيضاً فيه أمر من الله تعالى بتدبر القرآن والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين [2].

ومن الأمثلة التي فيها عظة وعبرة في الحث على طلب العلم التي ذكرها الإمام ابن كثير في العلم النافع الذي هو طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وتصديق خبرهما، والاعتراف به، والتعبد لله بذلك، وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما، وكلّما كان الداعية إلى الله تعالى أكمل طاعة لله ورسوله كان أكمل دينا وأحسن خلقاً وأتم سلوكاً وأصح منهجاً.

قال الله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥

(٢) تفسير ابن كثير: ١٩٢/٢

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٧

قال ابن كثير: " الهدى والحق جاء من عند الله تعالى فمن عمل بالحق كان له وبقى كما بقى ما ينفع الناس في الأرض، والحديد لا يستطاع أن يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه ويخرج جيده فينتفع به، فكذلك يضمحل الباطل، فإذا كان يوم القيامة، وأقيم الناس وعرضت الأعمال فيزيغ الباطل ويهلك وينتفع أهل الحق بالحق " [1]، والذي يتعظ ويعقل ويعتبر هم أولوا العقول السليمة الصحيحة جعلنا الله منهم [2].

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾[3].

قال ابن كثير: " وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذين يفرقون به بين الحق والباطل، والمؤمنون بالله ورسوله، أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره بل هو كتاب عزيز ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[4]، وقوله: ﴿فيؤمنوا به﴾ أي: يصدقوه وينقادوا له وتخشع وتذل له قلوبهم والله تعالى بفضله يهدي عباده المؤمنين إلى صراطه المستقيم في الدنيا والآخرة، أمَّا

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٢

(٢) المصدر السابق: ٥٠٩/٢

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٤

(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٢

في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه، وفي الآخرة يهديهم إلى الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات "[1].

ومن كلام ابن كثير المؤثر ووعظه البليغ، ما ذكره في الوعيد الشديد لمن كتم العلم النافع الشرعي مع القدرة على تعليم الناس وحاجة الخلق إليه لإزالة الجهل، فقد قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيَّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾[2]: " هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدي النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله، قال ﷺ: **(من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)**[3].
وقال أبو هريرة رضى الله عنه: لولا آية في كتاب الله ما حدَّثت أحداً

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٢٣٠ بتصرف.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩

(٣) أخرجه ابن ماجة في المقدمة، حديث رقم ٢٦٥.

شيئاً[1]: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾، وقد جاء في هذه الآية أن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون، واللاعنون أيضاً وهم كل فصيح وأعجمي، إمَّا بلسان الحال أو المقال إلا من تاب فقد استثناه الله تعالى من ذلك [2].

قال تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾[3].

قال ابن كثير عند هذه الآية: " وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبيل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام " [4].

وقال تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ۞ ولا الظلمات ولا النور ۞ ولا الظل والحرور ۞ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ۞ إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ۞ إن أنت إلا نذير ۞ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[5].

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٢١٣/١، كتاب العلم، باب حفظ العلم. وتفسير ابن كثير: ٢٠٠/١

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٠٠/١

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٧

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٨/٢

(٥) سورة فاطر، الآيات: ١٩ - ٢٤

قال ابن كثير: " يقول الله تعالى كما لا تستوى هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير، وكما لا تستوى الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوى الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾[1]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا﴾[2]. فالمؤمن بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يقضى به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم، وظل من يحموم لا بارد ولا كريم "[3].

فابن كثير رحمه الله أو ضح جملة أمثله في الحث على العلم وطلبه والتفقه فيه فينفع طالبه ويفيد غيره، ولابُدَّ من تبليغ دعوة الله تعالى للناس لكي يعملوا بدين الله تعالى على بصيرة وعلم فالجهالة في الدين أمرها عظيم،

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٢

(٢) سورة هود، الآية: ٢٤

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٥٥٢

وتؤدي إلى عداوة، والإنسان عدو ما جهل، والدعاة إلى الله تعالى هم الذين يُعَلّمون الناس إذا جهلوا، ويُذَكّرونهم إذا غفلوا، والدعاة إلى الله تعالى هم العلماء المهتدون العاملون بما تعلموا من دين الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

## المبحث الثالث: في الحثِّ على التوبة:

### التوبة ومعناها وحكمها:

التوبة: تدل على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه، أى رجع عنه يتوب إلى الله توبةً ومتاباً، فهو تائب، والتوبُ التوبة [1]، قال الله تعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾[2].

قال ابن كثير في معنى التوبة في قوله تعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾ أي: يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه ﴿شديد العقاب﴾ لمن تمرَّد وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى [3].

وقال تعالى في سورة ق: ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾[4] أي: ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣٥٧/١

(٢) سورة غافر، الآية: ٣

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٦٩/٤ - ٧٠

(٤) سورة ق، الآية: ٨

تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب، أي خاضع خائف وجل رجاع إلى الله عزَّ وجلَّ [1].

وقال تعالى ﴿هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ﴾[2] أي: رجاع تاب مقلع ﴿حفيظ﴾ أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه [3].

وقال أيضا في معنى التوبة عند قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحا﴾[4] الآية: قال العلماء: التوبة النصوح: هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لأدمي رده إليه بطريقه [5].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(التوبة من الذنب أن يتوب منه، ثم لا يعود فيه)**[6].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٢/٤

(٢) سورة ق، الآية: ٣٢

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٤

(٤) سورة التحريم، الآية: ٨

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٢/٤

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد: ٤٤٦/١ ، وتفسير ابن كثير: ٣٩٢/٤

وعن عبد الله بن معقل قال: دخلت مع أبي علىَ عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقول: (**الندم توبة ؟ قال: نعم وقال: مرة: نعم سمعته يقول: الندم توبة**)[1].

## لماذا شرعت التوبة ؟:

من حكمة الله البالغة، وعلمه المحيط بكل شيء، إقامة الحجة على الخلق، جعل الله تعالى هذه الدار الحياة الدنيا مكاناً للابتلاء والاختبار، يبتلى عباده بالسرَّاء والضرَّاء، والشدَّة والرَّخاء، وبالنّعم والنّقم، ليمتحن الله تعالى صبر عباده وشكرهم على نعمه، فمن صبر عند البلاء، وشكر عند الرخاء، ولجأ إلى الله تعالى عند حلول المصائب ليكشف مابه، ويسأله اللطف ومغفرة الذنوب والعفو عن التقصير، كان له أجر، قال تعالى: ﴿**ألم ۞ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾[2]، ثم قال تعالى في موضعٍ آخر من كتابه الكريم مُبيّنا هذه الفتنة: ﴿**كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجة، في كتاب الزهد، حديث رقم ٤٢٥٢، وانظر مسند الإمام أحمد: ٣٧٦/١١.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ١ - ٣

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥

وقد بين ابن كثير أن هذا الابتلاء امتحان واختبار، فتارة يكون بالمصائب، وأخرى بالنعم، لينظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، ثم ذكر قول ابن عباس رضى الله عنهما في الآية: ﴿ونبلوكم﴾ يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، وقوله: ﴿وإلينا ترجعون﴾ أي: فنجازيكم بأعمالكم "[1].

فالله تعالى قدَّر على عباده الابتلاء والاختبار سواء بالسيئات، أم الحسنات، لأجل أن يرجع الناس إلى الحق ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم، ويسارعوا إلى طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، فالكفر والمعاصي سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة، والتوحيد والإيمان بالله وبرسوله وطاعة الله ورسوله والتمسك بالشريعة الإسلامية والدعوة إليها فهذا سبب كل خير في الدنيا والآخرة.

فابن كثير رحمه الله أراد أن يبين أن التوبة من أعظم ما يعود على المسلم من النفع في طلب التوبة من الله تعالى، وفي الأوقات الفاضلة، وهذا حثٌ لفعل التوبة والإنابة إلى الله تعالى وترك المحرَّمات، وفعل الطاعات، وكذلك حثٌ لعدم القنوط من رحمة الله تعالى، فباب التوبة مفتوح، وعطاء ربك ممنوح، وفضله تعالى يغدو ويروح، فأين المستغفر التائب المتعرض لنفحات مولاه ؟!.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/١٧٨، ٤٠٤

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يوجه من يدعو إلى ذلك، لتستقيم الأحوال، ويصلح الأفراد والجماعات، ويعمر الأوطان، ويستتب الأمن، وتهدأ النفوس، وتنشرح الصدور، فليس هناك دافع لفعل الشرّ، لأن المسلم يكبح نفسه عمَّا حرم الله تعالى عليه ورسوله ﷺ.

## حُكْمُ التَّوْبَةِ:

بين ابن كثير رحمه الله تعالى أن التوبة أمر الله تعالى بها فهى واجبة قال تعالى: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسنا ويؤت كل ذي فضل فضله﴾[1].

قال ابن كثير: " أمر الله تعالى بالإستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله عزَّ وجلَّ فيما تستقبلونه، وأن تستمروا على ذلك ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ أي: في الدنيا ﴿إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ أى في الدار الآخرة "[2]، وقد بين ابن كثير: أن من أتصف بهذه الصفة التي هى لزوم الإستغفار وأيضاً التوبة إلى الله فإن الله قال ييسر عليه رزقه، ويسهل عليه أمره ويحفظه من كل خطر ومكروه[3].

---

(١) سورة هود، الآية: ٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٤٣٥

(٣) المصدر السابق: ٢/٤٤٩

وقال تعالى ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[1].

فهذا أمر من الله تعالى لعباده بأن يتوبوا إليه فيفعلوا ما أمر به من الطاعات، وكذلك ما أمر به رسوله ﷺ، ويتركوا ما نهى عنه الله ورسوله من الأخلاق والصفات الرذيلة، فالفلاح كل الفلاح فيما أمر الله به ورسوله [2].

فعلى المسلم أن يحاسب نفسه ويبادر بالتوبة، ويلزم الإستغفار ويحذر المعصية، ويحسن إلى الخلق ويصبر على ما أصابه وعما تشتهيه النّفس من الحرام.

قال تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يَظْلِم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما﴾[3].

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنبٍ كان [4]، ثم ذكر حديث على بن أبي طالب رضى الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعني الله فيه بما شاء أن ينفعني منه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٣

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/١

(ما من مسلم يذنب ذنباً، ثم يتوضأ، ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر الله له)[1]. وقرأ هاتين الآيتين: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه﴾ الآية، ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾[2]. وقال تعالى: ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفورٌ رحيم﴾[3].

يقول ابن كثير: " وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الإفتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه "[4]، يقصد بالذنب العظيم مقالة فرق النصارى الكافرة الذين قالوا إن المسيح هو الله. تعالى الله عن قولهم وتنزَّه وتقدَّس عُلُوًّا كبيراً.

وقال تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾[5].

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد: ١/٨ - ٩، وتفسير ابن كثير: ١/٥٥٣

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٤

(٤) تفسير ابن كثير: ٢/٨١

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٣٨

قال ابن كثير: يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ أي: عمَّا هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد، ويدخلون في الإسلام والطاعة والإنابة، ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ أي: من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم [1]، كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (الإسلام يَجُبُّ ما قبله والتوبة تَجُبُّ ما كان قبلها)[2]. وقوله ﴿وإن يعودوا﴾ أي: يستمروا على ماهم فيه ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ أي: قد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذَّبوا واستمروا على عنادهم إنما نعاجلهم بالعذاب والعقوبة [3]. فالله تعالى يقبل توبة العبد وقد رغَّب الله في ذلك وحثَّ عليه [4].

قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٣٠٨

(٢) مسند الإمام أحمد: ٤/١٩٩، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٠٨

(٣) تفسير ابن كثير: ٢/٣٠٨

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٥٧، ١١٤

وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[2].

وفي سياق التوبة وما يدخل في مضمونها يلفت ابن كثير أنظار الناس عند تفسيره للآيتين السابقتين إلى أهمية الإيمان بالله تعالى من القلب بما جاءت به الرسل والتصديق بذلك واتباعهم ونصرتهم، فاتقوا الله تعالى بفعل الطاعات وترك المحرمات، فكانت النتيجة رضى الله تعالى، فأنزل القطر من السماء وأنبت الأرض وعم الخير، وفي مقابل ذلك مَن كذّب الرسل عوقب بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم، وفي ذلك تخويف وتحذير من مخالفة أوامر الله تعالى والتجرؤ على زواجره، فمصيره مصير من كذّب وكفر من تلك الأمم الكافرة، وماحل بهم من النّكال والعذاب والخسران في الدنيا والآخرة وهذا الهلاك يأتي المخالف لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ بغتة من ليل أو نهار في حال شغلهم وغفلتهم ولهوهم ولعبهم.

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦

لذا على المسلمين أن لا يأمنوا بأس الله ونقمته وقدرته عليهم وإحاطته بهم، وإطلاعه عليهم في السر والعلن وكتابة الحفظة من الملائكة لجميع أعمال العباد من خيرٍ وشرٍ فيأخذهم في حال سهوهم وغفلتهم.

قال الحسن البصرى رحمه الله: " المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاص وهو آمن " (١).

وعلى المسلم أن يدرك ما قصه الله تعالى في كتابه حيث وعد رسوله محمد ﷺ بأن يجعل أمته خلفاء الأرض أى أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلن بعد خوفهم أمنا ويجعل الحكم فيهم على غيرهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك وله الحمد والمنة.

ثم بين ابن كثير كيف أتم الله تعالى لنبيه ﷺ النعمة، حيث عز الإسلام وظهر دين الله تعالى، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وتتابع النصر والظفر والتمكين للمسلمين عبر القرون.

ثم يقول ابن كثير بعد ذلك: فها نحن نتقلّب فيما وعد الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا.

ويسوق ابن كثير حديثاً من جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ لأخذ الحيطة، فالمسلم عليه أن يؤدي العمل الصالح يريد ثواب الله تعالى، ويديم المراقبة لله والرجوع إليه وإرادته بالعمل الآخر، لا الدنيا، لأن الدنيا دنية

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٢٣٣-٢٣٤ بتصرف.
والبداية والنهاية: ٤/١٦١، ٥/٢٠

والذي يعمل لها ليس له في الآخرة من نصيب، قد أوبق دنياه وآخرتـه، نسـأل الله السلامة.

والحديث عن أبي بن كعب رضى الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: **(بشر هذه الأمة بالسناء [1] والرفعة والدين والنصـر والتمكـين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب)**[2].

## ترغيب الله تعالى في التوبة:

يبين ابن كثير رحمه الله ضرورة التوبة للمسلم، وكونها محبوبة عنـد الله تعالى، ولما تحدثه على التائب من أثر طيب نحو الاستقامة والرجـوع إلى الحـق والثبات عليه والإقلاع عن المعاصي ولما يحصل بفعلها مـن زيـادة في الحسـنات وحطٍ الآثام والأوزار والسيئات.

قال الله تعالى ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[3].

قال ابن كثير: " يحـب الله التوابـين أى مـن الذنـب وإن تكـرر غشـيانه ويحب المتطهرين أى المتنزهين من الاقذار والأذى " [4].

---

(١) (بشر أُمّتي بالسَّناء) أي: بارتفـاع المنزلـة والقـدر عنـد الله تعـالى، وقـد سَنِي يَسنى، أي: ارتفع، والسنى بالقصر: الضوء.

انظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/٤١٤

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد: ٥/١٣٤، وتفسير ابن كثير: ٣/٣٠١ - ٣٠٢

(٣) سورة البقرة، الآيـة: ٢٢٢

(٤) تفسير ابن كثير: ١/٢٦٠

فالداعية إلى الله تعالى عليه أن يوجه من يدعو إلى التذكير بالتوبة، فإنه إنابة إلى الله تعالى. والدنيا لا تغني عن الآخرة، والمسلم لا يسلم في هذه الحياة الدنيا من الزلّات وارتكاب بعض الذنوب أو اقتراف شيء من الكبائر، لأنَّ الكمال لله، والعصمة للأنبياء، والبشر يخطئون ويصيبون، وخير الخطائين التوابون، ومن تاب تاب الله عليه، ورحل على حسن خاتمة وهذا هو الذي يطلبه كل مسلم.

## المبحث الرابع: في النَّهي عن السماع:

من ضمن مؤلفات الإمام ابن كثير، كتاب السماع، ويتكلم فيه عن حكم الإسلام في الغناء وما يتعلق به من آلاتٍ تستخدم لهذا الغرض [1]. وحسب اطلاعي لم يتبين لي حتى الآن أنه طبع أو وجد في أي مكتبة.

بين ابن كثير بعض مسائل في السماع كالتصفيق والتصفير، فلا يكون في حق الرجال ولا يفعله من الرجال إلاّ مَن كانت عنده خفة، ويدخل فيما لا يجوز فعله، كما يدل من يفعل ذلك على جهالته.

والشريعة المطهرة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة، ولا فَعَلَ ذلك أحد من الأنبياء، ولا معتبر من اتباع الأنبياء، وإنما يفعله الجُهَّال السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء [2].

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: **(التسبيح للرجال والتصفيق للنساء)**[3].

قال الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين**﴾[4].

---

(١) انظر: كشف الظنون: ٣٣/٢، وابن كثير - حياته ومؤلفاته: صـ ١٤٠

(٢) انظر: رسالة في أحكام الغناء لابن القيم الجوزية: صـ ٣ - ٥

(٣) [متفق عليه] انظر: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، حديث رقم ١٢٠٣، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة: ٣١٨/١

(٤) سورة لقمان، الآية: ٦

قال الإمام ابن كثير: " هذه حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله تعالى، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ قال: هو والله الغناء [1].

والغناء يدخل في الفواحش الذي قال الله تعالى فيها ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾[2]، وقال تعالى عن عدو الإنسان الشيطان وكيف يوقعه في الحرام: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾[3].

قال ابن كثير عند قوله تعالى ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قيل: هو الغناء. قال: مجاهد باللهو والغناء، أي: استخفهم بذلك. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: كل داع دعا إلى معصية الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٤٤١ - ٤٤٢

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٤. وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/١٨٨

وقوله تعالى ﴿واجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ يقول واحمل عليهم بجنودك، خيالتهم ورجالهم، فإن الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب وصحب جمع صاحب، ومعناه: تسلّط عليهم بكل ما تقدر عليه، وهذا أمر قدري كقوله تعالى: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾[1] أي: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا وتسوقهم إليها سوقا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿واجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ قال: كل راكب وماشٍ، في معصية الله تعالى، وأيضاً روى ذلك مجاهد.

وقال قتادة رحمه الله: إن له خيلاً ورجالا من الجن والإنس وهم الذين يطيعونه، تقول العرب أجلب فلان على فلان إذا صاح عليه، ومنه نهى في المسابقة عن الجنب والجلب ومنه اشتقاق الجلبة وهي ارتفاع الأصوات [2].

والله تعالى رحيم بعباده المؤمنين ولذلك بعد أن بيَّن عداوة الشيطان وحرصه على إغواء بنى آدم قال سبحانه: ﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾[3].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٨٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٤٩

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٥

قال ابن كثير: هذا إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم، ولهذا قال تعالى ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ أي: حافظا ومؤيدا ونصيرا [1].

وقال الحسن البصري رحمه الله نزلت هذه الآية ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ في الغناء والمزامير [2].

قال تعالى ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم﴾[3].

قال ابن كثير: أي هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية ولّى عنها وأعرض وأدبر وتصامم، ومابه من صمم، كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها، إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها، وله عذاب أليم في يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته [4].

فابن كثير من خلال هذه الآيات الكريمة في أول سورة لقمان يبين أن الله تعالى ذكر حال السعداء من بني آدم وهم الذين يهتدون بكتاب الله

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٥٠

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/٤٤٢

(٣) سورة لقمان، الآية: ٧

(٤) تفسير ابن كثير: ٣/٤٤٢

وينتفعون بسماعه كما قال تعالى: ﴿ الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[1]، والله تعالى بمنه وكرمه أعدَّ لعباده الأبرار سعادة في الدار الآخرة، لأنهم آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة التابعة لشريعة الله، ولهم عند الله جنات النعيم أي: يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسارّ من المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمراكب، والنساء، والنضرة، والسماع الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائماً لا يظعنون ولا يبغون عنها حولا، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم﴾[2] أي: هذا كائن لا محالة لأنه من وعد الله، والله لا يخلف المعياد، لأنه الكريم المنّان الفعّال لما يشاء، القادر على كل شيء وهو العزيز الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله الذي، جعل القرآن هدى للمؤمنين: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾[3] الآية، وقوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٤/٣

(٢) سورة لقمان، الآية: ٩

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤

للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾[1] وحال الأشقياء الخسران والضلال لأنهم اختاروا حديث الباطل، على حديث الحق وما يضر على ما ينفع [2].

فالشريعة الإسلامية تنهى عن الغناء وعن استماعه وأئمة الإسلام قد بينوا ذلك. فالإمام مالك رحمه الله سئل عما يُرخص فيه أهل المدينة من الغناء ؟ فقال: " إنما يفعله عندنا الفساق ".

وأبو حنيفة رحمه الله يكره الغناء، ويجعله من الذنوب.

والشافعي رحمه الله قال: " إنَّ الغناء لهوٌ مكروه، يشبه الباطل والمحال ومن استكثر منه فهو سفيه تُرَدُّ شهادته ".

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال ابنه عبد الله: سألت أبي عن الغناء ؟ فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني، ثم ذكر قول الإمام مالك: " إنما يفعله عندنا الفساق ".

ومنفعة الغناء مجرد منفعة حرام، والإستئجار على الغناء حرام وأكل المال به أكل مال بالباطل، وسماع الغناء حرام [3].

والسماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان عليه السلف الصالح، والأمة قد أجمعت عليه من لدن الصحابة الكرام رضى الله عنهم، ومَن جاء

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٤٤١ - ٤٤٢

(٣) انظر: رسالة في أحكام الغناء لابن القيم: صـ ٦ - ٧، وحكم الإسلام في الموسيقى والغناء لأبي بكر الجزائري: صـ ٨، ١٣

بعدهم ممَّا سار على نهجهم واقتفى أثرهم، هو السماع الذي لا يوقع في الإثم وقطيعة الرحم، بل سماع يثاب عليه ويفيد منه، ففيه صلاح القلوب، وتزكية النفوس، وصفاء الأرواح، وزيادة المعرفة، وإشتماله على الخير ودلالته على البر والتقوى، ومن أمثلة ذلك سماع آيات القرآن العزيز، وسماع الثابت من سنة رسول الله ﷺ وسماع حديث الناصحين وتذكرة الواعظين وتدريس المعلمين[1].

قال تعالى ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾[2].

وقال سبحانه ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾[3]، فهذا السماع قد أمر الله تعالى به وحث عليه.

وقال عز وجل ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ الآية [4].

---

(١) انظر: كتاب كف الرعاع عن محرَّمات اللهو والإستماع: صـ ٥٠ - ٥١

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٣

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤

(٤) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ - ١٨

فالله تعالى يثيب على مثل هذا السماع، ويجزيه جزاءً حسناً في الدنيا والآخرة، لأن المستمع آمن بالله وصدَّق واعترف بالحق، فله جنّات النعيم، جنات تجري من تحتها الأنهار.

ومِمَّا ينبغي التأدب به أثناء الإستماع المباح، الإنصات، فإذا عرف الحق وجب عليه اتباع ذلك، وينبغي الإنصات أثناء القراءة، وحال خطبة الجمعة، وفي سماع الموعظة والتذكير بدين الله.

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتبت له حسنة مضاعفة)**[1].

ولقد ذم الله تعالى المعرضين عن هذا السماع أى السماع المشروع قال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعكم تغلبون﴾**[2].

فالكفار تواصوا فيما بينهم أن لا يسمعوا هذا القرآن، وينكروه، ويعيبوه، فلا يأخذون الأوامر ولا ينقادون لما فيه، وعارضوه بشدة، وغُنُّوا بالغناء وسماع آلاته، فضَلُّوا عن طريق الهدى علماً وعملاً، وإذا عرض

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٨٦، ٢٨٠، ٤/٤٨

(٢) سورة فصلت، الآية: ٢٦

للمرء سماع الغناء، وسماع القرآن، عدل عن هذا إلى ذاك، فيثقل عليه سماع القرآن الكريم [1].

فالمسلم الذي يستعمل في سماعه السماع المشروع ويعتصم بذلك قد أخبر الله تعالى أنه مهتد فلا يضل ولا يشقى، والمعرض عنه ضالٌّ شقيٌّ قال تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ۞ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ۞ ونحشره يوم القيامة أعمى ۞ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ۞ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾[2].

وقال تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾[3]، فالخير والفلاح والسعادة في سماع كلام الله تعالى وسماع حديث رسول الله ﷺ والخسران والضيق في ترك هذا السماع والإعراض عنه ففي الأول طمأنينة النفس وراحة البال والعاقبة الحميدة في الدنيا والأخرة والثاني عكس ذلك تماماً قلق وحيرة وتردد وشقاء [4].

---

(١) انظر: كف الرعاع عن محرَّمات اللهو والسماع لأحمد بن حجر: صـ ٤١

(٢) سورة طه، الآيات: ١٢٣ - ١٢٦

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٨/٣، ١٢٨/٤

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يبين لمن يدعو أن النبي ﷺ ما ترك شيئا يقرب إلى الجنة إلاّ وقد حدَّث به، ولا شيئا يبعد عن النار إلاّ وقد حدَّث به، وأنَّ هذا السماع الذي فيه الغناء لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله، وإذا وجد السامع به منفعة لقلبه و لم يجد شاهد ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، لم يلتفت إليه، ولقد أنكر الله تعالى على المشركين الذين يستمعون القرآن ويعرضون عنه، ومدح أهل الإيمان الذين يستمعون ويوقنون بما في القرآن ، قال تعالى: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون. . .﴾ الآيات [1].

وقد مدح تعالى المؤمنين الذين يتركون السماع المحرَّم، قال تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مرُّوا باللَّغو مرُّوا كِرَاما﴾[2] فالأغاني وما يتبعها من آلاتها لَهْوٌ محرَّمٌ [3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٢٦٠

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٢

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٢٩

## المبحث الخامس: في ذمِّه لعلم الكلام:

ذم ابن كثير لعلم الكلام وموقفه منه برز في أغلب كتبه خاصَّة في رد الشبه وتفنيد أقوال المخالفين بالحجج القوية السديدة، وذلك في تفسير القرآن العظيم، وأيضاً في كتابه البداية والنهاية، فحين يذكر علماً عُرف عنه اشتغاله بعلم الكلام، أو تأثره بالفلسفة والمنطق، فيعقب ابن كثير بالتحذير من هذا السلوك، والحذر من هذه الطريقة.

وأحب قبل ذكر كلام ابن كثير في ذم علم الكلام، أن نتعرَّف على مفهوم علم الكلام، وما المراد به، وماذا قال فيه علماء الإسلام ؟ وما فائدته؟.

### ما المراد بعلم الكلام ؟:

ذكر الإمام العلاَّمة الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى - علم الكلام فقال: فإني كنت دائماً أعلم أنَّ المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد، ولكن كنت أحسب أنَّ قضاياه صادقة لما رأيت من صدق كثير منها، ثُمَّ تبيَّن لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه، وكتبت في ذلك شيئاً، ثُمَّ لَمَّا كنت بالإسكندرية اجتمع بي مَن رأيته يعظِّم المتفلسفة بالتهويل والتقليد، فذكرت له بعض ما يستحقونه من التجهيل والتضليل [1].

---

(١) كتاب الرد على المنطقيين: صـ ٣

وقال ابن تيمية: بنوا المنطق على الكلام في الحد، ونوعه، والقياس البرهاني، ونوعه، قالوا: لأنَّ العلم إمَّا تصور، وإمَّا تصديق، وكل منهما إمَّا بديهي وإمَّا نظري، فإنَّه من المعلوم أنَّه ليس الجميع بديهياً، ولا يجوز أن يكون الجميع نظرياً لافتقار النظري إلى البديهي، فيلزم الدور القبلي أو التسلسل في العلل التي هي هنا أسباب العلم، وفي الأدلة، وهما ممتنعان [1].

وابن تيمية هو شيخ ابن كثير، فلا عجب حين نرى ابن كثير رحمه الله يقف موقفه الكبير، والدفاع القوي عن الكتاب والسُّنَّة، وذم الكلام وأهله، والرد عليهم بأسلوب حكيم واضح حتى يعرف الناس سوء عاقبة المتكلمين وعلمهم، ولذلك قد اهتدى كثيرٌ من الناس لمَّا تبيَّن لهم خطر علم الكلام وفحشه.

## موقف علماء الإسلام من علم الكلام:

سُئِلَ الإمام الشافعي رحمه الله عن حكمه في أهل الكلام، فقال رحمه الله: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويُحملوا على الإبل ويُطاف بهم في الأسواق والعشائر، ينادى عليهم ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام [2].

---

(١) كتاب الرد على المنطقيين: صـ ٤

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٩/١٠ ، والبداية والنهاية: ٢٥٤/١٠

وقال أيضاً: مذهبي في أهل الكلام تقنيعُ رؤوسهم بالسياط، وتشريدهم في البلاد [1].

وقال كذلك: حكمي في أهل الكلام حكم عمر[2] في صبيغ [3].

وقال ابن تيمية رحمه الله: فمن زعم أنّه لا يقوم عليه برهان بما تواتر عن الأنبياء كيف يمكنه أن يقيم على غيره برهاناً بمثل هذا التواتر ويعظم على الهيئة والفلسفة، ويدعي أنّه علم عقلي معلومٌ بالبرهان [4].

وقال أيضاً: إذا نُظِرَ في كلام معلّمهم الأول - أرسطو - ثُمَّ تدبره العاقل الفاضل لم يفده إلاّ العلم بأنّهم كانوا من أجهل الخلق برب العالمين [5].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٩/١٠

(٢) عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين رضي الله عنه.

(٣) هو: صبيغ بن شريك بن المنذر بن قشع بن عسل اليربوعي التميمي. قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه فأعدَّ له عراجين النَّخل، فقال: مَن أنت ؟ فقال: أنا عبد الله بن صبيغ، قال: وأنا عبد الله عمر، فضربه حتى أدمى رأسه، ويقال: ضربه مائة سوط، حتّى إذا برأ قال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي، ثُمَّ أرسله عمر رضي الله عنه إلى البصرة، وكتب إلى أبي موسى الأشعري عامله عليها أن حرّم الناس مجالسته، فلمَّا صلُحَ حاله كتب أبو موسى إلى عمر بذلك فقال: خلّ بينه وبين الناس.

انظر: سنن الدارمي: ٥١/١ ، والإصابة: ٤٥٨/٣

(٤) انظر: كتاب الرد على المنطقيين: صـ ٣٩٤

(٥) المصدر السابق: صـ ٣٩٥

وقال كذلك: ونحن لا ننازعهم أنَّ كثيراً مِمَّا يتكلمه المتكلمون باطل [1].

قال ابن تيمية رحمه الله: كما أنَّ كثيراً من الفلاسفة وغيرهم من الزنادقة يُدْخِلون في دين المسلمين واليهود والنصارى مِن الشرائع الظاهرة، وإن لم يكونوا في الباطن مقرين بحقيقة ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام، كالمنافقين في المسلمين، تجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر، وهو في الآخرة في الدرك الأسفل من النار [2].

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: كان الشافعي إذا ثبت عنده الحديث قلّده، وخير خصاله لم يكن يشتهي الكلام، إنّما همَّته التفقه [3].

قال ابن كثير عن الشافعي: تحذيره من الخوض في علم الكلام. قال الشافعي: " لأن يلقى الله عزَّ وجلَّ المرء بكُلّ ذنبٍ - خلا الشرك بالله تبارك وتعالى - خيرٌ له من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواء [4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: كتاب الرد على المنطقيين: صـ ٤٥٧

(٣) انظر: مناقب الإمام الشافعي لابن كثير: صـ ١٨٥

(٤) المصدر السابق.

وقال أيضاً: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفرُّوا منه كما يُفَرّ من الأسد [1].

وقال أيضاً: كُل متكلّم على الكتاب والسنة فهو الحق، وما سواه فهو هذيان [2].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في أهل الكلام: سُمُّوا بأهل الكلام لأنّهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً، وإنّما أتوا بزيادة كلام لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما عُلِمَ بالحسّ وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخر، ومع من يُنْكِرُ الحسَّ، وكل مَن قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض في النص بالمعقول، فقد ضاهى إبليس حيث لم يُسلِم لأمر ربه، بل قال [3]: ﴿أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾[4].

وقال أحد أصحاب الشافعي رحمه الله تعالى، للشافعي: كان يقال: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي: بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة [5].

---

(١) المصدر السابق: صـ ١٨٦

(٢) المصدر السابق: صـ ١٨٨

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: صـ ١٦٨

(٤) سورة ص، الآية: ٧٦

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٣/١٠

وجاء رجل من أهل الكلام وهو في مصر فسأله عن مسألة عن الكلام، فقال له الشافعي: أتدري أين أنت ؟ قال الرجل: نعم ! قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغكَ أنَّ رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟. قال: لا. قال: هل تكلّم فيه الصحابة ؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجماً في السماء ؟ قال: لا. قال: فكوكبٌ منها تعرف جنسه، طلوعه، أُفوله، مِمَّ خُلِقَ ؟ قال: لا. قال: فشيءٌ تراه بعينيك من الخَلْق، لست تعرفه، تتكلّم في خالقه ؟!. ثُمَّ سأله الشافعي عن مسألةٍ في الوضوء فأخطأ فيها ففرَّعها على أربعة أوجه، فلم يُصِب في شيءٍ من ذلك. فقال له: شيءٌ تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلّف علم الخالق ؟ إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله وإلى قوله تعالى: ﴿**وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلاَّ هو الرحمن الرحيم**﴾[1]. فاستَدِلَّ بالمخلوق على الخالِق، ولا تتكلّف علم ما لم يبلغه عقلك. فتاب الرجل على يد الشافعي من علم الكلام، وأقبل على فقه الكتاب والسنة، وكان يقول بعد التوبة: أنا خُلُقٌ مِن أخلاق الشافعي. وقد أصبح هذا الرجل المزني عَلَم من أعلام الإسلام في فقه الشافعي [2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٣

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ١٠/٢٥ - ٣٢، ١٢/٤٩٢

وقال صاحب التحفة المهدية: إنَّ أهل الكلام سموا بذلك لأنهم كانوا يسلكون الطرق الصعبة الطويلة، والعبارات المتكلفة الهائلة، وليس لذلك فائدة إلاّ تضييع الزمان، وإتعاب الأذهان، وكثرة الهذيان ودعوى التحقيق بالكذب والبهتان، ولكون هذه الطرق التي سلكوها، والحدود التي ذكروها، لا تفيد الإنسان علماً لم يكن عنده، وإنّما تفيد كثرة كلام فقط، سُمُّوا بأهل الكلام [1].

ومن التحذير في علم الكلام للبعد عنه، وتركه، وعدم الخوض فيه، يقول أحد البارزين فيه، وهو الإمام الرازي رحمه الله: " لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، هي طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[2]، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾[3]، واقرأ في النفي: ﴿ليس كمثله شيء﴾[4]، ﴿ولا يحيطون به علماً﴾[5].

---

(١) انظر: التحفة المهدية بشرح التدمرية: صـ ٥٢

(٢) سورة طه، الآية: ٥

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١

(٥) سورة طه، الآية: ١١٠

وقال: مَن جرَّب مثل تجربتي، وعرف مثل معرفتي كفى [1].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/٥٠١، وشرح الطحاوية: صـ ١٧٠

## الفائـدة من علم الكلام:

إذا تأملنا ما قاله سلف هذه الأُمَّـة في ذم علم الكلام، نرى أنَّـه لا فـائدة في تعلمـه وتعليمـه، وأنَّ الخـوض فيـه مـن أعظـم الذنـوب وأكـبر السـيئات، ويكسب المتعلم أوزارا وآثاماً، ويحدث بلبلة وتشكيكاً لدى الإنسان، وتضييعاً للوقت بلا فائدة.

وابن كثير هو أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله. وعرفنـا ماذا قال الشيخ في الذَّم لأهـل الكـلام والمتكلمـين. والتلميـذ يسـير علـى نهـج شيخه، لا سيما أنَّ ابن كثير كان من تلاميذه المقرَّبين لديه والمتأثرين بـه حتَّـى أنَّه سُجِنَ معه، وقال بآرائه.

وفي البدايـة والنهايـة كثـيراً مـا يتكلَّـم بـذم أهـل الكـلام وأنَّهـم انحرفـوا عن صراط الله المستقيم، وذلك أثناء تراجمه للأعلام. إذاً فابن كثـير رحمـه الله يذم أهل الكلام، وعلم الكـلام، ويحـذّر النـاس مـن ذلـك. وهـذا هـو موقـف السلف الصالح من أهل الكلام.

# الخاتمـــــــة:

الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه والتّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعـد..

فقد مَنَّ الله عزَّ وجلَّ عليَّ بفضله وجوده بإكمال هـذه الرحلة العلمية الممتعة، مـع شيخٍ من شيوخ الإسلام، نَـذَرَ نفسه ووقته للعلم، والدَّعوة إلى الله تعالى، ذلكم هو: **الإمام ابن كثير الدمشقي**.

وتلك الرحلة قد سرت فيها حسب خُطّةٍ مُحَدَّدَةٍ خشية الإطالة من جهة، وبغية تركيز المعلومات حول الموضوعات، ومحاولة لاستقصاء معلومات أكثر حول هذه الشخصية الفذّة من جهةٍ أُخرى.

وفي نهاية بحثي ورحلتي العلمية، وإتماماً للفائدة، أُلَخّصُ أهم وأبرز النتائج والتوصيات.

## أمَّا النتائج فأُجملها فيما يلي:

**أولاً:** تبين لي روعة ما يحفل به تراث الإمام ابن كثير - رحمه الله - من ثروةٍ دعوية عظيمة، تفيض بها المراجع العلمية الكثيرة التي ألّفها، وخاصّةً كتابي " تفسير القرآن العظيم " و " البداية والنهاية ".

وهذه الثروة قد غطّت كافّة موضوعات الدعوة في هذه الدراسة موفية إيَّاها ما تستحق من عرض وتحليل ونقد وتدقيق، مع تأسيس تلك الدراسة على قاعدة عظيمة مستمدة من الكتاب والسنّة وأقوال السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - داعياً إلى ذلك على علمٍ وبصيرة.

**ثانياً:** كما تبيَّن لي امتياز كتابات ابن كثير - رحمه الله - ومؤلّفاته في عرض حقائق الدين، وتعاليمه، وأحكامه، وآدابه، وتفسير الآيات القرآنية - بالاعتماد على الرواية والدراية المعتمدة - فكثيراً ما نراه يذكر الأحاديث الصحيحة، والآثار الثابتة، ويُبيّن أحوال الرواة، ويدرس الأسانيد.

كما نلاحظ أيضا امتياز تلك الآثار العظيمة التي خلّفها ابن كثير - رحمه الله - بتوضيح مقاصد الشريعة الإسلامية، وبيان عقيدة السلف الصالح الصحيحة، للأخذ بها، والابتعاد عن غيرها من العقائد والأفكار الفاسدة.

**ثالثاً:** ظهر لي من خلال البحث والاطّلاع مُمَارسة ابن كثير - رحمه الله - للدَّعوة إلى الله تعالى بشقيها النظري، والتطبيقي.

أمَّا النظري: فنلحظه من خلال مؤلَّفاته العديدة.

وأمَّا العملي فيظهر جلياً من خلال قيامه بالخطابة في عدد من جوامع دمشق، وتدريسه في أكبر مدارسها، وتوليه مشيختها.

**رابعاً:** نلاحظ حرص ابن كثير - رحمه الله - على إعداد الداعية إلى الله تعالى إعداداً سليماً، وذلك من خلال توضيحه للأساليب الناجعة في الدَّعوة إلى الله تعالى من: الهداية والإرشاد، والتربية والتعليم، والتوعية، والترغيب والترهيب، وضرب الأمثال، وايضاح العبر والدروس المفيدة من سيرة النَّبيّ ﷺ، وجهاده، وسيرة صحابته رضوان الله عليهم، وحسن رعايته لأحوال المدعوين، ومراعاة الفوارق الفردية بينهم، ومخاطبة كل منهم بما يعلم.

**خامساً:** تميُّز أسلوب الترغيب والترهيب عند ابن كثير - رحمه الله - بقوة تأثيره وإقناعه وأسْرِه للنفوس. مستشهداً على ذلك بكثيرٍ من نصوص الكتاب والسُّنَّة، وآثار السلف الصالح - رحمهم الله - والشعر المناسب للمقام.

**سادساً**: وقفت أثناء قراءاتي المتعددة عن حياة هذا الإمام على عظيم جهده في التصدي للصوفية خاصّة، وأهل البدع عامَّة، كاشفاً لخفاياهم، رافعاً الستار عن معتقداتهم وآرائهم الفاسدة التي يضمرونها، مِمَّا قد يغتر به بعض المتعالمين، بل ربما دعا إليها وأصبح من أشد أنصارها بسبب اتّباعه للشيطان والهوى، وصدق الله إذ يقول: ﴿أفرأيت مَن اتَّخَذَ إلهه هَواه وأضلَّه الله على علم﴾[1].

**سابعاً**: عمومية دعوته وموعظته، ليس للمسلمين فحسب، بل لغيرهم من أهل الكتاب، مظهرٌ رئيسيٌّ وبارزٌ في دعوته - رحمه الله -، نلحظ ذلك في حرصه الشديد على هدايتهم ودخولهم في الإسلام، واضعاً نصب عينيه بشارة الرسول الكريم ﷺ للدعاة: **(لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النّعم)**[2].

**ثامناً**: الحكمة في الدَّعوة، وبُعْد النّظر، كان لهما الحظ الأكبر في منهج دعوته - رحمه الله - نلحظ ذلك من خلال استغلاله لفرص المناسبات، وتحيُّنِهِ إيَّاها لمناقشة بعض الأُمور ذات الأهمية الكُبْرى

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة: ٦/١١١، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ١٥/١٧٧-١٧٨

في الدين، كالافتاء، والخلافة، ومحاورة العلماء في بعض المسائل طلباً للحصول على النتائج المرضية الموافقة لشرع الله، حفاظاً على مصلحة أُمَّة الإسلام، ولَمّ شملها، ورأب صدعها، مع ابتعاده - رحمه الله - عن مواطن الرياء والسمعة.

**تاسعاً**: رأيت أثناء البحث والاطّلاع في سيرته - رحمه الله - أنّه مثالٌ يُحْتَذَى به في الأدب واللُّطف مع الحُكّام إذا ما أراد نصحهم وإرشادهم من خلال اختياره للوقت المناسب، والأُسلوب المناسب في ذلك الأمر.

وكيف لا يكون كذلك وقد أدرك - رحمه الله - معنى وصية الله للدعاة إلى دينه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

**عاشراً**: مِمَّا تبيَّن لي في سيرة هذا الإمام - رحمه الله - عظيم استغلاله لوقته، إذ صرفه لطلب العلم، والتأليف، والدعوة إلى الله تعالى، مع

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥

غرس هذا المبدأ في نفوس تلامذته، مُحَذّراً إيَّاهم في الوقت نفسه من التفريط في أوقاتهم، إذ الوقت كالسيف إنْ لم تقطعه قطعك.

**حادي عشر**: أعجبت أيما إعجاب بدأب هذا الإمام - رحمه الله- ومثابرته، وتفانيه في خدمة العلم وطلبته، مشتغلاً بالتأليف طوال حياته حتّى كُفَّ بصره - رحمه الله - وإنْ دلَّ هذا على شيءٍ فإنّما يدلّ على حبه للعلم والاطّلاع على كُلّ مفيد في فروع العلوم من حديث، وفقه، وتفسير، وتاريخ.

وهذا كُلّه جعله مثالاً يحتذى لطلبة العلم، والدُّعاة إلى الله عزَّ وجلَّ، في صبره، وإخلاصه لله عزَّ وجلَّ.

**ثاني عشر**: جمع - رحمه الله - مع ما تقدَّم من حرصٍ على العلم وخدمته، كريم الصفات، من هُدوء نفس، وسلامة صدر، وسعة حلم، وبُعْدٍ عن التَّعَصُّبِ، وحُسْنِ صِلَتِهِ بمعاصريه من أهل العلم مِمَّن قد يختلفون معه في الرأي.

وهذه حكمة يهبها الله سبحانه وتعالى مَن يشاء من عباده ﴿يؤتي الحِكْمَةَ مَن يشاء ومَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾[1].

**ثالث عشر**: برز لي في دراستي لحياة هذا الإمام - رحمه الله - ثباته على المنهج القويم، والطريق المستقيم، وعدم تأثُّره بالفتن والاضطرابات التي كانت في عصره، مِمَّا يدل على قوة العقيدة، وثباتها في نفسه، الأمر الذي يجعل مَن اتَّصَفَ بهما غير آبه بتلك العواصف ما دام أنَّه في سبيل الله تعالى.

**رابع عشر**: لحظت أنَّه على الرغم من الاضطرابات المختلفة في عصره - رحمه الله - في مختلف النواحي السياسية، والاجتماعية، والدينية. فقد ازدهرت الناحية العلمية، ونشطت حركة التأليف على خلاف ما هو مألوف، وهذا الازدهار مشابه لما نواجهه في عصرنا الحاضر، مِمَّا يجعلنا نحس ونلمس أنَّ كتاباته - رحمه الله - موجَّهةٌ لأهل عصرنا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩

**خامس عشر**: ظهر لي اهتمامه - رحمه الله - بأمور العقيدة اهتماماً بالغاً، يرشدنا إلى قوة عقيدته، وسعة اطّلاعه، وغزارة ثقافته الشرعية.

نلحظ هذا من خلال تركيزه - رحمه الله - على النواحي العقدية في كتاباته عن السيرة النبوية، وأخبار الصحابة والتابعين، وتاريخ الدَّعوة الإسلامية، والجهاد في سبيل الله، والغزوات والفتوحات الإسلامية، وكثير من المسائل الفقهية، كُلّ ذلك مُدَوَّنٌ في مظانّه من كتبه - رحمه الله.

## وأمَّا التوصيات فأجملها في النقاط الآتيـة:

**أولاً**: نظراً لانتشار مناهج متعددة للدَّعوة تخالف منهج السَّلف الصَّالِح - رحمهم الله -، وتؤدي إلى نتائج عكسية كالتخريب، والفُرْقة المنهي عنها، فإني أُوصي بأهمية إبراز مناهج السَّلف الصَّالح - رحمهم الله - في الدَّعوة إلى الله تعالى في الغاية والمنهج.

**ثانياً**: أُوصي الجامعات العلمية على حَثّ طُلاَّب الدراسات العليا على دراسة منهج العلماء الأعلام - رحمهم الله - المتابعين للسَّلَف الصَّالح في الدَّعوة إلى الله تعالى، كما أُوصي بأن تتبنَّى الجهات التعليمية ذات العلاقة، إبراز منهج السَّلَف، وتبليغه إلى الموجّهين، ثُمَّ إلى المدرّسين والقائمين على التربية والتعليم، ومحاولة نشر ذلك المنهج عَبْر وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، كُلّ ذلك من أجل إعداد جيل مسلم صالح يفيد نفسه وغيره في جميع مجالات الدَّعوة إلى الله تعالى.

**ثالثاً**: أرى أنَّ الحاجة في هذا العصر ماسّة لتضافر جهود الدُّعاة إلى الله في محاولةٍ لأعادة الأُمَّة إلى طريقها ورسالتها العظيمة، وهذا لن يتأتَّى إلاَّ بتقديم مصالح الأُمَّة الإسلامية، والدَّعوة

إلى الله تعالى على المصالح الشخصية، اقتداءً بنبيِّ الهُدى ﷺ، ومتابعة لسلف هذه الأُمَّة الصَّالح - رحمهم الله -.

**رابعاً:** أُوصي الدُّعاة إلى الله تعالى بالاستفادة من منهج ابن كثير - رحمه الله - في الدَّعو إلى الله، نظراً لِمَا بَيْنَ العصْرَين من التشابه - كما سبق بيانه في النتائج - إضافة إلى ما يتحلَّى به في كتاباته من سداد توجيه، وسلامة نظر، ورحابة أُفق، وقوة تأليف، وسهولة المأخذ، والمكانة العلمية.

**خامساً:** كما أُوصي الدعاة دائماً بعقد موازنات بينهم وبين أولئك الرجال الذين نذروا أنفسهم وأموالهم خِدْمَةً للدين والعلم، طالبين رضا الله جلَّ وعلا، مُعْرِضين عن مطامع الدنيا من جاهٍ أو مالٍ أو غير ذلك، وذلك لكي نرى مدى تفانيهم واستعدادهم وبذلهم، ومدى تقصيرنا وتهاوننا في هذا السبيل، على الرغم مِمَّا هو متوفّر في عصرنا من وسائل انتقال واتصال، وغير ذلك. علَّ ذلك أن يكون دافعاً ومحرّكاً لهم لمزيد من البذل والعطاء في دعوتهم إلى الله، كما قدَّم أولئك الأفذاذ في عصرهم.

**سادساً:** وختاماً، فحريٌّ بنا معشر القُرَّاء أن نبرز مآثر هؤلاء العلماء الذين بذلوا قصارى ما يستطيعون في سبيل الله تعالى من نقل حقائق تاريخية، أو مناقشة مسائل فقهية، مهما كلّفهم ذلك.

كما أنَّه جديرٌ بنا أن نحذو حذوهم، ونقتدي بهم، في أن نضع مناهجنا وفق منهجهم، مع مراعاة فوارق القُدرات في الفهم، والذكاء، وكثرة مشاغل عصرنا الحاضر، وتقريب الصور بعضها من بعض، والعمل الدائب المستمر على التحصيل، معرضين عن قولِ مَن قال: " **إنَّ المتقدِّم لَمْ يترُك للمُتَأخِّرِ شيئاً** ". لأنَّ هناك أشياء عديدة من تراث إسلامنا الخالد لا تزال مغمورة تحت طيَّات تنتظر الباحثين بفارغ الصبر ليخرجوها إلى الوجود، ليفيدوا منها أنفسهم، ويفيدوا غيرهم بها.

**والحمد لله أولاً وآخراً**

**والصلاة والسلام على نبيه محمَّد**

**وعلى آله وصحبه أجمعين**

# القوائم

—

١ – قائمة الآيات القرآنية الكريمة .

٢ – قائمة الأحاديث النبوية الشريفة والآثار .

٣ – قائمة الأعـــلام .

٤ – قائمة المصادر والمراجع .

٥ – قائمة الموضـوعات .

## ١ - قائمة الآيات القرآنية الكريمة :


| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ١ - سورة الفاتحة ﴾ | | |
| ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ | ٥ | ٤٨٢ |
| ﴿ ٢ - سورة البقرة ﴾ | | |
| ﴿ ويقيمون الصلاة ومِمَّا رزقناهم ينفقون ﴾ | ٣ | ١١٠/٩٨ |
| ﴿ ومن النَّاس مَن يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ | ٨ | ٣٢٨ |
| ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾ | ٢١ | ٧٨٧ |
| ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ | ٢٢ | ٧٨٨/٥٦٢ |
| ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ | ٢٨ | ٤٧٨ |
| ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق ﴾ | ٤٢ | ٦٠٣/٢٤٦ |
| ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ... ﴾ | ٤٤ | ١٦٣ |
| ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنَّها لكبيرة ... ﴾ | ٤٥ | ٢٥٧/٢٥١/٩٦ |
| ﴿ فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها .. ﴾ | ٦٦ | ٣٨٢ |
| ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ | ٨٧ | ٣٨٧ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا .. ﴾ | ١٠٤ | ٦٠٩ |
| ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾ | ١٠٥ | ٦٠٧ |
| ﴿ ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم ... ﴾ | ١٠٩ | ٦٠٦ |
| ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا .. ﴾ | ١١٠ | ١٠٩ |
| ﴿ بلى مَن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ | ١١٢ | ١٧٨ |
| ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى.. ﴾ | ١٢٠ | ٦١٤/١٦١ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم ﴾ | ١٢٩ | ٣٧٣ |
| ﴿ ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه .. ﴾ | ١٣٠-١٣٢ | ٥٢٦ |
| ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية .. ﴾ | ١٤٥ | ٦١٤ |
| ﴿ إنَّ الله مع الصابرين ﴾ | ١٥٣ | ٢٦١ |
| ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ | ١٥٤ | ٧٧٩ |
| ﴿ وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم ... ﴾ | ١٥٥-١٥٧ | ٢٦٣/٢٨٢ |
| ﴿ أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة ﴾ | ١٥٧ | ٩٧ |
| ﴿ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ﴾ | ١٥٩ | ٨٠٩ |
| ﴿ وإلهكم إلهٌ واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم ﴾ | ١٦٣ | ٦٨/٨٤٣ |
| ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً .. ﴾ | ١٦٥ | ٥٦٣ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ | ١٧٢ | ٣٤٤ |
| ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ | ١٧٧ | ٢٣٩ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ | ١٨٣ | ١٢١/١٢٨ |
| ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ | ١٨٥ | ٤٣٩/٤٤٢ |
| ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ | ١٨٥ | ١٢٢/١٢٨ |
| ﴿ أحلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم .. ﴾ | ١٨٧ | ١٢٩ |
| ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ... ﴾ | ١٩٠ | ٧٧٤ |
| ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم ... ﴾ | ١٩١ | ٧٧٤ |
| ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ | ١٩٥ | ٤٣٢ |
| ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ | ١٩٦ | ١٣١ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج ﴾ | ١٩٧ | ١٣٥/١٣٦ |
| ﴿ وتزودوا فإنَّ خير الزاد التقوى ﴾ | ١٩٧ | ٤٧١/٨٠٥ |
| ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ | ٢٠٤ | ٣٦٣ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافَّة ﴾ | ٢٠٨ | ٥٨٦ |
| ﴿ كان الناس أُمَّة فبعث الله النبيين مبشرين ﴾ | ٢١٣ | ٢٠٣ |
| ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يأتكم مثل ﴾ | ٢١٤ | ٢٧٣/٣٤٦ |
| ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ... ﴾ | ٢١٦ | ٧٧٦ |
| ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل ... ﴾ | ٢١٧ | ٣١٥ |
| ﴿ أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة ﴾ | ٢٢١ | ٥٠٦ |
| ﴿ إنَّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ | ٢٢٢ | ٨٢٦ |
| ﴿ نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم ﴾ | ٢٢٣ | ٤٣٢ |
| ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد .. ﴾ | ٢٥٦ | ٦٩/٧٠ |
| ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات ﴾ | ٢٥٧ | ٤٩ |
| ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه ﴾ | ٢٥٨ | ٤١٢ |
| ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن ﴾ | ٢٦٠ | ٤٠٤ |
| ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة ﴾ | ٢٦٩ | ٣٧١/٣٧٥/٨٥١ |
| ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ | ٢٧٢ | ٣٨٤/٥٩٣ |
| ﴿ إنَّك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي .. ﴾ | ٢٧٢ | ٤٦٢ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ٣ - سورة آل عمران ﴾ | | |
| ﴿ إنَّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ... ﴾ | ٥ | ٣٦٧ |
| ﴿ فأمَّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه .. ﴾ | ٧ | ٧٥٢ |
| ﴿ وما يذَّكر إلاَّ أولوا الألباب ﴾ | ٧ | ٨٠٣ |
| ﴿ زُيِّن للناس حبُّ الشهوات من النساء ﴾ | ١٤ | ٣٣٢ |
| ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ﴾ | ١٦ | ٤٠٠/٣٩٨ |
| ﴿ شهد الله أنَّه لا إله إلاَّ هو والملائكة ... ﴾ | ١٨ | ٧٩١/٧٤ |
| ﴿ إنَّ الدين عند الله الإسلام ﴾ | ١٩ | ٦٠١/٥٨٢ |
| ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ﴾ | ١٩ | ٦٠١ |
| ﴿ فإن حاجُّوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني ﴾ | ٢٠ | ١٧٨ |
| ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ | ٢٣ | ٥٨٧ |
| ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ | ٣١ | ١٨٩/٨٣ ٧٤٩/٣٥٢ |
| ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر ﴾ | ٣٢ | ٨٥ |
| ﴿ إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه .. ﴾ | ٥٩ | ٧٥٣ |
| ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء ﴾ | ٦٤ | ٥٩٦/٥٩٣/٥٨٥ |
| ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم .. ﴾ | ٦٥-٦٦ | ٤١٢ |
| ﴿ ودَّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴾ | ٦٩ | ٦٠٦ |
| ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي ﴾ | ٧٢ | ٦٠٦ |
| ﴿ كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ﴾ | ٧٩ | ٥٦ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب ﴾ | ٨١-٨٢ | ٥٩٨/٨٧ ٧٥١ |
| ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ | ٨٥ | ٥٨٢/٥٢٦/٥٥ ٦٠١ |
| ﴿ إنَّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون .. ﴾ | ٩١ | ٦٠٩ |
| ﴿ كل الطعام كان حِلاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرَّم ﴾ | ٩٣ | ٥٣٠/٤١٥ |
| ﴿ و لله على الناس حج البيت من استطاع ﴾ | ٩٧ | ١٣٢/١٣١/١٣٠ |
| ﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ﴾ | ٩٨-٩٩ | ٦٠٣ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ | ١٠٢ | و |
| ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا ﴾ | ١٠٣ | ١٨٩ |
| ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا ... ﴾ | ١٠٥ | ١٩٣ |
| ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أُمَّة قائمة ﴾ | ١١٣-١١٥ | ٦٠٤ |
| ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ | ١٢٠ | ٢٦٤ |
| ﴿ واتقوا النار التي أُعدَّت للكافرين ﴾ | ١٣١ | ٥٠٥ |
| ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة ﴾ | ١٣٣-١٣٤ | ٥٠٥ |
| ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ﴾ | ١٣٥ | ٨٢٢/٦٤٣ |
| ﴿ هذا بيانٌ للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ | ١٣٨ | ٣٩٠ |
| ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يعلم الله ﴾ | ١٤٢ | ٢٥٣ |
| ﴿ وما محمَّدٌ إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ﴾ | ١٤٤ | ٤٤٥/٣٦٦ |
| ﴿ وما كان لنفسٍ أن تموت إلاّ بإذن الله ﴾ | ١٤٥ | ٧٨٠ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وكأين من نبيٍّ قاتل معه ربيون كثير ﴾ | ١٤٦ | ٢٦٦ |
| ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت .. ﴾ | ١٥٩ | ٣٧٧ |
| ﴿ أفمن اتّبع رضوان الله كمن باء بسخطٍ من الله ﴾ | ١٦٢ | ٥٥ |
| ﴿ ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾ | ١٦٩ | ٧٧٨ |
| ﴿ كُلُّ نفسٍ ذائقة الموت وإنّما توفون أجوركم ﴾ | ١٨٥ | ٤٤٨ |
| ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من .. ﴾ | ١٨٦ | ٢٧٦/٤٤ |
| ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب لتبيننه للناس ﴾ | ١٨٧ | ٧٢٥ |
| ﴿ وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل ﴾ | ١٩٩ | ٦٠٤ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ | ٢٠٠ | ٢٦٢/٢٥٧ |
| **﴿ ٤ – سورة النساء ﴾** | | |
| ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم ﴾ | ١ | و |
| ﴿ إنَّ الله كان عليكم رقيبا ﴾ | ١ | ٥٤٠ |
| ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ﴾ | ١٤ | ٦٤١ |
| ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ﴾ | ٣١ | ٤٣٦/٣٢١/١٦ |
| ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ | ٣٦ | ٣٢٢ |
| ﴿ إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرةٍ وإن تك حسنة ﴾ | ٤٠ | ٤٩٩ |
| ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ | ٤٦ | ٦١٠ |
| ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك ﴾ | ٤٨ | ٥٦٤ |
| ﴿ إنَّ الله نعمَّا يعظكم به إنَّ الله كان سميعاً بصيرا ﴾ | ٥٨ | ٦٣٨ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ | ٥٩ | ٧٥٤/٦٢٨/١٩٦ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول ﴾ | ٥٩ | ١٩٦ |
| ﴿ وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا ﴾ | ٦٣ | ٣٩٣ |
| ﴿ ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم ﴾ | ٦٦ | ٣٨٢ |
| ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين ﴾ | ٦٩-٧٠ | ٢٣٨/٨٩ |
| ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خيرٌ لمن اتّقى ﴾ | ٧٧ | ٣٠٢ |
| ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾ | ٧٨ | ٤٤٨ |
| ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ | ٨٠ | ٨٣ |
| ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيبٌ منها ﴾ | ٨٥ | ٣٨١ |
| ﴿ الله لا إله إلاّ هو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة ﴾ | ٨٧ | ٤٨٢/٦٨ |
| ﴿ إنَّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ | ١٠٣ | ٩٧ |
| ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثُمَّ يستغفر الله ﴾ | ١١٠ | ٨٢١/٣٣١ |
| ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك .. ﴾ | ١١٣ | ٣٧٨/٣٧١ |
| ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ﴾ | ١١٥ | ٢٠٠ |
| ﴿ إنَّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ﴾ | ١١٦ | ٥٦٤/٣٢٢ |
| ﴿ ومن أحسن ديناً مِمَّن أسلم وجهه لله ... ﴾ | ١٢٥ | ٢٢٢ |
| ﴿ إنَّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ | ١٤٢ | ١٧٩ |
| ﴿ إنَّ المافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ | ١٤٥ | ٣٢٧ |
| ﴿ إلاّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله ﴾ | ١٤٦ | ٣٣٠/٢٢٣ |
| ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلاّ يكون للناس ﴾ | ١٦٥ | ٤١٤/٢١١/٥٠ |
| ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك ﴾ | ١٦٦ | ٧٩٢ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق ﴾ | ١٧٠ | ٩١ |
| ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ | ١٧٦ | ٧٢٦ |
| **﴿ ٥ - سورة المائـدة ﴾** | | |
| ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم ﴾ | ٢ | ١٧١ |
| ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾ | ٣ | ١٣٤/٤٥ ٧٤٨/٣٥٧ |
| ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ... ﴾ | ٥ | ٥٥ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله ... ﴾ | ٨ | ٧٠١ |
| ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم ﴾ | ١٥-١٦ | ٦٠٢ |
| ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم ﴾ | ١٩ | ٥٩٠/٤١٤ |
| ﴿ إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ... ﴾ | ٤٤ | ٥٢٦ |
| ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا ﴾ | ٤٨ | ٥٤٤/٥٢٧/١٢١ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا مَن يرتد منكم عن دينه .. ﴾ | ٥٤ | ٤٣١ |
| ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم ﴾ | ٦٣ | ٦٢٨ |
| ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك ﴾ | ٦٧ | ٦٩٣/٣٨٧ |
| ﴿ يا أهل الكتاب لستم على شيء ... ﴾ | ٦٨ | ٥٨٩ |
| ﴿ إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ﴾ | ٧٢ | ٥٦٧/٥٦٤/٤٢٣ |
| ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ | ٧٤ | ٨٢٢ |
| ﴿ لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ﴾ | ٨٢ | ٦٠٨ |
| ﴿ وإذا سمعوا ما أُنزِل إلى الرسول ترى أعينهم ﴾ | ٨٣ | ٨٣٤ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ... ﴾ | ٩٧ | ١٣٢ |
| ﴿ اعلموا أنَّ الله شديد العقاب ... ﴾ | ٩٨ | ٤٢٩ |
| ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ... ﴾ | ١١٧-١١٨ | ٤٨٧ |
| ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ | ١١٩ | ٢٤٩ |
| **﴿ ٦ - سورة الأنعام ﴾** | | |
| ﴿ قل الله شهيدٌ بيني وبينكم وأُوحي إليَّ هذا ﴾ | ١٩ | ٥٢٦/٥٥١ |
| ﴿ وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ | ١٩ | ٥٢٦ |
| ﴿ وما الحياة الدنيا إلاَّ لعبٌ ولهوٌ وللدَّار الآخرة خير ﴾ | ٣٢ | ٥١١ |
| ﴿ ولقد كُذِّبت رُسُلٌ من قبلك فصبروا .. ﴾ | ٣٤ | ٢٧٨ |
| ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء .. ﴾ | ٥٣ | ٦٢٣ |
| ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ | ٦١-٦٢ | ٤٤٧/٤٥٥ |
| ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً ﴾ | ٦٥ | ٤٢٢ |
| ﴿ الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ ... ﴾ | ٨٢ | ٥٧١ |
| ﴿ لا أسألكم عليه أجراً ﴾ | ٩٠ | ٣٠٨ |
| ﴿ أولئك مع الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ | ٩٠ | ٣٤٤ |
| ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ | ١٠١ | ٧٤٧ |
| ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر .. ﴾ | ١٠٤ | ٣٦٧/٨٠٦ |
| ﴿ وتمَّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ... ﴾ | ١١٥ | ٥٥٧ |
| ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ... يقترفون ﴾ | ١٢٠ | ٣٦٥/٦٤٧ |
| ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا .. ﴾ | ١٢٢ | ٤٤٤/٨١١ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وكذلك جعلنا في كُلّ قرية أكابر مجرميها .. ﴾ | ١٢٣-١٢٤ | ٦٢٠ |
| ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ | ١٢٤ | ٣٦٠ |
| ﴿ وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصَّلنا الآيات ﴾ | ١٢٦-١٢٧ | ٥١١ |
| ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ | ١٤١ | ١١١ |
| ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ | ١٥١ | ٨٢٩ |
| ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ... ﴾ | ١٥٣ | ٢١١/٣٧ ٧٤٩/٥١١ |
| ﴿ وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتبعوه ... ﴾ | ١٥٥ | ٨٠٧ |
| ﴿ إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً ... ﴾ | ١٥٩ | ٧٥٦/١٩٤ |
| ﴿ قُل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي .. ﴾ | ١٦٢-١٦٣ | ٢١٤/٥٣ |
| ﴿ إنَّ ربَّك سريع العقاب ﴾ | ١٦٥ | ٤٢٧ |
| **﴿ ٧ - سورة الأعراف ﴾** | | |
| ﴿ وريشاً ولباس التقوي ذلك خير ﴾ | ٢٦ | ٨٠٥ |
| ﴿ وادعوه مخلصين له الدين ﴾ | ٢٩ | ٢٢٨ |
| ﴿ قُل مَن حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾ | ٣٢ | ٥٦ |
| ﴿ قُل إنّما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها ﴾ | ٣٣ | ٦٤٧/٣٦٥ |
| ﴿ وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً ﴾ | ٣٣ | ٦٥١ |
| ﴿ ولكل أُمَّةٍ أجل فإذا جاء أجلهم ... ﴾ | ٣٤ | ٤٥٦ |
| ﴿ لا تفتّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون ..﴾ | ٤٠ | ٤٦٨ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي .. ﴾ | ٤٣ | ٥٥٧ |
| ﴿ وبينهما رجال وعلى الأعراف رجال ﴾ | ٤٦ | ٤٣٦ |
| ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ... ما لا تعلمون ﴾ | ٥٩-٦٢ | ٦٢٢/٣٨٦ |
| ﴿ أتعلمون أنَّ صالحاً مرسَلٌ من ربه ﴾ | ٧٥ | ٦٥٠ |
| ﴿ ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتَّقوا لفتحنا ﴾ | ٩٦ | ٨٢٤ |
| ﴿ الذين يتبعون الرسول النَّبيّ الأُميّ ... ﴾ | ١٥٧ | ٥٩٩ |
| ﴿ قل يا أيها النَّاس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ | ١٥٨ | ٦٩٤/٥٥١/٥٢٦ |
| ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ | ١٧٢ | ٧٨ |
| ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ | ١٧٥-١٧٧ | ٨٠١ |
| ﴿ فاقصص القصص لعلَّهم يتفكرون ﴾ | ١٧٦ | ٥٣١ |
| ﴿ فلمَّا آتاهما صالحاً جعلوا له شركاء ... ﴾ | ١٩٠ | ٥٦٥ |
| ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ | ١٩٩-٢٠٠ | ٣٥٥ |
| ﴿ إنَّ الذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان ﴾ | ٢٠١ | ٦٥٤ |
| ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا .. ﴾ | ٢٠٤ | ٨٣٤ |
| **﴿ ٨ - سورة الأنفال ﴾** | | |
| ﴿ يجادلونك في الحق بعد ما تبين ... ﴾ | ٦ | ٤٠٠ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ | ٢٠ | ٩٣ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ﴾ | ٢٤ | ٥٥٦ |
| ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ | ٣٨ | ٨٢٢/٥٨١ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ٩ - سورة التوبة ﴾ | | |
| ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا ﴾ | ٥ | ١١٤/١١٥ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنّما المشركون نجس ﴾ | ٢٨ | ٥٦٨ |
| ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ... ﴾ | ٣٤-٣٥ | ١١٥ |
| ﴿ وقاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلوكم كافّة ﴾ | ٣٦ | ٧٧٤ |
| ﴿ منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ... ﴾ | ٣٦ | ١٣٧ |
| ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ... ﴾ | ٣٨ | ٤٧٣ |
| ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ... ﴾ | ٥٤ | ١١٤ |
| ﴿ إنّما الصدقات للفقراء والمساكين ... ﴾ | ٦٠ | ١١٢ |
| ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنّما كنا نخوض ونلعب ﴾ | ٦٥ | ٧٦٠ |
| ﴿ إنَّ المنافقين هم الفاسقون ﴾ | ٦٧ | ٣٢٧ |
| ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ... ﴾ | ٧٣ | ٥٦٩ |
| ﴿ فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولّوا يعذبهم الله ﴾ | ٧٤ | ٣٣٠ |
| ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ... ﴾ | ٥٧-٧٧ | ٢٣٦ |
| ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ | ١٠٠ | ٤٤٢ |
| ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً ﴾ | ١٠٢ | ٦٤٠ |
| ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ | ١٠٣ | ١١٢/١٠٧ |
| ﴿ ألم يعلموا أنَّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ | ١٠٤ | ٦٤٥ |
| ﴿ إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ | ١١١ | ٧٧١ |
| ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا .. ﴾ | ١١٣-١١٤ | ٣٤٧ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع .. ﴾ | ١١٩ | ٢٣٧ |
| ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافّة ... ﴾ | ١٢٢ | ٨٠٣/٢٠٧ |
| ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليكم ﴾ | ١٢٨ | ٥٥٤/٣٧٥ |
| **﴿ ١٠ – سورة يونس ﴾** | | |
| ﴿ إنَّ الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة .. ﴾ | ٧ | ٥٦٩ |
| ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ... ﴾ | ١٨ | ٤٧٢ |
| ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من .. ﴾ | ٢٥ | ٥١٠/٤٩ |
| ﴿ وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ﴾ | ٤١ | ٥٧٣ |
| ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنّه لحق ﴾ | ٥٣ | ٤٧٧ |
| ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم ﴾ | ٥٧ | ٧٩٨/٣٩٠/٣٣٥ |
| ﴿ وما تكون في شأنٍ وما تتلو منه من قرآنٍ ﴾ | ٦١ | ٥٤٠ |
| ﴿ فإن تولّيتم فما سألتكم من أجرٍ ... ﴾ | ٧٢ | ٥٤ |
| ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ... ﴾ | ١٠٨ | ٨٠٦ |
| ﴿ واتبع ما يوحى إليك من ربك واصبر ... ﴾ | ٢٠٩ | ٢٧٠ |
| **﴿ ١١ – سورة هود ﴾** | | |
| ﴿ وأن استغفروا ربكم ثُمَّ توبوا إليه ... ﴾ | ٣ | ٨٢٠ |
| ﴿ إن هذا إلاّ سحرٌ مبين ﴾ | ٧ | ٤٧٩ |
| ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمَّة ... ﴾ | ٨ | ٥٩٥ |
| ﴿ فلعلّك تاركٌ بعض ما يوحى إليك ... ﴾ | ١٢ | ٥٢٦/٢٨٨ |
| ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ... ﴾ | ١٥-١٦ | ٢٢٩ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ | ١٧ | ٥٢٦ |
| ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير .. ﴾ | ٢٤ | ٨١١ |
| ﴿ لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلاّ على الله ﴾ | ٢٩ | ٣٠٩ |
| ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾ | ٣٢ | ٤١١ |
| ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره ﴾ | ٥٠ | ٣٢٣ |
| ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره هو أنشأكم ﴾ | ٦١-٦٣ | ٥٢١ |
| ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ | ٨٨ | ١٦٣ |
| ﴿ ذلك من أنباء القرى نقُصّه عليك ... ﴾ | ١٠٠-١٠١ | ٥٢٨ |
| ﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ | ١٠٣ | ٤٨٠ |
| ﴿ وما نؤخره إلاّ لأجلٍ معدود ﴾ | ١٠٤ | ٤٨٠ |
| ﴿ فأمَّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير .. ﴾ | ١٠٦ | ٥٤٤ |
| ﴿ وأمَّا الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ﴾ | ١٠٨ | ٥٤٤ |
| ﴿ وإن كُلاًّ لّما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ | ١١١ | ٤٨١ |
| ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمَّةً واحدة .. ﴾ | ١١٨-١١٩ | ١٩٩ |
| ﴿ وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى .. ﴾ | ١٢٠ | ٣٩٠ |
| ﴿ وكُلاًّ نقُصُّ عليك من أنباء الرسل ... ﴾ | ١٢٠ | ٥٢٩ |
| **﴿ ١٢ - سورة يوسف ﴾** | | |
| ﴿ نحن نقُصُّ عليك أحسن القصص ... ﴾ | ٣ | ٥١٧/٥٢٢ |
| ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين ﴾ | ٧ | ٥١٧ |
| ﴿ وشروه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة ... ﴾ | ٢٠ | ٢٩١ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يا صاحبي السجن أأربابٌ متفرقون خير .. ﴾ | ٣٩-٤٠ | ٥٨١ |
| ﴿ وفوق كُلّ ذي علمٍ عليم ﴾ | ٧٦ | ٧١٥ |
| ﴿ إنّما أشكوا بثي وحزني إلى الله ﴾ | ٨٦ | ٢٨٤ |
| ﴿ يا بني اذهبوا فتحسَّسوا من يوسف وأخيه ﴾ | ٨٧ | ٢٨٩ |
| ﴿ إنّه مَن يتق ويصبر فإنَّ الله لا يضيع أجر .. ﴾ | ٩٠ | ٢٨٠ |
| ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل ﴾ | ١٠١ | ٥٥ |
| ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ | ١٠٣ | ٥٨١ |
| ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون ﴾ | ١٠٦ | ٥٦١/٥٦٥ |
| ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة ﴾ | ١٠٨ | ز/١٤٨/٣٢٠/٥٧٠ |
| ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ | ١١١ | ٢٤٢/٣٨٥/٥٣١ |
| **﴿ ١٣ - سورة الرعـد ﴾** | | |
| ﴿ وإنَّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ | ٦ | ٤٢٨ |
| ﴿ أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها ﴾ | ١٧ | ٨٠٧ |
| ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا ... ﴾ | ٢٢ | ٢٦١ |
| ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب .. ﴾ | ٢٣-٢٤ | ٢٦٤ |
| ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ متاع ﴾ | ٢٦ | ٣٠٢ |
| ﴿ قل إنّما أُمرت أن أعبُد الله ولا أشرك به ﴾ | ٣٦ | ٥٦٥ |
| ﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت .. ﴾ | ٣٧ | ٨١٠ |
| ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ | ٤٠ | ٤٦٢ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **﴿ ١٤ - سورة إبراهيم ﴾** | | |
| ﴿ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض ﴾ | ٨ | ٧٩٢/٩٢ |
| ﴿ ويأتيه الموت من كُلّ مكان وما هو بميت ﴾ | ١٧ | ٤٤٤ |
| ﴿ سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ | ٢١ | ٢٥٠ |
| ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت .. ﴾ | ٢٧ | ٤٦٩/٤٦٥ |
| **﴿ ١٥ - سورة الحجـر ﴾** | | |
| ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ | ٩ | ٤١٦ |
| ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * ... ﴾ | ٤٩-٥٠ | ٤٣٠/٤٢٨ |
| ﴿ ومَن يقنط من رحمة ربه إلاّ الضالون ﴾ | ٥٦ | ٢٨٩ |
| ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ | ٨٧-٨٨ | ٢٩٤ |
| ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ | ٨٨ | ٥٥٤ |
| ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين ﴾ | ٩٤ | ٥٥١ |
| **﴿ ١٦ - سورة النحـل ﴾** | | |
| ﴿ خلق السموات والأرض بالحق تعالى ... ﴾ | ٣-٤ | ٥٧٨ |
| ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون .. ﴾ | ٢٠-٢١ | ٤٧٢ |
| ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا ... ﴾ | ٢٣ | ١٥٩ |
| ﴿ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ... ﴾ | ٢٩ | ٤٦٤ |
| ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ... ﴾ | ٣٠ | ٤٢٠ |
| ﴿ لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ﴾ | ٣٥ | ٣٢٥ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ولقد بعثنا في كل أُمَّة رسولاً أن اعبدوا الله ﴾ | ٣٦ | ٣٢٤/٧٥/٤٨ ٥٧٧/٥٢٩ |
| ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ... ﴾ | ٦١ | ٧٨٠ |
| ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إنَّ الله يعلم ﴾ | ٧٥ | ٥٧٧ |
| ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون ﴾ | ٧٨ | ١٤٦ |
| ﴿ إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ... ﴾ | ٩٠ | ٦٣٨/٣٩٣/٤٩ |
| ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ | ٩٦ | ٢٦٦ |
| ﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى ... ﴾ | ٩٧ | ١٨٢ |
| ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ... ﴾ | ٩٧ | ٢٨٢ |
| ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال ﴾ | ١١٦-١١٧ | ٢٤٧ |
| ﴿ إنَّ إبراهيم كان أُمَّة قانتاً لله حنيفاً ﴾ | ١٢٠-١٢٢ | ٣١٧ |
| ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ | ١٢٥ ١٥٠ | ٣٨٢/٣٧٥/١٥٠ ٤٠٥/٣٩٨/٣٩٧/٣٩٣ ٨٥٠/٦٥٢/٥٩٢/ح |
| ﴿ ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين * واصبر ﴾ | ١٢٦-١٢٧ | ٢٨٨/٢٦٠/٢٥٧ |

## ﴿ ١٧ - سورة الإسراء ﴾

| | | |
|---|---|---|
| ﴿ إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ | ٩ | ٤٠ |
| ﴿ من كان يريد العاجلة عجَّلنا له فيها ... ﴾ | ١٨-٢١ | ٣١١/٣٠٣ |
| ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ | ٢١ | ٢٤١ |
| ﴿ وقضى ربك ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه وبالوالدين ﴾ | ٢٣-٢٤ | ٦٥٥ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ولا تقربوا الزنى إنّه كان فاحشة وساء .. ﴾ | ٣٢ | ٤٢٣ |
| ﴿ وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسئولا ﴾ | ٣٤ | ٢٣١ |
| ﴿ تسبح له السموات والأرض ومَن فيهن ﴾ | ٤٤ | ٥٧١ |
| ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده .. ﴾ | ٥٢ | ٥٦١ |
| ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم ﴾ | ٥٧ | ٤٢٨ |
| ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك .. ﴾ | ٦٤ | ٨٢٩ |
| ﴿ إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان ... ﴾ | ٦٥ | ٨٣٠ |
| ﴿ ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ﴾ | ٧٠ | ٤٠ |
| ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ﴾ | ٧٢ | ٤٨ |
| ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني .. ﴾ | ٨٠ | ٢٤٦ |
| ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ... ﴾ | ٨٢ | ٨٣٣/٣٣٥ |
| ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إنَّ الذين أوتوا ... ﴾ | ١٠٧-١٠٩ | ١٥٤ |
| ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا....﴾ | ١١ | ٧٩٦ |
| **﴿ ١٨ – سورة الكهف ﴾** | | |
| ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ... ﴾ | ١-٢ | ٣٩٦ |
| ﴿ كبرت كلمةً تخرج من أفواههم ... ﴾ | ٥ | ٣٤٢ |
| ﴿ أم حسبت أنَّ أصحاب الكهف والرقيم .. ﴾ | ٩-١٢ | ٥١٧ |
| ﴿ نحن نقُصُّ عليك نبأهم بالحق ﴾ | ١٣ | ٥١٧ |
| ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾ | ٢٨ | ٢٥٠ |
| ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا .. ﴾ | ٢٨ | ٢٢٦ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع ﴾ | ٣٠ | د |
| ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه ﴾ | ٤٥ | ٢٧٦ |
| ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ | ٤٧ | ٤٨٠ |
| ﴿ ولقد صرَّفنا في هذا القرآن من كل مثل ﴾ | ٥٤ | ٤١٠ |
| ﴿ وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين ﴾ | ٥٦ | ٤٠١ |
| ﴿ فارتدَّا على آثارهما قصصا ﴾ | ٦٤ | ٥١٥ |
| ﴿ علَّمناه من لدنا علما ﴾ | ٦٥ | ٨١٣ |
| ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مِمَّا علمت رشدا ﴾ | ٦٦ | ٨٠٠/٢٢١ |
| ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ | ١٠٥ | ٥٠١ |
| ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً .. ﴾ | ١١٠ | ٥٦١/٤٤٩/١٧٠ |
| **﴿ ١٩ - سورة مريـم ﴾** | | |
| ﴿ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا ﴾ | ٢٣ | ٤٤٤ |
| ﴿ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ﴾ | ٤٣-٤٤ | ١٥٨ |
| ﴿ وجعلنا لهم لسان صدقٍ علياً ﴾ | ٥٠ | ٢٣٢ |
| ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق ﴾ | ٥٤-٥٥ | ٢٣٢/١٠١ |
| ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة .. ﴾ | ٥٩-٦٠ | ١٠٤ |
| ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ | ٦٥ | ٢٥١ |
| ﴿ وإن منكم إلاّ واردها كان على ربك ... ﴾ | ٧١-٧٢ | ٤٩٦/٤٩٥ |
| ﴿ ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾ | ٨٣ | ٨٣٠ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **﴿ ٢٠ - سورة طـه ﴾** | | |
| ﴿ طه * ما أنزلنا عليه القرآن لتشقى ﴾ | ٢-٣ | ٨٠٤ |
| ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ | ٥ | ٨٤٤ |
| ﴿ إنَّ الساعة آتيةٌ أكاد أخفيها ... ﴾ | ١٥-١٦ | ٤٨٢ |
| ﴿ وأشركه في أمري ﴾ | ٣٢ | ٥٦٠ |
| ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكّر أو يخشى ﴾ | ٤٤ | ٥٩١/٣٩٧/٣٧٧ |
| ﴿ الذي فطرنا ﴾ | ٧٢ | ٧٧ |
| ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سلف ﴾ | ٩٩ | ٥٢٢ |
| ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ | ١١٠ | ٨٤٤ |
| ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن ﴾ | ١١٤ | ٨٠٠/١٥١ |
| ﴿ فإمَّا يأتينّكم مني هدى فمن اتّبع هداي ﴾ | ١٢٣-١٢٦ | ٨٣٦ |
| ﴿ ولا تمدَّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً ﴾ | ١٣١ | ٢٩٣ |
| ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ | ١٣٢ | ١٠٤/١٠٢ |
| **﴿ ٢١ - سورة الأنبياء ﴾** | | |
| ﴿ وما ارسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم ﴾ | ٧ | ٦٢٨/٥٥٩ |
| ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾ | ١٠ | ٥٥٠ |
| ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلاّ نوحي إليه﴾ | ٢٥ | ٥٩٤/٣٢٥/٧٥/٥٤ |
| ﴿ كل نفسٍ ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير ﴾ | ٣٥ | ٨١٨ |
| ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ | ٣٧ | ٢٨٦ |
| ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ... ﴾ | ٤٧ | ٤٩٨ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ | ٥٦ | ٧٧ |
| ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسَّني الضر ﴾ | ٨٣ | ٢٨٤/٢٥٢ |
| ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنَّ أن لن ... ﴾ | ٨٧ | ٢٨٧ |
| ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ... ﴾ | ٩٤ | ١٨٦ |
| ﴿ كما بدأنا أوَّل خلقٍ نعيده وعداً علينا ﴾ | ١٠٤ | ٤٨٦ |
| ﴿ وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين ﴾ | ١٠٧ | ٦٥٠/٣٥٦ |
| **﴿ ٢٢ - سورة الحج ﴾** | | |
| ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع ﴾ | ٣ | ٧٦٢/٣٩٩ |
| ﴿ وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها ﴾ | ٧ | ٤٨٣ |
| ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هدى ﴾ | ٨ | ٣٩٩ |
| ﴿ إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين ﴾ | ١٧ | ٧٥٧/٦٠٣ |
| ﴿ ومن يُرِد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقه من عذابٍ أليم ﴾ | ٢٥ | ١٣٧ |
| ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ | ٢٨ | ١٤٢ |
| ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء ﴾ | ٣١ | ٤٦٨ |
| ﴿ أُذِنَ للذين يقاتلون بأنَّهم ظُلِموا وأنَّ الله ... ﴾ | ٣٩-٤٠ | ٧٧٣ |
| ﴿ ولينصرن الله من ينصره إنَّ الله لقويٌّ عزيز ﴾ | ٤٠ | ٧٧٠ |
| ﴿ وإن يكذبوك فقد كَذَّبَت قبلهم قوم نوح .. ﴾ | ٤٢-٤٥ | ٤٢٥ |
| ﴿ فإنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب ﴾ | ٤٦ | ٨٠٦ |
| ﴿ وليعلم اللذين أوتوا العلم أنَّه الحق من ربك ﴾ | ٥٤ | ٨٠٨/٢٠٩ |
| ﴿ لكُلٍّ جعلنا منسكاً هم ناسكوه ... ﴾ | ٦٧ | ٣٥ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ | ٧٥ | ٣٦٠ |
| ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ | ٧٨ | ١١٣ |
| **﴿ ٢٣ – سورة المؤمنون ﴾** | | |
| ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ | ٣ | ٣٤٤/٣٤٣ |
| ﴿ إن هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا ... ﴾ | ٣٧ | ٥٧٦ |
| ﴿ ثُمَّ أرسلنا رسلنا تترا كلّ ما جاء أُمَّة .. ﴾ | ٤٤ | ٣٢٤ |
| ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ | ٩٩-١٠٠ | ٤٥٢/١٨٠ |
| ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ | ١٠٢-١٠٣ | ٤٩٧ |
| ﴿ أفحسبتم أنّا خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا .. ﴾ | ١١٥-١١٧ | ٤٨٩ |
| **﴿ ٢٤ – سورة النور ﴾** | | |
| ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم .. ﴾ | ١٧ | ٣٨٢ |
| ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلّكم .. ﴾ | ٣١ | ٨٢١/٦٤٤ |
| ﴿ إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ﴾ | ٥١ | ٥٥٦ |
| ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولّوا .. ﴾ | ٥٤ | ٣٥٦ |
| ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ | ٥٥ | ٨٢٣ |
| ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم ﴾ | ٦٣ | ٧٥٧/٤٢٣ |
| **﴿ ٢٥ – سورة الفرقان ﴾** | | |
| ﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون .. ﴾ | ١ | ٣٩٦ |
| ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه .. ﴾ | ٢٣ | ١٧٩ |
| ﴿ أرأيت مَن اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون ... ﴾ | ٤٣ | ٤٠٧ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً .. ﴾ | ٥٤-٥٥ | ٥٧٩ |
| ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها ﴾ | ٥٧ | ٢٦٦ |
| ﴿ ومن تاب وعمل صالحاً فإنّه يتوب إلى الله .. ﴾ | ٧١ | ٦٤٤ |
| ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مرُّوا باللغوا مرُّوا ﴾ | ٧٢ | ٨٣٧ |
| **﴿ ٢٦ - سورة الشعراء ﴾** | | |
| ﴿ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون * إلاّ من أتى الله ﴾ | ٨٨-٨٩ | ٢٢٨/٢٨١ |
| ﴿ واتقوا الذي أمدَّكم بما تعملون * ... ﴾ | ١٣٢-١٣٥ | ٤٢٦ |
| ﴿ فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من ... ﴾ | ٢١٣-٢١٤ | ١٥٧/٥٥٠/٥٧١ |
| ﴿ واخفض جناحك لمن اتّبعك من ﴾ | ٢١٥ | ٦٣٨ |
| ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنّهم ... ﴾ | ٢٢٤-٢٢٦ | ٥٣٤ |
| ﴿ إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ | ٢٢٧ | ٥٣٧/٥٣٨ |
| **﴿ ٢٧ - سورة النمل ﴾** | | |
| ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إنَّ في ذلك .. ﴾ | ٥٢ | ٥٣١ |
| **﴿ ٢٨ - سورة القصص ﴾** | | |
| ﴿ وقالت لأخته قصيه ... ﴾ | ١١ | ٥١٥ |
| ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبةٌ بما قدَّمت أيديهم .. ﴾ | ٤٧-٤٩ | ٤١٤ |
| ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به ... ﴾ | ٥٢-٥٤ | ٦٠٥ |
| ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرَّتين بما صبروا ﴾ | ٥٤ | ٢٦٦ |
| ﴿ إنّك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي ﴾ | ٥٦ | ٣٨٥/٤٦٢ |
| ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ... ﴾ | ٧٧ | ٣٠١ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ﴾ | ٨٠ | ٤٦٢/٢٦٧ |
| ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون .. ﴾ | ٨٣ | ٤٧٣/٣٦٤ |
| ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ انزلت إليك﴾ | ٨٧ | ٣٥ |
| ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون ﴾ | ١٠٧-١٠٩ | ١٥٥ |
| **﴿ ٢٩ – سورة العنكبوت ﴾** | | |
| ﴿ ألـم * أحسب الناس أن يتركوا ... ﴾ | ١-٣ | ٨١٨/٢٥٣ |
| ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ | ٢٧ | ٣١٦ |
| ﴿ إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... ﴾ | ٤٥ | ٤٢١/١٠١ |
| ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن ﴾ | ٤٦ | ٤٠٦/٣٩٧ |
| ﴿ وقولوا آمنا بالذي أُنزِل إلينا وأنزل إليكم .. ﴾ | ٤٦ | ٥٩١ |
| ﴿ كُلُّ نفسٍ ذائقة الموت ثُمَّ إلينا ترجعون ﴾ | ٥٧ | ٤٥٠/٢٥ |
| ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ | ٥٨-٥٩ | ٤٥٠/٢٨٢ |
| ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ﴾ | ٦١ | ٥٧٥/٤٧٨ |
| **﴿ ٣٠ – سورة الروم ﴾** | | |
| ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ | ٧ | ٨٠٢/٢١٣ |
| ﴿ ويحيي الأرض بعد موتها ﴾ | ١٩ | ٤٤٤ |
| ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثُمَّ يعيده .. ﴾ | ٢٧ | ٤٧٨ |
| ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله ﴾ | ٣٠ | ٧٩٥/٦٤٨/٧٧/٧٦ |
| ﴿ ولا تكونوا من المشركين * من الذين .. ﴾ | ٣١-٣٢ | ١٩٤ |
| ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ﴾ | ٣٨ | ١١٦ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان ... ﴾ | ٥٦ | ١٥٧ |
| **﴿ ٣١ - سورة لقمان ﴾** | | |
| ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ | ٦ | ٨٢٨ |
| ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً ﴾ | ٧ | ٨٣١ |
| ﴿ وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم ﴾ | ٩ | ٨٣٢ |
| ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ | ١١ | ٤٤٨ |
| ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة .. ﴾ | ١٢ | ٣٧٦ |
| ﴿ يا بني لا تُشرك بالله إنَّ الشرك لظلم ﴾ | ١٣ | ٥٦٠/٥٧١ |
| ﴿ يا بني إنّها إن تك مثقال حبَّةٍ من خردلٍ ﴾ | ١٦ | ٤٩٩ |
| ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعرووف ﴾ | ١٧-١٩ | ٢٦٤/٦٥٥ |
| ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرَّةِ أعين ﴾ | ١٧ | ٥٠٥/٥٠٧ |
| ﴿ ولا تصعّر خدَّك للنّاس ولا تمش في الأرض ﴾ | ١٨-١٩ | ٣٦٣ |
| ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ... ﴾ | ٢٢ | ٢٢١ |
| **﴿ ٣٢ - سورة السجدة ﴾** | | |
| ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم...﴾ | ١١ | ٤٤٨ |
| ﴿ فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قُرَّة أعين ﴾ | ١٧ | ١٥٦ |
| ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا ﴾ | ٢٤ | ٢٦١ |
| **﴿ ٣٣ - سورة الأحزاب ﴾** | | |
| ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ | ٢١ | ٣٤٨ |
| ﴿ ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا .. ﴾ | ٢٢ | ٣٤٨ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ | ٢٣ | ٧٦٩/٢٣٤ |
| ﴿ إنَّ المسلمين والمسلمات ...وأجراً عظيما ﴾ | ٣٥ | ٢٤٢ |
| ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ﴾ | ٣٩ | ٦٩٣/٣٨٨/٤٢ |
| ﴿ يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ... ﴾ | ٤٥-٤٨ | ٣١٠/١٢٤ |
| | | ٣٩٢/٣٥١ |
| ﴿ إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي...﴾ | ٥٦ | ٩٧ |
| ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ... ﴾ | ٥٨ | ١٩٢ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً .. ﴾ | ٧٠-٧١ | و / ٢٤٢ |
| **﴿ ٣٤ - سورة سبأ ﴾** | | |
| ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى ﴾ | ٣ | ٤٧٧ |
| ﴿ وما أرسلناك إلاّ كافّةً للناس بشيراً ونذيرا ﴾ | ٢٨ | ٥٥٢/٣٥٦ |
| ﴿ وما أرسلنا في قريةٍ من نذير إلاّ قال مترفوها ﴾ | ٣٤-٣٥ | ٦٢٠ |
| ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم ... ﴾ | ٣٧ | ٦١٧/١٨٤ |
| ﴿ قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى ﴾ | ٤٦ | ٤١٥/٣٩٣ |
| **﴿ ٣٥ - سورة فاطر ﴾** | | |
| ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ | ١ | ٧٧ |
| ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ... ﴾ | ٣ | ٧٣ |
| ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ | ١٠ | ٨٤٤ |
| ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير * ... ﴾ | ١٩-٢٤ | ٨١٠ |
| ﴿ إنّما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ | ٢٨ | ٧٩٩/٧٢٠/٢٠٩ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ثُمَّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ | ٣٢ | ٦٥٢ |
| **﴿ ٣٦ – سورة يس ﴾** | | |
| ﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ﴾ | ٦ | ٥٧١ |
| ﴿ يا حسرةً على العباد ما يأتيهم من رسولٍ .. ﴾ | ٣١ | ٦٢٤ |
| ﴿ وإن كُلٌّ لَّما جميعٌ لدينا محضرون ﴾ | ٣٢ | ٤٨١ |
| ﴿ ونُفِخ في الصور فإذا هم من الأجداث .. ﴾ | ٥١-٥٤ | ٤٦٠/٤٨٣/٤٩٨ |
| ﴿ وما علّمناه الشعر وما ينبغي له ... ﴾ | ٦٩ | ٥٣٥ |
| ﴿ أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفةٍ ... ﴾ | ٧٧-٨٣ | ٤٨٤ |
| ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام ﴾ | ٧٧ | ٤٧٨ |
| **﴿ ٣٧ – سورة الصافات ﴾** | | |
| ﴿ قالوا إنّكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ | ٢٨ | ٤٣٧ |
| ﴿ إلاّ عباد الله المخلصين ﴾ | ٣٩ | ٢٢٤ |
| ﴿ فلولا أنّه كان من المسبحين * للبث في .. ﴾ | ١٤٣-١٤٤ | ٢٨٧ |
| ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * ... ﴾ | ١٧١-١٧٣ | ٢٧٨/٧٧٠ |
| **﴿ ٣٨ – سورة ص ﴾** | | |
| ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ | ٥ | ٥٧٧/٦٢٥ |
| ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ﴾ | ٢٧-٢٩ | ٤٨٧-٤٨٨ |
| ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ | ٢٨ | ٥٠٣ |
| ﴿ كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدَّبروا آياته ﴾ | ٢٩ | ٤٨٨ |
| ﴿ إنّا وجدناه صابراً نعم العبد إنّه أواب ﴾ | ٤٤ | ٢٥١ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ إنّا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار ﴾ | ٤٦ | ٣٠٧ |
| ﴿ أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ | ٧٦ | ٨٤٢ |
| ﴿ إلاّ عبادك منهم المخلصين ﴾ | ٨٣ | ٢٢٤ |
| **﴿ ٣٩ - سورة الزمر ﴾** | | |
| ﴿ إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله ... ﴾ | ٢-٣ | ٢١٦/٧٦٨/٧٩٢ |
| ﴿ والذين اتخذوا من دونه من أولياء ... ﴾ | ٣ | ٥٧٦ |
| ﴿ إن تكفروا فإنَّ الله غنيٌّ عنكم ... ﴾ | ٧ | ٧٩٣ |
| ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين .. ﴾ | ٩ | ٧٩٩ |
| ﴿ قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ | ١٠ | ٣٨١ |
| ﴿ إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ | ١٠ | ٢٦٦/٢٦٩ |
| ﴿ قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ | ١١-١٢ | ٢٢٥/٣٥١ |
| ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني * فاعبدوا .. ﴾ | ١٤-١٥ | ٢٢٥ |
| ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ | ١٧-١٨ | ٨٣٤ |
| ﴿ ألم تر أنَّ الله أنزل من السماء ماءً ﴾ | ٢١ | ٢٧٦ |
| ﴿ الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً .. ﴾ | ٢٣ | ٨٣٢ |
| ﴿ إنّك ميّت وإنّهم ميتون * .. ثُمَّ إنّكم يوم ﴾ | ٣٠-٣١ | ٤٤٤ |
| ﴿ والذي جاء بالصدق وصدَّق به أولئك هم المتقون ﴾ | ٣٣ | ٢٣٣ |
| ﴿ الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت .. ﴾ | ٤٢ | ٤٤٦-٤٤٧ |
| ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ... ﴾ | ٥٣ | ٣١٢/٣٤٤/٦٤٦ |
| ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله ... ﴾ | ٦٠ | ٢٤٧ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ونفخ في الصور فصعق مَن في السموات ... ﴾ | ٦٨-٧٠ | ٤٨٣ |
| ﴿ أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ... ﴾ | ٩١ | ٤٢٥ |
| **﴿ ٤٠ - سورة غافر ﴾** | | |
| ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ | ٣ | ٨١٦/٤٢٩ |
| ﴿ ما يجادل في آيات الله إلاّ الذين كفروا ﴾ | ٤ | ٤٠١/٣٩٨ |
| ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ... ﴾ | ٥ | ٤٠٠/٣٩٩ |
| ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ | ١٩ | ٣٦٧ |
| ﴿ وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد ﴾ | ٢٩ | ٣٨٥ |
| ﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ... ﴾ | ٣٥ | ٤٠٢ |
| ﴿ يا قوم اتّبعون أهدكم سبيل الرشاد * .. ﴾ | ٣٨-٣٩ | ٣٠٦ |
| ﴿ إنّما هذه الدنيا متاع وإنَّ الآخرة هي دار القرار ﴾ | ٣٩ | ٤٧٣ |
| ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني .. ﴾ | ٤١-٤٤ | ٤٧ |
| ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقُومُ .. ﴾ | ٤٦ | ٥٠٥/٤٦٤ |
| ﴿ إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾ | ٥١ | ٢٧٨ |
| ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ... ﴾ | ٥٢ | ١٠٩ |
| ﴿ فاصبر إنَّ وعد الله حق واستغفر لذنبك .. ﴾ | ٥٥ | ٢٧٩ |
| ﴿ إنَّ الذين يجادلون في آيات الله بغير ... ﴾ | ٥٦ | ٤٠٢ |
| ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلاّ هو ﴾ | ٦٢ | ٧٩٤ |
| ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً ... ﴾ | ٦٤ | ٧٩٤/٧٨٨ |
| ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون ... ﴾ | ٦٦ | ٧٩٤ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فلمَّا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا ... ﴾ | ٨٣ | ٨١٥/٨٠٢/١٥١ |
| **﴿ ٤١ - فصلت ﴾** | | |
| ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ | ٧ | ١١٧ |
| ﴿ وويلٌ للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ | ٧ | ١١٧ |
| ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ | ٢٦ | ٨٣٥/٥٧٨ |
| ﴿ ومن أحسن قولاً مِمَّن دعا إلى الله وعمل ﴾ | ٣٣ | ٣٨٨/٣٤٠/١٨١/٥٠ |
| ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ | ٣٤ | ٣٨٠ |
| ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ | ٤٢ | ٨٠٨/٥٣٦/٢١٠ |
| ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ... ﴾ | ٤٤ | ٨٣٢/٣٣٥ |
| ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ | ٤٦ | ٦٤٢/١٨٥ |
| **﴿ ٤٢ - سورة الشورى ﴾** | | |
| ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ | ١٠ | ٧٥٥ |
| ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ | ١١ | ٨٤٤ |
| ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذي .. ﴾ | ١٣ | ٧٥٦/٣٧ |
| ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ... ﴾ | ١٥ | ٧٩٦/٤٥ |
| ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ﴾ | ٢٠ | ٣١١/٣٠٩ |
| ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو ... ﴾ | ٢٥ | ٣٣١ |
| ﴿ ولمن صبر وغفر إنَّ ذلك لمن عزم الأمور ﴾ | ٤٣ | ٢٦٤ |
| ﴿ وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلاَّ وحياً ... ﴾ | ٥١ | ٨١٤ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **﴿ ٤٣ – سورة الزخرف ﴾** | | |
| ﴿ قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنّا على آثارهم ﴾ | ٢٣ | ٣٥٩ |
| ﴿ وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجلٍ من .. ﴾ | ٣١ | ٦٢٠ |
| ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له قريناً ﴾ | ٣٦ | ٨٣٦ |
| ﴿ وإنّه لذكرٌ لك ولقومك وسوف تُسْئَلون ﴾ | ٤٤ | ٥٤٩ |
| ﴿ وسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا ... ﴾ | ٤٥ | ٥٢٧/٣٢٥/٧٥ |
| ﴿ وقالوا آلهتنا خير أم هو ﴾ | ٥٨ | ٣٩٩ |
| ﴿ إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه ... ﴾ | ٥٩ | ٧٥٣ |
| ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله...﴾ | ٨٧ | ٧٦ |
| **﴿ ٤٥ – سورة الجاثية ﴾** | | |
| ﴿ وآتيناهم بيناتٍ من الأمر فما اختلفوا ... ﴾ | ١٨-١٩ | ٦١٤ |
| ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ... ﴾ | ٢١ | ٥٠٣ |
| ﴿ أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه .. أفلا تذكّرون ﴾ | ٢٣ | ٨٤٩/٨٠٢/٤٠٧/١٣٠ |
| ﴿ وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا .. ﴾ | ٢٤ | ٥٧٦ |
| ﴿ ما كان حجّتهم إلاّ أن قالوا ائتوا بآبائنا .. ﴾ | ٢٥ | ٤٧٩ |
| ﴿ قل الله يحييكم ثُمَّ يميتكم ثُمَّ يجمعكم إلى يوم ﴾ | ٢٦ | ٤٧٩ |
| ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون ﴾ | ٢٧ | ٥٧٨ |
| **﴿ ٤٦ – سورة الأحقاف ﴾** | | |
| ﴿ ما كنت بدعاً من الرسل ﴾ | ٩ | ٧٤٧ |
| ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون .. ﴾ | ٢٩ | ٤٣٨ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ | ٣٥ | ٦٢٦/٢٨٦ |
| **﴿ ٤٧ – سورة محمّد ﴾** | | |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ﴾ | ٧-٨ | ٧٧٠/٦٦٠ |
| ﴿ إنَّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ | ١٢ | ٤٢٢ |
| ﴿ فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك ﴾ | ١٩ | ٧١ |
| ﴿طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر...﴾ | ٢١ | ٢٤٠ |
| ﴿والله الغني وأنتم الفقراء .....﴾ | ٣٨ | ٧٩١ |
| **﴿ ٤٨ – سورة الفتح ﴾** | | |
| ﴿ محمَّدٌ رسول الله والذين معه أشداء ... ﴾ | ٢٩ | ٤٣١ |
| **﴿ ٤٩ – سورة الحجرات ﴾** | | |
| ﴿ ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم ﴾ | ٧ | ٦٤١ |
| ﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى ﴾ | ١٣ | ١٤٠ |
| ﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ... ﴾ | ١٥ | ٢٤٤ |
| **﴿ ٥٠ – سورة ق ﴾** | | |
| ﴿ تبصرةً وذكرى لكلّ عبدٍ منيب ﴾ | ٨ | ٨١٦ |
| ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ... ﴾ | ١٩ | ٤٥٠ |
| ﴿ هذا ما توعدون لكلّ أوابٍ حفيظ ﴾ | ٣٢ | ٨١٧ |
| ﴿ إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ... ﴾ | ٣٧ | ٤١٦/٣٨٥ |
| ﴿ يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً ... ﴾ | ٤٤ | ٤٦٠ |
| ﴿ فذكّر بالقرآن مَن يخاف وعيد ﴾ | ٤٥ | ٤٦٤/٣٨٣ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ٥١ – سورة الذاريات ﴾ | | |
| ﴿ وفي أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم ﴾ | ١٩ | ١٠٨ |
| ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ ﴾ | ٥٢-٥٥ | ٣٣٤ |
| ﴿ وذكّر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ | ٥٥ | ٣٨٤/٤٦١ |
| ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ﴾ | ٥٦ | ١١٢ |
| ﴿ ٥٢ – سورة الطور ﴾ | | |
| ﴿ وذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهنٍ .. ﴾ | ٢٩ | ٣٨٤ |
| ﴿ أم خلقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون ﴾ | ٣٢ | ٥٨٤ |
| ﴿ ٥٣ – سورة النجم ﴾ | | |
| ﴿ إن يتبعون إلاّ الظن وما تهوى الأنفس ﴾ | ٢٣ | ٥٧٣ |
| ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي ... ﴾ | ٣١ | ٥٧٩ |
| ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللمم ﴾ | ٣٢ | ٣٢١ |
| ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ | ٣٧ | ٣١٧ |
| ﴿ وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى * وأنَّ سعيه .. ﴾ | ٣٩-٤٠ | ٤٧٠ |
| ﴿ ٥٤ – سورة القمر ﴾ | | |
| ﴿ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يومٌ عسر ﴾ | ٨ | ٤٦١ |
| ﴿ إنَّ المتّقين في جنّاتٍ ونهر * في مقعد صدق .. ﴾ | ٥٤-٥٥ | ٢٤٣ |
| ﴿ ٥٥ – سورة الرحمن ﴾ | | |
| ﴿ الرحمن * علّم القرآن * خلق الإنسان * ... ﴾ | ١-٤ | ١٤٦ |
| ﴿ كُلُّ مَنْ عليها فان * ويبقى وجه ربك ... ﴾ | ٢٦-٢٧ | ٤٤٨/٢٥ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ٥٧ – سورة الحديد ﴾ | | |
| ﴿ يوم ترى المؤمنون والمؤمنات يسعى نورهم .. ﴾ | ١٢-١٣ | ٤٩٦ |
| ﴿ اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ ﴾ | ٢٠ | ٢٩٧ |
| ﴿ سابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنّةٍ عرضها .. ﴾ | ٢١ | ٥٠٥ |
| ﴿ وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ﴾ | ٢٢ | ٢٧٥ |
| ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولاً تفرحوا ... ﴾ | ٢٣ | ٣١٣/٢٩٥ |
| ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم ... ﴾ | ٢٥ | ٥٥٦/٥٥٨/٥٩٢ |
| ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ | ٢٧ | ٧٤٧ |
| ﴿ ٥٨ – سورة المجادلة ﴾ | | |
| ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ... ﴾ | ١ | ٤٠٤ |
| ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا ... ﴾ | ١١ | ٢٠٩ |
| ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون ﴾ | ٢٢ | ٧١ |
| ﴿ ٥٩ – سورة الحشر ﴾ | | |
| ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه .. ﴾ | ٧ | ٣٥٢/٩٣ |
| ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ﴾ | ١٠ | ٤٤٣ |
| ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة .. ﴾ | ٢٠ | ٥٠٢ |
| ﴿ ٦٠ – سورة الممتحنة ﴾ | | |
| ﴿ قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه ﴾ | ٤ | ٣٤٥ |
| ﴿ قد كان لكم فيهم أسوةٌ حسنةٌ لمن كان ... ﴾ | ٦ | ٣٤٥ |
| ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ... ﴾ | ١٢ | ٥٦٥ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ٦١ - سورة الصف ﴾ | | |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ | ٢-٣ | ٣٤١/١٦٦ |
| ﴿ إنَّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ﴾ | ٤ | ٧٦٩ |
| ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل .. ﴾ | ٦ | ٥٩٨ |
| ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾ | ٩ | ٣٥٠/١٢٤ |
| ﴿ ٦٢ - سورة الجمعة ﴾ | | |
| ﴿ مثل الذين حُمّلوا التوراة ثُمَّ لبم يحملوها ﴾ | ٥ | ٣٤١ |
| ﴿ قل إنَّ الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ﴾ | ٨ | ٤٤٨ |
| ﴿ ٦٣ - سورة المنافقون ﴾ | | |
| ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنّك ... ﴾ | ١-٢ | ٣٢٨ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم .. ﴾ | ٩-١١ | ٤٥٢ |
| ﴿ ٦٤ - سورة التغابن ﴾ | | |
| ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا قل بلي وربي ﴾ | ٧ | ٤٧٧ |
| ﴿ يوم يجمعكم ليومِ الجمع ... ﴾ | ٩ | ٤٧٩ |
| ﴿ ما أصاب من مصيبة إلاّ بإذن ﴾ | ١١ | ٢٧٥ |
| ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولّوا .. ﴾ | ١٢ | ٩٥ |
| ﴿ إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ﴾ | ١٧ | ١٠٩ |
| ﴿ ٦٥ - سورة الطّلاق ﴾ | | |
| ﴿ سيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسْراً ﴾ | ٧ | ٢٧٩ |
| ﴿ ٦٦ - سورة التحريم ﴾ | | |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ | ٦ | ٦٥٦/١٠٥/١٠٢ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ | ٨ | ٨١٧/٦٤٥ |
| **﴿ ٦٧ – سورة الملك ﴾** | | |
| ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ... ﴾ | ٢ | ٤٥١/٢٢٣/١٨٠ |
| **﴿ ٦٨ – سورة القلم ﴾** | | |
| ﴿ وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم ﴾ | ٤ | ٣٥٣ |
| **﴿ ٦٩ – سورة الحاقة ﴾** | | |
| ﴿ ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانية ﴾ | ٢٨-٢٩ | ٤٨٩ |
| ﴿ إنّه لقول رسولٍ كريمٍ * وما هو بقول .. ﴾ | ٤٠-٤٣ | ٥٣٥ |
| **﴿ ٧٠ – سورة المعارج ﴾** | | |
| ﴿ إنّهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً ﴾ | ٦-٧ | ٤٨١ |
| ﴿ إنَّ الإنسان خُلِقَ هلوعاً ... * إلاّ المصلين ﴾ | ١٩-٢٢ | ٢٨٥ |
| ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنّهم .. ﴾ | ٤٣-٤٤ | ٤٦٠ |
| **﴿ ٧١ – سورة نوح ﴾** | | |
| ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ﴾ | ٥ | ٣٤ |
| ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرنَّ ودّاً .. ﴾ | ٢٣ | ٥٢٠ |
| **﴿ ٧٢ – سورة الجن ﴾** | | |
| ﴿ قل أُوْحِيَ إليَّ أنّه استمع نفرٌ من الجن .. ﴾ | ٢/١ | ٦٨ |
| ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإنَّ له نار جهنّم ﴾ | ٢٣ | ٦٤١/٥٢٠ |
| **﴿ ٧٣ – سورة المزمل ﴾** | | |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ذرني والمكذبين أولي النَّعْمَة ومهّلهم قليلاً ﴾ | ١١ | ٢٨٧ |
| **﴿ ٧٤ – سورة المدّثر ﴾** | | |
| ﴿ ولربك فاصبر ﴾ | ٧ | ٢٦٠ |
| **﴿ ٧٥ – سورة القيامة ﴾** | | |
| ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ | ٣٦ | ٤٨٩ |
| ﴿ ألم يك نطفةً من منيٍّ يمنى * ثُمَّ كان علقةً .. ﴾ | ٣٧-٤٠ | ٤٨٩ |
| **﴿ ٧٦ – سورة الإنسان ﴾** | | |
| ﴿ إنَّ هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم ﴾ | ٢٧ | ٤٧٣ |
| **﴿ ٧٧ – سورة المرسلات ﴾** | | |
| ﴿ قل إنَّ الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات ﴾ | ١٢-١٣ | ٤٨٠ |
| **﴿ ٧٨ – سورة النبـأ ﴾** | | |
| ﴿ جزاءً وفاقا ﴾ | ٢٦ | ٤٧٤ |
| **﴿ ٧٩ – سورة النازعات ﴾** | | |
| ﴿ اذهب إلى فرعون إنّه طغى * ... فتخشى ﴾ | ١٧-١٩ | ٥٩١ |
| **﴿ ٨٠ – سورة عبس ﴾** | | |
| ﴿ لكلّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه ﴾ | ٣٧ | ٤٨٦ |
| **﴿ ٨٢ – سورة الإنفطار ﴾** | | |
| ﴿ إنَّ الأبرار لفي نعيم ﴾ | ١٣ | ٢٤٥ |
| ﴿ وإنَّ الفجّار لفي جحيم ﴾ | ١٤ | ٢٤٦ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **﴿ ٨٣ – سورة المطففين ﴾** | | |
| ﴿ وما يكذّب بها إلاّ كل معتدٍ أثيم * ... ﴾ | ١٢-١٥ | ١٥٨ |
| ﴿ إنَّ الأبرار لفي نعيم ﴾ | ٢٢ | ٢٤٥ |
| **﴿ ٨٥ – سورة البروج ﴾** | | |
| ﴿ والله على كُلّ شيءٍ شهيد ﴾ | ٩ | ٥٤٠ |
| **﴿ ٨٧ – سورة الأعلى ﴾** | | |
| ﴿ قد أفلح مَن تزكّى * وذكر اسم ربه فصلّى ﴾ | ١٤-١٥ | ٧٨٤ |
| ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خيرٌ وأبقى ﴾ | ١٦-١٧ | ٤٧٣ |
| **﴿ ٨٨ – سورة الغاشية ﴾** | | |
| ﴿ وجوهٌ يومئذٍ خاشعة ... تسقى من عينٍ آنية ﴾ | ٢-٥ | ١٧٩ |
| ﴿ فذكّر إنّما أنت مذكّر لست عليهم بمسيطر ﴾ | ٢١ | ٣٨٤/٤٦٢ |
| **﴿ ٩٠ – سورة البلد ﴾** | | |
| ﴿ وهديناه النجدين ﴾ | ١٠ | ٧٨٤ |
| ﴿ ثُمَّ كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر .. ﴾ | ١٧-١٨ | ٢٦٧ |
| **﴿ ٩١ – سورة الشمس ﴾** | | |
| ﴿ ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ | ٧ – ٨ | ٦٤٢ |
| ﴿ قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها ﴾ | ٩-١٠ | ١١٧/٥٥٦/٧٨٥ |
| **﴿ ٩٢ – سورة الليل ﴾** | | |
| ﴿ لا يصلاها إلاّ الأشقى ﴾ | ٤٥ | ١٠١ |

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ٩٣ - سورة الضحى ﴾ | | |
| ﴿ ولسوف يعطيك ربُّك فترضى ﴾ | ٥ | ٢٩٤ |
| ﴿ ٩٤ - سورة الشرح ﴾ | | |
| ﴿ فإنَّ مع العسر يسراً * إنَّ مع العسر يسرا ﴾ | ٥-٦ | ٢٨٠ |
| ﴿ ٩٧ - سورة القدر ﴾ | | |
| ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر ... ﴾ | ١-٣ | ١٢٣ |
| ﴿ ٩٨ - سورة البينة ﴾ | | |
| ﴿ وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ | ٥ | ٢١٤ |
| ﴿ ٩٩ - سورة الزلزلة ﴾ | | |
| ﴿ فمن يعمل مثقال ذرَّةٍ خيراً يره * ... ﴾ | ٧-٨ | ٤٨٣/١٧٥ |
| ﴿ ١٠٢ - سورة التكاثر ﴾ | | |
| ﴿ ألهاكم التكاثر * حتّى زرتم المقابر ﴾ | ١-٢ | ٣٠٧ |
| ﴿ ١٠٣ - سورة العصر ﴾ | | |
| ﴿ والعصر * إنَّ الإنسان لفي خسر *... ﴾ | ١-٣ | ١٦٨ |
| ﴿ ١٠٨ - سورة الكوثر ﴾ | | |
| ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر .. ﴾ | ١-٣ | ٤٩١ |
| ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ | ٢ | ٢١٥/٥٣ |
| ﴿ ١٠٩ - سورة الكافرون ﴾ | | |
| ﴿ قل يا أيها الكافرون * ... لكم دينكم ولي دين ﴾ | ١-٦ | ٥٧٢ |

## ٢ - قائمة الأحاديث النبوية الشريفة والآثار :


| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| ﴿ حرف الألف ﴾ | |
| أتدري ما حق الله على عباده ؟ | ٥٦٦/٣٢٣ |
| أتعجبون من دقة ساقيه ! والذي نفسي بيده لهما ... | ٥٠١ |
| اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحُها ... | ٥٤٠ |
| أخلص دينك يكفِك العمل القليل | ٢٢٠ |
| إذا أراد الله بعبدٍ خيراً استعمله قبل موته ، ... | ١٧٢ |
| إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره | ٤٤٧ |
| إذا جمع الله الأولين والآخرين ليومٍ لا ريب فيه | ٥٧٠ |
| إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة.... | ٥٠٩ |
| إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوةً وعشية | ٤٤٧ |
| إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث | ١٧٣ |
| أرأيت لو كانت عيناك لما بهما ما كنت صانعاً ؟ | ٢٦٩ |
| أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ... | ١٦٧ |
| أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خُضْرٍ تسرح في الجنة | ٥٠٨ |
| ازهد في الدنيا يحبك الله . وازهد فيما في أيدي الناس | ٣١٧ |
| استعيذوا بالله من عذاب القبر | ٤٦٥ |
| اسمعوا وأطيعوا وإن أُمّر عليكم عبدٌ حبشيٌ كأنَّ ... | ٦٣٤/١٩٨ |
| الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله | ١٣٣ |
| الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم ... وقد خاب من لا سهم له | ١٢٦ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها | ٥٨٢ |
| أصبحنا على مِلّة الإسلام وكلمة الإخلاص | ٢١٥ |
| أعطيت خمساً لم يعطهنَّ أَحَدٌ قبلي : نصرت بالرعب .. | ٥٥١ |
| أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ | ١٢٧ |
| اغزوا بسم الله . قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله | ٥٧٤/٧٧٥ |
| اغزوا في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله | ٧٧٥ |
| افعلوا الخير دهركم وتعرَّضوا لنفحات رحمة الله | ٤٥٧ |
| أكثروا ذكر هاذم اللذات | ٤٥٤ |
| ألا أخبركم بما يمحو الله بـه الخطايا | ٢٦٢ |
| ألا إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم ... | ١٣٩ |
| أمَّا أنا فأصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ... | ٣١٤ |
| أما والله لقد علمت أنَّك حجر لا تضر ولا تنفع ... | ٩٠ |
| أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح ... | ٤٩٣ |
| أمتهوكون فيها يا ابن الخطَّاب | ٥٢٣ |
| أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله .. | ١١٥/٧٧٧ |
| آمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ | ٧١ |
| أنا آمركم بخمس الله أمرني بهنَّ : بالجماعة ... | ١٩٢ |
| أنا النبيُّ لا كذب . أنا ابن عبد المطَّلِب | ٥٣٢ |
| أنا أوَّل من تنشَقَّ عنه الأرض فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش | ٤٦٢/٤٨٥ |
| أنا أوَّل مَن تنشق عنه الأرض يوم القيامة ثُمَّ أبو بكر | ٤٦٢/٤٨٥ |

| طرف الحديث | الصفحة |
| --- | --- |
| أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ... | ٤٨٥ |
| أنا عند عقر حوضي أذود عنه الناس لأهل اليمين | ٤٩٣ |
| إنَّ أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشي | ٥٠٨ |
| إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر | ٢١٩ |
| إن أرواح المؤمنين في حواصل الطيور... | ٧٧٩ |
| إنَّ أهل الجنة ليتراءون أهلَ الغرفِ من فوقهم | ٢٣٨ |
| أنَّ البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان | ٥٠٠ |
| إنَّ بني إسرائيل افترقت ... وإنَّ أُمَّتي ستفترق على ... | ١٩١ |
| أن تجعل لله نداً وهو خلقك | ٥٦٦ |
| أُنزلت عليَّ آنفاً سورة ، فقرأ ... إنّا أعطيناك الكوثر | ٤٩٢ |
| إن شئت فصم . وإن شئت فافطر | ٤٤١ |
| إنَّ العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولّى عنه أصحابه ... | ٤٦٣ |
| إنَّ العبد ليلتمس مرضاة الله ولا يزال بذلك ... | ٣١٢ |
| إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوي... | ٢٦٩ |
| إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن .. | ٦١٢ |
| إنّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم | ط/١٥٠/٥٩٦ |
| إن لم يكن نبي من قبلي إلاّ كان حقّاً عليه أن يدل أمّته | ١٩٦ |
| إنَّ الله أذلَّ بني آدم بالموت | ٤٥١ |
| إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر | ٦٤٥ |
| إن الله مع الحاكم ما لم يجر ..... | ٦٣٨ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| إنَّ الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها خيراً | ٢٨٣ |
| إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر .. | ١٨٤/٢٢٨/٦١٧ |
| إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم... | ٤٩٧ |
| إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخط لكم ثلاثاً ... | ١٩٠ |
| إنَّ الله يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بي | ٢١٩ |
| إنَّ لي أسماء : أنا محمَّد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ... | ٥٩٨ |
| إنما بعثت لأُتَمّم مكارم الأخلاق | ٣٥٤ |
| إنما الطاعةُ في المعروف | ٦٣٦ |
| إنما نسمة المؤمن طائر يخلق في شجر الجنَّة حتى يرجعه .. | ٥٠٩/٧٢٠ |
| إنَّ من البيان لسحراً وإنَّ من الشعر حكماً | ٥٤١ |
| إنَّ من الشعر لحكمة | ٥٤١ |
| إنَّ مَن كان قبلكم كان يوضع المنشار على مفرق رأسه | ٢٧٣ |
| إنَّ الموت فزع فإذا رأيتم الجنازة فقوموا | ٤٥٤ |
| إنَّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه | ٥٣٩ |
| إنَّ هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحَد إلاَّ كبَّه الله | ٥٥٠ |
| إن هذا الدين يسر..... | ٥٥٤ |
| أنَّه خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح ... | ٥٦٩ |
| أنَّه كان إذا مرَّ بآية رحمة وقف فسأل ... | ٥٥٤ |
| إنَّه ليس بذلك ألا تسمع قول لقمان ﴿ يا بني لا تشرك ﴾ | ٥٧٢ |
| إنَّه مرَّ برسول الله ﷺ فقال : كيف أصبحت يا حارث ؟ | ٣١٢ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم | ٦٤٩/٧٨ |
| إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي .... | ٥١٢ |
| إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها | ٥٤٦ |
| إني لم أومر بهذا | ٧٧٣ |
| اهجهم - أو قال - هاجهم وجبريل معك | ٥٣٩ |
| أي عرى الإسلام أوثق ؟ ... أن تحب في الله ... | ١٢٧ |
| أي المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقاً | ٤٥١ |
| آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف | ١٦٧ |
| أيها الناس قد فرض عليكم الحَجَّ فحُجُّوا | ١٣٢ |
| ﴿ حرف الباء ﴾ | |
| بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة | ٣٩٤ |
| بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة | ٦٣٢/١٩٧ |
| بخٍ . بخٍ . لخمسٌ ما أثقلهنَّ في الميزان : ... | ٨١ |
| بخٍ . بخٍ . من لقي الله مستعيناً بهنَّ دخل الجنَّة ... | ٨١ |
| بسم الله الرحمن الرحيم . من محمَّد رسول الله ... | ٥٩٦ |
| بشر هذه الأُمَّة بالسَّناء والرفعة والتمكين في الأرض | ٨٢٦/٣١١ |
| بشّرا ولا تنفّرا ويَسّرا ولا تُعَسّرا وتطاوعا ولا تختلفا | ٤٤٢/١٢٦ |
| بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسود | ٥٢٦ |
| بُعِثْتُ بالحنيفية السمحة | ٤٢/١٢٦ |
| بُعِثْتُ بالسيف بيْنَ يدي الساعة حتى يُعْبَد الله وحده | ٥٥٨ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| بلّغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج | ٤٤ |
| بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله | ١٣٣/١٠٠/٩٢/٨٠ |
| بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي ... | ٢٨٠ |
| **﴿ حرف التاء ﴾** | |
| تحاجَّت الجنّة والنار ... فقالت النار : ادثرت بالمتكبرين | ٥٠٩ |
| تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ... | ز |
| تركتكم على المحجَّة البيضاء | ح |
| التسبيح للرجال ، والتصفيق للنساء | ٨٢٨ |
| تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا | ٨١ |
| تعوذي من عذاب القبر | ٤٨٧ |
| التوبة من الذنب أن يتوب منه ثُمَّ لا يعود فيه | ٨١٧ |
| توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفّة | ٥٠٠ |
| **﴿ حرف الثاء ﴾** | |
| ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً | ٦٣٢/٢١٧ |
| ثلاثٌ لا يُغِلُ عليهنَّ قلب امرئٍ مسلم ... | ١٩١ |
| ثلاثةٌ يُؤْتَون أُجورهم مرَّتين ... | ٦٠٥ |
| **﴿ حرف الجيم ﴾** | |
| جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم | ٧٧١ |
| الجمع بيْن الأُختين حرام | ٦٩١ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| ﴿ حرف الحاء ﴾ | |
| حفّت الجنّة بالمكاره ، وحُفّت النار بالشهوات | ٥٠٩ |
| ﴿ حرف الخاء ﴾ | |
| خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لشيء أفّ قط | ٣٥٣ |
| خذوا الشيطان - أو امسكوا الشيطان ... | ٥٣٥ |
| خذوا عني مناسككم | ٣٦١/١٣٠ |
| خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجلٍ من الأنصار | ٤٦٦ |
| خرجنا مع رسول الله ﷺ في حَرٍّ شديدٍ ... | ٥٧١ |
| خير أُمَّتي قرني ، ثُمَّ الذين يلونهم ، ثُمَّ الذين يلونهم | ٤٣٤ |
| خير الناس أقرأهم ، وأتقاهم لله تعالى | ٣٩ |
| خير يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة | ٤٨٤ |
| ﴿ حرف الدال ﴾ | |
| دخل رسول الله ﷺ على رجلٍ وهو في الموت فقال له : | ٥٥٣ |
| دخل رسول الله ﷺ مصلاّه فرأى ناساً يكثرون ... | ٤٦٥-٤٦٦ |
| دعا رسول الله ﷺ يوم الفتح بإناءٍ من لبن أو ماءٍ فشرب | ٣٦١ |
| دع ما يريبك إلى ما لا يريبك | ٢٤٤ |
| دعه فإنّه يخرج من ضئيضيء هذا - .... | ٧٥٣ |
| الدنيا دار مَن لا دار له ، ومال مَن لا مال له | ٣٠٤ |
| الدواوين عند الله ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئاً ... | ٥٦٧ |
| الدين النصيحة . قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ... | ٦٣٠/٣٩٤ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|


﴿ حرف الذال ﴾

ذروني ما تركتكم فإنّما هلك ما كان قبلكم بكثرة سؤالهم ١٣٢

﴿ حرف الراء ﴾

رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته فإن أبت ١٠٢

الرياء . يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزى الناس ... ٢١٩

﴿ حرف السين ﴾

سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ١٣٦

سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلاّ ظله ٤٨٧

السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ... ٦٣٢/١٩٧

سمعت رسول الله ﷺ يقول : جعل الله الرحمة مائة جزء ٥٥٢

﴿ حرف الشين ﴾

شر ما في الرجل : شُحٌّ هالع ، وجبنٌ خالع ٢٨٥

شيء صنعه رسول الله ﷺ فلا نحب أن نتركه ٨٠

﴿ حرف الصاد ﴾

الصلاة وما ملكت أيمانكم ٤٥٩

صلُّوا كما رأيتموني أُصَلّي ٣٦١

﴿ حرف الطاء ﴾

طرق رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وفاطمة ... ٤٦٧

﴿ حرف العين ﴾

عليكم برخصة الله التي رخص لكم ٤٤٠

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| عليكم بالصدق فإنَّ الصدق يهدي إلى البر | ٢٣٧ |
| ﴿ حرف الغين ﴾ | |
| غفر الله لكم | ١٣٨ |
| ﴿ حرف الفاء ﴾ | |
| فإنَّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمَّد | ١٦٢ |
| فبينما رجل وامرأة في السلف الخالي لا يقدران على شيء | ٢٨١/٢٨٠ |
| فُرِضَت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثُمَّ زيدت في الحضر | ١٠٦ |
| فطاشت السجلات وثقلت البطاقة | ٥٠١ |
| فمنا الصائم ومنا المفطر | ٤٤٠ |
| فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح فيقول : | ٥٠١ |
| ﴿ حرف القاف ﴾ | |
| قال : نعم . وفيه دخن | ٢٠١ |
| قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ... | ١٧٠ |
| قال الله عزَّ وجلَّ : ابن آدم ! أنَّى تعجزني وقد خلقتك | ٥٨٠ |
| القتل في سبيل الله يكفر كل خطيئة ... إلاَّ الدين | ٧٧٢ |
| قد أفلح من أسلم ورُزِقَ كفافاً وقنَّعه الله بما آتاه | ٤٧٦ |
| قولوا : إنَّا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه .. | ٥٧٠ |
| قوموا فانحروا واحلقوا وحُلُّوا | ٣٦١ |
| ﴿ حرف الكاف ﴾ | |
| كان خلقه القرآن | ٣١ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| كان رسول الله ﷺ يتعاهد الأنصار ويعودهم | ٢٧٠ |
| كان النَّبيُّ ﷺ يصلي الصلوات الخمس كنحو صلاتكم | ١٠٦ |
| كُل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون | ٦٤٠ |
| كُل أُمَّتي يدخل الجنّة إلاّ مَن أبى ... | ٣٥٢ |
| كُلّ ذنبٍ عسى أن يغفره إلاّ الرجل يموت كافراً ... | ٥٦٨ |
| كُلّ الناس يغدو .. فبائعٌ نفسه غمعتقها أو موبقها | ٧٨٥ |
| كُل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها ... | ٧٨٥ |
| كُلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته | ٦٣٩ |
| كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان | ٤٩٩ |
| كيف تسألون أهل الكتاب عن شيءٍ من كتابكم | ٦١١ |
| **﴿ حرف اللام ﴾** | |
| لا أحد أغير من الله . فلذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها | ٣٦٥ |
| لا أحد أغير من الله . من أجل ذلك حرَّم الفواحش .. | ٦٤٨ |
| لا إله إلاّ الله . إن للموت لسكرات | ٤٥٥ |
| لا تدعوا بالموت ولا تتمنوه ... | ٤٥٧ |
| لا تذكروا هلكاكم إلاّ بخير | ٤٥٨ |
| لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم | ٦١١ |
| لا تكذبوا عليَّ فإنّه مَن كذب عليَّ فليلج النار | ٢٤٨ |
| لا حسد إلاّ في اثنتين : رجلٌ آتاه الله مالاً فسلّطه ... | ٣٧٢ |
| لا طاعة في معصية | ٦٣٦ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| لئن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من حُمُر النّعم | ٨٤٩ |
| لئن يمتلئ جوف أحدكم قَيْحاً خيرٌ له من أن يمتلئ شِعْراً | ٥٤٢ |
| لا . ولو قلت نعم لوجبت . | ١٣٢ |
| لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإن استنفرتم فانفروا | ٧٧٦ |
| لا يتمنين أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به | ٤٥٧ |
| لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال | ٣٨٩ |
| لا يقولن أحدكم ما شئت وشاء فلان | ٥٦٧ |
| لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ | ٦١٣ |
| لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة | ٥٨٥ |
| لروحة في سبيل الله أو غدوة خيرٌ من الدنيا وما فيها .. | ٧٧٢ |
| لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات ... | ٩٣ |
| لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل . أيأمنني ... | ٧٥٣ |
| لله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه ... | ٣٣١ |
| لمّا خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق ... | ٢٩ |
| اللهم اجلني شكوراً ، واجعلني صبورا ... | ٢٧٠ |
| اللهم انفعني بما علّمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً | ١٥٢/٨٠٠ |
| اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل | ٨٠٥ |
| اللهم من ولي من أمر أُمَّتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقق عليه | ٦٣٩ |
| لن يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع : يؤمن بالله ... | ٤٨٦ |
| لو أخذت ما في رحيبها ولم تنفضها لطحنت إلى يوم القيامة | ٢٨١ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً ، إنّما الطاعة في المعروف | ٦٣٥ |
| لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاّ اتباعي | ٨٥ |
| لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة كا طمع بجنته أحد | ٤٢٩ |
| لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عزَّ وجلَّ أن يسمعكم عذاب القبر | ٤٦٣ |
| ليردن عليَّ أُناسٌ من أصحابي على الحوض | ٤٩٢ |
| ليس الكذّاب الذي يصلح بين النّاس فينمي خيراً ... | ٢٣١ |


## ﴿ حرف الميم ﴾


| | |
|---|---|
| مَا أحب أنَّ لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ... | ٣١٢ |
| مَا أنزل الله داءً إلاّ أنزل له شفاء | ٣٣٥ |
| مَا حق امرئٍ مسلمٍ يبيت ليلتين وله ما يريد ... | ٤٥٨ |
| مَا خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلاّ أخذ أيسرهما | ٣٥٤ |
| مَا الدنيا في الآخرة إلاّ كما يجعل أحدكم أصبعه ... | ٤٧٥/٣٠٢ |
| مَا ضَرَبَ رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ... | ٣٥٤ |
| مَا لنا وللرَّمَل .. إنّما كُنّا راءينا به المشركين ... | ٨٩ |
| مَالي أراك قد جهدت جهداً شديداً | ١٢٩ |
| مَا مِنْ إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ... | ٦٣٩ |
| مَا مِنْ أمير يلي أمر المسلمين ثُمَّ لا يجهد لهم وينصح .. | ٦٣٩ |
| مَا مِنْ رجلٍ يذنب ذنباً فيتوضأ ويحسن الوضوء .. | ٦٤٤ |
| مَا مِنْ عبدٍ تصيبه مصيب فيقول : إنّا لله وإنا إليه راجعون | ٢٦٣ |
| مَا مِنْ مسلم يذنب ذنباً ثُمَّ يتوضأ ثُمَّ يصلي ركعتين | ٨٢٢ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| مَا مِنْ مولودٍ يولد إلاّ على الفطرة فأبواه يهودانه ... | ٦٤٩ |
| مَا يُبكيك يا عمر ... أوَ في شكٍ أنت يا عمر .. | ٢٩٤ |
| مَثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث ... | ١٤٧ |
| مَثلي ومثلكم كمثل رجلٍ استوقد ناراً ... | ٧٥٨ |
| مرحباً لك يا عمرو بن مرّة ... | ٥١٣ |
| مَرَرْتُ ليلة أُسري بي على قومٍ تُقْرَضُ شفاههم ... | ١٦٥ |
| المسلم إذا سُئِلَ في القبر شهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله | ٤٦٥ |
| مَنْ أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضرَّ بدنياه | ٤٧٥ |
| مَنْ أحب لقاء الله أحب الله لقاءه | ٤٥٨ |
| من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية | ٥٨١ |
| مَنْ أراد أن ينصح لأي سلطان في أمرٍ فلا يبده علانيةً | ٦٣٠ |
| مَنْ استطاع أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل | ١٨٤ |
| مَنْ استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتبت له حسنة | ٨٣٥ |
| مَنْ أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله | ٦٣٥ |
| مَنْ تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه | ٦٤٥ |
| مَنْ تشبه بقومٍ فهو منهم | ٦١٠ |
| مَنْ تصدَّق بِعِدْل تمرة من كسبٍ طيّبٍ ولا يصعد .. | ١١٧ |
| مَنْ حَجَّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه | ١٣٧ |
| مَنْ خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجَّة له | ١٩٨ |
| مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر ... | ٢١١ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| مَنْ رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر | ٦٣٤/١٩٦ |
| مَنْ رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، ... | ٣٨ |
| مَنْ سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء | ٤٥٨ |
| مَنْ سُئِلَ عن علمٍ فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار | ٨٠٩/٧٢٥ |
| مَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنّة | ٢١٣ |
| مَنْ سمع بي من أُمَّتي يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي ... | ٥٩٥ |
| مَنْ سمَّع الناس بعمله سمَّع الله به مسامع خلقه ... | ٢٢٠ |
| مَنْ سنَّ في الإسلام خيراً فاستن به ... ومن سن شرّاً .. | ١٦٧ |
| منْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل | ٣٣٧ |
| مَنْ شاء فرَّع ومن شاء لم يفرّع ، ومن شاء عتر ... | ١٣٨ |
| مَنْ صلّى عليَّ في كتابٍ لم تزل الصلاة جارية ... | ١٧ |
| مَنْ صلّى يُرائي فقد أشرك ، ومن صام يرائي فقد أشرك | ٢١٩ |
| مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد | ٧٥٨/٧٤٩/١٧٨/٨٤ |
| مَنْ قضى نسكه وسلِمَ المسلمون من لسانه ويده | ١٣٨ |
| مَنْ كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي | ٧٥٤/١٩٥ |
| مَنْ كان همَّه الآخرة جمع الله شمله ... | ٢١٧ |
| مَنْ لا يشكر الناس لا يشكر الله | ج |
| مَنْ مات مرابطاً في سبيل الله أُجْرِيَ عليه أجر عمل الصائم | ٧٧٢ |
| مَنْ مات و لم يغزو و لم يحدّث نفسه بالغزو .... | ٧٧٦ |
| مَنْ يتزود في الدنيا ينفعه في الآخرة | ٣١٢ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| مَنْ يُرائي يرائي الله به ومن يَسَّمَّع يُسَمِّع الله به | ٢٢٠ |
| مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم .. | ٨٠٤/١٤٦ |
| **﴿ حرف النون ﴾** | |
| نحن أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر النّاس بصيامه | ١٢٣ |
| نحن معاشر الأنبياء أولاد علاّت ديننا واحد | ٧٥٨/٥٢٧ |
| الندم توبة ؟ قال : نعم . | ٨١٨ |
| نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فبلّغها ... | ١٩١ |
| نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثُمَّ أداها إلى من يسمعها | ١٣٩ |
| نعم . إنَّ القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها | ٥٥٧ |
| نعم . عذاب القبر حق | ٤٦٥ |
| **﴿ حرف الهاء ﴾** | |
| هذا سبيل الله مستقيماً | ٥١١ |
| **﴿ حرف الواو ﴾** | |
| وأنتم تسئلون عني . فماذا أنتم قائلون ؟ | ٦٢٧ |
| وتكفّل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلاّ جهاد ... | ٧٧١ |
| وجدنا خير عيشنا الصبر | ٢٦٩ |
| والذي نفسي بيده إنَّ الميت ليسمع خفق نعالكم ... | ٤٦٨ |
| والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحَد من هذه الأُمَّة .. | ٥٩٥/٥٨٩ |
| والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف | ٣٨ |
| والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثُمَّ اتبعتموه .. | ٥٢٦ |

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|
| والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً .. | ٥٠٨ |
| وستفترق هذه الأُمَّة على ثلاثٍ وسبعين فرقة ... | ٧٥٤ |
| ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ... | د |
| وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً ... | ٣٥٣ |
| ولا مسست خزّاً ... كان ألين من كف رسول الله ﷺ | ٣٥٣ |
| والله إني لأخشاكم لله تعالى وأعلمكم بحدود الله تعالى | ٣١٤ |
| والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة | ٧٢ |
| والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ... | ٦٢١ |
| **﴿ حرف الياء ﴾** | |
| يا أيها الناس اتّقوا هذا الشرك فإنّه أخفى من دبيب النمل | ٥٧٠ |
| يا أيها الناس إنَّ الله طيّب لا يقبل إلاّ طيباً ... | ٣٤٢ |
| يا أيها الناس إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟ | ٣٨٧ |
| يا رسول الله : ثلاث أعطِينهم . قال : نعم . | ٥٣٠ |
| يا حذيفة ادن . | ٨٠ |
| يا حذيفة أتدري ما حق الله على العباد | ٧٩ |
| يا عبادي لو أنَّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم ... | ٧٩٣ |
| يا عباس ، يا عم رسول الله اعمل لله خيراً ... | ٧٩ |
| يا عم . ألا أدعوهم أن يتكلّموا بكلمةٍ تدين | ٦٢٦ |
| يا فاطمة بنت رسول الله اعملي لله خيراً ... | ٨٠ |
| يا معاذ . أتدري ما حق الله على عباده ؟ قال : ... | ٧٨٨ |

| طرف الحديث | الصفحة |
| --- | --- |
| يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج | ١٢٢ |
| يا معشر اليهود ويلكم ! اتّقوا الله | ٥٩٩ |
| يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك | ٥٥٧ |
| يُبْعَثُ الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً | ٤٨٦ |
| يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله | ٤٥٥/١٨٠ |
| يجاء بالرجل يوم القيامة فيُلْقَى في النار ... | ١٦٥ |
| يدخل الجنّة من أُمَّتي سبعون ألفاً بدون حساب ولا عذاب | ٨١ |
| يسروا ولا تعسروا ولا تنفروا | ١٢٥ |
| يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت | ٥٠٧ |
| يقول الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم .... | ٧٨ |
| يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك.... | ٥٦٩ |
| يقول الله تعالى : مَن عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب | ٢٧٩ |
| يقول الله تعالى : يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً | ١٠٥ |
| يؤتى بالموت في صورة كبش أملح | ٤٥٢ |
| يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين.... | ٥٠١ |

## ٣ - قائمة الأعـــلام :


| العـــلم | الصفحة |
|---|---|
| ﴿ حرف الألف ﴾ | |
| إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج | ٤٩٧ |
| إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري | ١٩ |
| إبراهيم بن موسى بن محمَّد اللخمي ، الشاطبي | ١٧٥ |
| أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري | ٤٩١ |
| أحمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير | ١٠ |
| أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد العدوي | ١٠ |
| أحمد بن حنبل ، الإمام | ٧٩٠/٥١١ |
| أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، ابن تيمية الحراني | ١١ |
| أحمد بن محمَّد بن أحمد الحريري شهاب الدين | ٢٥ |
| إدريس بن كثير | ٩ |
| إسماعيل بن كثير - الأخ الأصغر لابن كثير | ٩ |
| إسماعيل بن كثير - الأخ الأكبر لابن كثير | ٨ |
| إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن عمرو ، أبو إبراهيم المزني | ٤٥٣ |
| أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد | ٤٩١ |
| ﴿ حرف الباء ﴾ | |
| البخاري ، محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة | ٥٢٣ |
| البراء بن عازب بن الحارث | ٤٩١ |
| البرزالي ، علم الدين القاسم بن محمَّد بن يوسف | ٣٣ |

| العـــلم | الصفحة |
| --- | --- |
| بشر بن جحاش ، ويقال : بسر | ٥٧٩ |
| البغوي ، أبو محمَّد الحسن بن مسعود بن الفراء | ٤٥٦ |
| برهان الدين الفزاري | ٣٢ |
| بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج | ٤٩١ |
| أبو بكر جابر الجزائري | ٤٩٨ |
| بلال بن رباح القرشي التيمي | ٦٢٣ |
| ﴿ حرف التاء ﴾ | |
| تاج الدين الفزاري | ٦ |
| تقي الدين السبكي | ٣٢ |
| تقي الدين أبو عمر بن الصلاح | ٣٢ |
| ﴿ حرف الثاء ﴾ | |
| ثوبان ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | ٤٩١ |
| ﴿ حرف الجيم ﴾ | |
| جرير بن عبد الله بن جابر البجلي | ٣٩٤ |
| ﴿ حرف الحاء ﴾ | |
| أبو حاتم ، محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي | ٢٤٠ |
| الحاكم ، محمَّد بن عبد الله بن حمدويه ، أبو عبد الله | ٦١٢ |
| ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمَّد الكناني العسقلاني | ٥٨٥ |
| الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب | ٤٩١ |
| حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف | ٤٩١ |

| العـــلم | الصفحة |
| --- | --- |
| أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت | ٧٨٩ |
| ﴿ حرف الخاء ﴾ | |
| الخطيب البغدادي ، أحمد بن ثابت البغدادي ، أبو بكر | ١٧٣ |
| خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم | ٤٠٤ |
| ﴿ حرف الدال ﴾ | |
| ابن دقيق العيد | ٣٢ |
| ﴿ حرف الذال ﴾ | |
| الذهبي ، محمَّد بن أحمد بن عثمان ، أبو عبد الله | ٣٢/١٦ |
| ﴿ حرف الراء ﴾ | |
| الراغب الأصفهاني | ٧٧ |
| الرشيد: هارون بن محمد المهدي | ٧٨٩ |
| ﴿ حرف الزاي ﴾ | |
| ابن الزملكاني ، محمَّد بن علي بن عبد الواحد | ٣٢/٢٠/٦ |
| زينب بنت أبي الحاج المزي | ٩ |
| ﴿ حرف السين ﴾ | |
| سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة ، أبو سعيد الخدري | ٣٨٩ |
| سيف الدين تنكز | ٢٧ |
| سيف الدين منكلي | ٣٠ |
| ﴿ حرف الشين ﴾ | |
| شهاب الدين بن حجي | ١١ |

| العـــلم | الصفحة |
| --- | --- |
| شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب ، ابن الشحنة | ٢٠ |
| ﴿ حرف الصاد ﴾ | |
| صبيغ بن شريك بن المنذر بن قشع بن عسل اليربوعي | ٨٤٠ |
| صهيب بن سنان أبو يحي النمري ، الرومي | ٦٢٣ |
| ﴿ حرف الضاد ﴾ | |
| الضحاك ، ابن مزاحم الهلالي ، أبو محمَّد | ٩٩ |
| ﴿ حرف الطاء ﴾ | |
| أبو طاهر ، طاهر بن الحسب بن حبيب الحلبي الحنفي | ٧٠٨ |
| الطحاوي ، أحمد بن محمَّد بن سلمة الأزدي | ٥٠٤ |
| ﴿ حرف العين ﴾ | |
| عائشة: أم المؤمنين | ٤٤٠ |
| عبد الرحمن بن إسماعيل بن عمر بن كثير | ١٠ |
| عبد الرحمن بن علي بن محمَّد بن علي بن الجوزي | ١٥٢ |
| عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن حمد آل سعدي | ٦٣٠ |
| عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن المهراني الشافعي | ٢٣ |
| عبد العزيز بن كثير | ٩ |
| عبد الوهاب بن إسماعيل بن عمر بن كثير | ١١ |
| عبد الله بن سلام بن الحارث | ٥٩٩ |
| عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف | ٤٩١/٩٩ |
| عبد الله بن عمر بن الخطاب | ٥٠٨/٤٩١ |

| العـــلم | الصفحة |
| --- | --- |
| عبد الله بن عمرو بن العاص | ٤٩١ |
| عبد الله بن قيس: أبو موسى الأشعري | ٤٧٥ |
| عبد الله بن مسعود | ٤٩١/٥٩٦ |
| عبيد بن عمير بن قتادة الليثي | ٥١٩ |
| عز الدين بن عبد السلام | ٣٤ |
| علي بن علي بن محمَّد بن أبي العز الحنفي الدمشقي | ٢٥ |
| علي بن محمد الجرجاني | ٧٧ |
| عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس | ٦٢٣ |
| عمران بن حصين بن عبيد بن خلف | ٤٣٤ |
| عمر بن إسماعيل بن عمر بن كثير | ١٠ |
| عمر بن الخطاب | ٨٤٠ |
| عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص | ٥١٩ |
| عياض بن حمار بن أبي حمار المجاشعي التميمي | ٧٨ |
| **﴿ حرف الفاء ﴾** | |
| فضيل بن عياض | ٣٠٤ |
| **﴿ حرف القاف ﴾** | |
| قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي | ٩٩ |
| القرطبي ، محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري | ٤٩٤ |
| **﴿ حرف الكاف ﴾** | |
| كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين الأنصاري | ٥٠٩ |

| العـــلم | الصفحة |
|---|---|
| كمال الدين أبو محمَّد عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي | ٢٠ |
| ﴿ حرف الميم ﴾ | |
| مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن أبي عامر بن عمرو | ٧٨٩ |
| محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الجكني الشنقيطي | ٤٣ |
| محمَّد بن إدريس الشافعي | ٧٨٩/٤٥٣ |
| محمَّد بن إسماعيل بن عمر بن كثير | ١١ |
| محمَّد بن صالح بن عثيمين | ١٤٩ |
| محمَّد بن كثير | ٩ |
| محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين | ٢٣ |
| محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني ، أبو المحاسن الدمشقي | ٢٣ |
| محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن يوسف ، ابن الجزري | ٢٥ |
| مريم بنت نوح بن علي ، أُمّ ابن كثير | ٨ |
| المزيّ ، جمال الدين يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن بن | ١٦/١١ |
| مسروق ، عبد الرحمن بن مالك بن أُمية بن عبد الله | ٦٩٤ |
| معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي | ٣٢٣ |
| معاوية بن صخر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي | ٥٥٠ |
| مقاتل بن حيان ، أبو بسطام النبطي | ٩٩ |
| الملك الناصر محمَّد بن قلاوون | ٢٩ |
| منجك بن عبد الله سيف الدين اليوسفي | ٧٨١ |
| ﴿ حرف النون ﴾ | |

| العـــلم | الصفحة |
| --- | --- |
| النووي ، يحيى بن شرف الدمشقي | ٣٣/٧ |
| ﴿ حرف الياء ﴾ | |
| يونس بن كثير | ٩ |

## ٤ - قائمة المصادر والمراجع:


- **إبراهيم، محمَّد إسماعيل:**
  - **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية:** ط. دار الفكر العربي، بيروت لبنان.
- **ابن الأثير:** أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير ( ت ٦٣٠هـ).
  - **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** تحقيق محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، ومحمود عبد الوهاب فايد، طبعة دار الشعب.
  - **الكامل في التاريخ:** دار صادر بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- **ابن الأثير الجزري:** مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ).
  - **النهاية في غريب الحديث:** تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١ / ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- **أحمد محمد شاكر:**
  - **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث:** الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ط. مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
  - **عمدة التفسير:** دار المعارف بمصر ١٣٧٦هـ.

- **فهرس أحاديث تفسير القرآن العظيم لابن كثير**: إعداد: د/ يوسف عبد الرحمن المرعشي د/ محمد سليم إبراهيم وجمال الدين الراجي، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- **ابن إسحاق**: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ( ت ١٥١هـ).
  - **كتاب السير والمغازي**: تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط١ ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
  - **المبتدأ والمبعث والمغازي**: تحقيق محمد حميد الله، ١٣٩٦هـ.

- **الأشعري**: أبو الحسن علي بن إسماعيل ( ت٣٢٤هـ ).
  - **الإبانة عن أصول الديانة**: تقديم حماد الأنصاري، مركز شئون الدعوة، الجامعة الإسلامية، ط٥ / ١٤١٠هـ.

- **الألباني**: محمَّد ناصر الدين.
  - **صحيح الجامع الصغير وزياداته**: ط. المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

- **ابن باز**: عبد العزيز بن عبد الله.
  - **رسالة في أهمية العلم في محاربة الأفكار الهدَّامة**: ط. مكتبة المدينة، جده، ١٤١٣ هـ.
  - **فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين عليها**: من مطبوعات الجامعة الإسلامية، ١٤١١ هـ.
  - **مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة**: ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والأفتاء والدعوة والإرشاد الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

- **الباقلاني:** أبو بكر محمد بن الطيب البصري ثم البغدادي ( ت ٤٠٣ هـ ).
  - **إعجاز القرآن:** تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٧٧م.
- **البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ( ت٢٥٦هـ ).
  - **الإدب المفرد:** حقّق نصوصه، ورقّم أبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الأثرية، باكستان.
  - **التاريخ الصغير:** إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط٤/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
  - **التاريخ الكبير:** مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، مصور عن دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند.
  - **الجامع الصحيح مع فتح الباري:** لابن حجر.
  - **الضعفاء الصغير:** إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط٤/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
  - **الكنى في نهاية التاريخ الكبير.**
- **البسام،** سعيد بن عبد الرحمن.
  - **علماء نجد خلال ستة قرون:** مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرّمة ١٣٩٨ هـ.
- **البسام،** عبد الله.

- **تيسير العلاَّم شرح عمدة الأحكام**: الطبعة الأولى، ط. مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرَّمة.
- **البستي**، أبي حاتم محمَّد بن حبان.
- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**: تحقيق وتصحيح: محمَّد حامد الفقي، ط. مكتبة السنة المحمدية، مصر.
- **بشير**، د. / محمَّد عثمان.
- **مخاطر الوجود اليهودي على الأمَّة الإسلامية**: ط. دار النفائس الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- **البصري**: صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسين البصري (ت ٦٥٩هـ).
- **أدب الدنيا والدين**: تحقيق مصطفى السقا، ط. دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **الحماسة البصرية**: اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه د. مختار الدين أحمد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن - الهند، ط١/ ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- **البغدادي**: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني.
- **هدية العارفين**: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسطنبول ١٩٥٥م.
- **البغوي**: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء ( ت ٥١٠هـ وقيل: ٥١٦هـ ).
- **معالم التنزيل**: إعداد وتحقيق خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة بيروت، ط١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- **البلالي:** عبد الحميد.
  - **فقه الدعوة في انكار المنكر:** الطبعة الثالثة، الكويت، دار الدعوة ١٤٠٩هـ.
- **البيهقي:** أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ)
  - **الأسماء والصفات:** تصحيح وتعليق الكوثري، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥٨هـ، وكذا طبعة إله آباد سنة ١٣١٣هـ. نشره محمد محيي الدين الجعفري.
  - **البعث والنشور:** تحقيق محمد السعيد بن بسيوني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
  - **دلائل النبوة:** تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١ / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
  - **السنن الكبرى:** دار الفكر، بيروت.
- **الترمذي:** محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى ( ت ٢٧٩هـ ).
  - **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي:** تحقيق وشرح أحمد محمَّد شاكر، ط. مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٩م.
  - **الشمائل المحمدية:** إخراج وتعليق محمد عفيف الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط٢/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- **ابن تغري بردي:** جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ):
- **الدليل الشافي:** تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكتبى الخانجي للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ.
- **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:** تحقيق محمد محمد أمين وتقديم سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة:** مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.
- **التهانوي،** محمَّد بن علي.
- كشاف اصطلاحات الفنون: ط. مكتبة الحياة، طهران.
- **التونسي:** محمَّد خليفة.
- **بروتوكولات حكماء صهيون:** ط. دار النفائس، بيروت، لبنان ط. ١٤١٠ هـ.
- **ابن تيمية:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ).
- **اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم:** تحقيق محمَّد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ هـ.
- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:** مطابع المجد التجارية.
- **درء تعارض النقل والعقل - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول:** ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

- **الرد على المنطقيين:** قدَّم له: سليمان الندوي، ط. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ للطبعة.
- **مجموع الفتاوى:** جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الرياض ط١/ ١٣٩٨هـ.
- **منهاج السنة النبوية:** تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- **الثعلبي:** أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٤٢٧هـ).
- **قصص الأنبياء المسمى بالعرائس:** المكتبى العلامية بجوار الأزهر بمصر، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٩م.

- **الجاحظ: أبي عثمان بن بكر.**
- : ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **الجرجاني:** الشريف على بن محمد.
- ط / دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- **الجزائري: أبو بكر جابر.**
- **العلم والعلماء:** ط. دار الشروق، جده، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- **هذا الحبيب يا محب:** ط. مكتبة السوادي للتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة،١٤١٢هـ،١٩٩٢م.

- **ابن الجزري:** الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري ( ت ٨٣٣هـ).
  - **كتاب المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد:** مكتبة التوبة، الرياض ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- **ابن الجوزي:** جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت٥٩٧هـ ).
  - **أُسُس الدعوة وآداب الدعاة:** تحقيق إبراهيم عبد الله الحازمي، ط. دار الشريف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
  - **دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة ممن ينتحل مذهب الإمام أحمد:** مطبعة الترقي، ١٣٤٥هـ.
  - **صيد الخاطر:** تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر.
  - **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:** تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
  - **الموضوعات:** ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبى السلفية بالمدينة، ط١/ ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- **الجوهري:** أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري (ت٣٩٣هـ).
  - **الصحاح:** تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

- **ابن أبي حاتم:** أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ( ت ٣٢٧هـ ).
- **الجرح والتعديل:** مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدأباد الدكن - ط١/١٣٧١هـ - ١٩٥٣م.
- **تفسير ابن أبي حاتم:** الجزء الأول بتحقيق أحمد عبد الله الزهراني، والثاني بتحقيق حكمت بشير، مكتبى الدار ودار طيبة ودار ابن القيم، ط١/ ١٤٠٨هـ، وكذلك سورة الأعراف، تحقيق حمد ابن أحمد بن أبي بكر، رسالة ماجستير عن جامعة أم القرى ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ.
- **حاجي خليفة:** مصطفى بن عبد الله المعروف بكاتب جلبي (ت١٠٨٦هـ).
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** أسطنبول، ١٩٤١م أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد.
- **ابن حبان:** محمد بن حبان أحمد البستي (ت٣٥٤هـ).
- **الثقات:** مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدأباد الدكن - الهند بمراقبة محمد عبد المعيد خان وشرف الدين أحمد ١٣٩٣-١٤٠٣هـ/١٩٧٣- ١٩٨٣م.
- **كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين:** تحقيق محمود إبراهيم زائد، دار الوعي بحلب، ط٢/١٤٠٢هـ.

- **ابن حجر:** شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ).
- **الإصابة في تمييز الصحابة:** تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط١/ ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- **إنباء الغمر بأبناء العمر:** تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان وشرف الدين أحمد، دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد الدكن - الهند، ط١/ ١٣٨٧ -١٣٩٦هـ، ١٩٦٧ - ١٩٧٦م.
- **تقريب التهذيب:** دار نشر الكتب الإسلامية كوجرا نواله، باكستان، ط١/ ١٩٧٣م.
- **تهذيب التهذيب:** مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند - حيدرأباد الدكن، ط١/ ١٣٢٥هـ.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** وقد له محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة، مصر، مطبة المدني.
- **لسان الميزان:** مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند حيدرأباد الدكن، ط١/ ١٣٣١هـ.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري:** أشرف على قراءة نسخة المطبوعة والمخطوطة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب المطبعة السلفية - القاهرة /١٣٨٠هـ.
- **الحذيفي:** علي بن عبد الرحمن.
- **النفاق وضرره:** من مطبوعات الجامعة الإسلامية، ١٣٩٩/٩٨هـ

- **ابن حزم:** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ).
  - **حجة الوداع:** علق عليه وقدم له ممدوح حقي - دار اليقظة العربية بيروت، ط٢ / ١٩٦٦م.
  - **جوامع السيرة النبوية:** دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
  - **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** مكتبة الخانجي، بدون تاريخ.
- **الحسين بن محمَّد:** المعروف بالرَّاغب الأصفهاني.
  - : تحقيق سيد محمَّد كيلاني، ط. مكتبة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- **الحسيني:** أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي الشافعي (ت٧٦٥هـ).
  - **ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي:** دمشق ١٣٤٧هـ.
- **الحكمي:** حافظ بن أحمد الحكمي ( ت ١٣٧٧هـ ).
  - **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد:** ط. المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.
- **الحميدي:** أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي القرشي المكي (ت٢١٩هـ).
  - **المسند:** تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي في كراتشي ط١/ ١٩٦٣م.

- **ابن حنبل:** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ( ت ٢٤١هـ ).
- **الرد على الجهمية والزنادقة:** تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار اللواء الرياض ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- **كتاب الزهد:** تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/ ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- **العلل ومعرفة الرجال:** تحقيق طلعت قوج بيكيت وإسماعيل جراح أوغلي، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول - تركيا، ١٩٨٧م.
- **العلل ومعرفة الرجال:** رواية أبي بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي وأبي الحسن عبد الملك الميموني، وأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، الدار السلفية بومباي، الهند ١٩٨٨م.
- **المسند:** المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت.
- **الحنبلي:** محمد بن مفلح.
- **الآداب الشرعية والمنح المرعية:** ط مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- **الحنفي:** على بن على بن محمد ابو العز.
- **شرح العقيدة الطحاوية:** ط/ المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ.
- **الخرائطي:** أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد (ت٣٢٧هـ).
- **مكارم الأخلاق ومحمود طرائفهاومرضيها:** المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

- **فضيلة الشكر**: تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.
- **هواتف الجان**: تحقيق إبراهيم صالح، مطبوع ضمن نوادر الرسائل مؤسسة الرسالة، ط٢/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

- **ابن خزيمة**: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ( ت٣١١هـ ).
- **التوحيد وإثبات صفات الرب**: مراجعة وتعليق محمد خليل هراس مكتبة الكليات الأزهرية.
- **صحيح ابن خزيمة**: تحقيق محمد مصطفي الأعظمي، المكتب الإسلامي ١٩٩٠م.

- **الخطابي**: أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم ( ت ٣٨٨هـ ).
- **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**: تحقيق محمد بن سعد ابن عبد الرحمن آل سعود، نشر مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة.
- **غريب الحديث**: تحقيق عبد الكريم الغرباوي، نشر مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى، ط١/١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- **الخطيب البغدادي**: أبو بكر أحمد بن علي ( ت ٤٦٣هـ ).
- **تاريخ بغداد**: دار الكتاب العربي، بيروت.

- **ابن خلكان**: أبو العباس شمس الجين أحمد بن محمد بن أبي بكر ( ت ٦٨١هـ ).
- **وفيات الأعيان**: تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.

- **خليفة بن خياط** ( ت ٢٤٠هـ ).
  - **تاريخ خليفة**: تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢ / ١٩٨٥م.
  - **كتاب الطبقات**: تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط٢/١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- **ابن خير الإشبيلي**: أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الإشبيلي ( ت ٥٧٥ هـ).
  - **فهرسة ما رواه عن شيوخه**: تحقيق فرنسشكه قداره زيدين وخليان رباره طرغوه، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- **الدارقطني**: أبو الحسن علي بن عمر ( ت ٣٨٥هـ ).
  - **المؤتلف والمختلف**: تحقيق موفق عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ.
- **أبو داود السجستاني**: سليمان بن الأشعث ( ت ٢٧٥ هـ).
  - **سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني**: دراسة وتحقيق محمد على قاسم العمري ط المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
  - **سنن أبي داود**: بتعليقات الشيخ أحمد سعد على، طبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١/١٣٧١ هـ -١٩٥٢م.
  - **المراسيل**: بتحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ.

- **ابن أبي داود:** أبو بكر عبد الله بن ابي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٣١٦ هـ).
  - **كتاب المصاحف:** تحقيق أرثر جفري، المطبعة الرحمانية، مصر، ط١/ ١٩٣٦م - ١٣٥٥هـ.
- **الداوودي:** شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ( ت ٩٤٥هـ ).
  - **طبقات المفسرين:** دار الكتب العلمية، بيروت.
- **ابن دقيق العيد.**
  - **شرح الأربعين حديثاً النووية:** ط. مطابع البصيرة الإسلامية.
- **ابن أبي الدنيا:** عبد الله بن محمد بن عبيد ( ت ٢٨١ هـ).
  - **كتاب الإخوان:** تحقيق محمد طوالبة، دار الإعتصام، القاهرة ط١/ ١٤٠٨ هـ.
  - **كتاب التواضع والخمول:** تحقيق لطفي محمد الصغير، دار الإعتصام بالقاهرة، ط١/ ١٤٠٨هـ.
  - **كتاب الشكر لله عز وجل:** تحقيق ياسين محمد السواس ومراجعة عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت ط٢/ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
  - **كتاب الصمت وآداب اللسان:** تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ.
  - **كتاب مجابي الدعوة:** تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

- **كتاب مكائد الشيطان:** تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطباعة والنشر، القاهرة.
- **كتاب من عاش بعد الموت:** تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة.
- **كتاب المنامات:** تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

- **الذهبي:** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ( ت ٧٤٨ هـ).
- **تاريخ الإسلام ( السيرة النبوية ):** تحقيق عمر عبدالسلام تدمري دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- **تاريخ الإسلام:** ( السنوات ١٤١-١٦٠هـ)، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي، ط١/ بيروت.
- **تذكرة الحفاظ:** مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد الدكن، ط٣/ ١٩٥٧م.
- **الخلفاء الراشدون:** تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- **سير أعلام النبلاء:** تحقيق إبراهيم الزيبق وعلي أبي زيده، ومأمون الصاغرجي وغيرهم مع تخريج الأحاديث لشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤/ ١٩٨٦م.
- **العبر في أخبار من غبر:** تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٩٨٥م.

- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- **المعجم المختص بالمحدثين**: تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق - الطائف، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- **المغازي**: تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- **المغني في الضعفاء**: حققه وعلق عليه نورد الدين عتر، نشر دار المعارف سوريا، حلب، ط١/ ١٣٩١هـ -١٩٧١م.
- **ميزان الإعتدال**: تحقيق على محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٣م.

- **الرازي**: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الري (ت٦٠٦هـ).
- **التفسير الكبير**: المطبعة البهية المصرية، ط١/١٣٥٤هـ-١٩٣٥م.
- **المحصول في أصول الفقه**: تحقيق طه جابر العلواني، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- **ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد.**
- **جامع العلوم والحكم**: ط. دار المعرفة، بيروت، بدون عدد أو تاريخ للطبعة.
- **شرح حديث أبي الدرداء**: ط. دار الفتح، مصر، القاهرة، بدون عدد أو تاريخ للطبعة.

- **فضل علم السلف على الخلف**: ط. دار الحديث، القاهرة.
- **الرافعي:** مصطفى صادق.
- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: ط. دار الفكر العربي، لبنان.
- **الرحيلي:** حمود بن أحمد.
- **أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم**: ط. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
- **منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام**: رسالة ماجستير، مقدَّمة إلى قسم الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إشراف الدكتور / عبد المنعم حسنين.
- **رضا:** محمَّد رشيد.
- **تفسير المنار**: ط. دار المعرفة، بيروت.
- **الوحي المحمَّدي**: ط. المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، ١٣٩٩ هـ.
- **ابن زبالة:** محمد بن الحسن بن زبالة (ت١٩٩هـ).
- **منتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم**: رواية الزبير بن بكار، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- **الزركشي:** بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ( ت ٧٩٤ هـ).
  - **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة:** تحقيق سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، ط٤/ ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- **الزركلي:** خير الدين.
  - **الأعلام:** ط دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.
- **الزهري:** محمد بن مسلم بن شهاب ( ت ١٢٤ هـ)
  - **المغازي النبوية:** تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- **زيدان:** عبد الكريم.
  - **أصول الدعوة:** ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- **الزيد:** د. زيد بن عبد الكريم.
  - **الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى:** ط. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- **السبكي:** تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي ( ت ٧٧١هـ ).
  - **طبقات الشافعية الكبري:** دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط٢/ بدون تاريخ.

- **السخاوي:** شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ( ت ٩٠٢هـ).
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:** منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي:** ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر، المكتبة السلفية ط٢/ ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
- **ابن سعد:** أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ( ت ٢٣٠ هـ).
- **الطبقات الكبري:** دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت / ١٩٧٨م، وأيضاً الطبقة الرابعة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، تحقيق ودراسة عبد العزيز السلومي رسالة دكتوراه عن جامعة أم القرى بمكة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، وأيضاً الطبقة الخامسة من الصحابة، دراسة وتحقيق محمد صامل السلمي، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى /١٤٠٩هـ، وأيضاً القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق زياد محمد منصور، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١/ ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- **السعدي:** عبد الرحمن بن ناصر.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** مطبعة المدني، جدة ط عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **بهجة قلوب الأبرار شرح جوامع الأخبار**: ط. مركز صالح بن صالح، عنيزة، المملكة العربية السعودية، ط. ١٤١١ هـ م ١٩٩٠ م.
- **الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرية في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة:**
- **الصوم:**
- **السهيلي:** أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الحسن الخثعمي (ت٥٨١ هـ).
- **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**: تعليق وضبط طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر.
- **ابن سيد الناس:** محمد بن محمَّد بن عبد الله ( ت ٤٣٧هـ).
- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**: دار المعرفة. بيروت.
- **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت ٩١١هـ).
- **تاريخ الخلفاء**: تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة .بمصر، ط١/ ١٩٥٢م.
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر القاهرة**: طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
- **أسرار ترتيب القرآن**: تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط دار الاعتصام، القاهرة.
- **ذيل طبقات الحفاظ للذهبي.**

- **طبقات الحفاظ**: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- **الشاطبي**، إبراهيم بن موسى اللخمي.
- **الموافقات في أصول الأحكام**: قدَّم له الشيخ عبد الله دراز، وعني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه: محمَّد عبد الله دراز، ط. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ للطبعة.
- **الشافعي**: محمد بن إدريس ( ت ٢٠٤هـ).
- **مسند الشافعي**: بترتيب محمد عابد السندي، تحقيق يوسف الزواوي الحسني وعزت العطار الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت /١٣٧٠هـ-١٩٥١ م.
- **جماع العلم**: تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- **ابن شاكر الكتبي**: محمد بن شاكر الكتبي ( ت ٧٦٤هـ ).
- **فوات الوفيات**: تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت / ١٩٧٣ م.
- **أبو شامة**: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبي شامة ( ٦٦٥ هـ ) .
- **تراجم أهالي القرنين السادس والسابع المعروف بذيل الروضتين**: تصحيح محمد زاهد الكوثري، القاهرة - ط٢/ ١٩٧٤ م.
- **الشائب**: أحمد.
- **الأسلوب**: ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

- **الشنقيطي:** محمد الأمين محمد المختار.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** ط عالم الكتب، بيروت.
- **رسالة في التشريع والتعليم والدعوة:** ط. دار روضة الصغير للنشر وتوزيع المطبوعات، الرياض.
- **شلبي: د. أحمد.**
- **المسيحية:** الطبعة الثامنة ١٩٨٦ م، ط. مكتبة النهضة، القاهرة مصر.
- **الشوكاني:** محمد بن علي ( ت ١٢٥٠ هـ).
- **أدب الطلب ومنتهى الأرب:** ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع:** دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
- **فتح القدير:** شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده مصر، ط الثانية ١٣٨٧هـ.
- **ابن أبي شيبة:** أبو بكر عبد الله بن محمد ( ت ٢٣٥ هـ).
- **نيل الأوطار:** المطبعة العثمانية المصرية ١٣٤٠هـ نشر مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر.
- **المصنف:** الدار السلفية، بومباي، ط٢/ ١٩٧٩م، حقق الأجزاء الثلاثة الأولى عبد الخالق الأفغاني، وحقق الجزأين الرابع والخامس عامر الأعظمي، واعتنى بتحقيق بقيته مختار أحمد الندوي.

- **آل الشيخ:** عبد الرحمن بن حسن.
  - **شرح كتاب التوحيد:** ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق محمد حامد الفقي.
- **صراب: صالح بن يحي.**
  - **الدعوة الفردية – أهميتها، وعوامل نجاحها:** الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ط. مطبعة سفير، الرياض.
- **الصفدي:** صلاح الدين خليل بن أيبك ( ٧٦٤هـ ).
  - **الوافي بالوفيات:** تحقيق هلموت ريتر، س. ديدرينغ، وإحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، ويوسف فان إس، وجاكلين سويله وعلي عمارة، وشكري فيصل، ورمضان عبد التواب، ووداد القاضي، ودورويتا كرافولسكي، دار النشر فرانز شتاينر، بقيسبادن، ١٩٦٢-١٩٨٢م.
- **الصنعاني:** أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ( ت ٢١١ هـ).
  - **تفسير القرآن العزيز:** تحقيق عبد المعطي أمين قلمجي، دار المعرفة بيروت، ط١/ ١٤١١هـ -١٩٩١م.
  - **المصنف:** تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- **الضياء المقدسي:** ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن سرور المقدسي ( ت ٦٤٣ هـ).
  - **الأحاديث المختارة:** دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، ط١/١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- **طاش كبري زادة:** أحمد بن مصطفي ( ت ٩٦٨هـ).
  - **مفتاح السعادة ومصباح السيادة:** مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية بعابدين.
- **الطبراني:** أبو القاسم سليمان بن أحمد ( ت ٣٦٠ هـ).
  - **المعجم الكبير:** تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢/١٤٠٥هـ-١٩٨٤ م.
- **الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠هـ ).
  - **تاريخ الرسل والملوك:** تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢/١٩٦٩م.
  - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** مطبعة مصطفي البابي الحلبي ط٣/ ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
- **الطحاوي:** أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي (ت٣٢١هـ).
  - **مشكل الآثار:** مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدأباد الدكن الهند، ط١/ ١٣٢٣.

- **طعيمة:** د. صابر.
- **المعرفة في منهج القرآن الكريم - دراسة في الدعوة والدعاة:** ط. دار الجيل، بيروت.
- **الطيالسي:** أبو داود سليمان بن الجارود (ت٢٠٣هـ).
- **مسند الطيالسي:** مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط١/ ١٣٢١هـ، وأيضاً منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود بترتيب أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، المطبعة المنيرية بالأزهر ط١/١٣٧٢هـ.
- **عاشور:**
- **منهج القرآن في تربية المجتمع:** الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
- **ابن أبي عاصم:** أبو بكر أحمد بن عمرو بن ابي عاصم الشيباني ( ت ٢٨٧ هـ).
- **السَّنَّة:** تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١/ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- **العالِم: جلال.**
- **قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله:** ط. دار الاعتصام، القاهرة، بدون عدد أو تاريخ للطبعة.
- **العبَّاد: عبد المحسن بن حمد.**

- **رسالة في الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة:** من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ.
- **ابن عبد البر:** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت٤٦٣ هـ).
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** بحاشية الإصابة، تحقيق محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١/ وكذا طبعة دار الكتاب العربي، بيروت وطبعة نهضة مصر للطباعة، تحقيق محمد البجاوي.
- **الإنباه على قبائل الرواة:** تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- **جامع بيان العلم وفضله:** ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- **الدر في اختصار المغازي والسير:** تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢/ ١٩٨٣م.
- **عبد بن حميد:** أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي (ت٢٤٩هـ)
- **المنتخب من مسند عبد بن حميد:** تحقيق البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط١/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- **ابن عبد ربه:** أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ( ت ٣٣٨هـ).

- **العقد الفريد**: شرحه وضبطه وصححه أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣/ ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.
- **الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ):**
- **الترغيب والترهيب.**
- **ابن عبد الوهاب:** سليمان بن عبد الله بن محمد
- **تيسير العزيز الحميد.**
- **ابن عبد الوهاب:** عبد الرحمن بن حسن.
- **قُرَّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين:** من مطبوعات الرئاسة العامة لأدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، صحَّحه وعلَّق عليه الشيخ: إسماعيل الأنصاري، ط. ١٤٠٤ هـ.
- **شرح كتاب التوحيد**: الطبعة السابعة، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.
- **أبو عبيد:** القاسم بن سلام ( ت ٢٢٤ هـ)
- **كتاب الأموال**: تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط١/ ١٣٨٩ / ١٩٦٩م.
- **غريب الحديث**: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- **ابن عثيمين: محمَّد بن صالح.**

- **رسالة في الدعوة إلى الله**: من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- **الصحوة الإسلامية – ضوابط وتوجيهات –**: إعداد وترتيب: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز. ط. دار المجد للنشر والتوزيع . الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

- **العجلي**: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ( ت ٢٦١ هـ).
- **الثقات**: بترتيب الهيثمي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

- **العدوي، محمَّد أحمد.**
- **دعوة الرسل إلى الله تعالى**: ط. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ.

- **ابن عدي**: أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني (ت ٣٦٥هـ).
- **الكامل في ضعفاء الرجال**: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط٢/ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥ م.

- **ابن العربي المالكي**: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الأندلسي الأشبيلي المالكي ( ت ٥٤٣هـ ).

- **عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي**: دار الكتاب العربي، بيروت.
- **ابن عساكر**: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الدمشقي المعروف بابن عساكر ( ت ٥٧١هـ ).
- **تبيين كذب المفتري**.
- **ابن عطية**: أبو محمد عبد الحق بنأبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي المالكي ( ت ٥٤٦هـ ).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ط١/ ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- **العقاد**: عباس محمود.
- **الإسلام في القرن العشرين**: نشر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، مكّة المكرمة، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٦٩ م.
- **العقيلي**: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي الحجازي ( ت ٣٢٢هـ).
- **الضعفاء الكبير**: تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١١ / ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.
- **ابن العماد**: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ( ت ١٠٨٩هـ).
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: دار المسيرة، بيروت، ط٢/ ١٩٧٩م.

- **العماري:** د. / علي محمَّد.
- **الزكاة – فلسفتها وأحكامها –:** من مطبوعات الأمانة العامَّة لرابطة العالم الإسلامي، مكَّة المكرمة، ط. ١٤٠٢ هـ.
- **العمري:** د. أكرم ضياء العمري.
- **بحوث في تاريخ السُّنَّة المشرَّفة:** الطرعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م.
- **عوض زاهر الألمعي:**
- **مناهج الجدل في القرآن الكريم:** مطبعة الفرزدق ١٤٠٠هـ.
- **تاريخ المماليك:** عادل زيتون، المطبعة الجديدة ١٤٠١هـ.
- **عياض بن موسى بن عياض اليحصبي أبو الفضل: ( ت ٥٤٤ هـ).**
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفي:** دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- **الغزالي:** أبي حامد محمَّد بن محمَّد ( ت ٥٠٥هـ ).
- **إحياء علوم الدين:** ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١٤٠٦هـ.
- **ابن فرحون:** برهان الدين إبراهيم علي ( ت ٧٩٩ هـ)

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث العربي للطباعة / القاهرة ١٩٧٢م.

- **الفريابي**: أبو بكر جعفر بن محمد ( ت ٣٠١هـ )
- **دلائل النبوة**: باشراف محمود الحداد وتخريج أم عبد الله بنت محروس، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

- **فريد**: أحمد.
- **البحر الرائق في الزهد والرقائق**: ط مكتبة الإيمان، مصر، الاسكندرية.

- **الفسوي**: أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان (ت٢٨٠ أو٢٨١هـ).
- **المعرفة والتاريخ**: تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١/١٣٩٦هـ -١٩٧٦م.

- **فقيهي**: د. علي ناصر.
- **الوصايا في الكتاب والسنة**: من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

- **الفلاني**: صالح.
- **مختصر إيقاظ همم أولي الأبصار**: اختصره وخرَّج أحاديثه: سليم الهلالي، ط. المكتبة الإسلامية، عمَّان، الأردن.

- **الفوزان**: صالح.

- **ثلاث محاضرات في العلم والدعوة**: ط. مكتبة ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- **الخطب المنبرية في المناسبات العصرية**: ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

- **قاسم**: عبد الرحمن بن محمَّد.
- **الدرر السنية**.

- **القاسمي**: محمَّد جمال.
- **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**: ط. دار المعرفة، بيروت

- **ابن قاضي شهبة**: أبو بكر بن أحمد بن محمد، تقي الدين، ابن قاضي شهبة الدمشقي ( ت ٨٥١ هـ).
- **طبقات الشافعية**: اعتني بتصحيحه الحافظ عبد العليم خان، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

- **ابن قتيبة**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ).
- **المعارف**: تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط٢/ ١٩٦٩م.

- **القحطاني**: سعيد بن علي.
- **الحكمة في الدعوة إلى الله**: ط. مطبعة سفير، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٢ هـ.

- **ابن قدامة المقدسي:** أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت٦٣٠هـ).
  - **كتاب التوابين:** تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢/ ١٩٨٧م.
  - **المغني:** تحقيق: محمَّد سالم محيسن، وشعبان محمد إسماعيل، ط. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- **القرشي:** عبد القادر بن محمد ( ت ٧٧٥هـ).
  - **الجواهر المضية في طبقات الحنفية:** تحقيق عبد الفتاح حلو - القاهرة.
- **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ( ت ٦٧١هـ).
  - **كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة:** تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
  - **الجامع لأحكام القرآن - أو تفسير القرطبي:** دار القلم عن طبعة دار الكتب، ط٣/ ١٩٦٦م - ١٣٨٦هـ.
- **القرضاوي:** يوسف.
  - **الصبر في القرآن الكريم:** ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- **القعود:** عبد الله بن حسن.
  - **أحاديث الجمعة:** ط. دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- **ابن القيم الجوزية:** شمس الدين..... عبد الله ( ت ٧٥١هـ).
- **أحكام أهل الذمة:** تحقيق صبحي الصالح، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م، ط. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.
- **بدائع الفوائد:** ط. دار الكتاب العربي، بيروت.
- **الداء والدواء ( أو الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الكافي ):** دار الكتب العلمية، بيروت.
- **رسالة في أمراض القلوب:** ط. دار طيبة، الرياض، تحقيق محمَّد حامد الفقي، ط. ١٤٠٣ هـ.
- **الروح:** ط دار العلوم الحديث، بيروت.
- **زاد المعاد في خير العباد:** تحقيق شعيب عبد القادر الأرناؤوط ط مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٦هـ.
- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين:** ط مكتبة دار التراث المدينة النبوية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** تحقيق، محمد حامد الفقي، ط - دار الكتب المصرية.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة:** ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

- **ابن كثير**: إسماعيل بن عمر ( ت ٧٧٤ هـ).
- **الاجتهاد في كلب الجهاد**: تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- **اختصار علوم الحديث ومعه الباعث الحثيث**: مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣ / ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- **استشهاد الحسين، ويليه رأس الحسين**: فالأول لابن كثير، والثانية لشيخه ابن تيمية في كتاب واحد. تقديم د/ محمد جميل غازي، مطبعة المدني ١٣٩٧هـ.
- **الإسراء والمعراج وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ؟**: دار الطلائع، تعليق محمد عبد العزيز الهلاوي، القاهرة ١٩٩٢.
- **بداية الخلق**: دراسة وتحليل إبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- **البداية والنهاية**: أربع طبعات وصفناها عند الحديث عن الكتاب في المبحث الثاني من التمهيد.
- **تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب**: دراسة وتحقيق عبد الغني بن حميد الكبيسي، دار حراء للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١/ ١٤٠٦هـ.
- **تفسير القرآن العظيم**: طبعة عيسى البابي الحلبي.
- **جامع المسانيد والسنن**: تحقيق صالح الوعيل، رسالة دكتوراه عام ١٤٠٥هـ.

- **الدلائل معجزات النبي صلى الله عليه وسلم**: دراسة وتحقيق محمد عبد العزيز الهلاوي، نشر مكتبة الفرقان ١٤١٠هـ.
- **ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعه**: حققه ياسين محمد السواس ومحمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- **السيرة النبوية**: تحقيق د/ مطصفي عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٤هـ.
- **شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم**: تحقيق مصطفي عبد الله أحمد، دار الثقبلة للثقافة الإسلامية، جده، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- **طبقات الفقهاء الشافعين**: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ مصر.
- **عمر بن عبد العزيز**: جمع أحمد الشرباصي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- **الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم**: تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، ومكتبة دار التراث بالمدينة، ط٤/ ١٤٠٥ - ١٩٨٥، وكذا طبعة دار الصفا، بتحقيق سيد عباس الجليمي، ط١/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- **فضائل القرآن**: تحقيق سعيد عبد المجيد محمود، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٩م.

- **قصص الأنبياء**: تحقيق محمد أحمد عبد العزيز. طبع دار الكتب العلمية نشر مكتبة طيبة.
- **المسائل الفقهية**: تحقيق إبراهيم علي صندقجي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- **مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأقواله على أبواب العلم**: تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط١/ ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- **مولد الرسول صلى الله عليه وسلم**: تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.
- **النهاية في الفتن والملاحم**: تحقيق إسماعيل محمد الأنصاري، نشر المكتبة القيمة. القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ.

- **اللالكائي**: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي ( ت ٤١٨هـ).
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**: تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر، ط١/ ١٤٠٨هـ، الرياض.

- **ابن أبي الليل**: ماجد.
- **تزكية النفوس وتربيتها كما يقرِّر علماء السلف**: جمع وترتيب أحمد فريد. ط. دارالقلم، بيروت، لبنان.

- **ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ( ت ٢٧٥هـ).
- **السنن**: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر.

- **مالك بن أنس:** ( ت ١٧٩هـ).
- **الموطأ برواية يحيى الليثي:** صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م، وأيضاً برواية أبي مصعب الزهري، بتحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
- **الماوردي:** أبو الحسين علي بن محمد البصري الماوردي الشافعي (٤٥٠هـ).
- **النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم:** راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ط١/١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- **الأحكام السلطانية:** ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- **ابن المبارك:** عبد الله بن المبارك المروزي ( ١٨١هـ).
- **الزهد والرقائق:** تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مجلس إحياء المعارف، الهند، ١٩٦٦م.
- **كتاب الجهاد:** تحقيق نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة.
- **محمَّد نسيب الرفاعي:**
- **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير:** ط الأولى ١٣٩٢هـ الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ.

- **محمود:** علي عبد الحليم.
- **فقه الدعوة إلى الله:** ط دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- **المزي:** أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت٧٤٢هـ):
- **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف:** تحقيق عبد الصمد شرف الدين، الدار القيمة، بومباي، الهند ١٣٨٤ - ١٤٠٣هـ/١٩٦٥-١٩٨٢م.
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال:** تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- **المسعودي:** أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ( ت ٣٤٦هـ).
- **التنبيه والإشراف:** مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥.
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر:** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، ط ٥، ١٩٧٣م.
- **مسلم:** هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ).
- صحيح مسلم
دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- **المصري:** د. / جميل عبد الله.
- **تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين**

ط. مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

- **المصلح:** حامد محمَّد.
  - **المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع:** الناشر مكتبة الضياء، ط. الثالثة، ١٤١٢ هـ.
- **مطر أحمد مسفر الزهراني:**
  - **الإمام ابن كثير المفسر:** رسالة ماجستير، من كلية الشريعة والدراسات العليا، بمكة المكرَّمة عام ١٤٠٢ هـ.
- **المقريزي:** أحمد بن علي ( ت ٨٤٥ هـ ).
  - **السلوك لمعرفة دول الملوك:** تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.
- **ابن منظور:** محمد بن مكرم ( ت ٧١١هـ).
  - **لسان العرب:** دار صادر، بيروت.
  - **مختصر تاريخ دمشق:** تحقيق روحية النحاس ومراجعة محمد مطيع الحافظ دار الفكر، دمشق، ط١/ ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- **النسائي:** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ( ت ٣٠٣هـ ).
  - **خصائص علي:** تحقيق أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، ط١/١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ.
  - **كتاب الضعفاء والمتروكين:** إدارة ترجمان السنة، لاهور ط٤، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
  - **السنن الكبرى:** تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١١هـ -١٩٩١م.

- **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي:** اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط٢/ ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.
- **عمل اليوم والليلة:** تحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة ط٢/ ١٩٨٧م.

- **آل مهدي:** فالح بن مهدي.
- : ط. مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.

- **أبو نعيم الأصبهاني:** أحمد بن عبد الله ( ت ٤٣٠هـ ).
- **حلية الأولياء:** دار الكتب العلمية، بيروت.
- **دلائل النبوة:** حققه ووضع فهارسه محمد رواس قلعة جي، وخرَّج أحاديثه عبد البر عباس، نشر المكتبة العربية بحلب، ط١/ ١٩٧٠م-١٣٩٠هـ.
- **معرفة الصحابة:** تحقيق محمد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ومكتبة الحرمين بالرياض، ط١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **النووي:** أبو زكريا يحيى بن شرف ( ت ٦٧٦هـ).
- **شرح صحيح مسلم:** دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **فتاوى الإمام النووي المسماة بالمسائل المنثورة:** ترتيب تلميذه علاء الدين بن العطار، تحقيق وتعليق محمد الحجار، دار السلامة للطباعة والنشر، ط٣/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- **هرّاس: محمّد خليل.**
- **شرح العقيدة الواسطية:** مراجعة الشيخ عبد الرزّاق عفيفي، صحّحها وعلّق عليه الشيخ: إسماعيل الأنصاري. من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، ١٤٠٣ هـ.
- **ابن هشام:** أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ( ت ٢١٣هـ ).
- **التيجان في ملوك حمير:** طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن ١٣٤٧هـ - ١٩٣٨م.
- **السيرة النبوية:** تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢/ ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- **الواحدي:** على بن أحمد.
- **أسباب النزول:** تحقيق السيد أحمد صقر، ط مؤسسة علوم القرآن بيروت، الكبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م
- **كتاب المغازي:** تحقيق مارسدن جونز، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- **الوكيل:** محمّد السيد.
- **أسس الدعوة:** ط. دار الوفاء، القاهرة، مصر.
- **كتاب الردة ونبذة من فتوح العراق:** تهذيب محمد حميد الله، طبعة كوكوي، باريس، ط١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- **على محفوظ:**

- **هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة**: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- **مسعود عبد الرحمن الندوي:**
  - **ابن كثير حياته ومؤلفاته**: نشر مركز الدراسات الأسيوية الغربية، عليكر، الهند، الطبعة الأولي، ١٩٨٠ م.
  - **ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه**: محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق الطبعة الأولي ١٤١٥هـ.
- **ياقوت:** شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحمي ( ت ٦٢٦هـ ).
  - **معجم الأدباء**: دار الفكر، بيروت، ط٣/ ١٩٨٠م.
  - **معجم البلدان**: دار صادر، ودار بيروت، بيروت /١٩٨٤م.
- **أبو يعلى الموصلي:** أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت٣٠٧هـ).
  - **مسند أبي يعلي الموصلي**: تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

## ٥ – قائمة الموضوعات:


| الموضـــوع | الصفحـة |
|---|---|
| شكر وتقدير | ج |
| المقدمــة | و |
| أسباب اختيار الموضوع | ي |
| خطة البحث | ل |
| عملي في البحث | ع |
| الصعوبات | ف |
| معنى كلمة منهج لغةً واصطلاحاً | ط |
| مناهج الدعوة | ف |
| التمهيد: | ١ |
| المبحث الأوَّل: ترجمة موجزة عن حياة الإمام ابن كثير | ٣ |
| اسمه، ونسبه، وكنيته | ٣ |
| مولده، ونشأته | ٤ |
| أسرتــه | ٦ |
| إخوته | ٧ |
| زوجته وأبناؤه | ٩ |
| أخلاقه وصفاته | ١٠ |
| شيوخه | ١٢ |
| أشهر تلامذة ابن كثير | ٢١ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
|---|---|
| وفاتـه | ٢٥ |
| عصر ابن كثير | ٢٦ |
| الحالة السياسية | ٢٦ |
| الحالة الدينية | ٢٩ |
| الحالة الثقافية | ٣١ |
| المبحث الثاني: تعريف الدعوة وأهميتها وأهدافها عند ابن كثير | |
| أولاً: تعريف الدعوة لغة | ٣٣ |
| الدعوة في الإصطلاح | ٣٥ |
| ثانياً: أهمية الدعوة | ٣٩ |
| ثالثاً: أهداف الدعوة إلى الله | ٤٧ |
| أهداف الدعوة إلى الله تعالى عند ابن كثير | ٥٢ |
| **الباب الأوّل** | |
| **منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله تعالى** | ٥٧ |
| تمهيـد | ٥٩ |
| **الفصل الأول / منهج ابن كثير في موضوع الدعوة** | ٦١ |
| مقدمـة | ٦٣ |
| المبحث الأول: تحقيق شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له | |
| ( إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك ) | ٦٧ |
| معنى كلمة التوحيد | ٦٧ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
|---|---|


عرض وتقرير هذا المعنى عند ابن كثير وما فصَّله به ٦٨

المبحث الثاني: تحقيق شهادة أنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ ٨٣

الإقتداء، والإتباع، والنهي عن الإبتداع ٨٣

عرض ابن كثير لهذا المعنى وتفصيله له ٨٤

المبحث الثالث: تحقيق بقية أركان الإسلام ٩٦

أولاً: الصلاة ٩٦

ذكر ابن كثير لفضل الصلاة وأهميتها ٩٨

ثانياً: الزكاة ١٠٧

ما ذكره ابن كثير في فضل الزكاة والترغيب في إيتائها١٠٨

ثالثاً: الصوم ١١٨

تناول ابن كثير لموضوع الصيام ١٢٠

رابعاً: الحج: ١٢٩

ما جاء عن ابن كثير في حكم الحج ١٣١

الحج وآدابه والترغيب فيه ١٣٥

عناية ابن كثير بإظهار حرمة الحج وما تقتضيه

من آداب ١٣٦

فضل الحج وثوابه ١٣٧

الحج تربية عملية وميدان للدعوة ١٤٠

بيان ابن كثير لحجة النَّبيِّ ﷺ وتفصيله لها ١٤٥

| الموضـــوع | الصفحـة |
| --- | --- |
| المبحث الرابع: الحث على العلم والعمل | ١٤٦ |
| أولاً: العلم | ١٤٦ |
| ثانياً: العمل | ١٦٢ |
| بيان ابن كثير لهذا المعنى وما قرَّره فيه | |
| وذكر ما يتصل بذلك | ١٦٤ |
| المبحث الخامس: الحثّ على لزوم الجماعة | ١٨٧ |
| تعريف الجماعة في اللغة والشرع | ١٨٧ |
| **الفصل الثاني: منهجه في إعداد الداعية** | ٢٠٦ |
| المبحث الأول: إعداده بالعلم | ٢٠٧ |
| المبحث الثاني: الإخلاص | ٢١٤ |
| حقيقة الإخلاص | ٢١٥ |
| ركنا القبول | ٢٢١ |
| طريق التخلص مِمَّا يُذْهِب الإخلاص أو يضعفه | ٢٢٤ |
| ثمرة الإخلاص وضرورته | ٢٢٧ |
| المبحث الثالث: إعداد الداعية بالصدق | ٢٣٠ |
| تعريف الصدق، حقيقة الصدق | ٢٣٠ |
| صدق اللسان | ٢٣١ |
| صدق الإرادة / صدق العزم / الوفاء بالعزم | ٢٣٣-٢٣٤ |
| الصدق في الأعمال وفي أمور الدين كلها | ٢٣٦ |
| فضل الصدق والحثّ عليه | ٢٣٧ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
| --- | --- |
| علامات الصدق وعلامات الكذب | ٢٤٣ |
| محاسن الصدق ومساوئ الكذب | ٢٤٥ |
| نجاة الصادقين | ٢٤٨ |
| **المبحث الرابع:** إعداد الداعية بالصبر | ٢٥٠ |
| تعريف الصبر | ٢٥٠ |
| أهمية الصبر للداعية | ٢٥٣ |
| حقيقة الصبر وما يعنيه للداعية | ٢٥٤ |
| حكم الصبر | ٢٥٧ |
| أقسام الصبر باعتبار متعلقه | ٢٥٩ |
| فضل الصبر وما أعدَّ الله للصابرين من جزيل الثواب | ٢٦١ |
| ضرورة الصبر والأسباب المعينة عليه | ٢٧١ |
| الأسباب التي تعين على الصبر | ٢٧٤ |
| ١) الرضا بقضاء الله وقدره | ٢٧٥ |
| ٢) معرفة حقيقة الحياة الدنيا | ٢٧٦ |
| ٣) معرفة الإنسان دوره في هذه الحياة | ٢٧٧ |
| ٤) الاقتداء بالأنبياء | ٢٧٧ |
| ٥) اليقين بفرج الله تعالى وحسن الجزاء للصابرين | ٢٧٩ |
| ما يقدح في الصبر وينافيه | ٢٨٣ |
| ١) الشكوى | ٢٨٣ |
| ٢) الهلع، وإظهار المصيبة | ٢٨٥ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
| --- | --- |
| ٣) الإستعجال والغضب | ٢٨٦ |
| ٤) الحزن واليأس | ٢٨٨ |
| **المبحث الخامس**: إعداد الداعية بالزهر | ٢٩١ |
| الزهد في اللغة، والإصطلاح | ٢٩١ |
| حقيقة الزهـد | ٢٩٥ |
| أصناف الزهد، وأقسامه، ودرجاته | ٢٩٦ |
| درجات الزهـد | ٢٩٩ |
| فضل الزهد | ٣٠٠ |
| الزهد المشروع والنافع | ٣١٣ |
| ضرورة الزهد للداعية | ٣١٦ |
| **الفصل الثالث / أسلوبه في الدعوة** | ٣١٨ |
| مقدمـة: تعريف الأسلوب | ٣١٩ |
| تمهيد | ٣٢٠ |
| المبحث الأول: تشخيص الداء ومعرفة الدواء | ٣٢١ |
| الداء، والدواء | ٣٢١ |
| أهم الأدواء وعلاجها | ٣٢٢ |
| ١) الشرك | ٣٢٢ |
| ٢) النفاق | ٣٢٦ |
| تعريف النفاق | ٣٢٦ |
| بداية ظهور النفاق | ٣٢٩ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
|---|---|


دواء النفاق ٣٣٠

٣) الشبهة والشهوة ٣٣٢

الدواء لداء الشبهة والشهوة ٣٣٤

المبحث الثاني: القدوة الحسنة عند ابن كثير ٣٣٧

تعريف القدوة ٣٣٧

أهمية القدوة للداعية إلى الله تعالى ٣٣٨

الإقتداء بالرسل والأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ٣٤٢

الإقتداء بالرسول ﷺ ٣٤٨

من خصائص أسلوب القدورة ٣٥٩

١ - سهولة وسرعة انتقال أفعال المقتدى به إلى المقتدي ٣٥٩

٢ - صحيَّة الأخذ وضمان صدق النقل ٣٦١

٣ - سرعة الإستجابة للأمور العملية أكثر من الإستجابة للأمور النظرية ٣٦١

٤ - الصمت والفعل قد يغنيان عن البيان ٣٦٢

أمور يحذرها الداعية لتحقيق نجاح أسلوب القدوة في الدعوة إلى الله تعالى:

١ - الغرور والكبر ٣٦٢

٢ - ارتكاب المخالفات ٣٦٤

٣ - ربط الناس بالأشخاص ٣٦٦

| الموضـــوع | الصفحـة |
|---|---|


أمور يحتاجها الداعية لتحقيق نجاح أسلوب القدوة ٣٦٧

**المبحث الثالث**: أسلوب الحكمة عند ابن كثير ٣٦٩

تعريف الحكمة لغة ٣٦٩

تعريف الحكمة اصطلاحاً ٣٧٠

التلازم بين التعريفين اللغوي والإصطلاحي ٣٧٢

أهمية الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ٣٧٣

ضرورة الحكمة للداعية إلى الله تعالى ٣٧٦

المبحث الرابع: أسلوب الموعظة الحسنة عند ابن كثير ٣٨٠

تعريف الموعظة الحسنة في اللغة ٣٨٠

تعريف الموعظة الحسنة في الإصطلاح ٣٨١

مرادفات الموعظة الحسنة ٣٨٣

كيف يدعي بأسلوب الموعظة الحسنة ٣٨٩

أمور يجب مراعاتها لتحقيق نتائج الموعظة الحسنة ٣٩٠

أهمية أسلوب الموعظة الحسنة للداعية ٣٩٢

المبحث الخامس: المجادلة بالتي هي أحسن ٣٩٤

تعريف الجدل في اللغة والإصطلاح ٣٩٤-٣٩٥

أسلوب المجادلة في القرآن الكريم ٣٩٥

أوجه الجدل في القرآن الكريم ٤٠٣

مع مَن يستخدم الجدل ؟ وبأي أسلوب يجادل
الداعية إلى الله تعالى فيه ؟ ٤٠٥

| الموضـــوع | الصفحـة |
|---|---|


أهمية المجادلة بالحسنى في سبيل الدعوة إلى الله ٤٠٨

بعض خصائص الجدل وتأثيره ٤١٢

**الفصل الرابع /**

**دراسة في أسلوب الترغيب والترهيب عند ابن كثير رحمه الله** ٤١٨

مقدمـــة ٤١٩

معنى الترغيب ٤٢٠

معنى الترهيب ٤٢١

**المبحث الأول:** الإستشهاد بالكتاب والسنة ٤٢٧

**المبحث الثاني:** الإستشهاد بأقوال السلف الصالح ٤٣٤

**المبحث الثالث:** ذكر الموت وسكراته ٤٤٤

معنى الموت حقيقة ٤٤٤

لا ينبغي تمني الموت والدعاء به، بل المطلوب

حسن الظن بالله تعالى ٤٥٥

**المبحث الرابع:** القبر ٤٦٠

**المبحث الخامس:** ذكر أمور الآخرة ٤٧٣

البعث والنشور ٤٧٧

حكمة الله تعالى من البعث والنشور ٤٨٧

الحوض، والميزان، والصراط ٤٩٠

الحوض ٤٩٠

الصراط ٤٩٥

| الموضـــوع | الصفحـة |
| --- | --- |
| الموازين | ٤٩٧ |
| الجنة والنار | ٥٠٢ |
| **المبحث السادس**: ذكر القصص | ٥١٥ |
| المعنى اللغوي للقصص | ٥١٥ |
| أقسام القصص | ٥١٧ |
| أهمية القصص في الدعوة وخطر التمادي فيه على حساب الدين | ٥٢٤ |
| القصة وسيلة دعوية | ٥٢٧ |
| فوائد القصص وثمراتـه | ٥٢٩ |
| **المبحث السابع**: إيراده الشعر | ٥٣٤ |
| الشعر والدعوة | ٥٣٤ |
| ابن كثير والشعر | ٥٤٠ |
| **الفصل الخامس / منهجه في تصنيف المدعوين** | ٥٤٨ |
| مقدمـة: الدعوة إلى الإسلام دعوة عامَّة | ٥٤٩ |
| المدعوون: حقوقهم، وواجباتهم | ٥٥٣ |
| المبحث الأول: دعوة المشركين | ٥٦٠ |
| معنى الشرك في اللغة | ٥٦٠ |
| معنى الشرك في الشرع | ٥٦٢ |
| أنواع الشرك | ٥٦٤ |
| حقيقة الشرك | ٥٦٦ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
| --- | --- |
| الإسلام ودعوة المشركين | ٥٧٣ |
| دعوة الملحدين | ٥٨٣ |
| المبحث الثاني: دعوة أهل الكتاب | ٥٨٥ |
| تعريف أهل الكتاب | ٥٨٥ |
| دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام كافّة | ٥٨٦ |
| دعوة أهل الكتاب إلى كلمةٍ سواء | ٥٩٣ |
| إقامة الحُجَّة على أهل الكتاب بأنَّ الإسلام هو الدين الحق وإعراضهم عن ذلك | ٦٠٠ |
| أهل الكتاب وموقفهم من الإسلام وأهله | ٦٠٥ |
| النهي عن التشبه بأهل الكتاب، والأمر بمخالفتهم والتحذير من أفعالهم المذمومة | ٦٠٩ |
| المبحث الثالث: دعوة المسلمين | ٦١٦ |
| ما المراد بالملأ ؟ | ٦١٨ |
| موقف الملأ من الدعوة إلى الله تعالى | ٦١٩ |
| كيفية دعوة الملأ | ٦٢٥ |
| دعوة أولي الأمر وبيان ما لهم وما عليهم | ٦٢٧ |
| ما المراد بأولي الأمر ؟ | ٦٢٨ |
| حق أولي الأمر على رعيتهم | ٦٢٩ |
| الحق الذي على ولاة الأمر لرعيتهم | ٦٣٧ |
| دعوة العصاة | ٦٤٠ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
| --- | --- |
| كيفية دعوة العصاة | ٦٤٢ |
| دعوة عامَّـة الناس | ٦٤٨ |
| كيفية دعوة عامَّة المسلمين | ٦٥١ |
| دعوة الأتباع من النساء والأولاد ومَن في حكمهم وكيفيتها | ٦٥٤ |
| **الباب الثاني** | |
| **جهود ابن كثير في الدعوة** | ٦٥٧ |
| **الفصل الأوَّل / جهوده وآثاره العلمية** | ٦٥٨ |
| مقدمـة: | ٦٥٩ |
| المبحث الأول: مؤلفات ابن كثير | ٦٦٥ |
| أولاً: المطبوع من مؤلفات ابن كثير | ٦٧٠ |
| ثانياً: المخطوط من مؤلَّفات ابن كثير | ٦٨٣ |
| ثالثاً: المفقود من مؤلَّفات ابن كثير | ٦٨٦ |
| رابعاً: الأجزاء من مؤلَّفات ابن كثير | ٦٨٩ |
| المبحث الثاني: مراسلاته ومكاتباتـه | ٦٩١ |
| المبحث الثالث: المناظرة والخطابة | ٦٩٧ |
| المبحث الرابع: ثناء العلماء على جهوده | ٧٠٤ |
| **الفصل الثاني: جهوده وآثاره العملية** | ٧١٣ |
| تمهيـد | ٧١٤ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
| --- | --- |
| المبحث الأول: جهوده في التدريس | ٧١٧ |
| المدارس والمشيخات التي تولاّها ابن كثير للتعليم والتدريس | ٧٢٢ |
| المبحث الثاني: جهوده في الإفتاء | ٧٢٦ |
| المبحث الثالث: رحلاته وأسفاره | ٧٤٠ |
| رحلته إلى الحج | ٧٤٦ |
| المبحث الرابع: محاربته البدع | ٧٤٧ |
| البدعة في اللغة، والإصطلاح | ٧٤٧ |
| بداية ظهور البدع | ٧٥٢ |
| موقف ابن كثير من البدع | ٧٥٧ |
| ما ذكر ابن كثير عن شيخه ابن تيمية في محاربة البدع | ٧٦٢ |
| المبحث الخامس: حثه على الجهاد في سبيل الله تعالى | ٧٦٦ |
| الجهاد لغةً وشرعاً | ٧٦٦ |
| الجهاد ومكانته في الإسلام | ٧٦٧ |
| ابتداء مشروعية الجهاد في سبيل الله | ٧٧٢ |
| حكم القتال في الإسلام | ٧٧٥ |
| الجهاد حماية للمسلمين ودعوة لغيرهم إلى الإسلام | ٧٧٨ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
|---|---|
| **الفصل الرابع: نماذج من مواعظ ابن كثير** | ٧٨٣ |
| مدخل لنماذج ومواعظ ابن كثير | ٧٨٤ |
| المبحث الأول: في الحث على إخلاص التوحيد | ٧٨٧ |
| المبحث الثاني: في الحث على طلب العلم والتفقه فيه | ٧٩٨ |
| أهمية الفقه في الدين | ٨٠٣ |
| المبحث الثالث: في الحث على التوبة | ٨١٣ |
| التوبة ومعناها وحكمها | ٨١٣ |
| لماذا شرعت التوبة ؟ | ٨١٥ |
| حكم التوبة | ٨١٧ |
| ترغيب الله تعالى في التوبة | ٨٢٣ |
| المبحث الرابع: في النهي عن السماع | ٨٢٥ |
| المبحث الخامس: في ذمه لعلم الكلام | ٨٣٥ |
| ما المراد بعلم الكلام ؟ | ٨٣٥ |
| موقف علماء الإسلام من علم الكلام | ٨٣٦ |
| الفائدة من علم الكلام | ٨٤٣ |
| الخاتمـــة: | ٨٤٤ |
| الفهـــارس: | ٨٥٥ |
| قائمة الآيات القرآنية الكريمة | ٨٥٦ |
| قائمة الأحاديث النبوية والآثار | ٨٩٥ |
| قائمة الأعـــلام | ٩١٢ |

| الموضـــوع | الصفحـة |
| --- | --- |
| قائمة المراجع والمصادر | ٩١٩ |
| قائمة الموضوعات | ٩٦٣ |